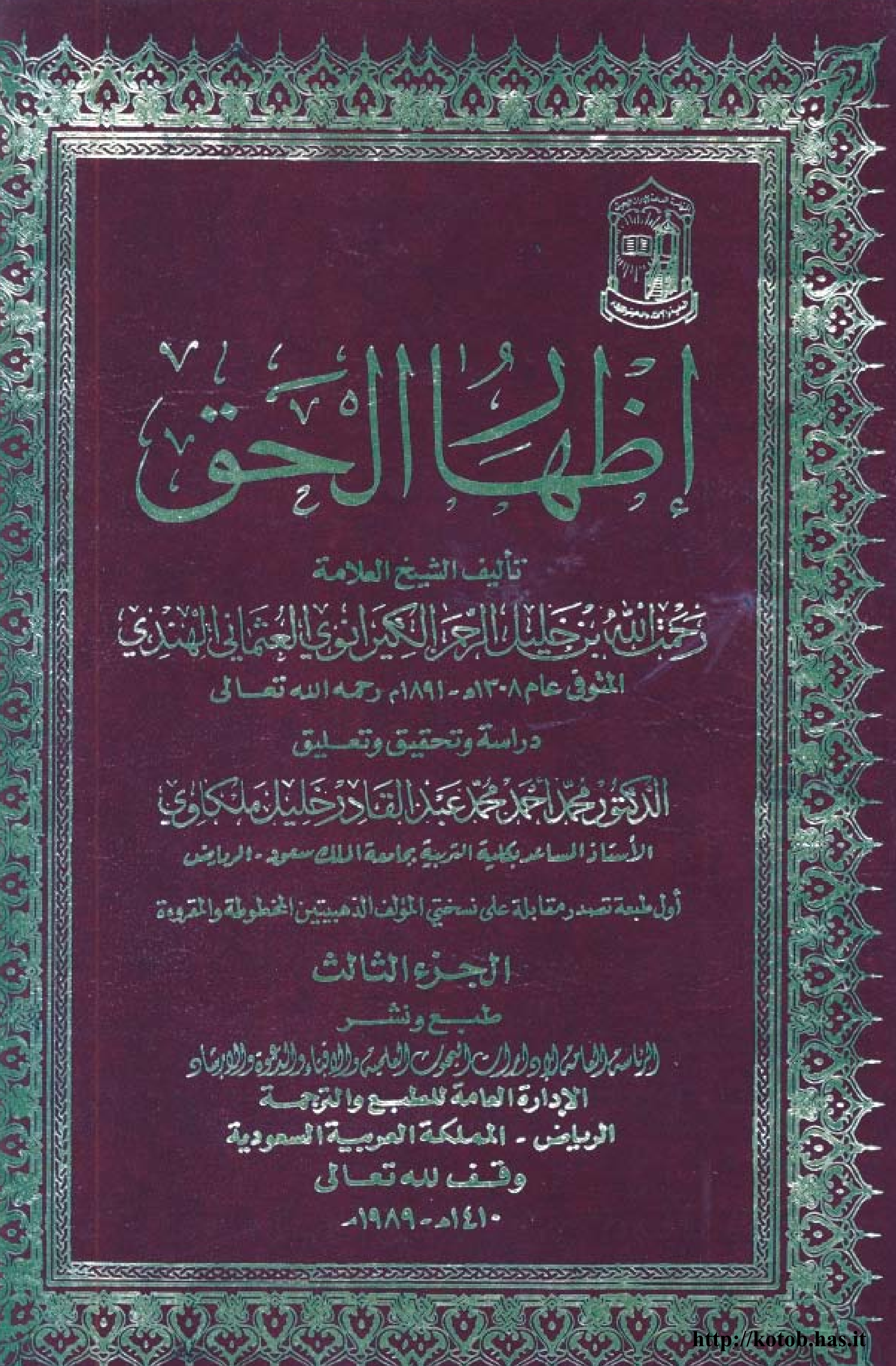
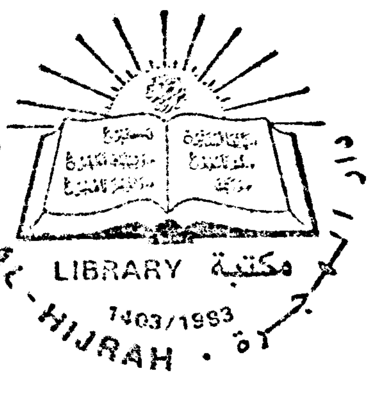
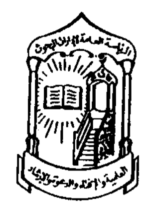

إظهار الحق
تأليف الشيخ العلامة
رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي
المتوفى عام ١٣٠٨هـ - ١٨٩١م رحمه الله تعالى
دراسة وتحقيق وتعليق
الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي
الأستاذ المساعد بكلية التربية بجامعة الملك سعود - الرياض
أول طبعة تصدر مقابلة على نسختي المؤلف الذهبيتين المخطوطة والمقروءة
الجزء الثالث
طبع ونشر
الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
الإدارة العامة للطبع والترجمة
الرياض - المملكة العربية السعودية
وقف لله تعالى
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م
http://kotob.has.it





إظهار الحق

أدق دراسة نقدية في إثبات وقوع التحريف والنسخ في التوراة والإنجيل ، وإبطال عقيدة التثليث وألوهية المسيح ، وإثبات إعجاز القرآن ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والردّ على شبه المستشرقين والمنصّرين

تأليف الشيخ العلامة

رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي

المتوفى عام ١٣٠٨هـ - ١٨٩١م رحمه الله تعالى

دراسة وتحقيق وتعليق

الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي

الأستاذ المساعد بكلية التربية بجامعة الملك سعود - الرياض

أول طبعة تصدر مقابلة على نسختي المؤلف الذهبيتين المخطوطة والمقروءة

الجزء الثالث

طبع ونشر

الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الإدارة العامة للطبع والترجمة

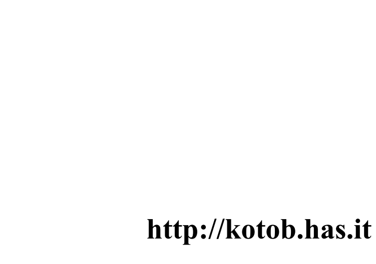
الرياض - المملكة العربية السعودية -

وقف لله تعالى

١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

الطبعة الأولى ١٤١٠هـ


بسم الله الرحمن الرحيم


http://kotob.has.it

الباب الثالث
في إثبات النسخ



النَّسْخ في اللغة : الإزالة[١]، وفي اصطلاح أهل الإسلام : بيان مدّة انتهاء الحكم العملي الجامع للشروط[٢]؛ لأنّ النسخ لا يطرأ عندنا على القصص ، ولا على الأمور القطعيّة العقليّة ، مثل : أنّ صانع العالم موجود ، ولا على الأمور الحسيّة مثل : ضوء النهار وظلمة الليل ، ولا على الأدعية ، ولا على الأحكام التي تكون واجبة نظراً إلى ذاتها مثل : آمنوا ولا تشركوا[٣]، ولا على الأحكام المؤبّدة مثل : ﴿ **ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً** ﴾[٤] ولا على الأحكام المؤقتة قبل وقتها المعيّن ، مثل ﴿ **فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره** ﴾[٥]،

(١) النَّسْخُ : مصدر نَسَخَ يَنْسَخُ نَسْخاً ، ويأتي في اللغة بمعنيين أساسيين هما: ١ ـ الإبطال والإزالة : يقال نَسَخَتِ الريحُ الأثَرَ ، ونَسَخَتِ الشمسُ الظلَّ ، ونسخ الحاكم الحكم والقانون ، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة آية ١٠٦ (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) ، وقوله تعالى في سورة الحج آية ٥٢ (فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته) أي يزيله ويبطله فلا يُبقي له أثراً ، فجاءت كلمة النسخ هنا بمعنى إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه ٢ ـ النقل والتحويل: يقال: نسخ الكتابَ أي نقله وكتبه حرفاً بحرف ، ونسختِ النحلُ العسلَ ، أي حوّلته إلى مكان آخر ، ومنه قوله تعالى في سورة الجاثية آية ٢٩ (إنا كنّا نستنسخ ماكنتم تعملون) أي نستنسخ ما تكتب الحفظة فيثبت عند الله ، فجاءت كلمة النسخ هنا بمعنى نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو . (لسان العرب ٣/٦١ ، والقاموس المحيط ١/٢٨١ ، والمعجم الوسيط ص ٩١٧) .

(٢) التعبير بكلمة (انتهاء) تعبير دقيق جداً ، ولا يجوز أن يُقال بيان (نهاية) لأنّ الحكم الذي له نهاية هو الحكم المؤقت ، وهذا التعريف للنسخ في حق الله سبحانه وتعالى ، أمّا في البشر فيعرّف بأنّه : رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر . (المستصفى من علم الأصول للغزالي ١/٦٩ ، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٢/٢٣٨ ، والمعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري ١/٣٩٤ ، وأصول الفقه للخضري ص ٢٧٦) .

(٣) يقصد بالأحكام الواجبة نظراً إلى ذاتها أي : الأحكام التي لا تحتمل عدم المشروعية كوجوب الإيمان ، والأحكام التي لا تحتمل المشروعية كالكفر والشرك بالله .

(٤) سورة النور آية ٤ .

(٥) سورة البقرة آية ١٠٩ .

بل يطرأ على الأحكام التي تكون عمليّة محتملة للوجود والعدم غير مؤبّدة وغير مؤقّتة ، وتسمّى الأحكام المطلقة[1]، ويشترط فيها أن لا يكون الوقت والمكلّف والوجه متّحدة ، بل لا بدّ من الاختلاف في الكلّ أو البعض من هذه الثلاثة ، وليس معنى النسخ المصطلح أنّ الله أمر أو نهى أوّلاً وما كان يعلم عاقبته ، ثم بدا له رأي فنسخ الحكم الأوّل ليلزم الجهل[2]، أو أمر أو نهى ثم نسخ مع الاتحاد في الأمور المسطورة ليلزم الشناعة عقلاً[3] وان قلنا انّه كان عالماً بالعاقبة فإنّ هذا النسخ لا يجوز عندنا ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ بل معناه : أنّ الله كان يعلم أنّ هذا الحُكْمَ يكون باقياً على المكلّفين إلى الوقت الفلاني ثم يُنسخ ، فلمّا جاء الوقت أرسل حُكْماً آخر ظهر منه الزيادة أو النقصان أو الرفع مطلقاً ، ففي الحقيقة هذا بيان انتهاء الحُكْم الأوّل ، لكن لمّا لم يكن الوقت مذكوراً في الحكم الأوّل فعند ورود الثاني يُتخيّل لقصور علمنا في الظاهر أنّه تغيير ، ونظيره ـ بلا تشبيه ـ أن تأمر خادمك الذي تعلم حاله بخدمة من الخدمات ، ويكون في نيتك أنه يكون على هذه الخدمة إلى سنة ـ مثلاً ـ وبعد السنة يكون على خدمة أخرى ، لكن ما أظهرت عزمك ونيّتك عليه ، فإذا مضت المدّة وعيّنته لخدمة أخرى : فهذا بحسب الظاهر عند الخادم وكذا عند غيره الذي ما أخبرته عن نيتك تغيير ، وأمّا في الحقيقة وعندك فليس بتغيير ، ولا استحالة في هذا المعنى لا بالنسبة إلى ذات الله ولا إلى صفاته ، فكما

---

(١) أي المطلقة من التوقيت ، فالحكم غير المؤقت يسمى مطلقاً .

(٢) وهذا هو البَدَاء الممتنع في حق الله سبحانه ؛ لأنّ البَدَاء : ظهور الشيء بعد خفائه ثم استعمل لظهور الرأي بعد أن لم يكن ، والمعتقدون به يقال لهم : البدائيّة : أي الذين جوّزوا البَدَاء على الله تعالى ، ومنهم اليهود . (التعريفات ص ٤٤) .

(٣) لأنّ صدور الأمر والنهي معاً مع الاتحاد في الأمور المذكورة فيه اجتماع الضدّين في محل واحد وزمان واحد ، وهما أمران وجوديان لا يجتمعان معاً في محل واحد وزمن واحد لكنهما قد يرتفعان معاً .

أنّ في تبديل المواسم مثل الربيع والصيف والخريف والشتاء ، وكذا في تبديل الليل والنهار ، وتبديل حالات الناس ـ مثل : الفقر والغنى والصحة والمرض وغيرها ـ حِكَماً ومصالح لله تعالى سواء ظهرت لنا أو لم تظهر ، فكذلك في نسخ الأحكام حِكَمٌ ومصالح له ، نظراً إلى حال المكلَّفين والزمان والمكان[١]، ألا ترى أنّ الطبيب الحاذق يبدّل الأدوية والأغذية بملاحظة حالات المريض وغيرها على حسب المصلحة التي يراها ، ولا يحمل أحد فعله على العبث والسفاهة والجهل ، فكيف يظنّ عاقل هذه الأمور في الحكيم المطلق العالم بالأشياء بالعلم القديم الأزلي الأبدي ؟!

وإذا علمت هذا فأقول : ليست قصّة من القصص المندرجة في العهد العتيق والجديد منسوخة عندنا ؛ نعم بعضها كاذب ، مثل :

(١) أنّ لوطا عليه السلام زنى بابنتيه وحملتا بالزنا من الأب ، كما هو مصرّح في الباب التاسع عشر من سفر التكوين[٢].

(٢) أو أنّ يهوذا بن يعقوب عليه السلام زنى بثامار زوجة ابنه وحملت بالزنا منه وولدت توأمين ـ فارص وزارح ـ كما هو مصرّح به في الباب الثامن والثلاثين من السفر المذكور[٣]، وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلّهم من أولاد فارص المذكور كما هو مصرّح به في الباب الأوّل من إنجيل متّى[٤].

---

(١) فمن المعنى أنّ جميع الأحكام ما شرعت إلاّ لمصالح العباد ، ومصالح العباد تكون في جلب منفعة أو تكميلها أو في دفع مضرة أو تقليلها .

(٢) انظر سفر التكوين ١٩/٣٠ـ٣٨ .

(٣) انظر سفر التكوين ٣٨/١٢ ـ ٣٠ .

(٤) انظر إنجيل متّى ١/٣ـ١٦ .

(٣) أو أنّ داود عليه السلام زنى بامرأة أوريّا وحملت بالزنا منه ، فأهلك زوجها بالمكر وأخذها زوجة له ، كما هو مصرّح به في الباب الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني[١].

(٤) أو أنّ سليمان عليه السلام ارتدّ في آخر عمره ، وكان يعبد الأصنام بعد الارتداد وبنى المعابد لها ، كما هو مصرّح به في الباب الحادي عشر من سفر الملوك الأول[٢].

(٥) أو أنّ هارون عليه السلام بنى عجلاً وعبده وأمر بني إسرائيل بعبادته كما هو مصرّح به في الباب الثاني والثلاثين من سفر الخروج[٣].

فنقول : إنّ هذه القصص وأمثالها كاذبة باطلة عندنا ، ولا نقول : إنّها منسوخة ، والأمور القطعيّة : العقليّة والحسيّة ، والأحكام الواجبة ، والأحكام المؤبّدة ، والأحكام الوقتيّة قبل أوقاتها ، والأحكام المطلقة التي يفرض فيها الوقت والمكلّف والوجه متّحدة، لا تكون هذه الأشياء كلها منسوخة ليلزم الشناعة ، وكذا لا تكون الأدعية منسوخة ، فلا يكون الزبور الذي هو أدعية منسوخاً بالمعنى المصطلح عندنا ، ولا نقول قطعاً : إنّه ناسخ للتوراة ومنسوخ من الإنجيل كما افترى هذا الأمر على أهل الاسلام صاحب ميزان الحق وقال : « إنّ هذا مصرّح به في القرآن والتفاسير »[٤]، وإنّما مُنِعْنا عن استعمال الزبور والكتب الأخرى من العهد العتيق والجديد لأنّها مشكوكة يقيناً بسبب عدم أسانيدها المتصلة وثبوت وقوع التحريف اللفظي فيها بجميع أقسامه ، كما عرفت في الباب الثاني .

(١) انظر سفر صموئيل الثاني ١١/٢ ـ ٢٧ .
(٢) انظر سفر الملوك الأول ١١/١ ـ ١٣ .
(٣) انظر سفر الخروج ٣٢/١ ـ ٦ .
(٤) انظر المناظرة الكبرى ص ٢١٢ وص ٢١٣ .

ويجوز النسخ في غير المذكورات من الأحكام المطلقة الصالحة للنسخ ، فنعترف بأنّ بعض أحكام التوراة والإنجيل - من الأحكام التي هي من جنس الصالحة للنسخ منسوخة[1]، في الشريعة المحمّدية ، ولا نقول : إنّ كل حكم من أحكامها منسوخ ، كيف وإنّ بعض أحكام التوراة لم تُنسخ يقيناً ، مثل : حرمة اليمين الكاذبة ، والقتل ، والزنا ، واللواطة ، والسرقة ، وشهادة الزور ، والخيانة في مال الجار وعرضه ، ووجوب إكرام الأبوين ، وحرمة نكاح الآباء والأبناء والأمهات والبنات والأعمام والعمّات والأخوال والخالات[2] وجمع الأختين ، وغيرها من الأحكام الكثيرة ، وكذا بعض أحكام الإنجيل لم تنسخ يقيناً ، مثلاً : وقع في الباب الثاني عشر من إنجيل مرقس هكذا : « ٢٩ ــ فقال له عيسى[3] وهو يحاوره : إنّ أوّل الأحكام قوله[4]: استمع يا إسرائيل فإنّ الربّ إلهنا ربّ واحد (٣٠) وأن تحبّ الربّ إلهك بقلبك كله وروحك كلها وإدراكك كله وقواك كلها . هذا هو الحكم الأوّل (٣١) والثاني مثله وهو أن تحب جارك كنفسك وليس حكم آخر أكبر من هذين »[5]، فهذان الحكمان باقيان في شريعتنا على أوكد وجه وليسا بمنسوخين .

والنسخ ليس بمختصّ بشريعتنا ، بل وجد في الشرائع السابقة أيضاً بالكثرة بكلا قسميه ، أعني : النسخ الذي يكون في شريعة نبيّ لاحق لحكم كان في شريعة نبيّ سابق ، والنسخ الذي يكون في شريعة نبيّ لحكم آخر من شريعة

(١) أي هي أحكام مطلقة ، وهي الأحكام العملية المحتملة للوجود والعدم ، وتكون غير مؤبدة ولا مقيّدة بوقت .

(٢) أي يحرم زواج المرأة بأبيها وابنها وعمّها وخالها ، ويحرم زواج الرجل بأمه وابنته وعمته وخالته والجمع بين الأختين .

(٣) في حاشية ق : خطاب لبعض علماء اليهود . اهـ .

(٤) في حاشية ق : أي قول موسى . اهـ .

(٥) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٢٥م و١٨٢٦م . والحكمان هما كمال محبة الربّ ، ثم محبة الجار كالنفس ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م وما بعد وردت كلمة (قريبك) مكان كلمة (جارك) .

هذا النبيّ ، وأمثلة القسمين في العهد العتيق والجديد غير محصورة ، لكن أكتفي ههنا ببعضها فأقول :

أمثلة القسم الأوّل هذه[1]:

(الأول) : تزوجت الإخوةُ بالأخوات في عهد آدم عليه السلام[2]، وسارة زوجة إبراهيم عليهما السلام أيضاً كانت أختاً عَلّاتيّة[3] له كما يُفهم من قوله المندرج في الآية الثانية عشرة من الباب العشرين من سفر التكوين - ترجمة عربية سنة ١٦٢٥م وسنة ١٦٤٨م -: « إنّها أختي بالحقيقة ابنة أبي وليس ابنة أمي وقد تزوجتُ بها »[4].

والنكاح بالأخت حرام مطلقاً في الشريعة الموسوية عينيّة كانت الأخت أو عَلّاتيّة أو خَيَفيّة[5] ومساوٍ للزنا ، والناكح ملعون وقتل الزوجين واجب .

---

(١) أي أمثلة النسخ الذي يكون في شريعة نبي لاحق لحكم كان في شريعة نبي سابق .

(٢) وهذا سبب قتل قابيل لأخيه هابيل ، فقد أوحى الله لآدم عليه السلام أن يزوّج كل واحد منهما توأمة الآخر ، فسخط منه قابيل لأنّ توأمته كانت أجمل ، فقال لهما أبوهما: قرّبا قرباناً ، فمن أيكما قُبِل تزوجها ، فقُبِل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطاً فقتل أخاه هابيل (انظر تفسير الآيات ٢٧ - ٣١ من سورة المائدة في تفسير البيضاوي ص ١٤٧ وفي تفسير أبي السعود ٢/٣٩) .

(٣) أي أخته من أبيه فقط وليست أخته من أمه .

(٤) وهو كذلك نص طبعة سنة ١٨٤٤م وفي طبعة سنة ١٨٦٥م : « وبالحقيقة أيضاً هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمّي فصارت لي زوجة » ومثلها في التوراة السامرية (بلفظ الأخت) .

(٥) الأخت العينيّة هي الأخت الشقيقة أي من أب وأم واحدة ، فتسمّى عينيّة لأنّها خرجت وأخوها من معين واحد صلباً ورحماً ، والأخت العَلاتيّة هي الأخت لأب ، فإذا كان الأب واحداً والأمهات مختلفات يكونون إخوة لعَلّات ؛ لأنّ الضَّرّة علّة لضرّتها ، والأخت الخَيَفيّة هي الأخت لأمّ ، فإذا كانت الأمّ واحدة والآباء شتى يكونون أخيافاً ، وأصله من الخَيَف وهو اختلاف العينين إذا كانت واحدة زرقاء والأخرى سوداء ، والرجل أخْيَف والأنثى خَيْفاء . (لسان العرب ٩/١٠١ و١١/٤٧٠ ، والمعجم الوسيط ص ٢٦٥) .

الآية التاسعة من الباب الثامن عشر من سفر الأحبار هكذا : « لا تكشف عورة أختك من أبيك كانت أو من أمّك التي وُلدت في البيت أو خارجاً من البيت »[1]، وفي تفسير دوالي ورجردمينت في ذيل شرح هذه الآية : « مثل هذا النكاح مساوٍ للزنا » انتهى .

والآية السابعة عشرة من الباب العشرين من السفر المذكور هكذا : « وأيما رجل تزوّج أخته ابنة أبيه أو أخته ابنة أمّه ورأى عورتها ورأت عورته فهذا عار شديد فيقتلا أمام شعبهما وذلك لأنّه كشف عورة أخته فيكون إثمهما في رأسهما » .

والآية الثانية والعشرون من الباب السابع والعشرين من كتاب التثنية هكذا : « ملعوناً يكون من يضاجع أخته من أبيه أو أمّه » .

فلو لم يكن هذا النكاح جائزاً في شريعة آدم وإبراهيم عليهما السلام يلزم أن يكون الناس كلهم أولاد الزنا ، والناكحون زانين وواجبي القتل وملعونين ، فكيف يُظنّ هذا في حق الأنبياء عليهم السلام ؟ فلا بدّ من الاعتراف بأنّه كان جائزاً في شريعتهما ثم نُسِخ .

(فائدة) : ترجم صاحب الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م الآية الثانية عشرة من الباب العشرين من سفر التكوين هكذا : « هي قريبتي من أبي لا من أمّي »[2]، فالظاهر أنّه حرّف قصداً لئلّا يلزم النسخ بالنسبة إلى نكاح سارة ؛ لأنّ قريبة الأب تشمل بنت العمّ والعمّة وغيرهما .

---

(١) هذا نص طبعة سنة ١٨٤٤م لكنه فيها بلفظ : « ولا تجتلي » بدلاً من لفظ « لا تكشف » .

(٢) أي بدّل لفظ (قريبتي) بلفظ (أختي) الوارد في طبعات سنة ١٦٢٥م و١٦٤٨م و١٨٤٤م و١٨٦٥م وسائر الطبعات الحديثة ، وفي السامرية بلفظ (أختي) أيضاً .

(الثاني) : قول الله في خطاب نوح وأولاده في الآية الثالثة من الباب التاسع من سفر التكوين هكذا ـ ترجمة عربية سنة ١٦٢٥م وسنة ١٦٤٨م ـ : « وكلّما يتحرك على الأرض وهو حيّ يكون لكم مأكولاً كالبقل الأخضر »[١].

فكانت جميع الحيوانات حلالاً في شريعة نوح كالبقولات ، وحُرّمت في الشريعة الموسوية الحيوانات الكثيرة منها الخنزير أيضاً ، كما هو مصرّح به في الباب الحادي عشر من سفر الأحبار والباب الرابع عشر من سفر التثنية[٢].

(فائدة) : حرّف ههنا أيضاً صاحب الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م وترجم الآية الثالثة المذكورة هكذا : « كل دبيب طاهر حيّ يكون لكم مأكلاً كخضر العشب » ، فزاد لفظ « الطاهر » من جانبه[٣] لئلا تشمل الحيوانات المحرّمة في شريعة موسى ؛ لأنها قيل في حقها في التوراة : إنّها نجسة .

(الثالث) : جمع يعقوب بين الأختين ليّا وراحيل ابنتي خاله كما هو مصرّح به في الباب التاسع والعشرين من سفر التكوين[٤]، وهذا الجمع حرام في الشريعة الموسوية .

الآية الثامنة عشرة من الباب الثامن عشر من سفر الأحبار هكذا :

---

(١) وما في غيرهما قريب منهما .

(٢) ففي سفر الأحبار ١١/٤ ـ ٨ ، وفي سفر التثنية ١٤/٧ ـ ٨ أن الله حرّم الجمل والوبر والأرنب والخنزير ، وأكتفي بنقل فقرتي سفر التثنية وهما كما يلي : « ٧ ــ الجمل والأرنب والوبر لأنها تجترّ لكنها لا تشقّ ظلفاً فهي نجسة لكم (٨) والخنزير لأنه يشقّ الظلف لكنه لا يجترّ فهو نجس لكم فمن لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا» .

(٣) ولذلك لم ترد كلمة «طاهر» في طبعات سنة ١٦٢٥م و١٦٤٨م و١٨٤٤م و١٨٦٥م ولا في النسخة السامرية كذلك .

(٤) انظر قصة زواج يعقوب بليّا وراحيل ابنتي خاله لابان في سفر التكوين ٢٩/١٥ ـ ٣٥ ، وملخصها : أن يعقوب رعى غنم خاله لابان سبع سنين ليزوجه ابنته الصغرى راحيل وكان يعقوب يحبها ، ولكن خاله خدعه وزوّجه الكبرى ليّا ، فرعى غنم خاله سبع سنين أخرى فزوّجه راحيل فيكون يعقوب قد جمع بين الأختين بخدمة أربع عشرة سنة .

« ولا تتزوّج أخت امرأتك في حياتها فتحزنها ولا تكشف عورتهما جميعاً فتحزنهما » ، فلو لم يكن الجمع بين الأختين جائزاً في شريعة يعقوب يلزم أن يكون أولادهما أولاد الزنا والعياذ بالله ، وأكثر الأنبياء الإسرائيلية في أولادهما[1] .

(الرابع) : قد عرفت في الشاهد الأوّل من المقصد الثالث أنّ يوخابذ زوجة عمران كانت عمّته ، وقد حرّف المترجمون للترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥م وسنة ١٦٤٨م تحريفاً قصديّاً لإخفاء العيب ، فكان أبو موسى تزوّج عمّته[2] ، وهذا النكاح حرام في الشريعة الموسوية .

الآية الثانية عشرة من الباب الثامن عشر من سفر الأحبار هكذا : « لا تكشف عورة عمّتك لأنها قرابة أبيك »[3] ، وكذا في الآية التاسعة عشرة من الباب العشرين من السفر المذكور[4] .

فلو لم يكن هذا النكاح جائزاً قبل شريعة موسى لزم أن يكون موسى وهارون ومريم اختهما من أولاد الزنا والعياذ بالله ، ولزم أن لا يدخلوا جماعة الربّ إلى عشرة أحقاب ، كما هو مصرّح به في الآية الثانية من الباب الثالث والعشرين من سفر التثنية[5] ، ولو كانوا هم قابلين للإخراج عن جماعة الربّ فمن يكون صالحاً لدخولها ؟

---

(١) فقد أنجبت راحيل اثنين هما : يوسف وبنيامين ، وأنجبت ليّا ستة بنين هم : رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون ، وباقي الإثني عشر من زلفة وبلهة جاريتيْ ليّا وراحيل .

(٢) لأنّ والد موسى هو : عمران بن قهات بن لاوي ، ويوكابد بنت لاوي ، فهي أخت قهات وعمّة عمران ، كما هو مذكور في سفر العدد ٢٦/٥٩ ، وسفر الخروج ٦/٢٠ ، ونصّ فقرة سفر الخروج كما يلي « ٢٠ ـ وأخذ عمران يوكابد عمّته زوجة له فولدت له هارون وموسى » .

(٣) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٤٤م ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م : « عورة أخت أبيك لا تكشف » .

(٤) ففي سفر الأحبار ٢٠/١٩ « عورة أخت أمّك أو أخت أبيك لا تكشف » .

(٥) في المخطوطة والمطبوعة والمقروءة ورد لفظ « الآية الثالثة » والصواب أنها « الثانية » ففي سفر التثنية ٢٣/٢ « لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الربّ » .

(الخامس) : في الباب الحادي والثلاثين من كتاب إرميا هكذا : « ٣١ ــ هاهو ذا ستأتي أيام يقول الرب وأعاهد بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهداً جديداً (٣٢) ليس مثل العهد الذي عاهدت آباءهم في اليوم الذي أخذت بأيديهم لأخرجهم من أرض مصر عهداً نقضوه وأنا تسلّطت عليهم يقول الرب » .

والمراد من العهد الجديد الشريعة الجديدة ، فيفهم أنّ هذه الشريعة الجديدة تكون ناسخة للشريعة الموسوية ؛ وادّعى مقدّسهم بولس في الباب الثامن من رسالته إلى العبرانيين أنّ هذه الشريعة شريعة عيسى[1]، فعلى اعترافه شريعة عيسى عليه السلام ناسخة لشريعة موسى عليه السلام .

وهذه الأمثلة الخمسة لإلزام اليهود والمسيحيين جميعاً ، ولإلزام المسيحيين أمثلة أخرى أيضاً[2].

(السادس) : يجوز في الشريعة الموسوية أن يطلّق الرجل امرأته بكل علّة ، وأن يتزوّج رجل آخر بتلك المطلّقة بعدما خرجت من بيت الأوّل ، كما هو مصرّح به في الباب الرابع والعشرين من كتاب التثنية[3]، ولا يجوز الطلاق في الشريعة العيسوية إلّا بعلّة الزنا ، وكذا لا يجوز لرجل آخر نكاح المطلّقة بل هو بمنزلة الزنا كما صرّح به في الباب الخامس والتاسع عشر من إنجيل متّى ، ولّما اعترض الفرّيسيّون على عيسى عليه السلام في هذه المسألة فقال في جوابهم : « إنّ موسى ما جوّز لكم طلاق نسائكم إلّا لقساوة قلوبكم وأمّا من قبل فانّه لم

---

(١) يفهم هذا المعنى من الرسالة العبرانية ٨/٧ و١٣ « ٧ ــ فإنّه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان (١٣) فإذا قال جديداً عتّق الأوّل وأمّا ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال » .

(٢) وهي الأمثلة الآتية من السادس إلى الحادي والعشرين .

(٣) انظر سفر التثنية ٢٤/١ ـ ٣ .

يكن كذلك وأنا أقول لكم : إنّ كلّ من طلّق زوجته لغير علّة الزنا وتزوّج بأخرى فقد زنى ومن يتزوج بتلك المطلّقة يزني »[1].

فعُلِم من جوابه أنّه ثبت النسخ في هذا الحُكْم مرتين ، مرّة في الشريعة الموسوية ومرّة في شريعته[2]، وأنّه قد ينزل الحُكْم تارة موافقاً لحال المكلّفين وإنْ لم يكن حسناً في نفس الأمر[3].

(السابع) : كانت الحيوانات الكثيرة محرّمة في الشريعة الموسوية ونُسِخت حرمتها في الشريعة العيسوية ، وثبتت الإباحة العامّة بفتوى بولس .

الآية الرابعة عشرة من الباب الرابع عشر من رسالة بولس إلى أهل رومية هكذا : « فإنّي أعلم وأعتقد بالربّ عيسى أن لا شيء نجس العين بل إنّ كلّ شيء نجس لمن يحسبه نجساً »[4].

والآية الخامسة عشرة من الباب الأوّل من رسالته إلى تيطس هكذا : « فإنّ جميع الأشياء طاهرة للطاهرين وليس شيء بطاهر للنجسين والمنافقين لأنهم كلهم نجسون حتى عقلهم وضميرهم »[5].

---

(١) انظر إنجيل متّى ١٩/٨ ـ ٩ ، وهذا نصّ طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م ، لكنّه ذكر فيها كلمتي « فسق » و « يفسق » بدلاً من كلمتي (زنى) و « يزني » . وفي إنجيل متّى ٥/٣١ ـ ٣٢ « ٣١ ـ وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق (٣٢) وأمّا أنا فأقول لكم إنّ من طلق امرأته إلا لعلّة الزنا يجعلها تزني ومن يتزوج مطلّقة فإنّه يزني » .

(٢) تُفهم المرّة الأولى للنسخ ههنا من قوله : « إنّ موسى ما جوّز لكم طلاق نسائكم إلاّ لقساوة قلوبكم وأمّا من قبْلُ فإنّه لم يكن كذلك » فكأنّ الطلاق كان محرّماً فنسخت شريعة موسى حرمته وصار مباحاً ثم نسخت شريعة عيسى الإباحة مرة أخرى ورجع حكم الطلاق إلى التحريم .

(٣) أي كنسخ حرمة الطلاق في شريعة موسى ونزول إباحته لمصلحة المكلفين في الإباحة ، علماً بأنّ الطلاق في ذاته ليس حسناً .

(٤) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م .

(٥) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م .

وهاتان الكليّتان : (إنّ كل شيء نجس لمن يحسبه نجساً) و (جميع الأشياء طاهرة للطاهرين) عجيبتان في الظاهر ، لعلّ بني إسرائيل لم يكونوا طاهرين فلم تحصل لهم هذه الإباحة العامّة ، ولمّا كان المسيحيون طاهرين حصلت لهم الإباحة العامّة وصار كلّ شيء طاهراً لهم ، وكان مقدّسهم جاهداً في إشاعة حكم الإباحة العامة ، ولذلك كتب إلى تيموثاوس في الباب الرابع من رسالته الأولى : « ٤ ــ لأنّ كلّ ما خلق الله حسن ولا يجوز أن يرفض منه شيء إذا أكلناه ونحن شاكرون (٥) ـ لأنّه يتقدّس بكلمة الله وبالتضرّع (٦) فإنْ ذكّرت الإخوة بهذه فقد صرت للمسيح عيسى خادماً جيداً متربياً في كلام الإيمان والتعليم الصحيح الذي اتبعت أثره »[١].

(الثامن) : أحكام الأعياد التي فصّلت في الباب الثالث والعشرين من كتاب الأحبار كانت واجبة أبديّة في الشريعة الموسوية ، ووقعت في حقها في الآية ١٤ و ٢١ و ٣١ و ٤١ من الباب المذكور ألفاظ تدلّ على كونها أبديّة[٢].

(التاسع) : كان تعظيم السبت[٣] حكماً أبديّاً في الشريعة الموسوية ،

---

(١) هذا نص طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م .

(٢) في حاشية ق : والحال أنها منسوخة . اهـ . وقد وردت العبارة التالية في سفر الأحبار ٢٣/١٤ « فريضة دهريّة في أجيالكم في جميع مساكنكم » ومثلها في الفقرات ٢١ و٣١ و٤١ ، فإذا كانت شريعة عيسى ناسخة لشريعة موسى ـ كما هو اعتقاد بولس وأتباعه النصارى ـ فلا تكون الأحكام المذكورة في هذه الفقرات فريضة دهرية أبدية .

(٣) السبت : من سبت يسبت سبتاً : استراح وسكن ، والسبّات : نوم خفيّ ، وأصله الراحة ، والسبت : القطع ؛ لأنّ النائم ينقطع عن الناس وعن الحركة ، والأسبات : الدخول في السبت ، وهو يوم فرض الله على اليهود ـ في شريعة موسى عليه السلام ـ تقديسه والإستراحة فيه من أعمالهم ، وبعد موت موسى بدؤوا بنقض حرمته وانحرفوا في عقيدتهم فكتبوا في التوراة في سفر التكوين ٢/٢ ـ ٣ ، وفي سفر الخروج ٢٠/١١ أنّ الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح من عمله في اليوم السابع . سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ، وقد ردّ القرآن الكريم على هذا الاعتقاد الباطل بقوله تعالى في سورة ق آية ٣٨ ﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما =

وما كان لأحد أن يعمل فيه أدنى عمل ، وكان من عمل فيه عملاً ومن لم يحافظه واجبيْ القتل ، وقد تكرّر بيان هذا الحكم والتأكيد فيه في كتب العهد العتيق في مواضع كثيرة ، مثلاً : في الآية الثالثة من الباب الثاني من سفر التكوين ، وفي الباب العشرين من سفر الخروج من الآية الثامنة إلى الحادية عشرة ، وفي الآية الثانية عشرة من الباب الثالث والعشرين من سفر الخروج ، وفي الآية الحادية والعشرين من الباب الرابع والثلاثين من سفر الخروج ، وفي الآية الثالثة من الباب التاسع عشر وكذا من الباب الثالث والعشرين من سفر الأحبار ، وفي الباب الخامس من كتاب التثنية من الآية الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة ، وفي الباب السابع عشر من كتاب إرميا ، وفي الباب السادس والخمسين والثامن والخمسين من كتاب إشعيا ، وفي الباب التاسع من كتاب نحميا ، وفي الباب العشرين من كتاب حزقيال[1].

ووقع في الباب الحادي والثلاثين من سفر الخروج هكذا : « ١٣ ـ كلّمْ بني إسرائيل وقل لهم أن يحفظوا يومي يوم السبت من أجل أنّه علامة بيني وبينكم في أجيالكم لتعلموا أنّني أنا الربّ الذي أُطهّركم (١٤) فاحفظوا يومي يوم السبت فإنّه طهر لكم ومن لا يحفظه فليقتل قتلاً من عمل به عملاً فتُهلك تلك

= في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ ، وقد ورد ذكر السبت في القرآن الكريم خمس مرات ، ومرة بلفظ (يسبتون) ومرة بلفظ (سبتهم) ، وقد نقل النصارى قدسية يوم السبت إلى يوم الأحد ، وزعموا بأن المقصود بحفظ السبت هو الحفظ الروحي وليس الحفظ الحرفي ؛ لأنّ المسيح بزعمهم خلّصهم من كل تعاليم الناموس (التوراة) الحرفيّة الظاهرية وحوّلها إلى تعاليم روحية ولما عمل بعض قدماء النصارى بتعظيم اليومين معاً ، اجتمع مجمع لاودكية (لوديسيا: وهي الآن اسكي حصار جنوب شرقي أزمير) سنة ٣٦٤م وأصدر قراراً يمنع فيه تعظيم السبت . (لسان العرب ٢/٣٦ ، قاموس الكتاب المقدس ص٤٥٣ ، والقاموس الإسلامي ٣/٢٢٧) .

(١) المواضع الاثنا عشر السابقة فيها وجوب تعظيم يوم السبت وتقديسه وعدم العمل فيه ، وعوضاً عن نقل جميع الفقرات المشار إليها أكتفي بنقل واحدة تغني عن غيرها ، ففي سفر الأحبار ٣/٢٣ « ستة أيام يُعمل عمل وأمّا اليوم السابع ففيه سبت عطلة محفل مقدّس . عملاً مّا لا تعملوا إنّه سبت للرب في جميع مساكنكم » . وسائر الفقرات المشار إليها تدور حول هذا المعنى .

النفس من شعبها (١٥) اعملوا عملكم ستة أيام واليوم السابع هو يوم سبتٍ راحةٍ طهرٍ للرب وكل من عمل عملاً في هذا اليوم فلْيُقتل (١٦) ولْيحفظ بنو إسرائيل السبت ولْيتخذوه عيداً بأجيالهم ميثاقاً إلى الدهر (١٧) بيْني وبين بني إسرائيل وعلامة إلى الأبد لأنّ الرب خلق السماء والأرض في ستّة أيام وفي اليوم السابع استراح من عمله».

ووقع في الباب الخامس والثلاثين من سفر الخروج هكذا: «٢ ــ ستة أيام تعملون عملكم واليوم السابع يكون لكم مقدّساً سبتٌ وراحةُ الرب من عمل فيه عملاً فلْيُقتل (٣) لا تشعلوا النار في جميع مساكنكم يوم السبت».

ووقع في الباب الخامس عشر من سفر العدد هكذا: «٣٢ ــ ولما كان بنو إسرائيل في البريّة وجدوا رجلاً يلقط حطباً يوم السبت (٣٣) فأقبلوا به إلى موسى وهارون والجماعة كلها (٣٤) فألقوه في السجن انّهم لم يكونوا يعرفون ما يجب أنّهم يفعلوا به (٣٥) فقال الرب لموسى: فليمت موتاً هذا الإنسان ويرجمه كل الشعب بالحجارة خارجاً من المحلّة (٣٦) فأخرجوه ورجموه بالحجارة ومات كما أمر الرب».

وكان اليهود المعاصرون للمسيح عليه السلام يؤذونه ويريدون قتله لأجل عدم تعظيم السبت، وكان هذا أيضاً من أدلّة إنكارهم[1]. الآية السادسة عشرة من الباب الخامس من إنجيل يوحنا هكذا: «ومن أجل ذلك طرد اليهود عيسى وطلبوا قتله لأنّه كان قد فعل تلك الأشياء يوم السبت»[2].

والآية السادسة عشرة من الباب التاسع من إنجيل يوحنا هكذا: «فقال بعض الفرّيسيّين: إنّ هذا الرجل ليس من عند الله لأنّه لا يحافظ على السبت»[3]. الخ.

(١) في حاشية ق: لشريعة عيسى عليه السلام. اهـ. أي لنبوته ودينه.
(٢) (٣) هذان النصان حسب طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م.

وإذْ علمت هذا أقول : إنّ مقدّسهم بولس نسخ هذه الأحكام[1] التي مرّ ذكرها في المثال السابع والثامن والتاسع ، وبينّ أنّ هذه الأشياء كلها كانت أظلالاً[2]، في الباب الثاني من رسالته إلى أهل كولوسي : « ١٦ ــ فلا يدينكم أحد بالمأكول أو المشروب أو بالنظر إلى الأعياد والشهور أو الأهلّة أو السبوت (١٧) فإنّ هذه الأشياء ظِلال للأمور المزمعة[3] بالإتيان وأمّا الجسد فإنّه للمسيح »[4].

في تفسير دوالي ورجردمينت ذيل شرح الآية السادسة عشرة هكذا : « قال بركت والدكتور وت بي : كانت [أي الأعياد] في اليهود على ثلاثة أقسام : في كل سنة سنة ، وفي كل شهر شهر ، وفي كل أسبوع أسبوع ، فنُسِخت هذه كلها ، بل يوم السبت أيضاً وأقيم سبت المسيحيين[5] مقامه ».

وقال بشب[6] هارسلي ذيل شرح الآية المذكورة : « زال سبت كنيسة اليهود وما مشى المسيحيون في عمل سبتهم على رسوم طفوليّة الفرّيسيّين » انتهى .

---

(١) في المخطوطة (الأشياء) وفي المطبوعة (الأحكام) .

(٢) أظلال بمعنى رموز ظاهرية للحقائق الروحية الباطنية ، فمثلاً أمر اليهود بالذبح يرمز إلى الإيمان بذبح المسيح ، والأمر بالختان يرمز إلى ختان القلوب عن الشهوات ، وهكذا انظر (المناظرة الكبرى ص ٢٤٠) .

(٣) في حاشية ق : أي المنتظرة . اهـ .

(٤) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م .

(٥) في حاشية ق : يعني يوم الأحد . اهـ .

(٦) في حاشية ق : رئيس القسوس . اهـ . وهي من الكلمة الإنجليزية Bishop ومعناها أسقف (مطران) وهو كبير القسس في كل مدينة ، والأساقفة الكبار في المدن الرئيسية يقال لرئيسهم (أرج بشب) ، ومن بين الأرج بشب ارتفع خمسة وصار لهم نفوذ كبير فأخذ كل منهم لقب بطريك أو بطريق ، وهم بطريك الإسكندرية والقدس وأنطاكية والقسطنطينية ، وقبل القرن الحادي عشر الميلادي كان الأساقفة ورؤساؤهم يطلق على الواحد منهم (پُپ) وفي القرن الحادي عشر في عهد جريجوري السابع اختص هذا اللقب برئيس أساقفة روما . انظر (مقارنة الأديان لأحمد شلبي ـ المسيحية ـ ص ٨٠) .

وفي تفسير هنري واسكات : « إذْ نسخ عيسى شريعة الرسومات ليس لأحد أن يلزم الأقوام الأجنبية بسبب عدم لحاظها ، قال باسوبروليافان : لو كانت محافظة يوم السبت واجبة على جميع الناس وعلى جميع أقوام الدنيا لما أمكن نسخها قط كما نسخت الآن حقيقة ، ولكان يلزم على المسيحيين أن يحافظوه طبقة بعد طبقة كما فعلوا في الابتداء لأجل تعظيم اليهود ورضاهم » انتهى .

وما ادّعى مقدّسهم بولس من كون الأشياء المذكورة أظلالاً لا يناسب عبارة التوراة ؛ لأنّ الله بيّن علّة حرمة الحيوانات بأنها : « نجسة فلا بدّ أن تكونوا مقدَّسين لأنّي قدّوس » كما هو مصرّح به في الباب الحادي عشر من سفر الأحبار[1]، وبيّن علّة عيد الفطير : « من أجل أني في هذا اليوم أُخرج جيوشكم من أرض مصر وتحفظون هذا اليوم إلى أجيالكم سُنَّة إلى الدهر » كما هو مصرّح به في الباب الثاني عشر من سفر الخروج[2]، وبيّن علّة عيد الخِيام[3] هكذا : « لتعلم أجيالكم أنّي أجلست بني إسرائيل في المظالّ إذْ أخرجتهم من أرض مصر » كما هو مصرّح في الباب الثالث والعشرين من سفر الأحبار[4]، وبيّن في مواضع متعددة علّة تعظيم السبت « بأنّ الرب خلق السماء والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع من عمله »[5].

(١) العبارة بالمعنى لا بالنصّ الحرفي ، وهي في سفر الأحبار ١١/٤٤ و٤٥ .

(٢) هذا نص طبعة سنة ١٨٤٤م وهو في سفر الخروج ١٢/١٧ ، وعيد الفطير هو عيد الفصح عند اليهود .

(٣) في حاشية ق : أي يخرجون إلى البر ويضعون الخيام . اهـ . وعيد الخيام أو عيد المظالّ هو آخر الأعياد السنوية الكبرى ، واشتق اسمه من عادة بني إسرائيل في أن يسكنوا المظال أثناء مدة العيد تذكرة لمظالّهم في البرية ، وكانت تقرأ شريعة موسى كل سبع سنين أمام الشعب في عيد المظال . (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٨٦) .

(٤) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٤٤م وهو في سفر الأحبار ٢٣/٤٣ .

(٥) انظر هذا المعنى في سفر التكوين ٢/٣ ، وفي سفر الخروج ٢٠/١١ و٣١/١٧ ، وفي سفر التثنية ٥/١٤ ، وقد ردّ القرآن الكريم على هذه العقيدة الباطلة بقوله تعالى في سورة ق آية ٣٨ ﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ .

(العاشر) : حكم الختان كان أبدياً في شريعة إبراهيم عليه السلام كما هو مصرّح به في الباب السابع عشر من سفر التكوين[1]، ولذلك بقي هذا الحكم في أولاد إسماعيل وإسحاق عليهما السلام ، وبقي في شريعة موسى عليه السلام أيضاً . الآية الثالثة من الباب الثاني عشر من سفر الأحبار هكذا : « وفي اليوم الثامن يُختن الصبي »[2]، وخُتن عيسى عليه السلام أيضاً كما هو مصرّح به في الآية الحادية والعشرين من الباب الثاني من إنجيل لوقا[3]، وفي المسيحيين إلى هذا الحين صلاة معيّنة يؤدونها في يوم ختان عيسى عليه السلام تذكرة لهذا اليوم ، وكان هذا الحكم باقياً إلى عروج عيسى عليه السلام وما نسخه بل نسخه الحواريون في عهدهم كما هو مشروح في الباب الخامس عشر من أعمال الحواريين[4]، وستعرفه في المثال الثالث عشر أيضاً .

ويشدّد مقدّسهم بولس في نسخ هذا الحكم تشديداً بليغاً في الباب الخامس من رسالته إلى أهل غلاطية هكذا : « ٢ ــ وها أنا بولس أقول لكم : إنكم إن اختتنتم لن ينفعكم المسيح بشيء (٣) لأنّي أشهد أنّ كلّ مختتن ملزم بإقامة جميع أعمال الناموس (٤) إنّكم إنْ تزكيتم بالناموس فلا فائدة لكم من المسيح وسقطتم عن نيل النعمة (٦) فإنّ الختانة لا منفعة لها في المسيح ولا للقلفة بل

---

(١) انظر سفر التكوين ١٧/٩ـ١٤ . ومما جاء في هذه الفقرات خطاباً لإبراهيم عليه السلام : « ١٢ ــ ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم . . . (١٣) فيكون عهدي في الحكم عهداً أبدياً » .

(٢) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٤٤م . وفي طبعة سنة ١٨٦٥م : « وفي اليوم الثامن يُختن لحم غرلته » . وفي التوراة السامرية : « وفي اليوم الثامن يختن بشر قلفته » .

(٣) فقرة إنجيل لوقا ٢/٢١ في طبعة سنة ١٨٦٥م : « ولمّا تمّت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سُمّي يسوع كما تسمّى من الملاك قبل أن حُبِل به في البطن » . وقريب منها ما في سائر الطبعات .

(٤) سيأتي النصّ في المثال الثالث عشر .

الإيمان الذي يعمل بالمحبة »[1] انتهى .

والآية الخامسة عشرة من الباب السادس من الرسالة المذكورة هكذا : « لا منفعة للختانة في المسيح عيسى ولا للقلفة بل الخلق الجديد »[2].

(الحادي عشر) : أحكام الذبائح كانت كثيرة وأبديّة في شريعة موسى ، وقد نُسِخت كلها في الشريعة العيسوية[3].

(الثاني عشر) : الأحكام الكثيرة المختصّة بآل هارون من الكهانة واللباس ووقت الحضور للخدمة وغيرها كانت أبديّة ، وقد نُسِخت كلّها في الشريعة العيسوية[4].

(الثالث عشر) : نسخ الحواريون[5] بعد المشاورة جميع الأحكام العملية للتوراة إلّا أربعة : ذبيحة الصنم ، والدم ، والمخنوق ، والزنا ، فأبقوا حرمتها وأرسلوا كتاباً إلى الكنائس ، وهو منقول في الباب الخامس عشر من أعمال الحواريين ، وبعض آياته هكذا : « ٢٤ ـ ثم إنّا قد سمعنا أنّ نفراً من الذين خرجوا من عندنا يضطربونكم بكلامهم ويزعجون أنفسكم ويقولون إنّه يجب عليكم أن تُختنوا وتحافظوا على الناموس ونحن لم نأمرهم بذلك (٢٨) لأنّه قد حسُن للروح القدس ولنا نحن ألا نحمّلكم غير هذه الأشياء الضرورية (٢٩) وهي أن تجتنبوا من قرابين الأوثان والدم والمخنوق والزنا التي إن تجنبتم عنها فقد

---

(١) (٢) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م والباقي قريب منه .

(٣) (٤) أي نسخها بولس الذي هو بزعمهم رسول المسيح ورئيس الكنيسة وأوّل الحواريين ، فقد أبطل برسائله جميع أحكام التوراة ، وإلا فإنّ المسيح عيسى عليه السلام كان عاملاً بشريعة التوراة وأكّد على أنه ما جاء لينقض الناموس بل ليكمّل .

(٥) أي بولس وأتباعه ، وليس المراد حواريي عيسى الذين مدحهم القرآن .

أحسنتم والسلام »[1].

وإنما أبقوا حرمة هذه الأربعة لئلّا يتنفّر اليهود ـ الذين دخلوا في الملّة المسيحية عن قريب وكانوا يحبّون أحكام التوراة ورسومها ـ تنفّراً تاماً ، ثم لمّا رأى مقدّسهم بولس بعد هذا الزمان أنّ هذه الرعاية ليست بضرورية نسخ حرمة الثلاثة الأولى بفتوى الإباحة العامّة التي مرّ نقلها في المثال السابع[2]، وعليه اتفاق جمهور البروتستانت ، فما بقي من أحكام التوراة العملية إلّا الزنا ، ولمّا لم يكن فيه حدّ في الشريعة العيسوية فهو منسوخ من هذا الوجه أيضاً ، فقد حصل الفراغ في هذه الشريعة من نسخ جميع الأحكام العملية التي كانت في الشريعة الموسوية : أبديّة كانت أو غير أبديّة .

(الرابع عشر) : في الباب الثاني من رسالة بولس إلى أهل غلاطية : « ٢٠ ــ وصُلبتُ مع المسيح وأنا الآن حيّ لكنّي أنا لست بحيّ بل إنّ المسيح هو الحيّ فيّ وما نلت الآن من الحياة الجسمانيّة فهي متعلقة بالإيمان بابن الله الذي أحبني وجعل نفسه فدية لأجلي (٢١) وأنا لا أبطل نعمة الله لأنّه إنْ كانت العدالة بالناموس[3] فقد مات المسيح عبثاً »[4].

قال الدكتور همند في ذيل شرح الآية العشرين : « خلّصني ببذل روحه لأجلي عن شريعة موسى » ، وقال في شرح الآية الحادية والعشرين : « أستعمِل هذا العتق لأجل ذاك ولا أعتمد في النجاة على شريعة موسى ، ولا أفهم أنّ أحكام موسى ضرورية ؛ لأنّه يجعل إنجيل المسيح كأنّه بلا فائدة » انتهى .

---

(١) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م وما في غيرها قريب منها .

(٢) فتوى الإباحة العامّة هي مافي رسالة بولس إلى أهل رومية ١٤/١٤ ، وما في رسالة بولس إلى تيطس ١/١٥ حيث جعل كل شيء طاهراً للطاهرين نجساً للنجسين .

(٣) المقصود بالناموس : الشريعة الموسوية أي أحكام التوراة .

(٤) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م .

وقال الدكتور وت بي في ذيل شرح الآية الحادية والعشرين : « ولو كان كذا فاشتراؤه النجاة بموته ما كان ضرورياً وما كان في موته حسن مّا » انتهى .

وقال بايل : « لو كانت شريعة اليهود تعصمنا وتنجينا فأيّة ضرورة كانت لموت المسيح ؟ ولو كانت الشريعة جزءاً لنجاتنا فلا يكون موت المسيح لها كافياً » انتهى .

فهذه الأقوال كلها ناطقة بحصول الفراغ من شريعة موسى ونسخها .

(**الخامس عشر**) : في الباب الثالث من الرسالة المذكورة هكذا : « جميع ذوي أعمال الناموس ملعونون ، لا يتزكى عند الله بالناموس أحد ، فإنّ الناموس لا يتعلق بالإيمان ، وإنّ المسيح قد افتدانا من لعنة الناموس لمّا صار لأجلنا لعنة »[1] انتهى ملخصاً .

قال لاردنر في الصفحة ٤٨٧ من المجلد التاسع من تفسيره بعد نقل هذه الآيات : « أظنّ أنّ مراد الحواري ههنا المعنى الذي يعلّمه كثيراً ، يعني نُسِخت الشريعة أو صارت بلا فائدة بموت المسيح وصلبه » .

ثم قال في الصفحة ٤٨٨ من المجلد المذكور : « بيّن الحواري صراحة في هذه المواضع أن منسوخية أحكام الشريعة الرسومية نتيجة موت عيسى » .

(**السادس عشر**) : في الباب الثالث المذكور هكذا : « ٢٣ ــ وقد حصرنا قبل إتيان الإيمان بالناموس وقيّدنا في انتظار الإيمان المزمع بالظهور (٢٤) فكان الناموس مؤدبنا الذي يهدينا إلى المسيح لنزكّي بالإيمان (٢٥) ولما جاء الإيمان لم

---

(١) هذه العبارات بعض فقرات رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١٠/٣ ـ ١٣ .

نبق تحت المؤدِّب »[1]، فصرّح مقدسهم أنّه لا طاعة لأحكام التوراة بعد الإيمان بعيسى عليه السلام .

في تفسير دوالي ورجردمينت قول دين استاين هوب هكذا : « نُسِخت رسومات الشريعة بموت عيسى وشيوع إنجيله » .

(السابع عشر) : في الآية الخامسة عشرة من الباب الثاني من رسالة بولس إلى أهل أفسس هكذا : « وأبطل بجسده العداوة أعني ناموس أحكام السنن »[2].

(الثامن عشر) : الآية الثانية عشرة من الباب السابع من الرسالة العبرانية هكذا : « لأنّ الكهانة[3] لّما بُدّلت بُدّل الناموس أيضاً بالضرورة »[4].

ففي هذه الآية إثبات التلازم بين تبدّل الإمامة وتبدّل الشريعة ، فإن قال المسلمون أيضاً نظراً إلى هذا التلازم بنسخ الشريعة العيسوية فهم مصيبون في قولهم لا مخطئون .

في تفسير دوالي ورجردمينت ذيل شرح هذه الآية قول الدكتور ميكنائت هكذا : « بدّلت الشريعة[5] قطعاً بالنسبة إلى أحكام الذبائح والطهارة وغيرها يعني رفعت » .

(التاسع عشر) : الآية الثامنة من الباب السابع المذكور هكذا : « لأنّ نسخ ما تقدّم من الحكم قد عرض لما فيه من الضعف وعدم الفائدة »[6].

---

(١) نصّ رسالة بولس إلى أهل غلاطية من طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م .
(٢) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م .
(٣) في حاشية ق : أي نبوّة بني إسرائيل . اهـ .
(٤) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م .
(٥) في حاشية ق : موسى . اهـ . يقصد شريعة موسى .
(٦) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م .

ففي هذه الآية تصريح بأنّ نسخ أحكام التوراة لأجل أنها كانت ضعيفة بلا فائدة .

في تفسير هنري واسكات : « رفعت الشريعة والكهانة[1] اللتان لا يحصل منهما التكميل وقام كاهن جديد وعفو جديد يكمل منهما المصدقون الصادقون » .

(**العشرون**) : في الباب الثامن من العبرانية « ٧ ــ فلو كان العهد الأوّل غير معترض عليه لم يوجد للثاني موضع (١٣) فبقوله عهداً جديداً صيّر الأوّل عتيقاً والشيء العتيق والبالي قريب من الفناء »[2]، ففي هذا القول تصريح بأنّ أحكام التوراة كانت معيبة وقابلة للنسخ لكونها عتيقة بالية .

في تفسير دوالي ورجردمينت في ذيل شرح الآية الثالثة عشرة قول بايل هكذا : « هذا ظاهر جداً أنّ الله تعالى يريد أن ينسخ العتيق الأنقص بالرسالة الجديدة الحسنى ، فلذلك يُرفع المذهب الرسومي اليهودي ويقوم المذهب المسيحي مقامه » .

(**الحادي والعشرون**) : في الآية التاسعة من الباب العاشر من العبرانية : « فانسخ الأوّل حتى يثبت الثاني »[3].

في تفسير دوالي ورجردمينت في شرح الآية الثامنة والتاسعة قول بايل هكذا : « استدلّ الحواري في هاتين الآيتين وفيهما إشعار بكون ذبائح اليهود غير كافية ، ولذا تحمّل المسيح على نفسه الموت ليجبر نقصانها ، ونسخ بفعل أحدهما استعمال الآخر » انتهى .

---

(١) يقصد بالكهانة : طقوس الشريعة الموسوية .

(٢) (٣) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م .

فظهر للّبيب من الأمثلة المذكورة أمور :

(**الأوّل**) : أنّ نسخ بعض الأحكام في الشريعة اللاحقة ليس بمختصّ بشريعتنا ، بل وجد في الشرائع السابقة أيضاً .

(**والثاني**) : أنّ الأحكام العملية للتوراة كلها أبديّة كانت أو غير أبديّة نسخت بالشريعة العيسوية .

(**والثالث**) : أنّ لفظ النسخ أيضاً موجود في كلام مقدّسهم بالنسبة إلى التوراة وأحكامها .

(**والرابع**) : أنّ مقدّسهم أثبت الملازمة بين تبدّل الإمامة وتبدّل الشريعة .

(**والخامس**) : أنّ مقدّسهم يدّعي أنّ الشيء العتيق البالي قريب من الفناء ، فأقول : لمّا كانت الشريعة العيسوية بالنسبة إلى الشريعة المحمّدية عتيقة فلا استبعاد في نسخها بل هو ضروري على وفق الأمر الرابع ، وقد عرفت في المثال الثامن عشر .

(**والسادس**) : أنّ مقدّسهم ومفسّريهم استعملوا ألفاظاً غير ملائمة بالنسبة إلى التوراة وأحكامها مع أنهم معترفون أنها كلام الله .

(**والسابع**) : أنّه لا إشكال في نسخ أحكام التوراة بالمعنى المصطلح عندنا إلّا في الأحكام التي صرّح فيها أنها أبديّة أو يجب رعايتها إلى آخر الدهر[1] أو يجب رعايتها دائماً طبقة بعد طبقة ، لكنّ هذا الإشكال لا يَرِدُ علينا ؛ لأنّا لا نُسلّم أولاً أنّ هذه التوراة هي التوراة المنزلة أو تصنيف موسى كما عُلم في الباب الأوّل ، ولا نسلّم ثانياً أنها غير مصونة عن التحريف ، كما عُرف مبرهناً في الباب الثاني .

---

(١) قوله : « أويجب رعايتها إلى آخر الدهر » ساقط من المطبوعة والمقروءة وأخذته من المخطوطة .

ونقول ثالثاً إلزاماً : بأنّ الله قد يظهر له بَدَاء[1] وندامة عمّا أمر أو فعل فيرجع عنه ، وكذلك يَعِدُ وعداً دائمياً ثم يُخلف وعده ، وهذا الأمر الثالث أقوله إلزاماً فقط ؛ لأنّه يُفهم من كتب العهد العتيق هكذا من مواضع كما ستعرف عن قريب ، وإنّي وجميع علماء أهل السنة بريئون ومتبرّئون عن هذه العقيدة الفاسدة .

نعم ، يَرِدُ هذا الإشكال على المسيحيّين الذين يعترفون بأنّ هذه التوراة كلام الله ومن تصنيف موسى ولم تحرّف ، والندامة والبَدَاء مُحالان في حق الله ، والتأويل الذي يذكرونه في الألفاظ المذكورة بعيد عن الإنصاف وركيك جدّاً ؛ لأنّ المراد بهذه الألفاظ في كل شيء يكون بالمعنى الذي يناسبه ، مثلاً : إذا قيل لشخص معينّ إنّه دائماً يكون كذا ، فلا يكون المراد بالدوام ههنا إلاّ المدّة الممتدّة إلى آخر عمره ؛ لأنّا نعلم بديهة أنّه لا يبقى إلى فناء العالم وقيام القيامة ، وإذا قيل لقوم عظماء يبقون إلى فناء العالم ولو تبدّلت أشخاصهم في كل طبقة طبقة ، أو إنهم لا بدّ أن يفعلوا كذا دائماً طبقة بعد طبقة أو إلى الأبد أو إلى آخر الدهر[2] فيفهم منه الدوام إلى فناء العالم بلا شبهة ، وقياس أحدهما على الآخر مستبعد جدّاً ، ولذلك علماء اليهود يستبعدون تأويلهم سلفاً وخلفاً وينسبون الاعتساف والغواية إليهم .

---

(١) البَدَاء : ظهور الرأي بعد أن لم يكن ، والبدائية هم الذين جوّزوا البداء على الله تعالى . وأصله من بدا له في الأمر بدْوا وبدا وبداء ، أي ظهر له رأي آخر ، فالبَدَاء استصواب الشيء عُلم بعد أن لم يُعلم ، وهو غير جائز على الله تعالى . (لسان العرب ١٤/٦٦ ، والتعريفات ص ٤٤) .

(٢) كحفاظ القرآن وعلماء الحديث .

وأمثلة القسم الثاني هذه[1]:

(الأوّل) : أنّ الله أمر إبراهيم عليه السلام بذبح إسحاق[2] عليه السلام ثم نسخ هذا الحكم قبل العمل ، كما هو مصرّح به في الباب الثاني والعشرين من سفر التكوين[3] .

(الثاني) : أنّه نُقل قول نبيّ من الأنبياء في حقّ عالي الكاهن في الباب الثاني من سفر صموئيل الأوّل هكذا : « ٣٠ ــ فالله إله إسرائيل يقول : إنّي قلت إنّ بيتك وبيت أبيك يخدمون بين يديّ دائماً لكن يقول الله الآن : حاشا لي لا يكون الأمر كذلك بل أُكرم من يكرمني ومن يحقرني يصير ذليلاً (٣٥) وأنا أُقيم لنفسي كاهناً متديناً »[4] الخ .

فكان وعَدَ اللّهُ أنّ منصب الكهانة يبقى في بيت عالي الكاهن وبيت أبيه ثم أخلف وعده ونسخه وأقام كاهناً آخر .

في تفسير دوالي ورجردمينت قول الفاضل باترك هكذا : « ينسخ الله ههنا حُكْماً كان وعده وأقاربه به بأنّ رئيس الكهنة يكون منكم إلى الأبد ، أُعطي

(١) أي النسخ الذي يكون في شريعة نبي لحكم آخر من شريعة النبي نفسه ، فالناسخ والمنسوخ في الشريعة الواحدة .

(٢) اسحاق : هو النبي ابن النبي : إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، رُزق لوالديه في شيخوختهما بعد أن جاوزا التسعين من عمرهما ، وهو أصغر من أخيه إسماعيل ، توفي عمره ١٢٨ سنة ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم ١٧ مرة ، وليس في شيء منها إشارة إلى أنه الذبيح ، بل يُفهم من آيات القرآن الكريم أن الذبيح هو أخوه إسماعيل عليهم السلام . (البداية والنهاية ١/١٧٥ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ١/٧١ ، والقاموس الإسلامي ١/٩ ، ودائرة وجدي ١/٢٦٢ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٦) .

(٣) قصة الذبيح في سفر التكوين ٢٢/١ ـ ١٤ ، والحقّ أنّ الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق ، والمؤلف يتكلم بناء على ما في كتبهم مجاراة وتنزّلا معهم للإلزام فقط .

(٤) في حاشية ق : قف على خدمة بيت المقدس . اهـ . وما في طبعتيْ سنة ١٨٤٤م وسنة ١٨٦٥م قريب من هاتين الفقرتين .

هذا المنصب ألعازار[1] الولد الأكبر لهارون ، ثم أعطي إيثامار[2] الولد الأصغر لهارون ، ثم انتقل الآن بسبب ذنب أولاد عالي الكاهن إلى أولاد ألعازار » انتهى .

فوقع الخُلْفُ في وعد الله مرتين إلى زمان بقاء الشريعة الموسوية ، وأمّا الخُلْفُ الذي وقع في هذا الباب[3] عند ظهور الشريعة العيسوية مرّة ثالثة[4] فهذا لم يُبقِ أثراً مّا لهذا المنصب لا في أولاد ألعازار ولا في أولاد إيثامار ، والوعد الذي كان لألعازار مصرّح به في الباب الخامس والعشرين من سفر العدد هكذا : « إني قد وهبت له ميثاقي بالسلام ، فيكون له ميثاق الحبورة ولِخَلَفِه من بعده إلى الدهر »[5] .

ولا يتحيّر الناظر من خُلْفِ وعد الله على مذاق أهل الكتاب ؛ لأنّ كتب العهد العتيق ناطقة به وبأنّ الله يفعل أمراً ثم يندم ، نُقِل في الآية التاسعة والثلاثين من الزبور الثامن والثمانين أو التاسع والثمانين على اختلاف التراجم قول داوود عليه السلام في خطاب الله عز وجل هكذا : « ونقضتَ عهد عبدك

---

(١) أَلِعازار : هو الابن الثالث لهارون عليه السلام ، وقد كرّسه موسى كاهناً مع أبيه وإخوته ، لكنّ أخويه ـ ناداب وأبيهو ـ قد ماتا ، فصار أَلِعازار بحكم الابن الأكبر لهارون وثانياً له في السلطة الكهنوتية ورئيس اللاويين ، وقبل موت هارون مباشرة أعطاه موسى وظيفة الكهنوت وألبسه الثياب الخاصة بها ، وبقي في هذه الوظيفة طيلة حياة موسى ومدة قيادة يشوع ، وقد خلفه في رئاسة الكهنوت ابنه فينحاس . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٤) .

(٢) تامار (إيثامار) : هو أصغر أولاد هارون عليه السلام ، وكان إيثامار قد كُرّس لوظيفة الكهنوت مع أبيه وإخوته الثلاثة في حياة موسى عليه السلام ، وقد عُهد إلى إيثامار بمسؤوليّة إحصاء المواد التي جمعت لبناء خيمة الإجتماع ، وصار إيثامار رئيس الجرشونيين والمراريين في خدمة خيمة الإجتماع ، وأسس أسرة كهنوتية كان منها عالى الكاهن الذي نزعت منه وظيفته في عهد سليمان وأعطيت لصادوق (قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٠) .

(٣) في حاشية ق : أي باب الكهانة . اهـ .

(٤) في حاشية ق : لأنه لم يبق أحد من أولاد أَلِعازار ولا أولاد إيثامار . اهـ .

(٥) انظر سفر العدد ٢٥/١٢ ـ ١٣ .

ونجّست في الأرض مقدسه »[1]، فيقول داوود عليه السلام : « نقضت عهد عبدك » .

وفي الباب السادس من سفر التكوين هكذا : « ٦ ـ فندم على عمله الإنسان على الأرض فتأسّف بقلبه داخلاً (٧) وقال فأمحو البشر الذي خلقته عن وجه الأرض من البشر حتى الحيوانات من الدبيب حتى طير السماء لأنّي نادم أني عملتهم »[2].

فالآية السادسة كلها وهذا القول : « لأنّي نادم أني عملتهم » يدلّان على أنّ الله ندم وتأسّف على خلقه الإنسان .

وفي الزبور المائة والخامس هكذا : « ٤٤ ـ فنظر الربّ في أحزانهم إذْ سمع صوت تضرّعهم (٤٥) وذكر ميثاقه وتندّم ككثرة رحمته »[3].

وفي الآية الحادية عشرة من الباب الخامس عشر من سفر صموئيل الأوّل قول الله هكذا : « ندمت على أنّي صيّرت شاول ملكاً إنّه رجع من ورائي ولم يعمل بما أمرته » .

ثم في الآية الخامسة والثلاثين من الباب المذكور هكذا : « لأنّ صموئيل حزن على شاول لأنّ الربّ أسف على أنّه ملّك شاول على إسرائيل »[4].

---

(١) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٤٤م وهو في المزمور ٣٩/٨٨ ، وأما نصّ طبعة سنة ١٨٦٥م في المزمور ٣٩/٨٩ كما يلي : « نقضتَ عهد عبدك نجست تاجه في التراب » .

(٢) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٤٤م ، وفي نصّ طبعة سنة ١٨٦٥م : « فحزن الرب . . . لأني حزنت أني عملتهم » .

(٣) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٤٤م مزمور ١٠٥ ، وهو في طبعة سنة ١٨٦٥م المزمور ١٠٦ وفيه « وندم حسب كثرة رحمته » .

(٤) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٤٤م وهو فيها في سفر الملوك الأول ، وورد في نص طبعة سنة ١٨٦٥م « والرب ندم لأنّه ملّك شاول على إسرائيل » .

وههنا خدشة يجوز لنا أن نوردها إلزاماً فقط ، وهي أنّه لما ثبتت الندامة في حق الله وثبت أنّه ندم على خلق الإنسان وعلى جعل شاول ملكاً ، فيجوز أن يكون قد ندم على إرسال المسيح عليه السلام بعدما أظهر دعوى الألوهيّة على ما هو زعم أهل التثليث ؛ لأنّ هذه الدعوى من البشر الحادث أعظم جرماً من عدم إطاعة شاول أمر الرب ، وكما لم يكن الله واقفاً على أنّ شاول يعصي أمره فكذا يجوز أن لا يكون واقفاً على أنّ المسيح عليه السلام يدّعي الألوهيّة ، وإنما قلت هذا إلزاماً فقط ؛ لأنّا لا نعتقد ـ بفضل الله ـ ندامة الله ولا ادّعاء المسيح عليه السلام الألوهيّة ، بل عندنا ساحة الألوهيّة وكذا ساحة نبوّة المسيح عليه السلام صافيتان عن قمامة هذه الكدورات والمنكرات .

(**الثالث**) : في الباب الرابع من كتاب حزقيال هكذا : (ترجمة عربية سنة ١٨٤٤م): « ١٠ ــ وطعامك الذي تأكله يكون بالوزن عشرين مثقالاً في كل يوم من وقت إلى وقت تأكله (١٢) وكخبز ملّة من شعير تأكله وتلطّخه بزبل يخرج من الإنسان في عيونهم[1] (١٤) قلت آه آه آه يا رب الإله ها هوذا نفسي لم تتنجّس والميت والفريسة من السبع لم آكل منه منذ صباي حتى الآن ولم يدخل في فمي كل لحم نجس (١٥) فقال لي : ها أعطيتك زبل البقر عوض رجيع الناس وتصنع خبزك فيه »[2] انتهى .

أمر الله أوّلاً بأن « تلطّخه بزبل يخرج من الإنسان » ، ثم لمّا استغاث حزقيال عليه السلام نسخ هذا الحكم قبل العمل فقال : « أعطيتك زبل البقر عوض رجيع الناس » .

---

(١) في حاشية ق : أي في مواجهتهم . اهـ .
(٢) وقريب منه نصّ طبعة سنة ١٨٦٥م . وما بعدها ، وفيها : « على الخُرْءِ الذي يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم . . . قد جعلت لك خِثْيَ البقر بدل خُرْءِ الإنسان فتصنع خبزك عليه » .

(الرابع) : في الباب السابع عشر من سفر الأحبار هكذا : « ٣ ـ أيما رجل من بني إسرائيل ذبح ثوراً أم خروفاً أو عنزاً في المحلّة أو ذبح خارجاً من المحلّة (٤) ولا يأتي بقربانه إلى باب قبة الزمان[1] ليقرّبه قرباناً للرب فليُحسب على ذلك الرجل سفك دم من أنّه أهرق دماً ويُهلك ذلك الرجل من شعبه » .

وفي الباب الثاني عشر من كتاب التثنية هكذا : « ١٥ ـ فأمّا إن شئت تأكل وتستلذّ بأكل اللحم فاذبح وكل كالبركة التي أعطاك الرب إلاهك في قراك [الخ] (٢٠) وإذا أوسع الرب إلاهك تخومك مثل ما قال لك وأردت تأكل اللحم ما تشتهيه نفسك (٢١) وكان بعيدا المكان الذي اصطفاه الرب إلاهك ليكون اسمه هناك فاذبح من البقر والغنم الذي لك كما أمرتك وكل في قراك كما تريد (٢٢) كما يؤكل من الظبي والأيَّل[2] هكذا تأكل منها فيأكلوا منها جميعاً كان طاهراً أم غير طاهر » ، فنسخ حكم سفر الأحبار بحكم سفر التثنية[3].

---

(١) « قبة الزمان » الواردة في نصّ طبعة سنة ١٨٤٤م هي نفسها « خيمة الإجتماع » الواردة في نص طبعة سنة ١٨٦٥م ومابعدها ، وتسمّى قبة الشهادة ، وقبة العهد أيضاً ، وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٢ أنها هي الخيمة الأصليّة التي كان يجتمع فيها الربّ بشعبه (خروج ٣٣/٧ ـ ١٠) ، ولذلك سميت « خيمة الإجتماع » ، وكان الله أمر موسى أن يقيمها في البرّيّة لكي يسكن الله فيها بين شعبه (خروج ٢٥/٨ ـ ٩) ، ولذلك سميت « المسكن » ، وكانت تودع فيها ألواح الناموس والشهادة ولذلك سميت « مسكن الشهادة » (خروج ٣٨/٢١) ، وقد أطلق عليها اسم « بيت الرب » ، وتنقسم إلى ثلاثة أجزاء : المسكن ، والخيمة ، والغطاء ، وقريب منها المذبح ، فكانت القبّة أو الخيمة مركز العبادة قبل بناء الهيكل ، وبعد إتمام بناء الهيكل على نمط (خيمة الإجتماع) نقلت مع كل أثاثها وآنيتها إلى الهيكل ، والنصارى يعدّون الخيمة أو المسكن في العهد الجديد رمزاً للمسيح الذي هو بزعمهم إله سكن مع الناس .

(٢) في حاشية ق : فرع كالظبي . اهـ . وهو حيوان شديد السرعة ثديـي مجترّ من الفصيلة الأيليّة ، وهو الوعل أو الذكر من الأوعال ، وجمعه أيايل . (لسان العرب ١١/٣٢ ، والموسوعة الميسرة ص ٢٩٠ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٤٦) .

(٣) حكم سفر الأحبار المنسوخ هو وجوب الذبح في المذبح المخصص عند قبة الزمان (خيمة الإجتماع) ، وحكم سفر التثنية الناسخ هو جواز الذبح في كل مكان .

قال هورن في الصفحة ٦١٩ من المجلّد الأوّل من تفسيره بعد نقل هذه الآيات هكذا : « في هذين الموضعين تناقض في الظاهر ، لكنْ إذا لوحظ أنّ الشريعة الموسوية كانت تزاد وتنقص على وفق حال بني إسرائيل ، وما كانت بحيث لا يمكن تبديلها ، فالتوجيه في غاية السهولة » انتهى .

ثم قال : « نسخ موسى في السنة الأربعين من هجرتهم قبل دخول فلسطين ذلك الحكم [أي حكم سفر الأحبار] بحكم سفر التثنية نسخاً صريحاً ، وأمر أنّه يجوز لهم بعد دخول فلسطين أن يذبحوا البقر والغنم في أي موضع شاءوا ويأكلوا » انتهى ملخصاً .

فاعترف بنسخ الحكم المذكور وأنّ الشريعة الموسوية كانت تزاد وتنقص على وفق حال بني إسرائيل ، فالعجب من أهل الكتاب أنهم يعترضون على مثل هذه الزيادة والنقصان في شريعة أخرى ويقولون : إنّه مستلزم لجهل الله[1] .

(الخامس) : في الآية ٣ و ٢٣ و ٣٠ و ٣٥ و ٣٩ و ٤٣ و ٤٦ من الباب الرابع من سفر العدد أنّ خادم قبة العهد لا بدّ أن لا يكون أنقص من ثلاثين وأزيد من خمسين[2] .

وفي الآية ٢٤ و ٢٥ من الباب الثامن من السفر المذكور أن لا يكون أنقص

---

(١) يعني أن أهل الكتاب ينفون النسخ في الشرائع لظنهم أنّ النسخ يلزم منه تجهيل الله ، وهذا المحذور الذي ظنوه لا يلزم من القول بالنسخ لكنه لازم لقولهم بالبَدَاء ، ولتصريح بولس به في رسائله .

(٢) في حاشية ق : أي عمره يكون أقل من خمسين وأزيد من ثلاثين . اهـ . والفقرات السبع المذكورة من سفر العدد كلها متوافقة ، لذلك أكتفي بذكر إحداها للدلالة على ما سواها ، ونص الفقرة الثالثة من طبعة سنة ١٨٤٤م كما يلي « ٣ ــ من ابن ثلاثين سنة وما فوق ذلك إلى ابن خمسين سنة جميع الذين يدخلون ليقوموا ويخدموا في قبة العهد » . ومثلها نص طبعة سنة ١٨٦٥م ولكن بلفظ « خيمة الإجتماع » .

من خمس وعشرين وأزيد من خمسين[1].

(السادس) : في الباب الرابع من سفر الأحبار أنّ فداء خطأ الجماعة ثور واحد[2]، وفي الباب الخامس عشر من سفر العدد أنّه لا بدّ أن يكون ثوراً مع لوازمه وجدياً[3]، فنسخ الأوّل.

(السابع) : يُعلم أمر الله من الباب السادس من سفر التكوين أن يُدْخَل في الفلك اثنان اثنان من كل جنس الحيوانات طيراً كان أو بهيمة مع نوح عليه السلام[4].

ويُعلم من الباب السابع من السفر المذكور أن يُدْخَل سبع سبع ذكراً وأنثى من البهائم الطاهرة ومن الطيور مطلقاً، ومن البهائم غير الطاهرة اثنان اثنان[5]، ثم يُعلم من الباب المذكور أنّه دخل من كل جنس اثنان اثنان[6] فنُسخ هذا الحكم مرتين.

---

(١) في سفر العدد ٨/٢٤ ـ ٢٥ ـ طبعة سنة ١٨٤٤م ـ « ٢٤ ـ هذه سنّة اللاويين من ابن خمسة وعشرين سنة وما فوق ذلك فليدخلوا ليخدموا في قبة العهد (٢٥) وإذا تمّت لهم سنة الخمسين من عمرهم فيبطلوا من الخدمة ».

(٢) انظر سفر الأحبار ٤/١٣ ـ ٢١ ومما ورد فيه : « وإنْ سها كل جماعة إسرائيل . . . يقرّب المجمع ثوراً ابن بقر ذبيحة خطيّة ».

(٣) انظر سفر العدد ١٥/٢٢ ـ ٢٦ ومما ورد فيه : « يعمل كلّ الجماعة ثوراً واحداً ابن بقر محرقة . . . وتيساً واحداً من المعز ذبيحة خطيّة ».

(٤) ففي سفر التكوين ٦/١٩ ـ ٢٠ « ١٩ ـ ومن كل حيّ من كل ذي جسد اثنين من كلٍ تُدخِل إلى الفلك لاستبقائها معك تكون ذكراً وأنثى (٢٠) من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها ومن كلّ دبابات الأرض كأجناسها اثنين من كل تُدخِل إليك لاستبقائها ».

(٥) في سفر التكوين ٧/٢ ـ ٣ « ٢ ـ من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً (٣) ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً وأنثى (٣) ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى لاستبقاء نسل على وجه كل الأرض ».

(٦) في سفر التكوين ٧/٨ ـ ٩ « ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور وكل ما يدبّ على الأرض (٩) دخل اثنان إلى نوح إلى الفلك ذكراً وأنثى كما أمر الله نوحا ».

(الثامن) : في الباب العشرين من سفر الملوك الثاني هكذا : « ١ ــ وفي تلك الأيام مرض حزقيا وأشرف على الموت وأتاه إشعياء النبي ابن عاموص وقال له هكذا يقول الرب الاله : أوص على بيتك لأنك ميت وغير حيّ (٢) فأقبل حزقيا بوجهه إلى الحائط وصلّى أمام الرب وقال (٣) يارب أُذكر أنّي سرت بين يديك بالعدل والقلب السليم وعملت الحسنات أمامك وبكى حزقيا بكاء شديداً (٤) فلما خرج إشعيا خارجاً قبل أن يصل إلى الدار الوسطا أوحى الربّ إليه وقال (٥) ارجع إلى حزقيا مدبّر شعبي وقل له هكذا يقول الرب إلاه داود أبيك : قد سمعت صلاتك ورأيت دموعك وها أنا أشفيتك سريعاً حتى إذا كان في اليوم الثالث تصعد إلى بيت الربّ (٦) وأزيدُ لعمرك خمس عشرة سنة » الخ .

فأمر الله حزقيا على لسان إشعياء بأن أوص على بيتك لأنك ميت ، ثم نسخ هذه الحكم قبل أن يصل إشعياء الدار بعد تبليغ الحكم ، وزاد على عمره خمس عشرة سنة .

(التاسع) : في الباب العاشر من إنجيل متّى هكذا : « ٥ ــ هؤلاء الاثني عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريّين لا تدخلوا (٦) ولكن انطلقوا خاصة إلى الخراف التي هلكت من بيت إسرائيل »[١].

وفي الباب الخامس عشر من إنجيل متّى قول المسيح عليه السلام في حقه هكذا : « لم أُرْسَل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالّة »[٢].

---

(١) نصّ الفقرة الخامسة من طبعة سنة ١٨٦٥م ، ونصّ الفقرة السادسة من طبعة سنة ١٨٢٣م وسنة ١٨٤٤م .
(٢) إنجيل متّى ١٥/٢٤ .

فعلى وفق هذه الآيات كان عيسى عليه السلام يخصّص رسالته ببني إسرائيل .

ونُقِل قوله في الآية الخامسة عشرة من الباب السادس عشر من إنجيل مرقس هكذا : « اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » ، فالحكم الأول منسوخ(١).

(**العاشر**) : في الباب الثالث والعشرين من إنجيل متّى هكذا : «١ ـ حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه (٢) قائلاً : على كرسيّ موسى جلس الكتبة والفريسيون (٣) فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه » .

فحكم بأنّ كلّ ما قالوا لكم فافعلوه ، ولا شك أنّهم يقولون بحفظ جميع الأحكام العملية للتوراة ـ سيّما الأبديّة على زعمهم ـ وكلّها منسوخة في الشريعة العيسوية كما علمت مفصّلة في أمثلة القسم الأوّل(٢)، فهذا الحكم منسوخ البتة .

والعجب من علماء البروتستانت أنهم يوردون في رسائلهم هذه الآيات تغليطاً لعوام أهل الإسلام مستدلّين بها على بطلان النسخ في التوراة ، فيلزم أن يكونوا واجبي القتل ؛ لأنّهم لا يعظمون السبت ، وناقض تعظيمه على حكم التوراة واجب القتل كما عرفت في المثال التاسع من أمثلة القسم الأول .

(**الحادي عشر**) : قد عرفت في المثال الثالث عشر أنّ الحواريين بعد المشاورة نسخوا جميع أحكام التوراة العملية غير الأربعة ، ثم نسخ بولس حرمة الثلاثة منها(٣).

---

(١) أي إنّ المسيح خصّص رسالته ببني إسرائيل ثم نسخ التخصيص وأمر بدعوة العالم أجمع .
(٢) القسم الأول : وهو النسخ الواقع في شريعة نبي لاحق لحكم كان في شريعة نبي سابق .
(٣) الأربعة هي : الدم والمخنوق وذبيحة الصنم والزنا ، ثم أباح بولس الثلاثة الأولى .

(الثاني عشر) : في الآية السادسة والخمسين من الباب التاسع من إنجيل لوقا قول المسيح عليه السلام هكذا : « لأنّ ابن الانسان لم يأتِ ليُهلك أنفس الناس بل ليخلّص » .

ومثله في إنجيل يوحنا في الآية السابعة عشرة من الباب الثالث ، وفي الآية السابعة والأربعين من الباب الثاني عشر[1].

ووقع في الآية الثامنة من الباب الثاني من الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي هكذا : « وحينئذ سيستعلن الأثيم[2] الذي الربّ يبيده بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه » ، فالقول الثاني ناسخ للأوّل .

وقد عُلم من هذه الأمثلة الأربعة الأخيرة - أعني من التاسع إلى الثاني عشر - أنّ نسخ أحكام الإنجيل واقع بالفعل فضلاً عن الإمكان ، حيث نسخ عيسى عليه السلام بعض حكمه بحكمه الآخر ، ونسخ الحواريون بعض أحكامه[3] بأحكامهم ، ونسخ بولس بعض أحكام الحواريين بل بعض قول عيسى عليه السلام بأحكامه وقوله[4].

وظهر لك أنّ مانُقل عن المسيح[5] عليه السلام في الآية الخامسة والثلاثين من الباب الرابع والعشرين من إنجيل متّى والآية الثالثة والثلاثين من الباب الحادي والعشرين من إنجيل لوقا[6] ليس المراد به (أنّ قولاً من أقوالي وحُكْماً

---

(١) ففي إنجيل يوحنا ٣/١٧ « لأنّه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم » . وفيه ١٢/٤٧ « لأني لم آتي لأدين العالم بل لأخلّص العالم » .

(٢) في حاشية ق : الدجال . اهـ .

(٣) أي بعض أحكام عيسى عليه السلام .

(٤) أي بأحكام بولس وقوله .

(٥) في المخطوطة : « أنّ ما نقل من قول المسيح » .

(٦) فقرة إنجيل متّى ٢٤/٣٥ هي نفس فقرة إنجيل لوقا ٢١/٣٣ وهما نفس فقرة إنجيل مرقس ١٣/٣١ ، ونصّها : « السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول » .

من أحكامي لا يُنسخ) - وإلاّ يلزم تكذيب إنجيلهم - بل المراد بقوله : « كلامي » هو الكلام المعهود الذي أخبر به عن الحادثات التي تقع بعده ، وهي مذكورة قبل هذا القول في الإنجيلينْ[1]، فالإضافة في قوله : « كلامي » للعهد لا للاستغراق ، وحمل مفسّروهم أيضاً هذا القول على ما قلت .

في تفسير دوالي ورجردمينت في ذيل شرح عبارة إنجيل متّى هكذا : « قال القسيس بيرس : مراده أنّه تقع الأمور التي أُخبرتُ بها يقيناً . وقال دين استاين هوب : إنّ السماء والأرض وإنْ كانتا غير قابلتين للتبديل بالنسبة إلى الأشياء الأخر ، لكنّهما ليستا بمحكمتين مثل إحكام إخباري بالأمور التي أخبرت بها ، فتلك كلها تزول وإخباري بالأمور التي أخبرت بها لا يزول ، بل القول الذي قلته الآن لا يتجاوز شيء منه عن مطلبه » انتهى .

فالاستدلال بهذا القول ضعيف جداً ، والقول المذكور هكذا : « السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول »[2].

وإذا عرفت أمثلة القسمين مابقي لك شكّ في وقوع النسخ بكلا قسميْه في الشريعة الموسوية والعيسوية ، وظهر أنّ ما يدّعيه أهل الكتاب من امتناع النسْخ باطل لا ريب فيه ، كيف لا وإنّ المصالح قد تختلف باختلاف الزمان والمكان

---

(١) يقصد إنجيل متّى ولوقا ، وهذه الفقرة كذلك في إنجيل مرقس ، فكلام المسيح الذي في إنجيل متّى ٢٤/٢ - ٣٣ وفي إنجيل مرقس ١٣/٢ - ٢٩ وفي إنجيل لوقا ٢١/٥ - ٣١ كله في الإخبار عن حوادث مؤلمة ستقع بعده ونبوءات عن خراب الهيكل وأورشليم وظهور أنبياء كذبه ، وأكد المسيح عليه السلام وقوع ما أخبر به ، لذلك وقع مباشرة بعد كلامه السابق في الأناجيل الثلاثة هاتان الفقرتان « الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله . السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول » (وهما في إنجيل متّى ٢٤/٣٤ - ٣٥ ، وفي إنجيل مرقس ١٣/٣٠ - ٣١ ، وفي إنجيل لوقا ٢١/٣٢ - ٣٣) .

(٢) فلا علاقة لهذه الفقرة بالنّسْخ لا من قريب ولا من بعيد ، بل هي تأكيد وقوع إخبارات المسيح المستقبليّة المؤلمة ، ولذلك وقع بعدها في إنجيل لوقا ٢١/٣٤ « فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة » .

والمكلّفين ، فبعض الأحكام يكون مقدوراً للمكلفين في بعض الأوقات ولا يكون مقدوراً في بعض آخر ، ويكون البعض مناسباً لبعض المكلّفين دون بعض ، ألا ترى أنّ المسيح عليه السلام قال مخاطباً للحواريّين : « إنّ لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأمّا متى جاء ذاك روح الحق[١] فهو يرشدكم إلى جميع الحق » ، كما هو مصرّح به في الباب السادس عشر من إنجيل يوحنا[٢].

وقال للأبرص الذي شفاه : لا تخبر عن هذا الحال أحداً ، كما هو مصرّح به في الباب الثامن من إنجيل متّى[٣]، وقال للأعميين اللذيْن فتح أعينهما : لا تخبرا أحداً عن هذا الحال ، كما هو مصرّح به في الباب التاسع من إنجيل متّى[٤]، وقال لأبوي الصبيّة التي أحياها : لا تخبرا أحداً عمّا كان ، كما هو مصرّح به في الباب الثامن من إنجيل لوقا[٥]، وأمر الذي أخرج الشياطين منه : بأن ارجع إلى بيتك وأخبِر بما صنع الله بك ، كما هو مصرّح به في الباب المذكور[٦]، وقد علمت في المثال السادس والثالث عشر من أمثلة القسم الأول ، وفي المثال الرابع من أمثلة القسم الثاني ما يناسب هذا المقام ، وكذلك ما أُمر بنو إسرائيل بالجهاد على الكفار ما داموا في مصر ، وأُمِروا بعدما خرجوا .

[وقال[٧] المعلم ميخائيل مشاقة في الفصل الثالث من القسم الثاني من كتابه

(١) في حاشية ق : يعني سيدنا محمداً ﷺ . اهـ .

(٢) إنجيل يوحنا ١٢/١٦ ـ ١٣ .

(٣) ففي إنجيل متّى ٤/٨ « فقال له يسوع : انظر أن لا تقول لأحد » .

(٤) ففي إنجيل متّى ٣٠/٩ « فانفتحت أعينهما فانتهرهما يسوع قائلاً : انظر لا يعلم أحد » .

(٥) في إنجيل لوقا ٥٦/٨ « فبهت والدها فأوصاهما أن لا يقولا لأحد عمّا كان » .

(٦) في إنجيل لوقا ٣٩/٨ « ارجع إلى بيتك وحدّث بِكَمْ صنع الله بك » .

(٧) الكلام المحصور بين المعقوفتين من هنا وإلى نهاية هذا الباب ليس في المطبوعة ولا في المقروءة وأخذته من المخطوطة .

المسمّى بـ (أجوبة الإنجيليّين على أباطيل التقليديّين) المطبوع سنة ١٨٥٢م في بيروت في الصفحة ٧١ و٧٢ : « إنّ الشريعة الموسوية ثلاثة أقسام وهي : الشريعة الأدبيّة ، والشريعة الطقسيّة ، والشريعة السياسيّة ، فالشريعة الأدبيّة ينحصر ملخّصها في وصايا الله العشر[١]، ولا يُعفى أحد من حفظها ، وهي الناموس الذي أشار إليه السيد المسيح بقوله : « ما جئت لأجل نقْضِ الناموس بل لأكمّل وإنّ السماء والأرض تزولان وحرف واحد من الناموس لا يتغيّر حتى يكون كلّه » ، والدليل على ذلك هو أنّ السيد المسيح بعد قوله هذا أخذ يفسر لهم الوصايا ويكمّلها بقوله : قيل للأولين : لا تقتل ، وأنا أقول لكم : من غضب على أخيه فقد وجبت عليه الدينونة ، وقيل للأوّلين : لا تزن ، وأنا أقول لكم : من نظر إلى امرأة إلى أن يشتهيها فقد زنى بها في قلبه ، وإنّه قيل للأولين : لا تحنث في يمينك ، وأنا أقول لكم لا تحلفوا البتة وليكن كلامكم (نعم . نعم) و (لا . لا)[٢]، وأما الشريعتان الأخريان فلم يعلم بهما بل حلّهما بتّة بمنعه الطلاق وعدم إجازته رجم الزانية ، مع أشياء كثيرة كتب الرسلُ[٣] في حلّها كالختانة وتمييز المطاعم[٤] إلى غير ذلك من الأمور الطقسيّة والسياسيّة ، فالشريعة الطقسيّة تتعلّق بكيفيّة إجراء الطقوس وتقْدمة القرابين في الهيكل ، وقد بطلت حين خرابه ، وهي خاصّة باليهود إذْ كان الهيكل عامراً[٥]، وأمّا

(١) انظر الوصايا العشر في سفر الخروج ٢٠/٢ ـ ١٧ ، وفي سفر التثنية ٥/٦ ـ ٢١ .

(٢) الكلام السابق المنسوب للمسيح عليه السلام هو بالمعنى لا بالنصّ ، وهو في إنجيل متّى ٥/١٧ ـ ٣٧ .

(٣) يقصد بالرسل الحواريين ، والمقصود هنا بالذات بولس وجماعته الذين أباحوا جميع محرمات التوراة ، ونسخوا العمل بها كليّاً .

(٤) انظر من أمثلة القسم الأول : السادس والسابع والعاشر والثالث عشر .

(٥) من تأسيس الهيكل في زمان داود عليه السلام إلى خرابه حوالي ٤٢٥ سنة ، وكان تمام بنائه حوالي ٩٦٧ ق.م في عهد سليمان عليه السلام وكان خرابه سنة ٥٨٧ ق.م ، فيكون عامراً حوالي ٣٨٠ سنة . (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٣٦) .

الشريعة السياسيّة فهي تتعلّق بالأحكام الزمنيّة - كتوزيع المواريث وبيع العقارات وقصاص الجنايات - وكانت خاصّة بدولة اليهود ، فعندما زال حكمهم لم يبقوا ملتزمين بحفظها ، وبالجملة : إنّ أحكام الشريعتين الطقسيّة والسياسية لا يلتزم بها المسيحيون ؛ لأنّها كانت خاصّة باليهود مدة حكمهم وعمارة الهيكل فزالتا بزوالهما » انتهى كلامه بعبارته .

وعلم من كلامه أمران :

الأوّل : أنّ المراد بالناموس في قول المسيح المنقول في الباب الخامس[1] من إنجيل متّى : الأحكام العشرة فقط ، وهي عبارة عن الشريعة الأدبية وهو الحق .

والثاني : أنّ المسيح أبقى الشريعة الأدبية فقط وكمّلها ، ونسخ وأبطل يقينا الشريعتينْ الباقيتينْ اللتينْ هما عبارتان من غير الأحكام العشرة .

وأقول : إنّ حكم السبت من هذه الأحكام العشرة أيضاً منسوخ في الشريعة العيسوية[2]، فحصل لهم الفراغ عن جميع أحكام التوراة ما عدا الأحكام التسعة ، وهذه الأحكام التسعة باقية في الشريعة المحمّدية أيضاً ، فلا يلزم علينا اعتراض مّا بالنسبة إلى نسخ أحكام التوراة ، وظهر أنّ تمسّك بعض القسيسين بقول المسيح المذكور على عدم نسخ أحكام التوراة فهو ناشيء عن جهله أو تغليطه وعدم ديانته] .

---

(١) أي قول المسيح : « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس . . . » الخ في إنجيل متّى ٥/١٧ - ١٨ .

(٢) انظر المثال السادس من أمثلة القسم الأول .

الباب الرابع

(في إبطال التثليث)

وهو مشتمل على مقدمة وثلاثة فصول :

[المقدمة : في بيان إثني عشر أمرًا تفيد الناظر بصيرة في الفصول .

الفصل الأول : في إبطال التثليث بالبراهين العقليّة .

الفصل الثاني : في إبطال التثليث بأقوال المسيح عليه السلام .

الفصل الثالث : في إبطال الأدلة النقليّة على ألوهية المسيح عليه السلام][1].

(١) مابين المعقوفتين من المحقق للتوضيح .

أمّا المقدّمة :

(ففي بيان اثني عشر أمراً تفيد الناظر بصيرة في الفصول)

الأمر الأول : أنّ كتبَ العهد العتيق ناطقة بأنّ الله واحد أزلي أبدي لا يموت ، قادر، يفعل ما يشاء ، ليس كمثله شيء لا في الذات ولا في الصفات ، بريء عن الجسم والشكل ، وهذا الأمر لشهرته وكثرته في تلك الكتب غير محتاج إلى الشواهد .

الأمر الثاني : أنّ عبادة غير الله حرام ، وحرمتها مصرّحة في مواضع شتّى من التوراة مثل الباب العشرين والرابع والثلاثين من سفر الخروج[1]، وقد صرّح في الباب الثالث عشر من سفر التثنية أنّه لو دعا نبيّ أو من يدّعي الإلهام في المنام إلى عبادة غير الله يُقتل هذا الداعي وإنْ كان ذا معجزات عظيمة[2]، وكذا لو رغّب أحد من الأقرباء أو الأصدقاء إليها يُرجم هذا المرغّب ولا يُرحَم[3]. وفي الباب السابع عشر من السفر المسطور أنّه لو ثبتت على أحد عبادة غير الله يُرجم رجلاً كان أو امرأة[4].

الأمر الثالث : في الآيات الكثير غير المحصورة من العهد العتيق إشعار بالجسميّة والشكل والأعضاء لله تعالى ، مثلاً :

في الآيتين ٢٦ و ٢٧ من الباب الأول من سفر التكوين ، والآية ٦ من الباب التاسع من السفر المذكور إثبات الشكل والصورة لله[5].

---

(١) انظر سفر الخروج ٢٠/٣ و٤ و٥ و٢٣ ، و٣٤/١٤ و١٧ وأكتفي بذكر الفقرة ١٧ « لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة » .

(٢) انظر سفر التثنية ١٣/١ - ٥ .

(٣) انظر سفر التثنية ١٣/٦ - ١١ .

(٤) انظر سفر التثنية ١٧/٢ - ٧ .

(٥) ففي سفر التكوين ١/٢٦ - ٢٧ « ٢٦ ــ وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا . . . (٢٧) فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه » . وفي سفر التكوين ٩/٦ (لأنّ الله على صورته عمل الإنسان) .

وفي الآية ١٧ من الباب التاسع والخمسين من كتاب إشعياء إثبات الرأس[١].

وفي الآية ٩ من الباب السابع من كتاب دانيال إثبات الرأس والشّعر[٢].

وفي الآية ٣ من الزبور الثالث والأربعين إثبات الوجه واليد والعضد[٣].

وفي الآيتين ٢٢ و٢٣ من الباب الثالث والثلاثين من كتاب الخروج إثبات الوجه والقفا[٤].

وفي الآية ١٥ من الزبور الثالث والثلاثين إثبات العين والأذن[٥]، وكذا في الآية ١٨ من الباب التاسع من كتاب دانيال إثبات العين والأذن[٦].

وفي الآية ٢٩ و٥٢ من الباب الثامن من سفر الملوك الأول[٧]، وفي الآية ١٧ من الباب السادس عشر، والآية ١٩ من الباب الثاني والثلاثين من كتاب إرميا[٨]، والآية ٢١ من الباب الرابع والثلاثين من كتاب أيوب[٩]، والآية ٢١

---

(١) في سفر إشعياء ١٧/٥٩ « وخوذة الخلاص على رأسه ».

(٢) في سفر دانيال ٩/٧ « وشعر رأسه كالصوف النقي ».

(٣) هو المزمور ٤٣ في طبعة سنة ١٨٤٤م، وهو المزمور ٤٤ في طبعة سنة ١٨٦٥م، ففيها نصّ ٣/٤٤ « لكن يمينك وذراعك ونور وجهك ».

(٤) في سفر الخروج ٢٢/٣٣ و٢٣ « ٢٢ ـ وأسترك بيدي حتى أجتاز (٢٣) ثم أرفع يدي فتنظر ورائي وأمّا وجهي فلا يُرى ».

(٥) هو المزمور ٣٣ في طبعة سنة ١٨٤٤م، وهو المزمور ٣٤ في طبعة سنة ١٨٦٥م ففيها نص ١٥/٣٤ « عينا الرب نحو الصدّيقين وأذناه إلى صراخهم ».

(٦) في سفر دانيال ١٨/٩ « أمل أذنك ياإلهي واسمع افتح عينيك وانظر ».

(٧) ففي سفر الملوك الأول ٢٩/٨ و٥٢ « لتكون عيناك مفتوحتين » والفقرتان بنفس اللفظ.

(٨) في سفر إرميا ١٧/١٦ « لأنّ عيني على كل طرقهم »، وفي سفر إرميا ١٩/٣٢ « عيناك مفتوحتان ».

(٩) في سفر أيوب ٢١/٣٤ « لأنّ عينيه على طرق الإنسان ».

من الباب الخامس والآية ٣ من الباب الخامس عشر من كتاب الأمثال[١] إثبات العين .

وفي الآية ٤ من الزبور العاشر إثبات العين والأجفان[٢] .

وفي الآية ٦ و٨ و٩ و١٥ من الزبور السابع عشر إثبات الأذن والرجل والأنف والنّفس والفم[٣] .

وفي الآية ٢٧ من الباب الثلاثين من كتاب إشعياء إثبات الشفة واللسان[٤] .

وفي الباب الثالث والثلاثين من سفر التثنية إثبات اليد والرجل[٥] .

وفي الآية ١٨ من الباب الحادي والثلاثين من سفر الخروج إثبات الأصابع[٦] .

وفي الآية ١٩ من الباب الرابع من كتاب إرميا إثبات البطن والقلب[٧] .

وفي الآية ٣ من الباب الحادي والعشرين من كتاب إشعيا إثبات الظهر[٨] .

---

(١) في سفر الأمثال ٢١/٥ « لأنّ طرق الإنسان أمام عيني الرب » .
وفي سفر الأمثال ٣/١٥ « في كل مكان عينا الرب مراقبتين » .

(٢) هو المزمور ١٠ في طبعة سنة ١٨٤٤م ، وهو المزمور ١١ في طبعة سنة ١٨٦٥م وفيها نص ٤/١١ « عيناه تنظران . أجفانه تمتحن بني آدم » .

(٣) هو المزمور ١٧ في طبعة سنة ١٨٤٤م ، وهو المزمور ١٨ في طبعة سنة ١٨٦٥م وفيها نص ٦/١٨ و٨ و٩ و١٥ « ٦ ـ وصراخي قدّامه دخل أذنيه (٨) صعد دخان من أنفه ونار من فمه (٩) وضبات تحت رجليه (١٥) يا ربُّ من نسمة ريح أنفك » .

(٤) في سفر إشعياء ٢٧/٣٠ « شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنار آكلة » .

(٥) في سفر التثنية ٢/٣٣ و١٠ و٢٧ « ٢ ـ وعن يمينه نار شريعة لهم (١٠) يضعون بخوراً في أنفك (٢٧) والأذرع الأبدية من تحت » .

(٦) في سفر الخروج ١٨/٣١ « ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحيْ الشهادة لوحيْ حجر مكتوبينْ باصبع الله » .

(٧) في سفر إرميا ١٩/٤ « أحشائي . أحشائي توجعني جدران قلبي . يئن فيَّ قلبي » .

(٨) في سفر إشعياء ٣/٢١ « لذلك امتلأت حقواي وجعاً وأخذني مخاض كمخاض الوالدة » .

وفي الآية ٧ من الزبور الثاني إثبات الفرج[1].

وفي الآية ٢٨ من الباب العشرين من أعمال الحواريين إثبات الدم[2].

وللتنزيه في التوراة آيتان وهما : الآية الثانية عشرة والآية الخامسة عشرة من الباب الرابع من سفر التثنية ، وهما هكذا : « ١٢ ــ فكلمكم الرب من جوف النار فسمعتم صوت كلامه ولم تروا الشبه البتّة (١٥) فاحتفظوا بأنفسكم بحرص فإنكم لم تروا شبهاً يوم كلّمكم الرب في حوريب من جوف النار » .

ولّما كان مضمون هاتين الآيتين مطابقاً للبرهان العقلي وجب تأويل الآيات غير المحصورة لا تأويلهما ، وأهل الكتاب ههنا أيضاً يوافقوننا ولا يرجّحون الآيات غير المحصورة على هاتين الآيتين .

وكما يوجد الإشعار بالجسمية لله تعالى فكذا يوجد بإثبات المكان لله تعالى في الآيات غير المحصورة من العهد العتيق والجديد مثل :

الآية ٨ باب ٢٥ ، والآية ٤٥ و ٤٦ من الباب ٢٩ من سفر الخروج[3].

وفي الآية ٣ باب ٥ . والآية ٣٤ باب ٣٥ من سفر العدد .

وفي الآية ١٥ من الباب ٢٦ من سفر التثنية .

وفي الآية ٥ و ٦ من الباب ٧ من سفر صموئيل الثاني .

وفي الآية ٣٠ و ٣٢ و ٣٤ و ٣٦ و ٣٩ و ٤٥ و ٤٩ من الباب ٨ من سفر الملوك الأوّل .

---

(١) في المزمور ٢/٧ « قال لي : أنت ابني أنا اليوم ولدتك » .

(٢) في سفر أعمال الرسل ٢٠/٢٨ « لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » .

(٣) ففي سفر الخروج ٢٥/٨ « لاسكن في وسطهم » .

وفي سفر الخروج ٢٩/٤٥ ـ ٤٦ « ٤٥ ــ وأسكن في وسط بني إسرائيل . . . (٤٦) لأسكن في وسطهم » ومثلها سائر الفقرات الآتية .

وفي الآية ١١ من الزبور ٩ ، وفي الآية ٤ من الزبور ١٠ ، وفي الآية ٨ من الزبور ٢٥ ، وفي الآية ١٦ من الزبور ٦٧ ، وفي الآية ٢ من الزبور ٧٣ ، وفي الآية ٢ من الزبور ٧٥ ، وفي الآية ١ من الزبور ٩٨ ، وفي الآية ٢١ من الزبور ١٣٤[١].

وفي الآية ١٧ و٢١ من الباب ٣ من كتاب يوئيل .

وفي الآية ٣ من الباب ٨ من كتاب زكريا .

وفي الآية ٤٥ و٤٨ باب ٥ ، والآية ١ و٩ و١٤ و٢٦ باب ٦ ، والآية ١١ و٢١ باب ٧ ، والآية ٣٢ و٣٣ باب ١٠ ، والآية ٥٠ باب ١٢ ، والآية ١٣ باب ١٥ ، والآية ١٧ باب ١٦ ، والآية ١٠ و١٤ و١٩ و٣٥ باب ١٨ ، والآيتين ٩ و٢٢ باب ٢٣ من إنجيل متّى[٢].

ولا توجد في العهد العتيق والجديد الآيات الدالّة على تنزيه الله عن المكان إلّا قليلة ، مثل الآيتين ١ و٢ من الباب السادس والستين من كتاب إشعياء[٣]، والآية ٤٨ من الباب السابع من أعمال الحواريين[٤]، لكن لمّا كان مضمون هذه الآيات القليلة موافقاً للبراهين أُوّلت الآيات الكثيرة ـ غير المحصورة ـ المشعرة بالمكان لله تعالى لا هذه الآيات القليلة ، وأهل الكتاب أيضاً يوافقوننا في هذا التأويل[٥] .

---

(١) الفقرات المذكورة من الزبور كلها متقاربة ، وأكتفي بنقل واحدة منها لتدل على غيرها ، ففي المزمور ٩/١١ « رنّموا للرب الساكن في صهيون » ، وقريب منها سائر فقرات الزبور المذكورة وفقرات يوئيل وزكريا الآتية .

(٢) الفقرات المذكورة من إنجيل متّى كلها متقاربة ، وأكتفي بذكر واحدة منها لتدلّ على غيرها ، ففي إنجيل متّى ٥/٤٥ « لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات » .

(٣) في سفر إشعياء ٦٦/١ ـ ٢ « ١ ـ أين البيت الذي تبنون لي وأين مكان راحتي (٢) وكل هذه صنعتها يدي » ، ونقلتا في سفر أعمال الرسل ٧/٤٩ ـ ٥٠ .

(٤) في سفر أعمال الرسل ٧/٤٨ « لكنّ العليّ لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيادي » .

(٥) لم يرد في النصوص الصحيحة ما هو صحيح في إثبات المكان ولا نفيه ، والأولى التوقف عن مثل هذه المسائل والإقتصار على ما ورد من إثبات الإستواء والعلو والفوقية بجميع معانيها .

فقد ظهر من هذا الأمر الثالث أنّ الكثير إذا كان مخالفاً للبرهان يجب إرجاعه إلى القليل الموافق له ولا يُعتد بكثرته[1]، فكيف إذا كان الكثير موافقاً والقليل مخالفاً ؟! فإنّ التّأويل فيه ضروري ببداهة العقل .

الأمر الرابع : قد علمت في الأمر الثالث أنّه ليس لله شبه وصورة ، وقد صرّح في العهد الجديد أيضاً في مواضع عديدة أنّ رؤية الله في الدنيا غير واقعة .

في الآية الثامنة عشرة من الباب الأول من إنجيل يوحنا هكذا : « الله لم يره أحد قط » .

وفي الآية السادسة عشرة من الباب السادس من الرسالة الأولى إلى تيموثاوس « لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه » .

وفي الآية الثانية عشرة من الباب الرابع من رسالة يوحنا الأولى « الله لم ينظره أحد قط » .

فثبت من هذه الآيات أنّ من كان مرئياً لا يكون إلهاً قط ولو أُطلق عليه في كلام الله أو الأنبياء أو الحواريين[2] لفظ : (الله) ومثله[3]، فلا يغترّ أحد بمجرد إطلاق مثل لفظ : (الله) ، ولا يدّعي أنّ التأويل مجاز فكيف يرتكب ؟ لأنّ المصير إلى المجاز يجب عند القرينة المانعة عن إرادة الحقيقة سيما إذا دلّ البرهان القطعي على المنع ، نعم يكون لإطلاق مثل هذه الألفاظ على غير الله وجه مناسب لكل محل ، مثلاً : إنّ إطلاقها في الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام على بعض الملائكة لأجل ظهور جلال الله فيه أزيد من غيره .

(١) في حاشية ق : فالمراد إثبات الوحدانية . اهـ .
(٢) أي الكلام المنسوب إلى الله أو الأنبياء أو الحواريين .
(٣) أي مثل لفظ (الله) كلفظ : (رب) .

في الباب الثالث والعشرين من سفر الخروج قول الله سبحانه هكذا :
« ٢٠ ـ أنا أرسل ملاكي أمامك ليحفظك في الطريق ويُدخلك إلى المكان الذي أنا استعديت (٢١) فاحتفظ به وطِعْ أمره ولا تشاقه إنه لا يغفر إذا أخطأت إنّ اسمي معه (٢٣) وينطلق ملاكي أمامك فيدخلك على الأموريّين[١] والحيثانيينّ[٢] والفرزانيّين[٣] والكنعانيّين والحواييـن[٤] واليابوسانيين[٥] الذين أنا أخرجهم » .

---

(١) الأموريّون : هم سكان كنعان الأصليون ، ويتكلمون لغة سامية ، وقد حكموا جزءاً من فلسطين وسوريا وبابل ، وكان ملوك الأسرة الأولى في بابل من القرن ١٩ ـ ١٦ ق.م من الأموريّين ، وأشهر ملوكهم حورابي وكان يُطلَق على سوريا وفلسطين قبل الميلاد بعشرين قرناً (أرض الأموريين) ، وكان الأموريون أهم قبائل جنوب فلسطين في عصر إبراهيم عليه السلام ، وقبل خروج موسى من مصر كانوا قد افتتحوا المنطقة المحيطة بالبحر الميت جنوباً وإلى جبل حرمون (الشيخ) شمالاً . (قاموس الكتاب المقدس ص ١١٩ والموسوعة الميسرة ص ٢٢٨) .

(٢) الحيثيون : شعب قديم بآسيا الصغرى وشمال سوريا ، ويرجع نسبهم إلى قبائل الأناضول ، وقد شملت مملكتهم الأناضول وجزءاً كبيراً من شمال العراق وسوريا ، وكان ازدهارهم حوالي (٢٠٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م) وكانت مراكزهم شمالي أنقرة ، وكانوا وثنيين يعبدون الأرواح والأشجار والجبال ، وأشهر آلهتهم تيشوب إله العاصفة ، ومن عفرون الحيثّي اشترى إبراهيم الخليل عليه السلام مغارة المكفيلة في الخليل ، ومنهم تزوج عيسو بن إسحاق بامرأتين ، وكان منهم أوريا الحيثي أحد قادة جيش داود (الموسوعة الميسرة ص ٧٤٦ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٢٨٩) .

(٣) الفرزانيون : هم الفرزيون .

(٤) الحِوّيّون : أحد أجناس كنعان قبل غزو العبرانيين لها ، وكانت جماعات منهم تسكن في شكيم (نابلس) في عصر يعقوب عليه السلام ، ويُظنّ أن مقرهم الرئيسي في سفح جبل لبنان من جبل حرمون (الشيخ) إلى مدخل حماة ، وكانت لهم قرى يملكونها ، وبهم استعان سليمان عليه السلام في عمليات البناء الواسعة التي قام بها . (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٢٩) .

(٥) اليابوسانيون : (يبّوسيون): يُنسبون إلى يبّوس الذي هم اسم أورشليم في عهدهم ، وكان موضع يبّوس منحصراً بالجبل الجنوبي الشرقي من القدس ، الذي احتله داود ووضع فيه التابوت فدعي بعدئذ (صهيون) أو (مدينة داود) ، واليبّوسيون هم قبيلة كنعانية سكنت يبّوس (أورشليم) والجبال المحيطة بها ، وقد استولى يشوع على أرضهم وقراهم لكنهم لم يخرجوا منها ، فسكن بنو إسرائيل معهم ، وقد اشترى داود عليه السلام من أرونة اليبوسي بيدره على جبل الموريا =

فقوله : « أرسل ملاكي أمامك » وكذا قوله : « ينطلق ملاكي » نصّان على أنّ الذي كان يسير مع بني إسرائيل في عمود سحاب في النهار وعمود نار في الليل كان ملَكاً من الملائكة ، وقد أطلق عليه مثل هذه الألفاظ كما ستطلّع عليه لأجل ما قلت ، كما يظهر من قوله : « إنّ اسمي معه » .

وقد جاء إطلاقها في مواضع غير محصورة على الملَك والإنسان الكامل ، بل على آحاد الناس ، بل على الشيطان الرجيم ، بل على غير ذوي العقول أيضاً ، وقد عُلم من بعض المواضع تفسير بعض هذه الألفاظ ، وفي بعض المواضع يدلّ سَوْق الكلام بحيث لا يشتبه على الناظر في بادي الرأي .

وها أنا أورد عليك شواهد هذا الباب ، وأنقل في هذا الباب عبارة كتب العهد العتيق عن الترجمة العربية التي طبعت في لندن سنة ١٨٤٤ من الميلاد ، وعبارة العهد الجديد إمّا من الترجمة المذكورة وإمّا من الترجمة العربية التي طبعت في بيروت سنة ١٨٦٠م[1]، ولا أنقل جميع عبارة الموضع المستَشْهَد به ، بل أنقل الآيات التي تعلّق الغرض بها في هذا المقام ، وأترك الآيات غير المقصودة .

في الباب السابع عشر من سفر التكوين هكذا : « ١ ــ ولمّا صار أبرام ابن تسعة وتسعين سنة ترايا له الرب وقال له : أنا الله ضابط الكل فسر أمامي وكن تامّاً (٤) وقال له الله : أنا هو وعهدي معك وستكون أبا لأمم كثيرة (٧) وأقيم

= وبنى عليه المذبح ثم بنى عليه سليمان الهيكل . (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٧ وص ٥٥٨ وص ١٠٥٢).

(١) وقد ذكرت في المقدمة أنني سأصحح نقول العهد القديم عن طبعة سنة ١٨٤٤م ، وسأصحح نقول العهد الجديد عن طبعة سنة ١٨٦٠م وهي مطابقة لطبعة سنة ١٨٦٥م ، وعنها أخذت جميع الطبعات الحديثة ، فما كان في المتن من النقول مسكوتاً عنه فهو منها ، وماكان من غيرهما يشار إليه . أما نقول الهوامش من العهدين القديم والجديد فهو عن طبعة سنة ١٨٦٥م ما لم أشر لغيرها .

ميثاقي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك بأجيالهم ميثاقاً أبديّاً لأكون إلاهاً لك ولنسلك من بعدك (٨) وسأعطي لك ولنسلك أرض غربتك جميع أرض كنعان ملْكاً إلى الدهر وأكون لهم إلاها (٩) فقال الله لإبراهيم ثانية . . . [الخ] (١٥) وقال أيضاً الله[1] لإبراهيم . . [الخ] (١٨) وقال لله . . . . [الخ] (١٩) فقال الله لإبراهيم . . . [الخ] (٢٢) ولمّا أن فرغ الله من خطابه معه فصعد عن إبراهيم » .

وكان هذا المتكلّم المرئي ملَكاً لما علمت ، ولقوله : « صعد عن إبراهيم » ، ففي هذه العبارة أطلق عليه لفظ : (الله ، والرب ، والإله) ، وأطلق هو على نفسه : « أنا الله ضابط الكل » ، « لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك » ، « وأكون إلهاً لهم » ، وكذا أُطلق أمثال هذه الألفاظ في أزيد من أربعة عشر موضعاً[2] من الباب الثامن عشر من سفر التكوين على الملَك[3] الذي ظهر على إبراهيم عليه السلام مع الملَكيْن الآخرين ، وبشّره بولادة إسحاق وأخبر بأنّ قرى لوط ستخرّب[4].

---

(١) في حاشية ى : أي الملَك . اهـ .

(٢) قوله : « في أزيد من أربعة عشر موضعاً » سقط من المطبوعة ، وانتقل فيها إلى العبارة الآتية بعد قليل ، كما يلي : « قرى لوط ستخرب في أزيد من أربعة عشر موضعاً » ، والتصحيح أخذته من المخطوطة والمقروءة .

(٣) المواضع التي ذكرها المؤلف بأنه أطلق فيها على الملك لفظ (الرب) هي حسب طبعة سنة ١٨٤٤م ، وأما طبعة سنة ١٨٦٥م ففي بعض المواضع لفظ (رب) ، وفي بعضها لفظ (سيد) وفي بعضها لفظ (المولى) ، أمّا في التوراة السامرية ففي بعض المواضع بلفظ (الرسولان) ، وفي بعضها بلفظ (ملاك الله) ، وهكذا في المواضع الآتية ، وهذا يؤيد ما ذهب إليه المؤلف .

(٤) هي بعض قرى أعظمها سدوم وعامورة .

وفي الباب الثامن والعشرين من السفر المذكور في حال يعقوب عليه السلام إذْ سافر إلى بلد خاله هكذا : « ١٠ ــ وخرج يعقوب من بيرسبع[١] ماضياً إلى حرّان (١١) وأتى إلى موضع وبات هناك فأخذ حجراً من حجارة ذلك الموضع ووضعه تحت رأسه ونام هناك (١٢) فنظر في الحلم سُلّماً قائماً على الأرض ورأسه يصل إلى السماء وملائكة الله يصعدون ويهبطون فيه (١٣) والرب كان ثابتاً على رأس السُلّم وقال : أنا هو الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق فالأرض التي أنت عليها راقد أعطيكها لك ولنسلك (١٤) ويكون نسلك مثل رمل الأرض وتتسع إلى المغرب والمشرق والشمال والتيمن[٢] وتتبارك بك وبزرعك جميع قبائل الأرض (١٥) وأحفظك حيثما انطلقت وأعيدك إلى هذه الأرض ولا أخليك حتى أعمل جميع ما قلته لك (١٦) فاستيقظ يعقوب من نومه وقال : حقّاً إنّ الربّ في هذا المكان وأنا لم أكن أعلم (١٧) وخاف وقال : ما أخوف هذا الموضع ما هذا إلّا بيت الله وباب السماء (١٨) وقام يعقوب بالغداة وأخذ الحجر الذي كان توسّد به وأقامه نصبة وسكب عليه دهناً (١٩) ودعا اسم المدينة بيت إيل[٣] التي أوّلاً كانت تدعى لوزا[٤] (٢٠) ونذر نذراً

---

(١) بئر سبع : مدينة في جنوب فلسطين تبعد حوالي ٤٢ كم جنوب غرب الخليل ، وحوالي ٤٢ كم جنوب شرقي غزة ، وحوالي ٥٥ كم غربي البحر الميت ، ويظن أن معناها : بئر السبعة (قاموس الكتاب المقدس ص ١٥٠) .

(٢) في طبعة سنة ١٨٦٥م وفي السامرية : «وجنوباً» فالتيمن بمعنى الجنوب .

(٣) بيت إيل : اسم عبري معناه : (بيت الله) ، وهو مكان قرب بلدة لوز ، وموقعها شرقي الخط الرئيسي مابين القدس ونابلس ، وتدعى الآن : بيتين ، وهي تبعد ١٨ كم شمال القدس ، و٣٣ كم جنوب نابلس ، ويقال بأنّ تابوت العهد بقي مدة من الزمن في هذه البلدة ، وفي شرقيها نصب يربعام عجلين من الذهب ، ولعل هذا هو السبب الذي لأجله دعيت : بيت آون ، أي بيت الأصنام ، لأنها أصبحت مركزاً لعبادة الأوثان . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٣ وص ٢٠٠) .

(٤) لوزا (لوز) : اسم مدينة كنعانية ، وهي التي دعيت فيها بعد بيت إيل ، ومن المحتمل أنها غربي موقع بيت إيل بقليل . (قاموس الكتاب المقدس ص ٨٢١).

قائلاً : إنْ كان الله يكن معي ويحفظني في الطريق الذي أنا ساير به ويرزقني خبزاً آكل وكسوة ألبس (٢١) ورجعت بسلام إلى بيت أبي فالرب يكون لي إلهاً (٢٢) وهذا الحجر الذي أقمته نصبة يدعى بيت الله وكل ما أعطيتني أدّيت إليك عشوره » .

وفي الباب الحادي والثلاثين من السفر المذكور قول يعقوب عليه السلام في خطاب زوجتيه ليّا وراحيل هكذا : « ١١ ـ فقال لي ملاك الله في الحلم يا يعقوب فقلت : هوذا أنا (١٢) فقال لي . . . [الخ] (١٣) أنا إله[1] بيت إيل حيث مسحت قائمة الحجر ونذرت لي نذراً والآن قم فاخرج من هذه الأرض وارجع إلى أرض ميلادك » .

وفي الباب الثاني والثلاثين من السفر المذكور هكذا : « ٩ ـ وقال يعقوب يا إله أبي إبراهيم وإله أبي إسحاق أيها الربّ الذي قلت لي ارجع إلى أرضك وإلى مكان ميلادك وأباركك (١٢) فأنت تكلّمت وقلت إنك تحسن إليّ وتوسّع نسلي مثل رمل البحر الذي لا يحصى لكثرته » .

وفي الباب الخامس والثلاثين من السفر المذكور هكذا : « ١ ـ وقال الله ليعقوب قم فاصعد إلى بيت إيل واسكن هناك وانصب هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك وأنت هارباً من وجه عيسو أخيك (٢) وقال يعقوب لأهله . . . [الخ] (٣) وقوموا بنا نصعد إلى بيت إيل لنصنع هناك مذبحاً لله الذي استجاب لي في ضيقتي وكان معي في طريقي (٦) فجاء يعقوب إلى لوزا التي في أرض كنعان هذه هي بيت إيل . . . . [الخ] (٧) وابتنى هناك مذبحاً ودعا اسم ذلك المكان بيت الله لأنّ هناك ظهر له الله . . . . » الخ .

---

(١) في السامرية : (أنا وليّ) .

وفي الباب الثامن والأربعين من السفر المذكور هكذا : « ٣ ـ إنّ الله الضابط الكلّ استعلن عليّ في لوزا بأرض كنعان وباركني (٤) وقال لي بأني منمّيك ومكثرك وجاعلك لجماعة الشعوب وأعطيك هذه الأرض ولنسلك من بعدك ميراثاً إلى الدهر » .

فظهر من الآية الحادية عشرة والثالثة عشرة من الباب الحادي والثلاثين أنّ الذي ظهر على يعقوب عليه السلام ووعده وعهد إليه ونذر له يعقوب عليه السلام كان ملَكاً ، وجاء إطلاق لفظ مثل (الله) عليه[1] في العبارات المذكورة في أزيد من ثمانية عشر موضعاً ، وقال هذا الملك : « أنا هو الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق » ، وقال يعقوب عليه السلام في حقه : « يا إله أبي إبراهيم وإله أبي إسحاق أيها الرب » و« إنّ الله الضابط الكلّ استعلن عليّ » .

وفي الباب الثاني والثلاثين من السفر المذكور هكذا : « ٢٤ ـ وتخلّف هو وحده وهوذا رجل فكان يصارعه إلى الفجر (٢٥) وحين نظر أنّه لا يقوى به فجسّ عرق وركه ولساعته ذبل (٢٦) وقال له : أطلقني لأنّه قد أسفر الصبح وقال له : لا أطلقك أو تباركني (٢٧) فقال له : ماهو اسمك ؟ فقال : يعقوب (٢٨) قال : لا يدعى اسمك يعقوب بل إسرائيل يكون اسمك من أجل أنك كنت قويت مع الله فكم بالحري لك قوة في الناس (٢٩) فسأله يعقوب وقال : عرّفني ما اسمك ؟ فقال له : لم تسأل عن اسمي وباركه في ذلك المكان (٣٠) فدعا يعقوب اسم ذلك المكان فنوايل[1] قائلاً : رأيت الله[2] وجهاً لوجه وتخلّصت نفسي » .

---

(١) في حاشية ق : أي الملَك . اهـ .

(١) فنوايل (فنوئيل) فنيئيل) : اسم عبري معناه : وجه الله ، وهو اسم مخيم شرقي الأردن ، ويعقوب هو أوّل من أعطاه هذا الاسم ، وفي عهد القضاة كان فيه مدينة وبرج ، وقد هدم جدعون البرج وقتل سكان المدينة . (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩٨) .

(٢) في السامرية : «رأيت الملائكة» .

وهذا المصارع كان ملَكا لما عرفت ؛ ولأنّه يلزم أن يكون إله بني إسرائيل في غاية العجز والضعف حيث صارع يعقوب عليه السلام إلى الفجر ولم يغلب عليه بدون الحيلة ؛ ولأنّ كلام هوشع نصّ في هذا الباب ، في الباب الثاني عشر من كتابه هكذا : « ٣ ــ في البطن عقب أخاه وفي جبروته أفلح مع الملاك (٤) وغلب الملاك وتقوّى بكى وسأله وجده في بيت إيل وهناك كلّمنا » . فأطلق عليه لفظ (الله) في الموضعين .

وفي الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين هكذا : « ٩ ــ فظهر الله ليعقوب أيضاً من بعد ما رجع من بين نهريْ سورية وباركه (١٠) قائلاً : لا يدعى اسمك بعدها يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل ودعي اسمه إسرائيل (١١) وقال له : أنا الله الضابط الكل أُنمّ وأُكثّر وأمم ومجامع شعوب تكون منك ملوك من صلبك يخرجون (١٢) والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق فلك أُعطيها وأعطي نسلك هذه الأرض من بعدك (١٣) وارتفع الله[١] عنه (١٤) ونصب يعقوب حجراً في الموضع الذي كلّمه فيه الله قائمة حجرية ودفق عليها مدفوقاً وصبّ عليها دهناً (١٥) ودعا اسم الموضع الذي كلّمه الله هناك بيت إيل » .

وهذا الذي ظهر هو الملك المذكور ، فأطلق عليه لفظ (الله) في خمسة مواضع ، وقال هو : « أنا الله الضابط الكل » .

وفي الباب الثالث من سفر الخروج « ٢ ــ وترايا له الربّ بلهيب النار من وسط العليقة فنظر إلى العليقة[٢] تتوقد فيها النار وهي لم تحترق (٤) ورأى الله

---

(١) في السامرية : (ملاك الله) .

(٢) في حاشية ق : هي الشجرة . أهـ . وهو نبات معروف يتعلّق بالشجر ويلتوي عليه ، وهو شجر من شجر الشوك لا يعظم ، وإذا نشب فيه شيء لم يكد يتخلص من كثرة شوكه ، ولذلك سمي عُلَيْقا ، وأكثر منابته في الغياض (لسان العرب ١٠/٢٦٥ ، والمعجم الوسيط ص ٦٢٢) .

أنّه جار . . . . [الخ] (٦) وقال له : إنّي أنا الله إلاه آبائك إلاه إبراهيم وإلاه إسحاق وإلاه يعقوب فغطّى موسى وجهه من أجل أنّه خشي أن ينظر نحو الله (٧) فقال له الرب . . . . [الخ] (١١) فقال موسى لله . . . [الخ] (١٢) فقال له الله أنا أكون معك وهذه علامة لك أنّي أنا أرسلتك إذا أخرجت شعبي من مصر يعملون ذبيحة قدّام الله على هذا الجبل (١٣) فقال موسى لله : هوذا أنا أذهب إلى بني إسرائيل وأقول لهم : إلاه آبائكم أرسلني إليكم فإن قالوا لي ما اسمه ماذا أقول لهم (١٤) فقال الله لموسى : أَهْيَه أَشِر أَهْيَه[1] وقال له هكذا تقول لبني إسرائيل أَهْيَه أرسلني إليكم (١٥) وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل: الربّ إلاه آبائكم إلاه إبراهيم وإلاه إسحاق وإلاه يعقوب أرسلني إليكم هذا اسمي إلى الدهر وهذا هو ذكري إلى جيل الأجيال (١٦) فاذهب اجمع شيوخ بني إسرائيل وقل لهم: الرب إلاه آبائكم استعلن عليّ إلاه إبراهيم وإلاه إسحاق وإلاه يعقوب . . .» الخ .

فالذي[2] ظهر على موسى وكلّمه ـ وقال في حقه : «إنّي أنا الله إله آبائك إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب» ، ثم قال «أَهْيَهْ أَشِر أَهْيَهْ» ثم أمر موسى عليه السلام أن يقول لبني إسرائيل: «أَهْيَه أرسلني» و«الرب: إله آبائكم إله

---

(١) في طبعة سنة ١٨٦٥م « أَهْيَهِ الذي أَهْيَهْ » ، وفي السامرية : « الأزلي الذي لا يزال » ، وهذا اللفظ هو لفظ اسم الرب بالعبرية في صيغة المضارع المفرد المتكلم ، وهذا الاسم يعبّر عن أبديته ووجوب وجوده ، وإذا أريد الدلالة على الإله الواحد الأحد الحقيقي فيقال في العبرية : إيل ، وأما الاسم العبري الذي يُطلق عادة على الرب فهو اسم : يَهْوَه ، ويترجم بكلمة : الرب ، وهو في العبرية في صيغة المضارع المفرد الغائب ، واستعمال هذا الاسم في العبرية يحفظ الدين من خطرين : الأول : خطر جعل الله مجرد فكرة أو تصوّر ذهني خيالي لا يوصف بصفة ، والثاني : خطر جعل الله وجوداً يتلاشى فيه كل ما في الوجود بالاتحاد أو الحلول ، فكأنّ هذا الاسم يُسهّل على الإنسان أن يعرف الإله بصفات معينة وأن يدعوه بألفاظ وتعابير واضحة ؛ لأنّه أعلن ذاته وصفاته . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٨ وص ١٤٢ وص ١٠٩٦) .

(٢) فالذي : مبتدأ .

إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم» وقال: «هذا اسمي إلى الدهر وهذا هو ذكري إلى جيل الأجيال» ، وأطلق عليه في هذه العبارة لفظ : (الله) و(الرب) وأمثالهما في أزيد من خمسة وعشرين موضعاً ، وأطلق عليه المسيح عليه السلام أيضاً لفظ (الله) كما نقل مرقس في الباب الثاني عشر ومتّى في الباب الثاني والعشرين ولوقا في الباب العشرين قول المسيح عليه السلام في خطاب الصدوقيين هكذا : «أفما قرأتم في كتاب موسى في أمر العلّيقة كيف كلّمه الله قائلاً : أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب»[1] ـ هذا كان ملكاً[2] لما عرفت ، ولذلك في أكثر التراجم الهنديّة والفارسيّة بدل لفظ : (الله) لفظ : (فرشته) الذي هو ترجمة : الملَك .

والآية الأولى من الباب السابع من سفر الخروج هكذا : «فقال الربّ لموسى انظر فإنّي قد جعلتك إلاهاً لفرعون وهارون أخوك يكون لك نبيّا»[3] .

والآية السادسة عشرة من الباب الرابع من سفر الخروج هكذا : «هو يتكلّم مع الشعب عوضك وهو يكون لك فما وأنت تكون له في أمور الله»[4] .

فوقع لفظ : (الإله) و(الله) في حقّ موسى عليه السلام ، ومن ههنا يظهر ترجيح اليهود على المسيحيين في هذه العقيدة ؛ لأنّهم مع ادّعاء محبتهم لموسى وترجيحه على سائر الأنبياء ما أوصلوه إلى رتبة الألوهية متمسكين بمثل هذه الأقوال .

---

(١) هذا لفظ إنجيل مرقس ١٢/٢٦ وهو في إنجيل متّى ٢٢/٣١ ـ ٣٢ ، وفي إنجيل لوقا ٢٠/٣٧ . وهو إشارة لما ورد في سفر الخروج ٣/٢ ـ ٦ .

(٢) جملة (هذا كان ملَكا) في محل رفع خبر المبتدأ (الذي) .

(٣) وقريب منه نص طبعة سنة ١٨٦٥م ، وأمّا في التوراة السامرية فكما يلي « وقال الله لموسى انظر جعلتك سلطاناً على فرعون وهارون أخوك يكون منبياً عنك » .

(٤) وفي طبعة سنة ١٨٦٥م : « وأنت تكون له إلها » وفي التوراة السامرية : « وأنت تكون له سلطاناً » .

وفي الباب الثالث عشر من سفر الخروج هكذا : «٢١ ـ وكان الربّ يسير أمامهم ليريهم الطريق في النهار بعمود سحاب وفي الليل بعمود نار ليهديهم بالطريق نهاراً وليلاً (٢٢) لم يزل قطّ عمود السحاب نهاراً ولا عمود النار ليلاً من قدّام الشعب»[١].

ثم في الباب الرابع عشر من السفر المذكور هكذا : «١٩ ـ فانطلق ملاك الله الذي كان يسير قدّام عسكر إسرائيل ومشى خلفهم وعمود الغمام أيضاً معه فتحوّل من قدّام وجوههم إلى ورائهم (٢٤) فلمّا كان عند محرس السحر نظر الربّ إلى محلّة المصريين بعمود النار والغمامة وقتل عسكرهم» .

وهذا السائر كان ملَكا[٢] كما صُرِّح به في الآية ١٩ ، وأطلق عليه لفظ الرب على وفق الترجمة العربية ، ولفظ يهواه على وفق الهندية الموجودة عندي .

وفي الباب الأوّل من سفر التثنية هكذا : «٣٠ ـ فإنّ الرب الإله الذي يسير أمامكم فهو يقاتل عنكم كما عمل في مصر والكل ينظرون (٣١) وفي البرّيّة أنت رأيت بعينك حملك الرب إلهك كما أنّه يحمل الرجل ولده . . . [الخ] (٣٢) ولم تؤمنوا في ذلك بالرب إلهكم (٣٣) الذي سار أمامكم في الطريق وحدّد لكم المكان الذي فيه كان يجب أن تنصبوا الخيام . في الليل يريكم الطريق بالنار وفي النهار بعمود الغمام» .

فجاء إطلاق لفظ : (الرب الإله) في ثلاثة مواضع على الملَك المذكور ؛ لأنّه كان سائراً أمامهم وقاتلاً لعسكر المصريين .

وفي الباب الحادي والثلاثين من السفر المذكور هكذا : « ٣ ـ فالربّ إلهك هو يعبر قدّامك . . . [الخ] (٤) فيصنع الرب . . . [الخ] (٥) فإذا

---

(١) وكذلك في طبعة سنة ١٨٦٥م « وكان الرب يسير أمامهم » ، أمّا في التوراة السامرية : « وملاك الله سائر بين أيديهم . . . » .

(٢) بنصّ طبعة سنة ١٨٤٤م وطبعة سنة ١٨٦٥م ونصّ التوراة السامرية كذلك .

أمكنكم الرب . . . [الخ] (٦) فاجترو عليهم وتقوّوا ولا تخافوا ولا ترهبوا إذا نظرتموهم انّ الربّ إلاهك فهو يسير أمامك . . . [الخ] (٨) والربّ الذي هو السائر أمامكم فهو يكون معك . . .» الخ .

ففي هذه العبارة أيضاً إطلاق لفظ : (الرب إلهك) و(الربّ) على المَلَك المذكور .

والآية ٢٢ من الباب الثالث عشر من كتاب القضاة في حق الذي تكلّم مع منوح[1] وامرأته وبشّرهما بالولد ، هكذا : «فقال منوح لامرأته بموت نموت لأننا عاينّا الله» ، وصرّح به في الآية ٣ و٩ و١٣ و١٥ و١٦ و١٨ و٢١ من هذا الباب أنّه كان ملَكا[2]، فأطلق عليه لفظ الله .

وكذا جاء هذا الإطلاق على المَلَك في الباب السادس من كتاب إشعياء ، والباب الثالث من سفر صموئيل الأول ، والباب الرابع والتاسع من كتاب حزقيال ، والباب السابع من كتاب عاموص .

والآية السادسة من الزبور الحادي والثمانين على وفق الترجمة العربية ومن الزبور الثاني والثمانين على وفق التراجم الأخر هكذا : «أنا قلت إنكم آلهة وبنو العليّ[3] كلكم»، فجاء ههنا إطلاق (الآلهة) و(أبناء الله) على العوام فضلاً عن الخواص .

---

(١) في حاشية ق : فلّاح من بني إسرائيل . أهـ . وهو رجل من صرعة الواقعة غربي القدس والتي سكنها بعض الراجعين من السبي ، وهو والد شمشون الذي كان قاضياً لبني إسرائيل مدة عشرين سنة ، وكان الملاك قد بشّر منوح وامرأته بولادة شمشون . (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٢٠ وص ٥٤٢ وص ٧٣٧ وص ٩٢٦) .

(٢) هذه الفقرات جميعها ورد فيها لفظ : «ملاك» ، وأكتفي بذكر فقرتين منها وهما : «٣ ـ وترايا لها ملاك الرب وقال . . . (٩) وترايا أيضاً ملاك الله لامرأته وهي جالسة بالحقل . . .» .

(٣) في حاشية ق : أي الله . أهـ . والقائل هو داود ، وهذا النصّ بلفظه في الطبعتين التاليتين : في طبعة سنة ١٨٤٤م مزمور ٦/٨١ ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م مزمور ٦/٨٢ .

وفي الباب الرابع من الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس هكذا : «٣ ــ ولكن إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنّما هو مكتوم في الهالكين (٤) الذين فيهم إله هذا الدّهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء (لهم) انارة إنجيل مجد المسيح» .

والمراد بإله الدهر: الشيطان على ما زعم علماء البروتستانت ، فجاء مثل هذا الإطلاق على الشيطان الرجيم على زعمهم فضلاً عن الإنسان ، وإنّما قلت «على زعمهم» لأنهم يريدونه ههنا لئلا يلزم نسبة الإعماء إلى الله تعالى ، فيلزم كون الله خالق الشرّ ، وهذا هوس من هوساتهم ؛ لأنّ خالق الشرّ على وفق كتبهم المقدّسة يقيناً هو الله تعالى ، وأنقل ههنا شاهدين ، وستطلع على شواهد أخر أيضاً في مواضعه .

الآية السابعة من الباب الخامس والأربعين من كتاب إشعياء هكذا : « المصوّر النور والخالق الظلمة الصانع السلام والخالق الشر أنا الربّ الصانع هذه جميعها » .

وقال مقدّسهم بولس في الباب الثاني من الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي : « سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتّى يصدّقوا الكذب لكي يُدان جميع الذين لم يصدّقوا الحق بل سُرّوا بالإثم »[1].

ولّما كان زعمهم كما ذكرنا ، والمقصود النقل على سبيل الإلزام فالمقصود حاصل ، وهو أنّ إطلاق (إله الدهر) جاء على الشيطان .

والآية ١٩ من الباب الثالث من رسالة بولس إلى أهل فيلبّي هكذا : « الذين نهايتهم الهلاك الذين إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم » ، فأطلق مقدسهم على البطن لفظ الإله .

---

(١) رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي ٢/١١ ـ ١٢ .

وفي الباب الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : « ٨ ــ ومن لا يحبّ لم يعرف الله لأنّ الله محبّة (١٦) ونحن قد عرفنا وصدّقنا المحبّة التي لله فينا . الله محبّة ومن يثبت في المحبّة يثبت في الله والله فيه » ، فيوحنّا أثبت اتحاد المحبّة بالله ، وقال في الموضعين : « الله محبّة » ، ثم أثبت التلازم هكذا : « من يثبت في المحبّة يثبت في الله والله فيه » .

وإطلاق (الآلهة) على الأصنام كثير جداً في الكتب السماوية ، فلا حاجة إلى نقل شواهده ، وكذا إطلاق الربّ بمعنى المخدوم والمعلّم كثير جداً يغني عن نقل شواهده ، التفسير الواقع في الآية ٣٨ من الباب الأول من إنجيل يوحنا هكذا : « فقالا ربي الذي تفسيره يا معلّم »[١].

إذا علمت ما ذكرت فقد حصلت لك البصيرة التامّة أنّه لا يجوز لعاقل أن يستدلّ بإطلاق بعض هذه الألفاظ على بعض الحوادث[٢] ـ التي حدوثها وتغيّرها وعجزها من الحسيّات ـ أنّه إله أو ابن الله[٣] وينبذ جميع البراهين العقلية القطعيّة وكذا البراهين النقلية وراءه .

الأمر الخامس : أنّ وقوع المجاز في غير المواضع التي مرّ ذكرها في الأمر الثالث والرابع كثير ، مثلاً : وعد الله إبراهيم عليه السلام في تكثير أولاده هكذا : ـ الآية السادسة عشرة من الباب الثالث عشر من سفر التكوين ـ « وأجعل نسلك مثل تراب الأرض فإن استطاع أحد الناس يحصي تراب الأرض فإنه يستطيع أن يحصي نسلك » .

---

(١) وفي طبعة سنة ١٨٢٣م و١٨٤٤م « فقالا له رابي الذي تأويله يا معلم أين تسكن » . وفي طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م: « قالا أين تسكن أيها الرّبّان » .

(٢) أي الأشياء الحادثة بعد أن لم تكن ، وهي تشمل كل المخلوقات ، كالمسيح وغيره من الحوادث ، وكل ما هو حادث فهو مخلوق ومحتاج إلى غيره .

(٣) أي على المعنى الحقيقي المختص به الله سبحانه وتعالى .

والآية السابعة عشرة من الباب الثاني والعشرين من السفر المذكور : « أباركك وأكثر نسلك كنجوم السماء ومثل الرمل الذي على شاطيء البحر . . . . » الخ .

وهكذا وعد يعقوبَ عليه السلام بأن نسلك يكون مثل رمل الأرض كما عرفت في الأمر الرابع[1]، وأولادهما[2] لم يبلغوا مقدار عدد رطل رمل في الدنيا في وقت من الأوقات فضلاً عن مقدار رمل شاطيء البحر أو رمل الأرض .

ووقع في مدح الأرض التي كان وعد الله إعطاءها في الآية الثامنة من الباب الثالث من سفر الخروج وغيرها من الآيات بأنّه يسيل فيها اللبن والعسل[3]، ولا أرض في الدنيا كذلك .

ووقع في الباب الأوّل من سفر التثنية هكذا : « والقرى عظيمة محصّنة إلى السماء »[4]، ووقع في الباب التاسع من السفر المذكور هكذا : « وأشدّ منك مدناً كبيرة حصينة مشيّدة إلى السماء »[5].

وفي الزبور السابع والسبعين هكذا : « ٦٥ ــ واستيقظ الربّ كالنائم مثل الجبار المفيق من الخمر (٦٦) فضرب أعداءه في الوراء وجعلهم عاراً إلى الدهر » .

والآية الثالثة من الزبور المائة والثالث في وصف الله هكذا : « والمسقف بالمياه علاليه الذي جعل السحاب مركبه الماشي على أجنحة الرياح » .

---

(١) انظر سفر التكوين ١٧/٤ و٢٨/١٤ .

(٢) أي نسل إبراهيم ويعقوب .

(٣) ففي سفر الخروج ٨/٣ « فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً . إلى مكان الكنعانيّين والحثّيين والأموريّين والفرزيّين والحوّيّين واليبوسيّين » .

(٤) انظر سفر التثنية ١/٢٨ .

(٥) انظر سفر التثنية ٩/١ .

وكلام يوحنا مملوء من المجاز قلّما تخلو فقرة لا يُحتاج فيها إلى تأويل كما لا يخفى على ناظر إنجيله ورسائله ومشاهداته ، وأكتفي ههنا على نقل عبارة واحدة من عباراته ، قال في الباب الثاني عشر من المشاهدات هكذا : « ١ ــ وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً (٢) وهي حبلى تصرخ متمخّضة ومتوجّعة لتلِد (٣) وظهرت آية أخرى في السماء هوذا تِنّين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رؤوسه سبعة تيجان (٤) وذَنَبه يجرّ ثلث نجوم السماء فطرحها إلى الأرض والتنّين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلِد حتى يبتلع ولدها متى ولدت (٥) فولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد . واختُطف ولدها إلى الله وإلى عرشه (٦) والمرأة هربت إلى البريّة حيث لها موضع معدّ من الله لكي يعولوها هناك ألفاً ومئتين وستين يوماً (٧) وحدثت حرب في السماء . ميخائيل[1] وملائكته حاربوا التنين وحارب التنّين وملائكته » ، إلى آخر كلامه ، وهذا الكلام في الظاهر كلام المجاذيب ، فلو لم يؤول فمستحيل قطعاً ، وتأويله أيضاً يكون بعيداً لا سهلاً ، وأهل الكتاب يؤوّلون الآيات المذكورة وأمثالها يقيناً ، ويعترفون بكثرة وقوع المجاز في الكتب السماوية .

قال صاحب (مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين) في الفصل الثالث عشر من كتابه : « وأمّا اصطلاح الكتاب المقدس فإنّه ذو استعارات وافرة غامضة ، وخاصة العهد العتيق » .

ثم قال : « واصطلاح العهد الجديد أيضاً هو استعاري جداً ، وخاصة مسامرات مخلّصنا ، وقد اشتهرت آراء كثيرة فاسدة لكون بعض معلّمي

---

(١) ميخائيل : يعتقد النصارى أنه رئيس الملائكة وقائد جيوشهم . (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٣٨) .

النصارى شرحوها شرحاً حرفياً ، ولأجل ذلك نقدّم بعض أمثال لنرى بها أنّ تأويل الاستعارات حرفياً[1] ليس صواباً ، وذلك كقول المسيح عن هيرودس : (اذهبوا وقولوا لذلك الثعلب) ، فمن المعلوم أنّ المراد بلفظة (الثعلب)[2] في هذه العبارة جبار ظالم ؛ لأنّ ذلك الحيوان المدعو هكذا[3] معروف بالحيلة والغدر . أيضاً قال ربّنا لليهود : (أنا هو الخبز الحيّ الذي نزل من السماء فكل من أكل من هذا الخبز يحيى إلى الأبد والخبز الذي أنا أعطيه هو جسدي سوف أعطيه لحياة العالم) ـ يوحنا ص ٦[4] عدد ٥١ ـ فاليهود الشهوانيّون فهموا هذه العبارة بالمعنى الحرفي وقالوا : كيف يقدر هذا الرجل أن يعطينا جسده لنأكله ؟ (آية ٥٢)[5]، ولم يلاحظوا أنّه عنى بذلك ذبيحته التي وهبها كفّارة لخطايا العالم ، وقد قال مخلّصنا أيضاً عن الخبز عند تعيينه العشاء السري : (هذا هو جسدي) ، وعن الخمر : (هذا هو دمي) ـ متّى ص ٢٦ عدد ٢٦ ـ، فمنذ الدهر الثاني عشر جعل الرومانيون الكاثوليكيّون لهذا القول معنى آخر معكوساً ومغايراً لشواهد أخرى في الكتب المقدّسة وللدليل الصحيح ، وحتّموا أن ينتجوا من ذلك تعليمهم عن الإستحالة ، أي تحويل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه الجوهريّين عندما يلفظ الكاهن بكلمات التقديس الموهوم ، مع أنّه قد يظهر لكل الحواس الخمسة أنّ الخبز والخمر باقيان على جوهرهما ولم يتغيّرا ،

---

(١) في حاشية ق : أي ظاهريًا . أهـ .

(٢) انظر إنجيل لوقا ٣٢/١٣ ، وهو بنص طبعة سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م .

(٣) أي الحيوان المسمى بـ(الثعلب) ، وهو حيوان ذكي من فصيلة الكلب ، يأكل الطيور والزحافات الصغيرة والثمار ، ويُضرب به المثل لشدة مكره ودهائه ونشاطه المدمّر خصوصاً للعنب (الموسوعة الميسرة ص ٥٨٠ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٤) .

(٤) في حاشية ق : الإصحاح ٦ . أهـ . وهذا النصّ هو نصّ طبعة سنة ١٨٦٥م مع تغيير بعض الحروف القليلة .

(٥) ففي إنجيل يوحنا ٥٢/٦ « فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل » .

فأمّا التأويل الصحيح لقول ربّنا فهو أنّ الخبز بمثل جسده والخمر بمثل دمه » انتهى كلامه بلفظه .

فاعترافه بيّن لا خفاء فيه ، لكن لا بدّ من النظر في قوله : « فمنذ الدهر الثاني عشر . . . » إلى آخره فإنّه ردّ على الرومانيّين في اعتقاد إستحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح عليه السلام ودمه بشهادة الحسّ ؛ وأول قول المسيح عليه السلام بحذف المضاف وإنْ كان ظاهر القول كما فهموا[1] ؛ لأنّه هكذا : « ٢٦ ــ وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسّر وأعطى التلاميذ وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدي (٢٧) وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً : اشربوا منها كلّكم (٢٨) لأنّ هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا »[2].

فقالوا : إن لفظ « هذا » يدلّ على جوهر الشيء الحاضر كلّه ، ولو كان جوهر الخبز باقياً لما صحّ هذا الإطلاق ، وإنّهم كانوا قبل ظهور فرقة

---

(١) أي ظاهر قول المسيح يؤيد عقيدة الروم الكاثوليك في الإستحالة الحقيقية .

(٢) هذه فقرات الإصحاح ٢٦ من إنجيل متّى ، وهي دليلهم على عقيدة العشاء الرباني ، وقد ورد في حاشية المقروءة : قيل إنّ المسيح كان يوم العيد بمحل وبيده قطعة خبز وقدح خمر ، فقال هذه قطعة من لحمي والخمر دمي ، فيصنع القسيسون في هذا اليوم أقراصاً وخمراً فيقسّم عليهم البابا قطعة قطعة على كونها هي المسيح فيأكلونها . أهـ . وقصة العشاء الرباني مذكورة في إنجيل متّى ٢٦/ ٢٠ ـ ٣٠ ، وفي إنجيل مرقس ١٤/ ١٧ ـ ٢٦ ، وفي إنجيل لوقا ٢٢/ ١٤ ـ ٢٣ ، ويقال للعشاء الرباني: (مائدة الرب) أو (شركة جسد الربّ ودمه) ، وهي إحدى عقائد النصارى الأساسية ، فهم يعتقدون أنّ المسيح أكله مع تلاميذه ليلة القبض عليه قبيل ذهابه إلى بستان جثسيماني ، فإنه بعد أن تناول عشاء الفصح أخذ الخبز وباركه وقدّم الشكر لأجله ثم كسره وأعطاه للتلاميذ مع الخمر ، ويسمون كأس الخمر التي تشرب في هذا العشاء (كأس الرب) أو (كأس البركة) ، ويعتقدون أنّ من يأكل هذا العشاء في موعده من كل سنة ، فإنّ الخبز يتحوّل إلى لحم المسيح في لحومهم ، والخمر يتحول إلى دم المسيح في دمائهم ، فيحصل الاشتراك بين المسيحي والمسيح ، وتفسيره: « وبما أن العشاء الرباني يهبنا هذا الروح ، لذا سمّي شركة جسد المسيح ودمه على سبيل التعظيم ، ويراد بشركة الروح القدس (٢ كو ١٣ : ١٤) حلوله فينا » . (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٠٩ وانظر ص ٣٩٦) .

البروتستانت أكثر المسيحيين في العالم ، وإنّهم أكثر من هذه الفرقة إلى هذا الحين أيضاً ، فكما أنّ هذه العقيدة غلط بشهادة الحسّ عند هذه الفرقة[1]، فكذلك عقيدة التثليث غلط ولو فرضنا دلالة بعض الأقوال المتشابهة بحسب الظاهر عليها ، بل محال بالأدلّة القطعيّة .

فإن قالوا[1]: ألسنا من ذوي العقول فكيف نعترف بها لو كانت محالاً ؟

قلنا : أليس الرومانيون[2] من ذوي العقول مثلكم وفي المقدار أكثر منكم إلى هذا الحين فضلاً عن سالف الزمان ؟ فكيف اعترفوا وأجمعوا على ما هو غير صحيح ويشهد ببطلانه الحسّ أيضاً ؟ وهو باطل في نفس الأمر أيضاً بوجوه :

(**الأوّل**) : أنّ الكنيسة الرومانية[3] تزعم أنّ الخبز وحده يستحيل[4] جسد المسيح ودمه ويصير مسيحاً كاملاً ، فأقول :

إذا استحال مسيحاً كاملاً حيًّا بلاهوته وناسوته الذي أخذه من مريم عليها السلام فلا بدّ أن يشاهد فيه عوارض الجسم الإنساني ، ويوجد فيه الجلد والعظام والدم وغيرها من الأعضاء ، لكنّها لا توجد فيه ، بل جميع عوارض الخبز باقية الآن كما كانت ، فإذا نظره أحد أو لمسه أو ذاقه لا يحسّ شيئاً غير الخبز ، وإذا حفظه يطرأ عليه الفساد الذي يطرأ على الخبز لا الفساد الذي يطرأ على الجسم الإنساني ، فلو ثبتت الإستحالة تكون إستحالة المسيح خبزاً لا إستحالة الخبز مسيحاً ، فلو قالوا : إنّ المسيح إستحال خبزاً لكان أقلّ بُعداً من هذا وإنْ كان هو أيضاً باطلاً ومصادماً للبداهة .

---

(١) أي الفرقة البروتستانتية .
(٢) أي الفرقة الكاثوليكية ، ويقال: الروم الكاثوليك .
(٣) وهي على المذهب الكاثوليكي .
(٤) أي يتحوّل .

(الثاني) : أنّ حضور المسيح بلاهوته في أمكنة متعدّدة في آن واحد وإنْ كان ممكناً في زعمهم لكنّه باعتبار ناسوته غير ممكن ؛ لأنّه بهذا الإعتبار كان مثلنا ، حتّى كان يجوع ويأكل ويشرب وينام ويخاف من اليهود ويفرّ وهلم جرّاً ، فكيف يمكن تعدده بهذا الإعتبار بالجسم الواحد في أمكنة غير محصورة في آن واحد حقيقة ؟ والعجب أنّه ما وُجد قبل عروجه إلى السماء بهذا الإعتبار في مكانينْ أيضاً فضلاً عن الأمكنة غير المتناهية ، وكذا بعد عروجه إلى السماء ، فكيف يوجد بعد القرون بعد اختراع هذا الإعتقاد الفاسد بالإعتبار المذكور في أمكنة غير محصورة في آن واحد ؟

(الثالث) : إذا فرضنا أنّ مليونات[1] من الكهنة[2] في العالم قدّسوا في آن واحد واستحالت تقدمة كلّ إلى المسيح الذي تولّد من العذراء فلا يخلو إمّا أن يكون كل من هؤلاء المسحاء الحادثين عين الآخر أو غيره ، والثاني باطل على زعمهم والأول باطل في نفس الأمر ؛ لأنّ مادّة كلّ غير مادّة الآخر .

(الرابع) : إذا استحال الخبز مسيحاً كاملاً تحت يد الكاهن فكسر هذا الكاهن هذا الخبز كسرات كثيرة وأجزاء صغيرة فلا يخلو إمّا أن يتقطع المسيح قطعة قطعة على عدد الكسرات والأجزاء أو تستحيل كل كسرة وجزء مسيحاً كاملاً أيضاً، فعلى الأول لا يكون المتناوِل متناوِل مسيح كامل ، وعلى الثاني : من أين جاء هؤلاء المسحاء ؟ لأنّه ما حصل بالتقدمة إلاّ المسيح الواحد .

(الخامس) : لو كان العشاء الرباني الذي كان قبل صلبه بيسير نفس الذبيحة التي حصلت على الصليب لزم أن يكون كافياً لخلاص العالم ،

(١) المِلْيون: هو ألف ألف ، وجمعه ملايين ، وهو دخيل على العربية . (المعجم الوسيط ص ٨٨٧) .

(٢) يقصد بالكهنة هنا كهنة النصارى ، أي مجموع طبقة الاكليروس ، وتضمّ جميع أصحاب الرتب الدينية ، فيدخل في مسمّاها البابا والبطاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة والشمّاسون .

فلا حاجة إلى أن يُصلب على الخشبة من أيدي اليهود مرّة أخرى ؛ لأنّ المسيح ما جاء إلى العالم في زعمهم إلّا ليخلص الناس بذبيحة مرّة واحدة وما أتى لكي يتألم مراراً كما تدل عليه عبارة آخر الباب التاسع من الرسالة العبرانية[1].

(السادس) : لو صحّ ما ادّعوه لزم أن يكون المسيحيون أخبث من اليهود ؛ لأنّ اليهود ما آلموه إلّا مرة واحدة ، فتركوه وما أكلوا لحمه ، وهؤلاء يؤلمونه ويذبحونه كلّ يوم في أمكنة غير محصورة ، فإنْ كان القاتل مرة واحدة كافراً وملعوناً ، فما بال الذين يذبحونه مرات غير محصورة ويأكلون لحمه ويشربون دمه ؟! نعوذ بالله من الذين يأكلون إلههم ويشربون دمه حقيقة ، فإذا لم ينج من أيدي هؤلاء إلههم الضعيف المسكين فمن ينجو؟ بعّدنا الله من ساحتهم ، ولنعم ما قيل : « دوستي نادان سراسر دشمني ست »[2].

(السابع) : وقع في الباب الثاني والعشرين من لوقا قول المسيح في العشاء الرباني هكذا : « اصنعوا هذا لذكري »[3]، فلو كان هذا العشاء هو نفس الذبيحة لما صحّ أن يكون تذكرة ؛ لأنّ الشيء لا يكون تذكرة لنفسه .

فالعقلاء الذين عقولهم السليمة تحكم بأمثال هذه الأوهام في الحسّيات لو وهموا في ذات الله أو في العقليات فأيّ استبعاد منهم ؟! لكني أقطع النظر عن هذا وأقول في مقابلة علماء البروتستانت : إنّه كما اجتمع هؤلاء العقلاء عندكم على هذه العقيدة المخالفة للحس والعقل تقليداً للآباء أو لغرض آخر ،

---

(١) ففي الرسالة العبرانية ٩/٢٥ ـ ٢٦ « ٢٥ ـ ولا ليقدم نفسه مراراً كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر (٢٦) فإذْ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم ولكنّه الآن قد أُظهر مرة عند انقضاء الدهور ليُبطل الخطيّة بذبيحة نفسه » .

(٢) في حاشية ق : معناه محبة الأحمق هي عين العناد . أهـ . وهذا توضيح للمثل وليس ترجمة حرفية له ، بل الترجمة الحرفية أن يقال : الصديق الجاهل عدوك ، ويتضمن معنى المثل السائر : عدو عاقل خير من صديق جاهل .

(٣) انظر إنجيل لوقا ٢٢/١٩ .

فكذلك اجتماعهم واجتماعكم في عقيدة التثليث المخالفة للحسّ والبراهين .
والأناس[1] الكثيرون الذين تسمونهم ملاحدة ـ ومقدارهم في هذا الزمان أزيد من مقدار فرقتكم بل من فرقة الرومانيين أيضاً وهم عقلاء مثلكم ومن أبناء أصنافكم ومن أهل دياركم وكانوا مسيحيين مثلكم ، فتركوا هذا المذهب لاشتماله على أمثال هذه الأمور ـ يستهزئون[2] بها[3] استهزاء بليغاً لا يستهزئون بشيء آخر مثلها كما لا يخفى على من طالع كتبهم .

وفرقة يوني تيرين من فرق المسيحيين أيضاً ينكرونها ، والمسلمون واليهود سلفاً وخلفاً يفهمونها من جنس أضغاث الأحلام .

الأمر السادس : كان الإجمال يوجد كثيراً في أقوال المسيح عليه السلام بحيث لا يفهمها معاصروه وتلاميذُه في كثير من الأحيان ما لم يفسّرها بنفسه ، فالأقوال التي فسّرها من هذه الأقوال المجملة فهموها ، وما لم يفسره منها فهموا بعضها بعد مدة مديدة ، وبقي البعض عليهم مبهماً إلى آخر الحياة ، ونظائره كثيرة أكتفي هنا على بعضها :

وقع في الباب الثاني من إنجيل يوحنّا مكالمة المسيح عليه السلام مع اليهود الذين كانوا يطلبون المعجزة هكذا : « ١٩ ــ أجاب يسوع وقال لهم : انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه (٢٠) فقال اليهود : في ست وأربعين سنة بُني هذا الهيكل أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه (٢١) وأمّا هو فكان يقول عن هيكل جسده[4] (٢٢) فلمّا قام من الأموات تذكّر تلاميذه أنّه قال هذا فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع » ، فهنا لم يفهم التلاميذ فضلاً عن اليهود ، لكن فهم التلاميذ بعدما قام من الأموات .

---

(١) في حاشية ق : مبتدأ . أهـ .
(٢) في حاشية ق : خبر . أهـ .
(٣) في حاشية ق : أي بعقيدة التثليث . أهـ .
(٤) في حاشية ق : أي اقتلوني وبعد ثلاثة أيام أحيا . أهـ .

وقال المسيح لنيقوديموس[1] من علماء اليهود: « إن كان أحد لا يولد من فوق[2] لا يقدر أن يرى ملكوت الله » فلم يفهم نيقوديموس مقصوده وقال: « كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ ألعلّه يقدر أن يدخل بطن أمّه ثانية ويولد » ففهّمه المسيح مرّة أخرى فلم يفهم مقصوده في هذه المرة أيضاً وقال: « كيف يمكن أن يكون هذا » فقال المسيح: « أنت معلّم إسرائيل ولست تعلم هذا »، وهذه القصة مفصلة في الباب الثالث من إنجيل يوحنا[3].

وقال المسيح في مخاطبة اليهود: « أنا خبز الحياة إنْ أكل أحد من هذا الخبز يحيى إلى الأبد والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟ فقال لهم المسيح: إنْ لم تأكلوا جسد ابن الإنسان ولم تشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبديّة لأنّ جسدي مأكل حقّ ودمي مشرب حقّ مَن يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه كما أرسلني الآب الحيّ وأنا حيّ بالآب فمن يأكلني فهو يحيى بي فقال كثيرون من تلاميذه: إنّ هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه فرجع كثيرون منهم من صحبته »[4]، وهذه القصّة مفصّلة في الباب السادس من إنجيل يوحنا[5]، فهنا لم يفهم اليهود كلام المسيح والتلاميذ استصعبوه وارتدّ كثير منهم.

وفي الباب الثامن من إنجيل يوحنا هكذا: « ٢١ ــ قال لهم يسوع أيضاً أنا أمضي وستطلبونني وتموتون في خطيّتكم حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن

---

(١) نيقوديموس: اسم يوناني معناه: المنتصر على الشعب، وهو فريسي وعضو في السنهدريم ومن رؤساء اليهود، وقد دافع عن يسوع في السنهدريم لما هاجمه الفرّيسيّون، وهو الذي طيّب جسد المصلوب ودفنه (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٨٨).

(٢) في حاشية ق: أي لا يُلْهَم الإسلام من جناب الإله. أهـ.

(٣) هذه القصة في إنجيل يوحنا ٣/١ ـ ١٣.

(٤) في حاشية ق: أي ارتدّوا. أهـ.

(٥) القصة في إنجيل يوحنا ٦/٣٢ ـ ٦٥.

تأتوا (٢٢) فقال اليهود : ألعلّه يقتل نفسه حتى يقول : حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا (٥١) الحقّ الحقّ أقول لكم إنْ كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد (٥٢) فقال له اليهود الآن علمنا أنّ بك شيطاناً . قد مات إبراهيم والأنبياء . وأنت تقول إنْ كان أحد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت إلى الأبد »، وههنا أيضاً لم يفهم اليهود مقصوده في الموضعين بل نسبوه في الموضع الثاني إلى الجنون .

وفي الباب الحادي عشر من إنجيل يوحنا هكذا : « ١١ ـ قال لهم : لعازر حبيبنا قد نام لكنّي أذهب لأوقظه (١٢) فقال تلاميذه يا سيّد إنْ كان قد نام فهو يشفى (١٣) وكان يسوع يقول عن موته وهم ظنّوا أنّه يقول عن رقاد النّوم (١٤) فقال لهم يسوع حينئذ علانية : لعازر مات » ، وههنا لم يفهم تلاميذ المسيح عليه السلام كلامه حتى صرّح به .

وفي الباب السادس عشر من إنجيل متى هكذا : « ٦ ـ وقال لهم يسوع انظروا وتحرّزوا من خمير[1] الفرّيسيين والصّدّوقيين (٧) ففكّروا في أنفسهم قائلين : إننا لم نأخذ خبزاً (٨) فعلم يسوع وقال لهم : لماذا تفكّرون في أنفسكم يا قليلي الإيمان إنّكم لم تأخذوا خبزاً (١١) كيف لا تفهمون أنّي ليس عن الخبز قلت لكم أن تتحرّزوا من خمير الفريسيين والصّدّوقيين (١٢) حينئذ فهموا أنّه لم يقل أن يتحرّزوا من خمير الخبز بل من تعليم الفرّيسيين والصّدّوقيين »[2]، وههنا أيضاً لم يفهم تلاميذ المسيح عليه السلام مقصوده قبل التنبيه .

(١) في حاشية ق : أي تعليم . أي لا تتعلموا منهم . أهـ .

(٢) الصدّوقيون : طبقة من الكهنة اشتق اسمها من اسم صادوق الذي كان كبير الكهنة إبّان حكم سليمان عليه السلام ، وهم فرقة صغيرة بالنسبة لخصومهم الفرّيسيّين ، لكنّ احتكارهم لتأدية المراسم والطقوس داخل الهيكل جعلهم ذوي ثراء فاحش ومكانة مرموقة ومتميّزين في المجتمع اليهودي حتى خراب الهيكل ، والصدوقيون ينكرون خلود الروح ويقولون بأنها تموت مع الجسد ولا يؤمنون باليوم الآخر والثواب والعقاب ولا بوجود الملائكة ، ويعيبون على الفرّيسيين =

وفي الباب الثامن من إنجيل لوقا في حال الصبيّة[1] التي أحياها المسيح عليه السلام بإذن الله هكذا : « ٥٢ ــ وكان الجميع يبكون عليها ويلطمون فقال : لا تبكوا . لم تمت لكنّها نائمة (٥٣) فضحكوا عليه عارفين أنّها ماتت » ، وههنا لم يفهم الجميع مقصود المسيح عليه السلام ، ولذلك ضحكوا عليه .

وفي الباب التاسع من إنجيل لوقا قول المسيح عليه السلام في مخاطبة الحواريين هكذا : « ٤٤ ــ ضعوا أنتم هذا الكلام في آذانكم . إنّ ابن الإنسان سوف يسلّم إلى أيدي الناس (٤٥) وأمّا هم فلم يفهموا هذا القول وكان مخفى عنهم لكي لا يفهموه وخافوا أن يسألوه عن هذا القول » ، وههنا لم يفهم الحواريون ولم يسألوه خوفاً منه .

وفي الباب الثامن عشر من إنجيل لوقا هكذا : « ٣١ ــ وأخذ الإثني عشر وقال لهم : ها نحن صاعدون إلى أورشليم وسيتمّ كلّ ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان (٣٢) لأنّه يسلّم إلى الأمم ويُستهزأ به ويُشتم ويُتفل عليه (٣٣) ويجلدونه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم (٣٤) وأمّا هم فلم يفهموا من ذلك شيئاً وكان هذا الأمر مخفى عنهم ولم يعلموا ما قيل » ، وههنا أيضاً لم يفهم الحواريون مع أنّ هذا التفهيم كان في المرّة الثانية ، ولم يكن في الكلام إجمال بحسب الظاهر ، لعلّ سبب عدم الفهم هو أنّهم كانوا سمعوا من اليهود أنّ المسيح يكون سلطاناً عظيم الشأن ، فلمّا آمنوا بعيسى عليه السلام وصدّقوه

=تمسكهم بعادات الشيوخ وتقاليدهم ، ويحصرون تعاليمهم في الشريعة المكتوبة في نصّ الكتاب ، وأحرف الناموس المكتوب هي الملزمة فقط ، وكان المسيح عليه السلام يخاطب الفريقين ويصفهم بأنهم أولاد الأفاعي ويحذّر تلاميذه منهما ، ومن فرقتي الفريسيّين والصدوقيّين يتألف المجمع الذي حوكم أمامه عيسى وحكم عليه بالصلب ، وكان فيه الكاهنان حنانيا وقيافا وهما من الصدوقيين . (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩ ، والقاموس الإسلامي ٤/٢٦٢) .

(١) هي الصبيّة طليثا ابنة رئيس المجمع (مرقس ٥/٤١) .

بالمسيحية[1] فكانوا يظنون أنّه سيجلس على سرير السلطنة وهم أيضاً يجلسون على أسرّة السلطنة ؛ لأنّ عيسى عليه السلام كان وعدهم أنّهم يجلسون على اثني عشر سريراً ويحكم كل منهم على فرقة من فرق بني إسرائيل ، وكانوا حملوا هذه السلطنة على السلطنة الدنياويّة كما هو الظاهر ، وكان هذا الخبر مخالفاً لما ظنّوه ولما يرجونه ، فلذا لم يفهموا ، وستعرف عن قريب أنهم كانوا يرجون هكذا .

وأيضاً قد شبّه على تلاميذ عيسى عليه السلام من بعض الأقوال المسيحية[2] أمران ، ولم يَزُلْ هذا الإشتباه من أكثرهم أو كلّهم إلى الموت :

الأول : أنّهم كانوا يعتقدون أنّ يوحنّا لا يموت إلى القيامة .

والثاني : أنّهم كانوا يعتقدون أنّ القيامة تقوم في عهدهم كما عرفت مفصلاً في الباب الأوّل .

وهذا الأمر يقيني أنّ ألفاظ المسيح[3] عليه السلام بعينها ليست بمحفوظة في إنجيل من الأناجيل ، بل في كلٍّ توجد ترجمتها في اليوناني على ما فهم الرواة ، وقد عرفت مفصلاً في الشاهد الثامن عشر من المقصد الثالث من الباب الثاني أنّ إنجيل متّى لم يبق ، بل الباقي ترجمته ، ولم يعلم أيضاً اسم مترجمه بالجزم إلى الآن ، ولا يثبت بالسند المتصل أنّ الكتب الباقية من تصنيف الأشخاص المنسوبة إليهم ، وقد ثبت أن التحريف وقع في هذه الكتب يقيناً ، وثبت أنّ أهل الدين والديانة كانوا يُحرّفون قصداً لتأييد مسألة مقبولة أو لدفع اعتراض ، وقد عرفت في الشاهد الحادي والثلاثين من المقصد الثاني بالأدلة القوية أنّه ثبت

---

(١) ليس المراد هنا المسيحية بالمعنى الإصطلاحي السائد الآن ، بل المراد أنهم صدّقوه بكونه مسيحاً نبيّاً ، فقد كان من عادة اليهود مسح الملوك والأنبياء والكهنة .

(٢) أي الأقوال المنسوبة إلى المسيح .

(٣) في المطبوعة لفظ : (عيسى) وفي المخطوطة لفظ : (المسيح) .

تحريفهم في هذه المسألة(١) أيضاً ، فزادوا في الباب الخامس من الرسالة الأولى ليوحنا هذه العبارة : « في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد والذين يشهدون في الأرض »(٢).

وزادوا بعض الألفاظ في الباب الأول من إنجيل لوقا(٣)، وأسقطوا بعض الألفاظ من الباب الأول من إنجيل متّى(٤)، وأسقطوا الآية التامّة من الباب الثاني والعشرين من إنجيل لوقا(٥). ففي هذه الصورة لو وُجدت بعض الأقوال المسيحية المتشابهة الدالّة على التثليث لا اعتماد عليها مع أنّها ليست صريحة كما ستعرف في الأمر الثاني عشر من هذه المقدمة .

الأمر السابع : قد لا يدرك العقل ماهيّة بعض الأشياء وكنهها كما هي ، لكن مع ذلك يحكم بإمكانها ولا يلزم من وجودها عنده استحالة مّا ، ولذا تعدّ هذه الأشياء من الممكنات ، وقد يحكم بداهة أو بدليل قطعي بامتناع بعض

(١) في حاشية ق : أي مسألة التثليث . أهـ .

(٢) انظر رسالة يوحنا الأولى ٥/٧ ـ ٨ ، وقد وُضِعت هذه العبارة في طبعتي سنة ١٨٦٥م وسنة ١٩٨٣م بين قوسين هلاليّين للدلالة على أنّها ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها كما في التنبيه المذكور في الصفحة الأولى من هاتين الطبعتين ، وقد اعترف فندر في مناظرته مع المؤلف بإلحاقيتها ، وهي أكبر شاهد لهم على التثليث ، فكانت زيادتها من جانبهم للرد على الموحدين (انظر المناظرة الكبرى ص ٢٥٩) .

(٣) ففي فقرة إنجيل لوقا ١/٣٥ زيد لفظ (منك) وفي طبعتي سنة ١٨٦٥م و١٩٨٣م وضع هذا اللفظ بين قوسين هلاليين للدلالة على زيادته فصارت الفقرة كما يلي : « فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحلّ عليك وقوة العليّ تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود (منك) يدعى ابن الله » .

(٤) ففي إنجيل متى ١/١١ « ويوشيا ولد يكنيا » والصواب « ويوشيا ولد يهوياقيم ويهوياقيم ولد يكنيا » . فأسقط لفظ يهوياقيم لئلا يلزم الشكّ في المسيح نفسه ، وأسقط لفظ (قبل أن يجتمعا) من الفقرة ١٨ من الإصحاح الأول من إنجيل متّى ، وأسقط كذلك لفظ (ابنها البكر) من الفقرة ٢٥ لئلا يقع الشكّ في البكارة الدائمة لمريم .

(٥) نص فقرة إنجيل لوقا ٢٢/٤٣ كما يلي : « وظهر له ملاكٌ من السماء يقوّيه » وقد أُسقطت لأنّ تقوية الملك للرب منافية لألوهيته .

الأشياء ، ويلزم من وجودها عنده محال مّا ، ولذا تعدّ هذه الأشياء من الممتنعات ، وبين الصورتين فرق جليّ .

ومن القسم الثاني[1] : اجتماع النقيضينْ الحقيقيّينْ وارتفاعهما ، وكذا اجتماع الوحدة والكثرة الحقيقيتينْ في مادة شخصية في زمان واحد من جهة واحدة ، وكذا اجتماع الزوجية والفردية ، وكذا اجتماع الأفراد المختلفة ، وكذا اجتماع الأضداد ؛ مثل النور والظلمة ، والسواد والبياض ، والحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ، والعمى والبصر ، والسكون والحركة في المادة الشخصيّة مع اتحاد الزمان والجهة ، واستحالة[2] هذه الأشياء بديهية يحكم بها عقل كل عاقل ، وكذا من القسم الثاني : لزوم الدور والتسلسل[3] وأمثالهما يحكم العقل ببطلانها بأدلة قطعية .

الأمر الثامن : إذا تعارض القولان فلا بد من إسقاطهما إنْ لم يمكن التأويل ، أو من تأويلهما إنْ أمكن ، ولا بد أن يكون التأويل بحيث لا يستلزم المحال أو الكذب ، مثلاً : الآيات الدالة على الجسمية والشكل تعارضت ببعض الآيات الدالة على التنزيه ، فيجب تأويلها كما عرفت في الأمر الثالث ، لكن لا بد أن لا يكون التأويل بأنّ الله متصف بصفتين[4] ـ أعني الجسمية والتنزيه ـ وإنْ لم تدرك عقولنا هذا الأمر فإنّ هذا التأويل باطل محض واجب الرد لا يرفع التناقض .

---

(١) القسم الأول : أي الممكنات ، والقسم الثاني : أي الممتنعات .

(٢) في حاشية ق : مبتدأ . أهـ .

(٣) الدور هو : توقف الشيء على ما يتوقف عليه ويسمى الدور المصرّح كما يتوقف أ على ب وبالعكس ، أو بمراتب ويسمى الدور المضمر كما يتوقف أ على ب وب على ج وج على أ . والتسلسل هو : ترتيب أمور غير متناهية (التعريفات ص ٥٩ و ١١٠ والقاموس الإسلامي ٢/٤٠٦) .

(٤) أي : المتعارضتين .

الأمر التاسع : العدد لمّا كان قسماً من الكمّ لا يكون قائماً بنفسه بل بالغير ، وكل موجود لا بد أن يكون معروضاً للوحدة أو الكثرة ، والذوات الموجودة الممتازة بالامتياز الحقيقي المتشخّصة بالتشخّص تكون معروضة للكثرة الحقيقيّة ، فإذا صارت معروضة لها لا تكون معروضة للوحدة الحقيقية وإلاّ يلزم اجتماع الضدّين الحقيقيينّ كما عرفت في الأمر السابع ، نعم يجوز أن تكون معروضة للوحدة الاعتبارية بأن يكون المجموع كثيراً حقيقياً وواحداً اعتبارياً .

الأمر العاشر : المنازعة بيننا وبين أهل التثليث لا تتحقق ما لم يقولوا : إنّ التثليث والتوحيد كليهما حقيقيّان ، وإن قالوا : إنّ التثليث حقيقي والتوحيد اعتباري فلا نزاع بيننا وبينهم[1]، لكنهم يقولون: إنّ كلاّ منهما حقيقي كما هو مصرح به في كتب علماء البروتستانت ، قال صاحب ميزان الحق في الباب الأول من كتابه المسمى بـ (حلّ الاشكال) هكذا : « إنّ المسيحيّين يحملون التوحيد والتثليث كليهما على المعنى الحقيقي » .

الأمر الحادي عشر : قال العلامة المقريزي في كتابه المسمى بـ (الخطط) في بيان الفرق المسيحية التي كانت في عصره : « النصارى فرق كثيرة : الملكانية[2] والنسطورية[3] واليعقوبية[4] والبوذعانية والمرقولية وهم الرهاويون الذين كانوا بنواحي حرّان وغير هؤلاء . . . والملكانية واليعقوبية والنسطورية متفقون على

---

(١) في حاشية ق : فيكونوا مشركين . أهـ .

(٢) هم أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها ومعظم الروم ملكانية ، ويرأسهم البابا في روما ويُسمّون الكاثوليك .

(٣) هم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون ، وتصرّف بالأناجيل بحكم رأيه ، وينتشرون في بلاد ما بين النهرين .

(٤) هم أصحاب شخص اسمه يعقوب البرادعي المتوفى سنة ٥٧٨م ، وكان أتباعه من السريان وأول من أطلق عليهم اسم اليعاقبة هو سعيد بن البطريق ، (المتوفى سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م) ، وينتشرون في مصر .

أنّ معبودهم ثلاثة أقانيم ، وهذه الأقانيم الثلاثة شيء واحد وهو جوهر قديم ، ومعناه آب وابن وروح القدس إله واحد . . . . قالوا : والابن اتحاد بإنسان مخلوق فصار هو وما اتحد به مسيحاً واحداً ، وإنّ المسيح هو إله العباد وربهم . ثم اختلفوا في صفة الاتحاد ، فزعم بعضهم أنّه وقع بين جوهر لاهوتي وجوهر ناسوتي اتحاد فصارا مسيحاً واحداً ، ولم يُخرج الاتحاد كلَّ واحد منهما عن جوهريّته وعنصره ، وأنّ المسيح إله معبود وأنّه ابن مريم الذي حملته وولدته ، وأنّه قُتل وصُلب[1].

وزعم قوم أن المسيح بعد الاتحاد جوهران : أحدهما : لاهوتي والآخر : ناسوتي ، وأنّ القتل والصلب وقعا به من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، وأن مريم حملت بالمسيح وولدته من جهة ناسوته ، وهذا قول النسطورية ، ثم يقولون : إنّ المسيح بكماله إله معبود وإنّه ابن الله ـ تعالى عن قولهم[2].

---

(١) أي إنّ القتل والصلب وقعا على الناسوت واللاهوت معا ، وهو قول الملكانية ، ويقولون بأنّ الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرّعت بناسوته ، ويعنون بالكلمة : أقنوم العلم ، ويعنون بروح القدس : أقنوم الحياة ، ولا يسمّون العلم قبل تدرّعه ابناً ، بل المسيح مع ما تدرّع به ابن ، وأنّ الكلمة اتحدت بعيسى بالممازجة فمازجت جسد المسيح كما يمازج الماء الخمر أو اللبن ، وصرّحوا بأنّ الجوهر غير الأقانيم وذلك كالموصوف والصفة ، وأنّ المسيح ناسوت كلّي لا جزئي وهو قديم أزلي من قديم أزلي ، وأنّ مريم ولدت إلهاً هو الذي قُتل وصُلب بلاهوته وناسوته معا . (الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٢٢) .

(٢) فالنسطورية يقولون بأنّ الله واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة ، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو ، وأنّ الكلمة اتحدت بجسد عيسى لا على طريق الملكانية بالإمتزاج ولا على طريقة اليعقوبية بالظهور ، ولكن كإشراق الشمس على البلّور وأنّ الابن المتولد من الآب اتحد بجسد المسيح حين وُلد ، فهو إله وإنسان اتحدا ، فهما جوهران وأقنومان وطبيعتان : إله تامّ ، وإنسان تامّ ، ولم يُبطل الإتحاد قِدم القديم ولا حدوث المحدَث لكنهما صارا مسيحاً واحداً وطبيعة واحدة ، وأنّ القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، لأنّ الإله تحلّه الآلام . (الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٢٤) .

وزعم قوم أنّ الاتحاد وقع بين جوهريْن لاهوتي وناسوتي ، فالجوهر اللاهوتي بسيط غير منقسم ولا متجزىء .

وزعم قوم أنّ الاتحاد على جهة حلول الابن في الجسد ومخالطته إيّاه ، ومنهم من زعم أن الاتحاد على جهة الظهور كظهور كتابة الخاتم والنقش إذا وقع على طين أو شمع ، وكظهور صورة الإنسان في المرآة[1]، إلى غير ذلك من الاختلاف الذي لا يوجد مثله في غيرهم حتى لا تكاد تجد اثنين منهم على قول واحد .

والملكانية تُنسب إلى ملك الروم ، وهم يقولون : إنّ الله اسم لثلاثة معان ، فهو واحد ثلاثة وثلاثة واحد .

واليعقوبية تقول : إنّه واحد قديم وإنّه كان لا جسم ولا إنسان ثم تجسّم وتأنّس[2].

والمرقولية قالوا : الله واحد وعلمه غيره قديم معه ، والمسيح ابنه على جهة الرحمة كما يقال : إبراهيم خليل الله »[3] انتهى كلامه بلفظه .

---

(١) هذا هو قول اليعقوبية .

(٢) فاليعقوبية يقولون بأنّ الكلمة انقلبت لحماً ودماً ، فصار الإله هو المسيح الظاهر بجسده وهو هو ، فالمسيح هو الله ، فاللاهوت ظهر بالناسوت وصار ناسوت المسيح مظهر الجوهر لا على طريق حلول جزء فيه ، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة ، بل صار هو هو بطريق الظهور كما يظهر الملَك بصورة إنسان أو يظهر الشيطان بصورة حيوان ، وكظهور صورة الإنسان في المرآة المجلوّة ، فهو جوهر واحد وأقنوم واحد من جوهرين ، وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين ، فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدَث تركّبا تركيباً فصارا أقنوماً واحداً وجوهراً واحداً كالنفس والبدن ، فهو إنسان كله ، وإله كله ، فيقال : الإنسان صار إلهاً ، ولا يقال : الإله صار إنساناً ، وأنّ مريم ولدت إلهاً لا إنساناً فهو جوهر من جوهرين ، وأنّ القتل والصلب وقعا على الجوهر الذي هو من جوهرين ولو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد ، فالكلمة لم تأخذ من مريم شيئاً لكنها مرت بها كمرور الماء بالميزاب . (الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٢٥) .

(٣) نصّ المقريزي دققته على طبعة المطبعة الأميريّة بالقاهرة سنة ١٢٧٠هـ ج ٢ ص ٥٠٠ ـ ٥٠١ ، ومثلها طبعة دار صادر بيروت المصوّرة عن سابقتها ، وعلى طبعة دار إحياء العلوم جـ٣/٤٠٧ ـ ٤٠٨ مطبعة الساحل الجنوبي ، الشياح ، لبنان .

فظهر لك أن آراءهم في بيان علاقة الاتحاد بين أقنوم الابن وجسم المسيح كانت مختلفة في غاية الاختلاف ، ولذا ترى البراهين الموردة في الكتب القديمة الإسلامية مختلفة ، ولا نزاع لنا في هذه العقيدة مع المرقولية إلّا باعتبار إطلاق اللفظ الموهم .

وفرقة البروتستانت لما رأوا أنّ بيان علاقة الاتحاد لا يخلو عن الفساد البيّن تركوا آراء الأسلاف وعجّزوا أنفسهم واختاروا السكوت عن بيانها وعن بيان العلاقة بين الأقانيم الثلاثة .

الأمر الثاني عشر : عقيدة التثليث[1] ما كانت في أمة من الأمم السابقة من عهد آدم إلى عهد موسى عليه السلام ، وهَوَسَاتُ أهل التثليث بتمسّكهم ببعض آيات سفر التكوين لا تتمّ علينا لأنّها في الحقيقة تحريف لمعانيها ، ويكون المعنى على تمسّكهم من قبيل كون المعنى في بطن الشاعر[2]، ولا أدَّعي أنّهم

---

(١) التثليث: هو اعتقاد النصارى بأنّ الله تعالى ثلاثة أقانيم (أي أحوال أو صفات أو أصول) وهي : الآب (الذي هو الله تعالى) ، والإبن (الذي هو عيسى ابن مريم) ، والروح القدس (الذي هو جبريل) ، وأنّهم جميعاً متساوون من حيث الأزليّة وجوهر الإلهية والقدرة . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٢ ، والقاموس الإسلامي ٥٣٣/١ ، والموسوعة الميسرة ص ٥٧٨ ، ودائرة وجدي ٧٥٩/٢) .

(٢) أي غير واضح ، ويعترف النصارى بأنّ كلمة التثليث أو الثالوث لم تردْ في الكتاب المقدس وأنّ إيمان الكنيسة بلاهوت المسيح هو الدافع الحتمي لإقرار عقيدة التثليث ، ولهم تناقضات عجيبة في الحديث عنها ، وأكتفي بما نقله كتّاب قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٢ حيث قال : « في طبيعة هذا الإله الواحد تظهر ثلاثة خواصّ أزليّة ، يعلنها الكتاب في صورة شخصيات (أقانيم) متساوية . ومعرفتنا بهذه الشخصية المثلثة الأقانيم ليست إلا حقاً سماوياً أعلنه لنا الكتاب في العهد القديم بصورة غير واضحة المعالم ، لكنّه قدّمه في العهد الجديد واضحاً ، ويمكن أن نلخص العقيدة في هذه النقاط الست التالية :

١ ـ الكتاب المقدّس يقدّم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله .
٢ ـ هؤلاء الثلاثة يصفهم الكتاب بطريقة تجعلهم شخصيّات متميزة الواحدة عن الأخرى .
٣ ـ هذا التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتاً أو ظاهرياً بل أبدي وحقيقي .=

لا يتمسكون بزعمهم بآية من آيات السفر المذكور ؛ بل أدّعي أنّه لم يثبت بالنص كون هذه العقيدة لأمّة من الأمم السالفة[1]. وأمّا أنّها ليست بثابتة في الشريعة الموسوية وأمته فغير محتاج إلى البيان ؛ لأنّ من طالع هذه التوراة المستعملة لا يخفى عليه هذا الأمر . ويحيى عليه السلام كان إلى آخر عمره

= ٤ ـ هذا التثليث لا يعني ثلاثة آلهة بل إنّ هذه الشخصيات الثلاث جوهر واحد .

٥ ـ الشخصيات الثلاث الآب والابن والروح القدس متساوون .

٦ ـ ولا يوجد تناقض في هذه العقيدة ، بل بالأحرى أنّها تقدّم لنا المفتاح لفهم باقي العقائد المسيحية . . .

ولقد كان يقين الكنيسة وإيمانها بلاهوت المسيح هو الدافع الحتمي لها لتصوغ حقيقة التثليث في قالب يجعلها المحور الذي تدور حوله كل معرفة المسيحيين بالله في تلك البيئة اليهودية أو الوثنية وتقوم عليه .

والكلمة نفسها «التثليث أو الثالوث» لم تردْ في الكتاب المقدس ، ويُظنّ أنّ أول مَن صاغها واخترعها واستعملها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد ، ثم ظهر سبيليوس ببدعته في منتصف القرن الثالث وحاول أن يفسّر العقيدة بالقول (إنّ التثليث ليس أمراً حقيقياً في الله لكنّه مجرد إعلان خارجي فهو حادث مؤقت وليس أبدياً) ، ثم ظهرت بدعة آريوس الذي نادى بأنّ الآب وحده هو الأزلي بينما الابن والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر الخليقة ، وأخيراً ظهر اثناسيوس داحضاً هذه النظريات وواضعاً أساس العقيدة التي قبلها واعتمدها مجمع نيقية في عام ٣٢٥ ميلادية .

ولقد تبلور قانون الإيمان الاثناسيوسي على يد أغسطينوس في القرن الخامس ، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا ». انتهى منه بلفظه .

(١) يقصد بالأمم السالفة: الأمم من عهد آدم إلى عهد موسى عليهما السلام ، وقد وُجدت عقيدة التثليث عند كثير من الأمم الوثنية ، وقد ألّف محمد طاهر التنّير كتاباً سمّاه (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) بيّن فيه التشابه الكبير بين عقيدتي التثليث والصلب عند الهنود وأهل التبت وعند النصارى ، وكتب عبدالله العلمي عن التثليث عند قدماء اليونان والرومان في كتاب مؤتمر تفسير سورة يوسف ، وكُتب في ذلك كلام جيد في دائرة معارف لاروس الفرنسية للقرن التاسع عشر الميلادي ، وهو منقول في كتاب سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية لعبدالله العلمي ص ١٩ ـ ٢٠) .

شاكّاً في المسيح عليه السلام بأنه المسيح الموعود أم لا ، كما صرح به في الباب الحادي عشر من إنجيل متّى أنّه أرسل اثنين من تلاميذه ، وقال له : أنت هو الآتي أم ننتظر آخر ؟[1] فلو كان عيسى عليه السلام إلهاً يلزم كفره[2]، إذْ الشكّ في الإله كفر . وكيف يُتصوّر أنّه لا يعرف إلهه وهو نبيّه ؟![3] بل هو أفضل الأنبياء بشهادة المسيح كما هي مصرحة في هذا الباب[4]. وإذا لم يعرف الأفضل مع كونه معاصراً فعدم معرفة الأنبياء الآخرين السابقين على عيسى أحق بالاعتبار ، وعلماء اليهود من لدن موسى عليه السلام إلى هذا الزمان لا يعترفون بها ، وظاهر أنّ ذات الله وصفاته الكماليّة قديمة غير متغيّرة موجودة أزلاً وأبداً ، فلو كان التثليث حقّاً لكان الواجب على موسى عليه السلام وأنبياء بني إسرائيل أن يبيّنوه حقّ التبيين .

فالعجب كل العجب أن تكون الشريعة الموسوية التي كانت واجبة الإطاعة لجميع الأنبياء إلى عهد عيسى عليهم السلام خالية عن بيان هذه العقيدة التي هي مدار النجاة على زعم أهل التثليث ، ولا يمكن نجاة أحد بدونها نبياً كان أو غير نبي ، ولا يبينّ موسى ولا نبي من الأنبياء الإسرائيلية هذه العقيدة ببيان واضح بحيث تفهم منه هذه العقيدة صراحة ، ولا يبقى شكّ مّا ، ويبينّ موسى عليه السلام الأحكام التي هي عند مقدّس أهل التثليث[5] ضعيفة ناقصة جدّاً بالتشريح التامّ ، ويكررها[6] مرة بعد أولى وكرّة بعد أخرى ، ويؤكّد على

---

(1) انظر إنجيل متّى ١١/٢-٣ .

(2) الضمير يرجع إلى يحيى لا إلى عيسى كما قد يُتوهم ، أي كفر يحيى .

(3) لأنّه إذا كان عيسى إلهاً فيكون يحيى نبيّه ، فيلزم من الشكّ هنا أن يحيى شكّ في إلهه ويلزم منه كفر يحيى عليه السلام وحاشاه .

(4) ففي إنجيل متّى ١١/١١ قول المسيح في حق يحيى عليهما السلام : « الحقّ أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان » .

(5) أي بولس .

(6) أي موسى عليه السلام .

محافظتها تأكيداً بليغاً ، ويوجب القتل على تارك بعضها .

وأعجب منه أن عيسى عليه السلام أيضاً ما بيّن هذه العقيدة إلى عروجه ببيان واضح مثلاً بأن يقول : إنّ الله ثلاثة أقانيم[1] الآب والابن وروح القدس ، وأقنوم الابن تعلّق بجسمي بعلاقة فلانية ، أو بعلاقة فهمها خارج عن إدراك عقولكم فاعلموا أني أنا الله لا غير لأجل العلاقة المذكورة ، أو يقول كلاماً آخر مثله في إفادة هذا المعنى صراحة ، وليس في أيدي أهل التثليث من أقواله إلّا بعض الأقوال المتشابهة .

قال صاحب ميزان الحق في كتابه المسمى بـ (مفتاح الأسرار) : « إنْ قلت لِمَ لَمْ يبيّن المسيح ألوهيته ببيان أوضح مما ذكر ، ولِمَ لَمْ يقل واضحاً ومختصراً : إني أنا الله لا غير ؟ » فأجاب أوّلاً بجواب غير مقبول لا يتعلق غرضنا بنقله في هذا المحلّ ، ثم أجاب ثانياً : « بأنّه ما كان أحد يقدر على فهم هذه العلاقة والوحدانية قبل قيامه [يعني من الأموات] وعروجه ، فلو قال صراحة لفهموا أنه إله بحسب الجسم الإنساني وهذا الأمر كان باطلاً جزماً ، فدرْك هذا المطلب أيضاً من المطالب التي قال في حقها لتلاميذه : (إنّ لي أموراً كثيرة أيضاً

---

(١) أقانيم : في حاشية ق : بمعنى الأصل وهو لفظ يوناني . أهـ . فالأقانيم : الأصول ، ومفردها أقنوم ، قال الجوهري : « وأحسبها رومية » ، والأقانيم الثلاثة عند النصارى هي : الآب والابن والروح القدس ، والرابطة التي تربط بين هذه الأصول بأقانيمها الثلاثة تسمى لوغوس ، وهي فكرة وردت في الفلسفة اليونانية ويُراد بها أساساً الرباط بين الله والعالم ، وقد أطلق الرواقيون اللوغوس على الإله باعتباره القانون الفعال الذي يقود العالم ، وفي الأفلاطونية الجديدة اختلطت فكرة اللوغوس بنظرية الصدور ، وتأثر بذلك يوحنا أحد طلاب مدرسة الإسكندرية الفلسفية التي أخذت على عاتقها الجمع بين الفلسفة اليونانية والمسيحية الجديدة ، ويبدو ذلك واضحاً من الإصحاح الأول من إنجيله ، فقد أتى فيه بما لم يأت في سائر الأناجيل ، وأكتفي بنقل الفقرتين التاليتين وهما : « ١ ـ في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ١٤ ـ والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا » . (لسان العرب ٤٩٦/١٢ ، والقاموس المحيط ص ٧٦٣ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١٥٧٧ و ١٩٨٢ ، وسوسنة سليمان ص ١٦٠) .

لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية) »[1].

ثم قال : « إنّ كبار ملّة اليهود أرادوا مراراً أن يأخذوه ويرجموه ، والحال أنّه ما كان بيّن ألوهيته بين أيديهم إلاّ على طريق الألغاز » .

فعُلم من كلامه عذران :

الأوّل ؛ عدم قدرة فهم أحدٍ قبل العروج .

والثاني : خوف اليهود . وكلاهما ضعيفان في غاية الضعف .

أمّا الأول : فإنّه كان هذا القدر يكفي لدفع الشبهة : أنّ علاقة الاتحاد التي بين جسمي وبين أقنوم الابن فهمها خارج عن وسعكم فاتركوا تفتيشها واعتقِدوا بأنّي لست إلهاً باعتبار الجسم ، بل بعلاقة الاتحاد المذكور . وأما نفس عدم القدرة على فهمها فباقية بعد العروج أيضاً حتّى لم يعلم عالم من علمائهم إلى هذا الحين كيفيّة هذه العلاقة والوحدانية ! ومن قال ما قال فقوله رجم بالغيب لا يخلو عن مفسدة عظيمة ، ولذا ترك علماء فرقة البروتستانت بيانها رأساً ، وهذا القسيس يعترف في مواضع من تصانيفه بأنّ هذا الأمر من الأسرار خارج عن دَرْك العقل .

وأما الثاني[2]: فلأنّ المسيح عليه السلام ما جاء عندهم إلاّ لأجل أن يكون كفارة لذنوب الخلق ، ويصلبه اليهود ، وكان يعلم يقيناً أنّهم يصلبونه ، ومتى يصلبونه فأيّ محل للخوف من اليهود في بيان العقيدة ؟ والعجب أن خالق

---

(١) انظر إنجيل يوحنّا ١٦/١٢ ـ ١٣ .

(٢) أي عدم بيان المسيح لألوهيته خوفاً من اليهود أن يأخذوه ويرجموه .

الأرض والسماء والقادر على ما يشاء يخاف من عباده الذين هم من أذلّ أقوام الدنيا ، ولا يبيّن لأجل خوفهم العقيدةَ التي هي مدار النجاة ، وعباده من الأنبياء مثل إرميا وإشعيا ويحيى عليهم السلام لا يخافون منهم في بيان الحق ، ويؤذَوْن إيذاء شديداً ، ويُقتل بعضُهم ، وأعجب منه أن المسيح عليه السلام يخاف منهم في بيان هذه المسألة العظيمة ، ويشدّد عليهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غاية التشديد حتى يصل النّوبة[1] إلى السب ، ويخاطب الكتبة والفرّيسيين مشافهة بهذه الألفاظ : ويل لكم أيها الكتبة[2] والفرّيسيون[3] المراؤون . وويل لكم أيها القادة العميان . وأيها الجهال العميان . وأيها الفرّيسي الأعمى . وأيها الحيّات والأفاعي . كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ !. ويُظهر قبائحهم على رؤوس الأشهاد حتى شكا بعضهم بأنّك تشتمنا كما هو مصرّح به في الباب الثالث والعشرين من إنجيل متّى ، والحادي

---

(١) في المعجم الوسيط صفحة ٩٦١ أنّ : النَّوْبة والنُّوبَة بمعنى النازلة والمصيبة . والمعنى حتى يصل به الأمر والنهي إلى سبّهم وشتمهم .

(٢) الكتبة : في حاشية ق : لم يكونوا قبيلة مخصوصة ، ولكنهم كانوا ينسخون الكتب المقدسة ويميلون إلى مطالعة العلوم ويفسرون التوراة . أهـ . ولما كانت التوراة وشريعتها تسمى : الناموس ، لذلك أطلق العهد الجديد على الكتبة اسم (ناموسيين) و(معلمي الشريعة) ؛ لأنهم قد خصصوا أنفسهم لدراسة الناموس وتفسيره وتعليمه ، وكان شرحهم للناموس مدنياً ودينياً محاولين تطبيقه على تفاصيل الحياة اليومية ، وقد أصبحت قرارات عظماء الكتبة شريعة شفاهية تدعى : التقالبد ، وهؤلاء الكتبة هم الذين سمّاهم القرآن الكريم بالأحبار والربانيين ، والواحد اسمه : حبر وربّي . (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٩) .

(٣) الفرّيسيّون : في حاشية ق : هم أعظم فرقة بين اليهود ، وأغلب علمائهم والكتبة كانوا منهم . أهـ . وكلمة فرّيسي من اللغة الآرامية ومعناها : المنعزل وقد تكون هذه التسمية عبرانية تدلّ على معنى الإفراز ويراد بذلك إفرازهم عن الشعب باعتبار القداسة المنسوبة إليهم . والفرّيسيّون هم إحدى فرق اليهود الرئيسية الثلاث وأضيقها رأياً وتعليماً ، وكانت تناهض فرقتي الصدوقيين والأسينيين ، وقد ظهر الفرّيسيّون باسمهم الخاص في عهد يوحنا هركانوس (١٣٥ ـ ١٠٥ ق.م) الذي كان منهم ثم تركهم والتحق بالصدوقيين ، ثم سعى ابنه اسكندرينايوس المكابي من بعده إلى إبادتهم ، لكن زوجته الكساندرة التي خلفته على العرش سنة

عشر من إنجيل لوقا[1]، وأمثال هذا مذكورة في المواضع الأخر من الإنجيل أيضاً ، فكيف يُظنّ بالمسيح عليه السلام أن يترك بيان العقيدة التي هي مدار النجاة لأجل خوفهم ؟ ! حاشا ثم حاشا أن يكون جنابه هكذا . وعُلم من كلامه أنّ المسيح عليه السلام ما بيّن هذه المسألة عند اليهود قطّ إلاّ بطريق الألغاز[2] وأنّهم كانوا ينكرون هذه العقيدة أشد الإنكار حتى أرادوا رجمه مراراً على البيان الإلغازي .

---

٧٨ ق.م رعتهم حتى قوى نفوذهم وتسلّطوا على حياة اليهود الدينية وأصبحوا قادتهم الدينيين ، وكان عقيدتهم أنهم يؤمنون بخلود النفس وبالقيامة والجزاء ، ويمتازون بالحرص الشديد على التعاليم الدينية شفوية أو تحريرية ، غير أنه دخل في فرقتهم مع الزمن منافقون ومراؤون كثيرون ، ففسد جهازهم فساداً استحقوا لأجله التوبيخ القاسي من المسيح عليه السلام . (سوسنة سليمان في العقائد والأديان ص ١٢٦ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٩٩) .

(١) انظر إنجيل متّى ٢٣/١٣ - ٣٧ ، وإنجيل لوقا ١١/٣٧ - ٥٢ ، والألفاظ المذكورة هي أوائل بعض الفقرات ، وشكايتهم من الشتم في إنجيل لوقا ١١/٤٥ .

(٢) الألغاز : جمع لغز ، وأصله جحر الضبّ والفأر واليربوع فهو ملتوٍ ومعمّى (لسان العرب ٥/٤٠٥) .

الفصل الأول

(في إبطال التثليث بالبراهين العقلية)

البرهان الأول : لما كان التثليث والتوحيد حقيقيّين عند المسيحيّين بحكم الأمر العاشر من المقدمة ، فإذا وجد التثليث الحقيقي فلا بدّ من أن توجد الكثرة الحقيقية أيضاً بحكم الأمر التاسع من المقدّمة ، ولا يمكن بعد ثبوتها ثبوت التوحيد الحقيقي ، وإلاّ يلزم اجتماع الضدّين الحقيقيّين بحكم الأمر السابع من المقدمة ، وهو محال ، فلزم تعدّد الوُجَبَاء[1]، وفات التوحيد يقيناً ، فقائل التثليث لا يمكن أن يكون موحّداً لله تعالى بالتوحيد الحقيقي .

والقول (بأنّ التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي وإنْ كانا ضدّين حقيقيّين في غير الواجب لكنهما ليسا كذلك فيه)[2] سفسطةٌ محضة ؛ لأنه ذا ثبت أن الشيئين بالنظر إلى ذاتيهما ضدّان حقيقيّان أو نقيضان في نفس الأمر فلا يمكن اجتماعهما في أمر واحد شخصي في زمان واحد من جهة واحدة واجباً كان ذلك الأمر أو غير واجب ؛ كيف :

(١) وأن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح ، والثلاثة لها ثلث صحيح وهو واحد .

(٢) وأنّ الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة ، والواحد الحقيقي ليس مجموع آحاد رأساً .

---

(١) في حاشية ق : جمع واجب . أهـ . ويقصد به المؤلّفُ واجبَ الوجود ، وهو الذي يكون وجوده من ذاته ولا يحتاج إلى شيء أصلًا (التعريفات للجرجاني ص ٢٦٩) .

(٢) أي ليسا ضدّين حقيقيّين في الواجب - بزعمهم .

(٣) وأنّ الواحد الحقيقي جزء الثلاثة ، فلو اجتمعا[١] في محل واحد يلزم كون الجزء كلاّ والكلّ جزءاً .

(٤) وأنّ هذا الاجتماع يستلزم كون الله مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكلّ والجزء على هذا التقدير ، والكلّ مركب ، فكلّ جزء من أجزائه أيضاً مركب من الأجزاء التي تكوّن عينْ هذا الجزء ، وهلمّ جرّاً ، وكون الشيء مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعاً .

(٥) وأنّ هذا الإجتماع يستلزم كون الواحد ثلث نفسه ، والثلاثة ثلث الواحد ، وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها ، والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة .

البرهان الثاني : لو وجد في ذات الله ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي كما قالوا فمع قطع النظر عن تعدد الوُجَباء يلزم أن لا يكون الله حقيقة محصّلة بل مركّباً اعتبارياً ، فإنّ التركيب الحقيقي لا بدّ فيه من الافتقار بين الأجزاء ، فإنّ الحجر الموضوع بجنب الإنسان لا يحصل منهما حقيقة[٢] أحديّة ، ولا افتقار بين الواجبات لأنّه من خواصّ الممكنات ، فالواجب لا يفتقر إلى الغير ، وكلُّ جزءٍ منفصلٌ عن الآخر وغيرُه[٣] وإنْ كان داخلاً في المجموع ، فإذا لم يفتقر بعض الأجزاء إلى بعض آخر لم تتألّف منها الذات الأحديّة ، على أنّه يكون الله في الصورة المذكورة مركّباً ، وكل مركّب يفتقر في تحققه إلى تحقّق كلّ واحد من أجزائه ، والجزء غير الكلّ بالبداهة ، فكلّ مركب مفتقر إلى غيره ، وكلّ مفتقر إلى غيره ممكن لذاته فيلزم أن يكون الله ممكناً لذاته ، وهذا باطل .

---

(١) في حاشية ق : أي التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي . أهـ .

(٢) كلمة (حقيقة) ساقطة من المطبوعة والمقروءة وأخذتها من المخطوطة .

(٣) في حاشية ق : أي مغاير . أهـ . فهي معطوفة على «منفصل» لا على «الآخرِ» .

البرهان الثالث : إذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الأقانيم فالأمر الذي حصل به هذا الامتياز إمّا أن يكون من صفات الكمال أو لا يكون ، فعلى الشقّ الأول لم تكن جميع صفات الكمال مشتركاً فيها بينهم ، وهو خلاف ما تقرّر عندهم أنّ كل أقنوم من هذه الأقانيم متصف بجميع صفات الكمال ، وعلى الشق الثاني فالموصوف به يكون موصوفاً بصفة ليست من صفات الكمال ، وهذا نقصان يجب تنزيه الله عنه .

البرهان الرابع : الاتحاد بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي لو كان حقيقياً لكان أقنوم الابن محدوداً متناهياً ، وكلّما كان كذلك كان قبوله للزيادة والنقصان ممكناً ، وكلّما كان كذلك كان اختصاصه بالمقدار المعيّـن لتخصيص مخصِّص وتقدير مقدِّر ، وكلّما كان كذلك فهو مُحْدَث ، فيلزم أن يكون أقنوم الابن مُحْدَثاً ويستلزم حدوثه حدوث الله .

البرهان الخامس : لو كانت الأقانيم الثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي وجب أن يكون المميِّز غير الوجوب الذاتي ؛ لأنّه[1] مشترك بينهم ، وما به الاشتراك غير ما به الامتياز ، فيكون كلّ واحد منهم مركّباً من جزأين ، وكل مركب ممكن لذاته ، فيلزم أن يكون كلّ واحد منهم ممكناً لذاته .

البرهان السادس : مذهب اليعقوبيّة باطل صريح ؛ لأنه يستلزم انقلاب القديم بالحادث ، والمجرّد بالمادّي ، وأما مذهب غيرهم فيقال في إبطاله : إنّ هذا الاتحاد إمّا بالحلول أو بغيره ، فإن كان الأول فهو باطل من وجوه ثلاثة على وفق عدد التثليث :

---

(١) أي الوجوب الذاتي .

أما أولاً : فلأن ذلك الحلول لا يخلو : إمّا أن يكون كحلول ماء الورد في الورد ، والدهن في السمسم ، والنار في الفحم ، وهذا باطل ؛ لأنّه إنّما يصحّ لو كان أقنوم الابن جسماً ، وهم وافقونا على أنه ليس بجسم ، وإمّا أن يكون كحصول اللون في الجسم ، وهذا أيضاً باطل ، لأنّ المعقول من هذه التبعيّة حصول اللون في الحيّز لحصول محلّه في هذا الحيّز ، وهذا أيضاً إنّما يُتصوّر في الأجسام ، وإمّا أن يكون كحصول الصفات الإضافية للذوات ، وهذا أيضاً باطل لأنّ المعقول من هذه التّبعيّة الاحتياج ، فلو ثبت حلول أقنوم الابن بهذا المعنى في شيء كان محتاجاً ، فكان ممكناً ، فكان مفتقراً إلى المؤثر وذلك محال ، وإذا ثبت بطلان جميع التقادير امتنع إثباته .

وأما ثانياً : فلأنّا لو قطعنا النظر عن معنى الحلول نقول : إنّ أقنوم الابن لو حلّ في الجسم ، فذلك الحلول إمّا أن يكون على سبيل الوجوب أو على سبيل الجواز ، فلا سبيل إلى الأوّل[1] ؛ لأنّ ذاته إمّا أن تكون كافية في اقتضاء هذا الحلول[2] أو لا تكون كافية في ذلك ، فإنْ كان الأوّل[3] استحال توقف ذلك الاقتضاء علي حصول شرط ، فيلزم إمّا حدوث الله ، أو قِدَم المحلّ ، وكلاهما باطلان ، وإنْ كان الثاني[4] كان كونه مقتضياً لذلك الحلول أمراً زائداً على ذاته حادثاً فيه ، فيلزم من حدوث الحلول حدوث شيء فيه ، فيكون قابلاً للحوادث ، وذلك محال لأنّه لو كان كذلك[5] لكانت تلك القابليّة من لوازم

---

(١) أي وجوب الحلول .

(٢) في حاشية ق : أي لا يتوقف هذا الحلول على شيء آخر . أهـ . أي إنه إذا أراد الحلول في جسم فلا يحتاج لغيره ولا يستعين بسواه ، فيستطيع الحلول بقدرته الذاتيّة .

(٣) أي إنّ ذاته تكون كافية في اقتضاء الحلول .

(٤) أي إن ذاته لا تكون كافية في اقتضاء الحلول .

(٥) أي كونه قابلاً للحوادث .

ذاته ، وكانت حاصلة أزلاً ، وذلك محال ؛ لأنّ وجود الحوادث في الأزل محال . ولا سبيل إلى الثاني[1] لأنّه على هذا التقدير يكون ذلك الحلول زائداً على ذات الأقنوم ، فإذا حلّ في الجسم وجب أن يحلّ فيه صفة محدثة ، وحلولها يستلزم كونه قابلاً للحوادث ، وهو باطل كما عرفت .

وأمّا ثالثاً : فلأنّ أقنوم الابن إذا حلّ في جسم عيسى عليه السلام فلا يخلو إمّا أن يكون باقياً في ذات الله أيضاً أوْ لا : فإنْ كان الأوّل لزم أن يوجد الحالّ الشخصي في محلّين ، وإنْ كان الثاني لزم أن تكون ذات الله خالية عنه فينتفي ؛ لأنّ انتفاء الجزء يستلزم انتفاء الكلّ ، وإنْ كان ذلك الاتحاد بدون الحلول فنقول : إنّ أقنوم الإبن إذا اتحد بالمسيح عليه السلام فهما في حال الاتحاد : إنْ كانا موجودين فهما اثنان لا واحد فلا اتحاد ، وإنْ عُدما وحصل ثالث فهو أيضاً لا يكون اتحاداً بل عدم الشيئين وحصول شيء ثالث ، وإنْ بقي أحدهما وعُدم الآخر فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالموجود ؛ لأنه يستحيل أن يُقال : المعدوم بعينه هو الموجود ، فظهر أنّ الاتحاد محال .

ومَن قال : إنّ الاتحاد على جهة الظهور كظهور كتابة الخاتم إذا وقع على طين أو شمع ، أو كظهور صورة الإنسان في المرآة ، فقوله لا يُثبت الاتحاد الحقيقي بل يُثبت التغاير ؛ لأنّه كما أنّ كتابة الخاتم الظاهرة على طين أو شمع غير الخاتم وصورة الإنسان في المرآة غير الإنسان فكذلك يكون أقنوم الإبن غير المسيح عليه السلام ، بل غاية ما يلزم أن يكون ظهور أثر صفة الأقنوم فيه أكثر

---

(١) أي جواز الحلول .

من ظهوره في غيره ، كما أنّ ظهور تأثير شعاع الشمس في (بدخشان)[1] في بعض الأحجار التي تتولّد منها الجواهر المعروفة أزيد من تأثيره في الأحجار التي هي غير تلك الأحجار ، ولنعم ما قيل :

مُحَالٌ لا يُساويهِ مُحَالُ وقَولٌ في الحقيقةِ لا يُقَالُ
وفكرٌ كاذبٌ وحديثُ زُورٍ بَدَا منهم ومَنشَؤُه الخَيالُ
تعالى الله ما قالوهُ كُفْرٌ وَذَنْبٌ في العواقبِ لا يُقالُ

البرهان السابع : فرقة البروتستانت تردّ على فرقة الكاثوليك في استحالة الخبز إلى المسيح في العشاء الربّاني بشهادة الحسّ ، وتستهزىء بها . فهذا الرد والهُزو يرجعان إليها أيضاً ؛ لأنّ الذي رأى المسيح ما رأى منه إلّا شخصاً واحداً إنسانياً ، وتكذيب أصدق الحواس الذي هو البصر يفتح باب السفسطة في الضروريات فيكونِ القول به باطلاً كالقول بالاستحالة . والجهلاء من المسيحيّين من أيّة فرقة من فِرَق أهل التثليث كانوا قد ضلّوا في هذه العقيدة ضلالاً بيّناً ، ولا يميّزون بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي كما يميّز بحسب الظاهر علماؤهم ، بل يعتقدون ألوهية المسيح[2] عليه السلام باعتبار الجوهر الناسوتي ، ويخبطون خبطاً عظيماً .

---

(١) في حاشية ق : اسم بلدة من خراسان . اهـ . وهي في معجم البلدان ١ / ٣٦٠ بالذال المعجمة أي (بَذَخْشان) ويقال (بَذَخش) والعامّة يسمّونها بلخشان باللام ، وهي بلدة في أعلى طخارستان متاخمة لبلاد الترك بين ترمذ وبلخ ، وفيها معدن البلخش المقاوم للياقوت ، وفيها أيضاً معدن البجادي ، وهو حجر كالياقوت غير البلخش والبلور الخالص ، كلّ ذلك عروق في جبالها ، وفيها أيضاً حجر الفتيلة .

(٢) المسيح : الصدّيق ، وأصله بالعبرية مشيحاً ، ومعناه : المبارك ، وبه لقّب عيسى بن مريم عليه السلام لصدقه ، أو لأنه كان سائحاً في الأرض ، أو لأنه يمسح بيده على المريض فيبرأ=

نُقل أنّه تنصّر[1] ثلاثة أشخاص ، وعلّمهم بعض القسيسين العقائد الضرورية ، سيّما عقيدة التثليث أيضاً ، وكانوا في خدمته . فجاء محب من أحبّاء هذا القسيس ، وسأله عمّن تنصّر ، فقال : ثلاثة أشخاص تنصّروا . فسأل هذا المحبّ : هل تعلّموا شيئاً من العقائد الضرورية ؟ فقال : نعم ، وطلب واحداً منهم ليُرِيَ محبّه ، فسأله عن عقيدة التثليث ، فقال : إنّك علّمتني أنّ الآلهة ثلاثة : أحدهم : الذي هو في السماء ، والثاني : تولّد من بطن مريم العذراء ، والثالث : الذي نزل في صورة الحمام على الإله الثاني بعدما صار ابن ثلاثين سنة ، فغضب القسيس وطرده ، وقال : هذا مجهول . ثم طلب الآخر منهم ، وسأله ، فقال : إنّك علّمتني أنّ الآلهة كانوا ثلاثة ،

=بإذن الله ، أو لأنّ زكريا عليه السلام مسحه بزيت البركة على عادة بني إسرائيل في مسح الملوك والأنبياء والكهنة ، وقد لقب به عيسى في القرآن الكريم ١١ مرّة ، منها ٣ مرات مقروناً باسم عيسى ، أي : (المسيح عيسى) ، ولم يكن الحواريون والمؤمنون بعيسى عليه السلام يدعون مسيحيين في زمانه، ولم يرد في القرآن الكريم ذكر هذه الكلمة للدلالة عليهم، وحسبما ورد في سفر أعمال الرسل ٢٦/١١ - ويكتب في بعض النسخ سفر الابركسيس - « ودعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً » ، فيكون أول استعمال لهذا اللقب بحدود سنة ٤٣م ، أي بعد رفع المسيح بعشر سنين ، ويرجح أنه كان يستعمل بقصد الشتم لما ورد في رسالة بطرس الأولى ١٦/٤ « ولكن إن كان كمسيحي فلا يخجل بل يمجد الله من هذا القبيل » ، وفي سفر الابركسيس (أعمال الرسل) ٢٨/٢٦ « فقال أغريباس لبولس بقليل تقنعني أن أصير مسيحياً » ، وقد ذكر المؤرخ تاسيتس - المولود نحو عام ٥٤م - أنّ أتباع المسيح كانوا أناساً سفلة عاميين ، ولما نصر الملك قسطنطين عقيدة ألوهية المسيح قرّر مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥م إطلاق هذا اللقب للدلالة على المؤمنين بعقائد الدين الجديد تمييزاً لهم عن الموحّدين المؤمنين بوحدانية الله وبشرية المسيح ، فصاروا يعرفون بالمسيحيين ، وأمر الملك قسطنطين برفع العذاب عنهم . (لسان العرب ٥٩٤/٢ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي ص ٧٤ عند تفسير آية ٤٥ من سورة آل عمران ، والمناظرة الكبرى ص ٢١١ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٨٥٩ و ٨٦٠ و ٨٨٩ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٨١ وقصص الأنبياء للنجار ص ٣٧١) .

(١) التنصّر : الدخول في النصرانية ، والتنصير : عمل يقوم به المنصّرون المنتشرون في أنحاء العالم لإدخال الناس في النصرانية ، ويبذلون من أجله جهوداً كبيرة وأموالاً كثيرة .

وصلب واحد منهم فالباقي إلهان ، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده ، ثم طلب الثالث ـ وكان ذكيّاً بالنسبة إلى الأوّلينْ وحريصاً في حفظ العقائد ـ فسأله ، فقال : يا مولاي ، حفظت ما علّمتني حفظاً جيداً ، وفهمت فهماً كاملاً بفضل الربّ المسيح ، أنّ الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحد ، وصُلب واحد منهم ومات ، فمات الكلّ لأجل الاتحاد ، ولا إله الآن وإلّا يلزم نفي الاتحاد .

أقول : لا تقصير للمسؤولين ، فإنّ هذه العقيدة يخبط فيها الجهلاء هكذا ، ويتحيّر علماؤهم ويعترفون بأنّهم يعتقدونها ولا يفهمونها ، ويعجزون عن تصويرها وبيانها ، ولذا قال الفخر الرازي في تفسيره ذيل سورة النساء[1] : «واعلم أنّ مذهب النصارى مجهول جدّاً . . . . . . لا نرى مذهباً في الدنيا أشدّ ركاكة وبُعداً عن العقل من مذهب النصارى» .

وقال في تفسير سورة المائدة[2] : «ولا يُرى في الدنيا مقالة أشدّ فساداً وأظهر بطلاناً من مقالة النصارى» .

فإذا علمت بالبراهين العقليّة القطعيّة أنّ التثليث الحقيقي ممتنع في ذات الله ، فلو وُجِدَ قولٌ من الأقوال المسيحية دالّاً بحسب الظاهر على التثليث يجب تأويله ؛ لأنّه لا يخلو إمّا أن نعمل بكلّ واحد من دلالة البراهين ودلالة القول ، وإمّا أن نتركهما ، وإما أنْ نرجّح النقل على العقل ، وإمّا أن نرجح العقل على النقل :

---

(١) عند تفسير قوله تعالى : (ولا تقولوا ثلاثة) آية ١٧١ من سورة النساء ، في تفسير الرازي ج ١١ ص ١١٦ .

(٢) عند تفسير قوله تعالى : (قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة) آية ٧٣ من سورة المائدة ، في تفسير الرازي ج ١٢ ص ٦٠ .

والأول[1] باطل قطعاً وإلّا يلزم كون الشيء الواحد ممتنعاً وغير ممتنع في نفس الأمر .

والثاني[2] أيضاً محال وإلّا يلزم ارتفاع النقيضين .

والثالث[3] أيضاً لا يجوز لأنّ العقل أصل النقل ، فإنّ ثبوت النقل موقوف على ثبوت وجود الصانع وعلمه وقدرته وكونه مرسِلاً للرسل ، وثبوتها بالدلائل العقلية ، فالقدح في العقل قدح في العقل والنقل معاً ، فلم يبق إلّا أنْ نقطع بصحة العقل ، ونشتغل بتأويل النقل ، والتأويل عند أهل الكتاب ليس بنادر ولا قليل لما عرفت في الأمر الثالث من المقدمة أنهم يؤوّلون الآيات غير المحصورة الدالّة على جسميّة الله وشكله ، لأجل الآيتين اللتين مضمونها مطابق للبرهان العقلي ، وكذلك يؤوّلون الآيات الكثيرة غير المحصورة الدالّة على المكان لله تعالى ، لأجل الآيات القليلة الموافقة للبرهان ، وعرفت في الأمر الرابع والخامس أيضاً مثله مشروحاً .

لكن العجب من عقلاء الكاثوليك ومَن تبعهم أنّهم تارة يبطلون حكم الحسّ والعقِل معاً ، ويحكمون أنّ الخبز والخمر اللذيْن حدثا بين أعيننا بعد مدة أزيد من ألف وثمانمائة سنة من عروج المسيح عليه السلام[4] يتحوّلان في العشاء الرباني إلى لحمه ودمه حقيقة فيعبدونهما ويسجدون لهما . وتارة يُبطلون حكم العقل والبداهة ، وينبذون البراهين العقلية وراء ظهورهم ، ويقولون :

(١) أي العمل بدلالة البراهين العقلية القطعية الدالّة على الوحدانية وبالقول الدال على التثليث .

(٢) أي ترك العمل بدلالة البراهين العقليّة القطعيّة الدالّة على الوحدانية وبالقول الدال على التثليث .

(٣) أي ترجيح النقل الدالّ على التثليث على العقل الدالّ على الوحدانية .

(٤) فقد كان تأليف كتاب إظهار الحق في سنة ١٨٦٤م .

التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي يمكن اجتماعهما في أمر واحد شخصي في زمان واحد من جهة واحدة .

والعجب من فرقة البروتستانت أنّهم خالفوهم في الأولى دون الثانية ، فلو كان العمل على ظاهر النقل ضرورياً ـ وإنْ كان مخالفاً للحسّ والعقل ـ فالإنصاف أنّ فِرقة الكاثوليك خير من فِرقتهم ؛ لأنّها بالغت في إطاعة ظاهر قول المسيح عليه السلام حتى اعترفت بمعبودية ما يصادمه الحسّ والبداهة .

وكما أنّ أهل التثليث يَغْلون في شأن المسيح عليه السلام ، ويوصلونه إلى رتبة الألوهيّة ؛ فكذلك يفرّطون في شأنه وشأن آبائه ، فيعتقدون أنّه لُعِن ، وبعدما مات نزل جهنّم وأقام فيها ثلاثة أيام كما ستعرف[1]، وأنّ داود وسليمان عليهما السلام ، وكذا الآباء الآخرون للمسيح عليه السلام في أولاد فارص الذي ولدته ثامار بالزنا من يهوذا[2]، وأنّ داود عليه السلام زنى بامرأة أوريّا[3]، وأنّ سليمان عليه السلام ارتدّ في آخر عمره كما عرفت[4].

وكان «سيل» من علماء المسيحية، وكان قد حصّل بعض العلوم الإسلامية أيضاً ، وكان ترجم القرآن المجيد بلسانه ـ وترجمته مقبولة عند المسيحيين ـ ووصّى قومه في بعض الأمور ، وأنقل عن وصيّته عن ترجمته المطبوعة سنة ١٨٣٦ من الميلاد «**الأوّل**: لا يقع الجبر منكم على المسلمين ، **والثاني** : لا تعلّموهم المسائل التي هي مخالفة للعقل ؛ لأنّهم ليسوا حمقى نغلب عليهم في هذه المسائل ؛ كعبادة الصنم[5] والعشاء الربّاني ؛ لأنّهم يعثرون كثيراً من هذه

---

(١) سيأتي في الأمر السادس من الفصل الثاني .

(٢) انظر سفر التكوين ٦/٣٨ ـ ٣٠ ، وإنجيل متّى ١/١ ـ ١٦ .

(٣) انظر سفر صموئيل الثاني ٢/١١ ـ ٢٧ .

(٤) انظر سفر الملوك الأول ١/١١ ـ ١٣ .

(٥) يقصد السجود للأيقونات داخل الكنائس ، والأيقونات هي : صور القديسين .

المسائل ، وكلّ كنيسة فيها هذه المسائل لا تقدر أن تجذبهم إلى نفسها» انتهى .

فانظر كيف وصّى وأظهر أنّ مثل (عبادة الصنم ومسألة العشاء الربّاني) مخالفة للعقل ، والإنصاف أنّ أهل هذه المسائل مشركون يقيناً ، هداهم الله إلى الصراط المستقيم[1].

---

(١) في حاشية ق : في هذا المحل مايلي : كان الفراغ من قراءته على الأستاذ يوم السبت سابع عشر رجب من شهور سنة ١٢٨٦هـ . اهـ . وعلى هذا المحل تم الجزء الأول من الطبعة الأولى لكتاب إظهار الحق المطبوع في تركيا سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٤م ، والتي قرئت إحدى نسخه على المؤلف فصححها .

الفصل الثاني [1]

« في إبطال التثليث بأقوال المسيح عليه السلام »

القول الأول : في الآية الثالثة من الباب السابع عشر من إنجيل يوحنا قول عيسى عليه السلام في خطاب الله هكذا : « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوعَ المسيحَ الذي أرسلته» .

فبيّن عيسى عليه السلام أنّ الحياة الأبدية عبارة أنْ يعرِف الناس أنّ الله واحد حقيقي ، وأنّ عيسى عليه السلام رسولُه[2]. وما[3] قال إنّ الحياة الأبدية

---

(١) بهذا الفصل من الباب الرابع يبدأ المجلد الثاني من النسخة المطبوعة المقروءة على المؤلف لتصحيحها ، وقد كُتب في حاشية الصفحة الأولى من هذا المجلد ما يلي : كان ابتداء هذا الجزء في يوم الأحد ١٨ رجب سنة ١٢٨٦هـ على يد مؤلفه متّعه الله بجناته آمين . اهـ .

(٢) عيسى : هو عيسى بن مريم بنت عمران ، ولدته أمه بإذن الله من غير أب في بلدة بيت لحم قرب بيت المقدس ، وكانت آنذاك مخطوبة ليوسف النجار ، أرسل الله تعالى عيسى عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل ، وأنزل عليه الإنجيل ، فدعاهم إلى الرجوع لأحكام التوراة الصحيحة وعدم التلاعب بها ، ويشرهم بقرب ظهور خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليهما وسلم ، فآمن به قلة سمّوا بالحواريين ، وكفر به أكثر اليهود وحقدوا عليه لتبشيره بنبي آخر الزمان من غير بني إسرائيل ، فأنكروا نبوته ، واتهموا أمّه بالفاحشة ، وتآمروا عليه فأغروا به الحاكم الروماني بيلاطس البنطي لقتله وصلبه ، فألقى الله شبهه على يهوذا الاسخريوطي الذي دلّهم على مكانه فصلبوه ، ورفع الله عيسى إلى السماء . ذكرت قصته في القرآن الكريم ، وورد اسمه فيه بلفظ عيسى ٢٥ مرّة ، نسب إلى أمه (عيسى بن مريم) في ١٦ مرّة منها ، وورد ذكره في القرآن الكريم بلقب المسيح ١١ مرّة ، منها ٣ مرات مقروناً بعيى (المسيح عيسى) ، واسم عيسى هو مقلوب يسوع ، وينطق بالعبرية يشوع . (البداية والنهاية ٦٨/٢ ، والقاموس الإسلامي ٥٩٧/٥ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٨١ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٠٦٥) .

(٣) ما : نافية .

أن يعرفوا أنّ ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي[١]، وأنّ عيسى إنسان وإله[٢]، أو أنّ عيسى إله مجسّم[٣]. ولما كان هذا القول في خطاب الله في الدعاء فلا احتمال ههنا للخوف من اليهود ، فلو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لبيّنه ، وإذْ ثبت أنّ الحياة الأبدية اعتقاد التوحيد الحقيقي لله ، واعتقاد الرسالة للمسيح ، فضدّهما يكون موتاً أبديّاً وضلالاً بيّناً ألبتّة ، والتوحيد الحقيقي ضدّ التثليث الحقيقي كما عرفت مفصّلاً في الفصل الأول ، وكون المسيح رسولاً ضدّ لكونه إلهاً ؛ لأنّ التغاير بين المرسِل والمرسَل ضروري . وهذه الحياة الأبديّة توجد في أهل الإسلام[٤] بفضل الله ، وأمّا غيرهم فالمجوس ومشركو الهند والصين محرومون منها لانتفاء الإعتقادين[٥] فيهم ، وأهل التثليث من المسيحيين محرومون منها لانتفاء الإعتقاد الأول ، واليهود كافّة محرومون منها لانتفاء الإعتقاد الثاني[٦].

القول الثاني : في الباب الثاني عشر من إنجيل مرقس هكذا : « ٢٨ ــ فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلـمّا رأى أنّه أجابهم حسناً سأله : أيّة وصيّة هي أوّل الكلّ (٢٩) فأجابه يسوع إنّ أوّل كلّ الوصايا هي : اسمع ياإسرائيل. الربّ إلهنا ربّ واحد (٣٠) وتحبّ الربّ إلهك من كلّ قلبك ومن كلّ نفسك ومن كلّ فكرك ومن كلّ قدرتك هذه هي الوصيّة الأولى (٣١)

(١) أي على مذهب الملكانية (الكاثوليك) .
(٢) كما هو مذهب النسطورية .
(٣) كما هو مذهب اليعاقبة .
(٤) في حاشية ق : أي في عقيدة أهل الإسلام . أهـ .
(٥) وهما وحدانية الله ورسالة المسيح .
(٦) فالمسيحيون كفّار لاعتقادهم تثليث ذات الله وألوهية المسيح ، واليهود كفّار لإنكارهم رسالة المسيح ، واشترك الفريقان بإنكارهم رسالة محمد ﷺ . والمجوس من الثنوية الذين يعتقدون بإلهين خالقين للعالم ، ومشركو الهند على عبادة الحيوانات ومظاهر الطبيعة ، وفي الهند ما يقرب من ثلاثمائة ديانة وثنيّة ، وتنتشر في الصين ديانة كونفوشيوس وبوذا ولاوتسو ، وكلّها تقوم على طقوس وثنيّة .

وثانية مثلها هي : تحبّ قريبك كنفسك . ليس وصيّة أخرى أعظم من هاتين (٣٢) فقال له الكاتب : جيّداً يا معلّم بالحق قلت لأنّه الله واحد وليس آخر سواه (٣٣) ومحبته من كلّ القلب ومن كلّ الفهم ومن كلّ النفس ومن كلّ القدرة ومحبّة القريب كالنفس هي أفضل من جميع الـمُحْرَقات والذبائح (٣٤) فلمّا رآه يسوع أنّه أجاب بعقل قال له : لست بعيداً عن ملكوت الله » .

وفي الباب الثاني والعشرين من إنجيل متّى في قوله عليه السلام بعد بيان الحُكْميْن المذكوريْن[١] هكذا : « بهاتين الوصيّتين يتعلّق الناموس كلّه والأنبياء » ، فعُلم أنّ أول الوصايا الذي هو مصرّح به في التوراة وفي جميع كتب الأنبياء ـ وهو الحق ، وهو سبب قرب الملكوت ـ أن يُعتقد أنّ الله واحد ولا إله غيره . ولو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لكان مبيَّناً في التوراة وجميع كتب الأنبياء لأنّه أوّل الوصايا ، ولقال عيسى عليه السلام : أوّل الوصايا الربّ واحد ذو أقانيم ثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي ، لكنه[٢] لم يُبيَّـن في كتاب من كتب الأنبياء صراحة ، ولم يقل عيسى عليه السلام هكذا ، فلم يكن مدار النجاة ، فثبت أنّ مدارها هو اعتقاد التوحيد الحقيقي لا اعتقاد التثليث . وهَوَسَات التثليثيّين باستنباطه من بعض كتب الأنبياء لا يتمّ على المخالف ؛ لأنّ هذا الاستنباط خفيّ جداً مردود بمقابلة النص . وغرض المخالف هذا[٣]: أنّ اعتقاد التثليث لو كان له دخل مّا في النجاة لبيّنه الأنبياء الإسرائيليّون بياناً

---

(١) في حاشية ق : أي بيان توحيد الله وبيان محبة الجار . أهـ . وهما في إنجيل متى ٢٢/٣٥ ـ ٤٠ ، وفيما يلي النصّ الكامل : « ٣٥ ـ وسأله واحد منهم وهو ناموسي ليجرّبه قائلاً (٣٦) يا معلم : أيّة وصية هي العظمى في الناموس (٣٧) فقال له يسوع : تحبّ الربّ إلهك من قلبك ومن كل نفسك ومن كلّ فِكرك (٣٨) هذه هي الوصية الأولى والعظمى (٣٩) والثانية مثلها تحبّ قريبك كنفسك (٤٠) بهاتين الوصيّتين يتعلق الناموس كلّه والأنبياء » .

(٢) الضمير يرجع إلى اعتقاد التثليث .

(٣) اسم الاشارة (هذا) يتعلق بما بعده ، أي يكفي المخالف لعقيدة التثليث المستدل على بطلانها أن يقول ما يلي .

واضحاً كما بيّنوا التوحيد .

في الباب الرابع من كتاب التثنية : « ٣٥ ـ لتعلم أنّ الربّ هو الله وليس غيره (٣٩) فاعلم اليوم واقبل بقلبك أنّ الرب هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت وليس غيره » .

وفي الباب السادس من السفر المذكور : « ٤ ـ اسمع يا إسرائيل إنّ الربّ إلهنا فإنّه ربّ واحد (٥) حِبَّ الربّ إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوّتك » .

وفي الباب الخامس والأربعين من كتاب إشعياء : « ٥ ـ أنا هو الربّ وليس غيري ليس دوني إلهاً شددتك ولم تعرفني (٦) ليعلموا الذين هم من مشرق الشمس والذين هم من المغرب أنّه ليس غيري أنا الرب وليس آخر » .

فالواجب على أهل المشرق والمغرب أن يعلموا أن لا إله إلاّ الله وحده ، لا أن يعلموا أنّ الله ثالث ثلاثة .

وفي الآية التاسعة من الباب السادس والأربعين من كتاب إشعياء : « إنّي أنا الله وليس غيري إلاه وليس لي شبيهاً » .

تنبيه : حرّف صاحب الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م قول المسيح عليه السلام بتبديل ضمير المتكلّم بضمير الخطاب وترجم هكذا : « الربّ إلهك إله واحد »[١] وضيّع بهذا التحريف المقصود الأعظم ؛ لأن ضمير المتكلم ههنا دالّ على أن عيسى ليس بربّ بل عبد مربوب بخلاف ضمير الخطاب ، والظاهر أنّ هذا التحريف قصدي .

---

(١) يقصد فقرة إنجيل مرقس ١٢/٢٩ فقد جاءت في طبعات سنة ١٨٢٥م وسنة ١٨٢٦م وسنة ١٨٦٥م وسنة ١٨٨٢م بضمير الجمع المتكلم « الرب إلهنا رب واحد » ، وفي طبعة سنة ١٨١١م وسنة ١٨٢٣م وسنة ١٨٤٤م بضمير المفرد المخاطب : « الرب إلهكِ إله واحد » وهي مأخوذة في الأصل عن فقرة سفر التثنية ٦/٤ .

القول الثالث : في الآية الثانية والثلاثين من الباب الثالث عشر من إنجيل مرقس قول المسيح عليه السلام هكذا : « وأمّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الإبن إلّا الآب » .

وهذا القول ينادي على بطلان التثليث ؛ لأنّ المسيح عليه السلام خصّص علم القيامة بالله ، ونفى عن نفسه كما نفى عن عباد الله الآخرين ، وسوّى بينه وبينهم في هذا ، ولا يمكن هذا في صورة كونه إلهاً ـ سيّما إذا لاحظنا أنّ الكلمة[1] وأقنوم الإبن عبارتان عن علم الله ، وفرضنا اتحادهما بالمسيح ، وأخذنا هذا الاتحاد على مذهب القائلين بالحلول ، أو على مذهب اليعقوبية القائلين بالإنقلاب ـ فإنّه يقتضي أن يكون الأمر بالعكس ، ولا أقلّ من أن يَعلم الإبن كما يَعلم الآب ، ولـمّا لم يكن العلم من صفات الجسد فلا يجري فيه عذرهم المشهور (أنه نفى عن نفسه باعتبار جسميّته) فظهر أنّه ليس إلهاً لا باعتبار الجسميّة ولا باعتبار غيرها .

القول الرابع : في الباب العشرين من إنجيل متّى هكذا : « ٢٠ ــ حينئذ تقدّمتْ إليه أمّ ابني زبدِي مع ابنيْها وسجدت وطلبت منه شيئاً (٢١) فقال لها ماذا تريدين ؟ قالت له : قل أن يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك (٢٢) فأجاب يسوع . . . [الخ] (٢٣). . . . وأمّا الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أنْ أعطيه إلّا للذين أُعِدَّ لهم من أبي »[2]. انتهى ملخصاً .

فنفى عيسى عليه السلام ههنا عن نفسه القدرة وخصصها بالله ، كما نفى عن نفسه علم الساعة وخصصه بالله ، ولو كان إلهاً لما صحّ هذا .

---

(١) في حاشية ق : أي عيسى عليه السلام . اهـ .
(٢) في حاشية ق : أي ليس لي قدرة على شيء . اهـ .

القول الخامس : في الباب التاسع عشر من إنجيل متّى هكذا : « ١٦ ــ وإذا واحد تقدّم وقال له : أيّها المعلم الصالح أيّ صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية (١٧) فقال له : لماذا تدعوني صالحاً . ليس أحد صالحاً إلاّ واحد وهو الله » .

فهذا القول يقلع أصل التثليث ، وما رضي تواضعاً أن يطلق عليه لفظ الصالح أيضاً ، ولو كان إلهاً لما كان لقوله معنى ، ولكان عليه أن يبينّ : (لا صالح إلاّ الآب وأنا وروح القدس) ولَمْ يؤخّر البيان عن وقت الحاجة ، وإذا لم يرض بقوله « الصالح » فكيف يرضى بأقوال أهل التثليث التي يتفوّهون بها في أوقات صلواتهم : « يا ربنا وإلهنا يسوع المسيح لا تضيّع من خلقت بيدك » . حاشا جنابه أن يرضى بها .

القول السادس : في الباب السابع والعشرين من إنجيل متّى هكذا : « ٤٦ ــ ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : إيلي إيلي لَـمَا شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني (٥٠) فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح »[١].

وفي الآية السادسة والأربعين من الباب الثالث والعشرين من إنجيل لوقا هكذا : « ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبتاه في يديك أستودع روحي » .

وهذا القول [الذي صدر عنه في آخر نَفَس من نَفَسات الحياة][٢] ينفي ألوهية المسيح رأساً سيّما على مذهب القائلين بالحلول أو الإنقلاب ؛ لأنّه لو كان إلهاً لما استغاث إلى إله آخر بأن قال : « إلهي إلهي : لماذا تركتني » ولما

---

(١) في حاشية ق : أي إلى الله . اهـ .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من المطبوعة والمقروءة وأخذته من المخطوطة .

قال : « يا أبتاه في يديك استودع روحي » ، ولامتنـع العجز والموت عليه .

الآية الثامنة والعشرون من الباب الأربعين من كتاب إشعياء هكذا : « أما عرفت أو ما سمعت إله سرمديّ الربّ الذي خلق أطراف الأرض لن يضعف ولن يتعب وليس فحصاً عن حكمته » .

والآية السادسة من الباب الرابع والأربعين من الكتاب المذكور هكذا : « هكذا يقول الرب مِلك إسرائيل وفاديه رب الجنود أنا أنا الأوّل وأنا الآخر وليس إله غيري » .

والآية العاشرة من الباب العاشر من كتاب إرميا هكذا : « أمّا الرب هو إله حقّ هو إله حيّ وملك سرمديّ » الخ .

وفي الآية الثانية عشرة من الباب الأول من كتاب حبقوق هكذا : « يا ربّ إلهي قدّوس ولا تموت » .

وفي الآية السابعة عشرة من الباب الأول من الرسالة الأولى إلى تيموثاوس هكذا : « ومِلك الدهور الذي لا يفنى ولا يُرى الإله الحكيم وحده » .

فكيف يعجز ويموت الذي هو إله سرمدي بريء من الضعف والتعب حيّ قدوس لا يموت ولا إله غيره . أيكون الفاني العاجز إلهاً ؟! حاشا وكلّا ! بل الإله الحقيقي هو الذي كان عيسى عليه السلام يستغيث إليه في هذا الوقت على زعمهم .

والعجب أنّهم لا يكتفون على موت الإله ، بل يعتقدون أنّه بعد ما مات دخل جهنم أيضاً . [في كتاب الصلاة العامة المطبوع سنة ١٨٥٠م في لندن باللسان العربي هكذا : « كما أن المسيح مات لأجلنا وقُبِر كذلك ينبغي أن يُعتقد

بأنه هبط إلى الجحيم » انتهى بلفظه][1].

ونقل جواد بن ساباط هذه العقيدة من كتاب الصلاة المطبوع سنة ١٦٠٣م هكذا : « كما أن المسيح مات لأجلنا ودفن فكذا لا بدّ أنْ نعتقد أنّه دخل جهنّم » انتهى .

و(فيلبس كواد نولس) الراهب كتب في ردّ رسالة أحمد الشريف[2] بن زين العابدين الأصفهاني كتاباً باللسان العربي سماه بـ « خيالات فيلبس » وطُبع هذا الكتاب سنة ١٦٦٩م في الرومية الكبرى في «بسلوقيت» ، وحصلت لي بطريق العارية نسخة قديمة من هذا الكتاب من كتب خانة الإنكليز[3] في بلدة دهلي . فكتب الراهب المسطور في كتابه المذكور هكذا : « الذي تألّم لخلاصنا وهبط إلى الجحيم ، ثم في اليوم الثالث قام من بين الأموات » انتهى .

وفي بريربوك[4] في بيان عقيدة اتهانيسيش التي يؤمن بها المسيحيون لفظ :

---

(١) مابين المعقوفتين ساقط من المطبوعة والمقروءة وأخذته من المخطوطة .

(٢) هي كتابه « الأنوار الإلهية في دحض خطأ المسيحية » ذكرها شاتليه في كتاب الغارة على العالم الإسلامي ص ٣٢ .

(٣) أي مكتبة الإنجليز أو دار الكتب الإنجليزية .

(٤) هذه الكلمة باللفظ الانجليزي ، وأصلها (Prayer book) ومعناها : كتاب الصلاة ، والمقصود : كتاب الصلاة العامّة السابق الذكر ، وهو كتاب يستعمل في خدمة العبادة المتّبعة في كنيسة إنجلترا والكنائس الإنجليكانيّة الأخرى ، وقد اعتمد في إعداد هذا الكتاب على مجموعة صلوات وأدعية سابقة ، وكان قد بدأ الإصلاح في كنيسة إنجلترا في زمن الملك ادوارد السادس ابن الملك هنري الثامن وأخي المِلكة مريم ، وفي عهد حكمه (١٥٤٧ ـ ١٥٥٣م) أنهي كتاب الصلوات العامّة وحُرّر المجلد الأول من الهوميليس وهو كتاب يشتمل على مواعظ ، أمّا كتاب الصلوات العامّة فيشتمل على الصلوات العامّة وعلى عقائد الدين وصدرت أول طبعة من كتاب الصلوات العامة سنة ١٥٤٩م ، ثم أدخل توماس كرانمر رئيس أساقفة كنتربري تعديلات عليه سنة ١٥٥٢م ، وفي عهد أخته الملكة ماري الأولى (١٥٥٣ ـ ١٥٥٨م) اضطهد البروتستانت وحبس كرانمر وأحرق مربوطاً بالوتد ، وأبطل استعمال كتاب الصلوات العامّة ، ثم استعمل في زمن الملكة =

« هِلْ »[1] موجود ، ومعناه الجحيم .

وقال جواد بن ساباط : إنّ القسيس مارطيروس قال لي في توجيه هذه العقيدة : إنّ المسيح لـمّا قَبِل الجسم الإنساني فلا بدّ عليه أن يتحمّل جميع العوارض الإنسانية ، فدخل جهنم وعُذّب أيضاً ، ولما خرج من جهنّم أخرج منها كلّ من كان معذَّباً فيها قبل دخوله . فسألته : هل لهذه العقيدة دليل نقلي ؟ قال : إنّها غير محتاجة إلى الدليل ، فقال رجل مسيحي من أهل ذلك المحفل على وجه الظرافة : إنّ الآب كان قسيّ القلب وإلاّ لما ترك الابن في الجحيم ! فغضب القسيس وطرده من المحفل ، فجاء هذا الرجل عندي وأسلم ، لكنْ أخذ العهد مني أنْ لا أُظهر حال إسلامه ما دام حيّاً .

ودخل يوسف ولف في بلدة لكهنو سنة ١٢٤٨ من الهجرة وسنة ١٨٣٣ من الميلاد ، وكان من القسّيسين المشهورين وكان يدّعي الإلهام لنفسه ، وكان يدّعي أنّ نزول المسيح يكون في سنة ١٨٤٧ من الميلاد ، ووقعت المناظرة فيما بينه وبين مجتهد الشيعة تحريراً وتقريراً في هذا الباب ، فسأله مجتهد الشيعة عن هذه العقيدة أيضاً ، فقال : نعم ، دخل المسيح الجحيم وعُذّب ، لكن

= اليزابيث الأولى وأصبح كتاباً رسمياً وملزَم الاستعمال بموجب قانون التوحيد سنة ١٦٦٢م ، وقد اعتمدت الكنيسة البروتستانتية الأسقفية في أمريكا طبعة معدلة سنة ١٧٨٩م . (المورد ص ٧١٥ ، والموسوعة الميسرة ص١٠٣ و ١٤٤١ و١٦١٨ ، ومعجم أعلام المورد ص ٥٩ ، وتاريخ كنيسة المسيح على وجه الاختصار ص٢٥٢ وص ٢٦١) .

وقد اعتمد المؤلف على طبعة رجردواطس في لندن بالأردية سنة ١٨١٨م وعلى طبعة فالته سنة ١٨٤٠م وعلى طبعة لندن بالعربية سنة ١٨٥٠م ، وأمّا جواد بن ساباط فنقل عن طبعة سنة ١٦٠٣م .

(١) لفظ إنجليزي (Hell) معناه : الجحيم أو جهنم .

لا بأس فيه لأنّ هذا الدخول كان لنجاة أمته . وبعض فرقهم يعتقدونها بأشنع حالة .

قال « بل » في تاريخه في بيان فرقة مارسيوني : « هذه الفرقة كانت تعتقد أنّ عيسى عليه السلام بعدما مات دخل جهنّم ، ونجّى أرواح قابيل وأهل سدوم[1] لأنهم حضروا عنده ، وكانوا غير مطيعين لإلهٍ خالق الشر ، وأبقى أرواح هابيل ونوح وإبراهيم والصلحاء الآخرين من القدماء في جهنّم لأنّهم خالفوا الفرقة الأولى . وهذه الفرقة كانت تعتقد أنّ خالق العالم ليس منحصراً في الإله الذي أرسل عيسى ، ولذلك ما كانت تسلّم كون كتب العهد العتيق إلهامية » انتهى .

فكانت عقيدة هذه الفرقة مشتملة على أمور :

الأول : جميع الأرواح سواء كانت أرواح الأنبياء والصلحاء أو الأشقياء كانت معذّبة في جهنّم قبل دخول عيسى عليه السلام .

الثاني : أنّ عيسى عليه السلام دخل جهنّم .

الثالث : أنّ عيسى عليه السلام نجّى أرواح الأشقياء من العذاب وأبقى أرواح الأنبياء والصلحاء فيه .

الرابع : أنّ هؤلاء الصلحاء مخالفون لعيسى ، والأشقياء موافقون له .

الخامس : أنّ خالق العالم إلهان : خالق الخير ، وخالق الشر ، وعيسى عليه السلام رسول الأول ، والأنبياء الآخرون المشهورون رسل الثاني .

---

(١) في حاشية ق : قوم لوط . اهـ .

السادس : كتب العهد العتيق ليست إلهامية .

وقال صاحب ميزان الحق في كتابه المسمى بـ « حل الإشكال في جواب كشف الأستار » هكذا : « الحقّ أنّه توجد في العقيدة المسيحية أنّ المسيح دخل جهنّم ، وقام في اليوم الثالث وعرج إلى السماء ، لكنّ المراد ههنا من جهنّم هاوس[1]، وهو موضع ما بين جهنّم والفلَك الأصلي . والمعنى أنه دخل هاوس ليُرِيَ أهله جلاله وينبههم على أنّي مالك الحياة ، وأني أُعطيتُ كفارة الذنب بالموت الصليبي ، وجعلتُ الشيطان وجهنّم مغلوبيْن ، وللمؤمنين كالمعدوميْن » انتهى ملخصاً .

أقول أولاً : لـمّا ثبت من ظاهر كتاب الصلاة وكلام فيلبس كواد نولس ، وثبت صراحة من إقرار مارطيروس ويوسف ولف ومن عقيدة اتهانيسيش أنّ جهنّم على معناها ، واعترف[2] هو أيضاً أنه يوجد هذا في العقيدة ثم أَوّل ، فتأويله بدون الدليل لا يُقبل ـ فلا بد عليه أن يُثبت من كتبه أنّ ما بين جهنّم والفلَك الأصلي مكان يسمى بـ «هاوس» ، ثم يثبت من هذه الكتب أنّ دخول المسيح في جهنّم كان لأجل الإراءة والتنبيه المذكورَيْن[3]. على أنه لا وجود للأفلاك عند حكماء أوربا ، وعلماء البروتستانت من المتأخرين يتابعونهم في هذا الرأي . فكيف يصحّ هذا التوجيه على زعمهم ؟!

ثم أقول ثانياً : إنّ هذا الهاوس محل السرور والثواب ، أو محل المحن والعقاب ، فإنْ كان الأول لا حاجة إلى تنبيه أهله لأنّهم كانوا قبل هذا في سرور وعيشة راضية . وإنْ كان الثاني فلا فائدة في التأْويل ؛ لأنّ جهنَّمَ الأَرواح لا تكون إلاّ محل عذابها .

---

(١) لفظ إنجليزي (House) معناه : بيت ، منزل .

(٢) في حاشية ق : أي صاحب ميزان الحق . اهـ . وهو الدكتور فندر .

(٣) في قول فندر : « ليُرِيَ أهله جلاله وينبههم . . . » الخ .

ثم أقول ثالثاً : إنّ كون الموت الصليبي كفارة الذنب غير معقول يقيناً ؛ لأنّ المراد بهذا الذنب على زعمهم الذنب الأصلي الذي صدر عن آدم عليه السلام لا الذنب الذي يصدر عن أولاده ، ولا يجوز أن يعاقب أولاده على هذا الذنب الأصلي ؛ لأنّ الأبناء لا يؤخذون بذنوب الآباء ولا بالعكس ، بل هو خلاف العدل . الآية العشرون من الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال هكذا : « النفس التي تخطىء فهي تموت والابن لا يحمل إثم الأب والأب لا يحمل إثم الابن وعدل العادل يكون عليه ونفاق المنافق يكون عليه »[1] .

ثم أقول رابعاً : ما معنى جعل الشيطان مغلوباً بالموت ؟ لأنه على حكم إنجيلهم مقيّد بقيود أبديّة قبل ميلاد عيسى عليه السلام . الآية السادسة من رسالة يهوذا هكذا : « والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبديّة تحت الظلام » .

ثم العجب أنّهم لا يكتفون بموت إلههم المزعوم ودخوله جهنّم ، بل يزيدون عليهما أنّه صار ملعوناً أيضاً ـ والعياذ بالله ـ وملعونيّته مسلّمة عن المسيحيّين ، ويسلّمها صاحب ميزان الحق أيضاً بكمال رضاء الخاطر ، ويصرّح بها في كتبه ، وصرّح بها مقدسهم بولس أيضاً . الآية الثالثة عشرة من الباب الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية هكذا : « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذْ صار لعنة لأجلنا لأنّه مكتوب : ملعون كلّ من عُلِّق على خشبة » .

وعندنا إطلاق مثل هذا اللفظ شنيع جداً ، بل لاعنُ الله واجب الرجم بحكم التوراة ، ورُجِم واحد على هذا الخطأ في عهد موسى عليه السلام ، كما

---

(١) وقريب منها ما في سفر إرميا ٣١/٣٠ « بل كلّ واحد يموت بذنبه كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه » .

هو مصرّح في الباب الرابع والعشرين من سفر الأحبار[1]، بل لاعنُ الأبويْن أيضاً واجب القتل فضلاً عن لاعنِ الله ، كما هو مصرّح في الباب العشرين من السفر المذكور[2].

القول السابع : في الآية السابعة عشرة من الباب العشرين من إنجيل يوحنّا قول المسيح عليه السلام في خطاب مريم المجدلية هكذا : « لا تلمسيني : لأنّي لم أصعد بعد إلى أبي ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم : إنّي أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم » .

فسوّى بينه وبين الناس في هذا القول : « أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم » ، لكيلا يتقوّلوا عليه الباطل فيقولوا إنه إله أو ابن إله ، فكما أنّ تلاميذه عباد الله وليسوا بأبناء الله حقيقة ، بل بالمعنى المجازي ـ فكذلك هو عبدالله وليس بابن الله حقيقة . ولـمّا كان هذا القول بعدما قام عيسى عليه السلام من الأموات على زعمهم قبل العروج بقليل ثبت أنّه كان يصرّح بأنّه عبدالله إلى زمان العروج ، وهذا القول يطابق ما حكى الله عنه في القرآن المجيد « **ما قلت لهم إلّا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم** »[3].

القول الثامن : في الآية الثامنة والعشرين من الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنّا قول المسيح عليه السلام هكذا : « لأنّ أبي أعظم منّي » ، ففيه أيضاً نفي لألوهيته ؛ لأنّ الله ليس كمثله شيء فضلاً عن أن يكون أعظم منه .

---

(١) انظر سفر الأحبار ٢٤/١٠ ـ ١٦ ، وأكتفي بنقل الفقرة ١٤ « أخرج الذي سبّ إلى خارج المَحلّة فيضع جميع السامعين أيديهم على رأسه ويرجمه كلّ الجماعة » .

(٢) ففي سفر الأحبار ٢٠/٩ « كلّ إنسان سبّ أباه أو أمّه فإنّه يُقتل . قد سب أباه أو أمّه دمه عليه » .

وفي سفر الخروج ٢١/١٥ و١٧ « ١٥ ـ ومن ضرب أباه أو أمّه يُقتل قتلاً (١٧) ومن شتم أباه أو أمّه يقتل قتلاً » .

(٣) سورة المائدة آية ١١٧ .

القول التاسع : في الآية الرابعة والعشرين من الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنّا قول المسيح عليه السلام هكذا : والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني » ، ففيه أيضاً تصريح بالرسالة ، وبأنّ الكلام الذي تسمعونه وحي من جانب الله .

القول العاشر : في الباب الثالث والعشرين من إنجيل متّى قول المسيح عليه السلام في خطاب تلاميذه هكذا : « ٩ ـ ولا تَدْعوا لكم أبا على الأرض لأنّ أباكم واحد الذي في السماوات (١٠) ولا تُدْعَوا معلِّمين لأنّ معلمكم واحد المسيح » .

فهنا أيضاً صرّح بأنّ (الله واحد وأنّي معلم لكم) .

القول الحادي عشر : في الباب السادس والعشرين من إنجيل متّى هكذا : « ٣٦ ـ حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جثسيماني فقال للتلاميذ : اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك (٣٧) ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب (٣٨) فقال لهم : نفسي حزينة جدّاً حتى الموت امكثوا ههنا واسهروا معي (٣٩) ثم تقدّم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يصلّي قائلاً : يا أبتاه إنْ أمكن فلتعبر عنّي هذه الكأس[1] ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت (٤٠) ثم جاء إلى التلاميذ . . . . [الخ] (٤٢) فمضى أيضاً ثانية وصلّى قائلاً : يا أبتاه إنْ لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أنْ أشربها فلتكن مشيئتك (٤٣) ثم جاء . . . [الخ] (٤٤) فتركهم ومضى أيضاً وصلّى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه » .

فأقواله وأحواله المندرجة في هذه العبارة تدلّ على عبوديته ونَفْيِ ألوهيته . أيحزن ويكتئب الإله ويموت ويصلّي لإله آخر ويدعوا بغاية التضرّع ؟!

(١) في حاشية ق : أي كأس الموت . اهـ .

لا والله ؛ ولـمّا جاء جنابه الشريف إلى العالم ، وتجسّد ليخلّص العالم بدمه الكريم من عذاب الجحيم ؛ فما معنى الحزن والإكتئاب ، وما معنى الدعاء بإنْ أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ؟!

القول الثاني عشر : كان من عادته الشريفة أنّه إذا عبّر عن نفسه كان يعبّر بابن الإنسان غالباً ، كما لا يخفى على ناظر هذا الإنجيل المروَّج أيضاً، مثلاً : في الآية ٢٠ باب ٨ ، والآيـة ٦ باب ٩ ، والآيتين ١٣ و ٢٧ باب ١٦ ، والآيات ٩ و ١٢ و ٢٢ باب ١٧ ، والآية ١١ باب ١٨ ، والآية ٢٨ باب ١٩ ، والآيتين ١٨ و ٢٨ باب ٢٠ ، والآية ٢٧ باب ٢٤ ، والآيات ٢٤ و ٤٥ و ٦٤ باب ٢٦ من إنجيل متّى[1] وهكذا في غيره . وظاهر أنّ ابن الإنسان لا يكون إلّا إنساناً .

---

(١) في إنجيل متّى ٨/ ٢٠ « وأمّا ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه » وفيه ٩/ ٦ « ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض » .

وفيه ١٦/ ١٣ و ٢٧ « ١٣ ـ اني أنا ابن الإنسان (٢٧) فإنّ ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته » .

وفيه ١٧/ ٩ و ١٢ و ٢٢ « ٩ ـ حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات (١٢) كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم (٢٢) قال لهم يسوع : ابن الإنسان سوف يُسلّم إلى أيدي الناس » .

وفيه ١٨/ ١١ « لأنّ ابن الإنسان قد جاء لكي يخلّص ما قد هلك » .

وفيه ١٩/ ٢٨ « متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم » .

وفيه ٢٠/ ١٨ و ٢٨ « ١٨ ـ وابن الإنسان يسلّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت (٢٨) كما أنّ ابن الإنسان لم يأت ليُخدَم بل ليَخدِم » .

وفيه ٢٤/ ٢٧ « هكذا يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان » .

وفيه ٢٦/ ٢٤ و ٤٥ و ٦٤ « ٢٤ ـ ويل لذلك الرجل الذي به يُسلّم ابن الإنسان (٤٥) وابن الإنسان يسلّم إلى أيدي الخطاة (٦٤) من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة » .

الفصل الثالث

[في إبطال الأدلّة النقليّة على ألوهيّة المسيح][1]

قد عرفت في الأمر الخامس من المقدّمة أنّ كلام يوحنّا مملوء من المجاز ، قلّما تجد فقرة لا تحتاج إلى التأويل ، وقد عرفت في الأمر السادس أنّ الإجمال يوجد كثيراً في أقوال المسيح عليه السلام ؛ بحيث لم يفهمها معاصروه ولا تلاميذه في كثير من الأحيان ما لم يفسّرها بنفسه ، وقد عرفت في الأمر الثاني عشر أنّ عيسى عليه السلام ما بيّن ألوهيته إلى العروج ببيان لا يبقى فيه شبهة ويفهم منه صراحة هذا المعنى ، فالأقوال التي يتمسّك بها المسيحيون غالباً مجملة منقولة عن إنجيل يوحنّا ، وعلى ثلاثة أقسام :

بعضها لا يدلّ بحسب معانيها الحقيقيّة على مقصودهم ، فاستنباط الألوهيّة منها مجرد زعمهم ، وهذا الاستنباط والزعم ليسا بمعتدّيْن ولا جائزيْن في مقابلة البراهين العقليّة القطعيّة والنصوص العيسويّة كما عرفت في الفصلين المذكورين[2] .

وبعضها أقوال يُفهم تفسيرها من الأقوال المسيحية الأخرى أو من بعض مواضع الإنجيل ، ففيها أيضاً لا اعتبار لرأيهم .

وبعضها أقوال يجب تأويلها عندهم أيضاً ، فإذا وجب التأويل فنقول : لا بدّ أن يكون هذا التأويل بحيث لا يخالف البراهين والنصوص ، وأنّى لهم

---

(١) ترك المؤلف هذا الفصل الثالث بدون عنوان ، وهو فيه يبطل استدلال النصارى على ألوهيّة المسيح بالألفاظ الموهمة من الإنجيل ، لذلك رأيت أن أجعل له عنواناً كما يلي : « إبطال الأدلة النقليّة على ألوهية المسيح » .

(٢) يقصد الفصل الأول والثاني من الباب الرابع .

ذلك ؟! فلا حاجة إلى نقل الكلّ بل أنقل الأكثر ليتضح منه للناظر حال استدلالهم ويقيس الباقي عليه :

الدليل الأول[1]: (من إطلاق لفظ ابن الله على المسيح عليه السلام) .

أقول : هذا الدليل في غاية الضعف بوجهين :

أما أوّلاً : فلأنّ هذا الإطلاق معارَض بإطلاق ابن الإنسان كما عرفت[2]، وبإطلاق ابن داود[3]، فلا بد من التطبيق بحيث لا يُثبت المخالفة للبراهين العقلية ، ولا يلزم منه محال .

وأمّا ثانياً : فلأنّه لا يصح أن يكون لفظ الإبن بمعناه الحقيقي ، لأنّ معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العلم مَن تولّد من نطفة الأبوين ، وهذا محال ههنا ، فلا بدّ من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح ، وقد عُلم من الإنجيل أنّ هذا اللفظ في حقّه بمعنى الصالح .

الآية التاسعة والثلاثون من الباب الخامس عشر من إنجيل مرقس هكذا : « ولـمّا رأى قائد المائة الواقف مقابله أنّه صرخ هكذا وأسلم الروح قال : حقّاً كان هذا الإنسان ابن الله » ، ونقل لوقا قول القائد في الآية السابعة والأربعين

---

(١) أي الدليل النقلي الأول على ألوهية المسيح .

(٢) أي في القول الثاني عشر من الفصل الثاني .

(٣) ففي إنجيل متّى ٢٧/٩ « تبعه أعميان يصرخان ويقولان : ارحمنا يا ابن داود » . وفيه ٢٢/١٥ « صرخت إليه قائلة : ارحمني يا سيد يا ابن داود » ، ومثلهما مافي إنجيل متّى ٣٠/٢٠ و٣١ ، و٩/٢١ و١٥ ، وما في إنجيل مرقس ٤٧/١٠ و٤٨ ، وما في إنجيل لوقا ٣٨/١٨ و٣٩ .

وفي إنجيل متّى ٤٢/٢٢ « قائلاً : ما تظنّون في المسيح ابن مَن هو ؟ قالوا له : ابن داود » . وفي إنجيل متّى ٢٣/١٢ « وقالوا : ألعلّ هذا هو ابن داود » وانظر سلسلة النسب كذلك في إنجيل متّى ١/١ و٢٠ ، وفي إنجيل لوقا ٣١/٣ .

من الباب الثالث والعشرين من إنجيله هكذا : « بالحقيقة كان هذا الإنسان بارّاً » ، ففي إنجيل مرقس لفظ « ابن الله » ، وفي إنجيل لوقا بدله لفظ « البارّ » .

واستعمل مثل هذا اللفظ في حقّ الصالح غير المسيح أيضاً ، كما استعمل مثل (ابن ابليس) في حق الطالح ، في الباب الخامس من إنجيل متّى هكذا : « ٩ ــ طوبى لصانعي السلام لأنّهم أبناء الله يدعون (٤٤) وأمّا أنا فأقول لكم أحبّوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم . وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم (٤٥) لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات » ، فأطلق عيسى عليه السلام على صانعي السلام والصلح وعلى العاملين بالأعمال المذكورة لفظ « أبناء الله » ، وعلى الله لفظ « الأب » بالنسبة إليهم .

وفي الباب الثامن من إنجيل يوحنّا في المكالمة التي وقعت بين اليهود والمسيح هكذا : « ٤١ ــ أنتم تعملون أعمال أبيكم . فقالوا له : إنّنا لم نولد من زنا . لنا أب واحد وهو الله (٤٢) فقال لهم يسوع : لو كان الله أباكم لكنتم تحبّونني . . . [الخ] (٤٤) أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا . ذاك كان قتّالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحقّ لأنّه ليس فيه حقّ . متى تكلّم بالكذب فإنّما يتكلّم ممّا له لأنّه كذّاب وأبو الكذّاب » .

فاليهود ادّعوا أن لنا أباً واحداً وهو الله ، وقال المسيح عليه السلام : لا ، بل أبوكم الشيطان . وظاهر أنّ الله أو الشيطان ليس أبا لهم بالمعنى الحقيقي ، فلا بدّ من الحمل على المعنى المجازي ، فغرض اليهود نحن صالحون ومطيعون لأمر الله ، وغرض المسيح عليه السلام أنّكم لستم كذلك ، بل أنتم طالحون مطيعون للشيطان .

وفي الباب الثالث من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : « ٩ ــ كلّ من هو مولود من الله لا يفعل خطيّة لأنّ زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطىء لأنّه مولود من الله (١٠) بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس . . . . » الخ .

وفي الآية السابعة من الباب الرابع من الرسالة المذكورة : « وكلّ من يحبّ فقد وُلد من الله » .

وفي الباب الخامس من الرسالة المذكورة : « ١ ــ كلّ من يؤمن أنّ يسوع هو المسيح فقد ولد من الله وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً (٢) بهذا نعرف أننا نحبّ أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه » .

والآية الرابعة عشرة من الباب الثامن من الرسالة الرومية هكذا : « لأنّ كلّ الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله » .

وفي الباب الثاني من رسالة بولس إلى أهل فيلبس هكذا : « ١٤ ــ افعلوا كلّ شيء بلا دمدمة ولا مجادلة (١٥) لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاداً لله بلا عيب » .

ودلالة هذه الأقوال على ماقلت غير خفية ، وإذا لم يُفهم من إطلاق لفظ : (الله ومثله) الألوهية ـ كما عرفت في الأمر الرابع من المقدمة ـ فكيف يُفهم من لفظ : (ابن الله ومثله) ؟ سيّما إذا لاحظنا كثرة وقوع المجاز في كتب العهد العتيق والجديد كما عرفت في المقدمة ، وسيّما إذا لاحظنا أنّ استعمال لفظ (الأب) و(الإبن) في كتب العهدين جاء في المواضع غير المحصورة ، وأنقل بعضها بطريق الأنموذج :

(١) قال لوقا في الباب الثالث من إنجيله في بيان نسب المسيح عليه السلام : إنه ابن يوسف ، وآدم ابن الله[1]. وظاهر أنّ آدم عليه السلام ليس

(١) انظر سياق النسب في إنجيل لوقا ٣/٢٣ ـ ٣٨ ، ويتعلّق مقصودنا بالفقرتينْ ٢٣ و ٣٨ فأنقلهما : « ٢٣ ــ ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يُظنّ ابن يوسف بن=

ابناً لله بالمعنى الحقيقي ولا إلهاً ، لكنْ لـمّا وُلد بلا أبوين نسبه إلى الله . ولله درّ لوقا لقد أجاد ههنا[1] ؛ لأنّه لـمّا كان المسيح عليه السلام مولودًا بلا أب فقط نسبه إلى يوسف النّجار ، ولـمّا كان آدم عليه السلام مولودًا بلا أبوين نسبه إلى الله .

(٢) في الباب الرابع من سفر الخروج قول الله هكذا : « ٢٢ ــ وتقول له هذا ما يقول الرب : ابني بكري إسرائيل (٢٣) فقلت لك : أطلق ابني[2] ليعبدني وأنت أبيت أن تطلقه هوذا أنا سأقتل ابنك بكرك » . فأُطلق على إسرائيل لفظ ابن الله في الموضعين بل أطلق عليه لفظ الإبن البكر .

(٣) في الزبور الثامن والثمانين قول داود عليه السلام في خطاب الله هكذا : « ١٩ ــ حينئذ كلّمت بنيك بالوحي وقلت إنّي وضعت عوناً على القوي ورفعت منتخَباً من شعبي (٢٠) وجدت داود عبدي فمسحته بدهن قدسي (٢٦) هو يدعوني أنت هو أبي وإلهي وناصر خلاصي (٢٧) وأنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من كل ملوك الأرض » . فأُطلق على الله لفظ الأب ، وعلى داود لفظ القوي

=هالي (٣٨) ابن أنوش بن شيث بن آدم ابن الله » .

وآدم : هو أبو البشر والإنسان الأول وأول الأنبياء ، خلقه الله من تراب من غير أب ولا أم ، وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلّا إبليس أبى استكباراً ، فلعنه الله وتوعّده بالعذاب وأمهله إلى يوم الدين ، ثم أغوى إبليس آدم بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها ، فأهبطه إلى الأرض للقيام بوظيفة الخلافة وتاب عليه ، ويعتقد أهل الكتاب أنّ الشجرة التي أكل منها آدم هي شجرة (معرفة الخير والشر) ، ويعتقد النصارى أنّ خطيئة آدم سرت في كل ذريته ، فاضطر المسيح بوصفه ابناً لله وأحد الأقانيم الثلاثة الإلهية عندهم أن ينزل إلى الأرض ليصلبه اليهود كفارة عن خطايا البشر ، وقد أبطل القرآن كلا الاعتقادين ، ووردت قصة آدم فيه في عدة سور وورد اسمه فيه ٢٥ مرة ، وحسبما في سفر التكوين ٥/٥ أنّ آدم عاش ٩٣٠ سنة . (القاموس الإسلامي ٥٦/١ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٣ ، والموسوعة الميسرة ص ١٠٠ ، ودائرة وجدي ١٢٣/١) .

(١) إجادة نسبيّة ، يعني أجاد بالنسبة إلى من سبقوه من رواة نسب المسيح ، فهم نسبوا عيسى إلى الله وهو نسبه إلى يوسف ، فكانوا أشدّ بعداً في العقل منه .

(٢) في حاشية ق : المراد جميع بني إسرائيل . اهـ .

والمنتخب والمسيح وابن الله البكر وأعلى من كل ملوك الأرض .

(٤) في الآية التاسعة من الباب الحادي والثلاثين من كتاب إرميا قول الله هكذا : « إنّي صرت أبا لإسرائيل وأفرام هو بكري » ، فأطلق على أفرام[١] لفظ ابن الله البكر . فلو كان إطلاق مثل هذه الألفاظ موجباً للألوهية لكان إسرائيل وداود وأفرام أحقّاء بالألوهية ؛ لأنّ الإبن البكر أحقّ بالإكرام من غيره بحسب الشرائع السابقة ، وبحسب الرواج العام أيضاً[٢] . وإنْ قالوا : جاء في حق عيسى عليه السلام لفظ (الإبن الوحيد) . قلنا : إنّ الوحيد لا يمكن أن يكون بمعناه ؛ لأنّ الله أثبت له إخوة كثيرين ، وقال في حق الثلاثة[٣] منهم لفظ (الإبن البكر) ، بل لا بد أن يكون بالمعنى المجازي مثل الإبن .

(٥) في الباب السابع من سفر صموئيل الثاني قول الله تعالى في حق سليمان ـ عليه السلام ـ هكذا : « وأنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً »[٤]، فلو كان إطلاق هذا اللفظ سبباً للألوهية لكان سليمان عليه السلام أحق من المسيح عليه السلام لسبقه وكونه من آباء المسيح عليه السلام .

(٦) في الآية الأولى من الباب الرابع عشر ، والآية التاسعة عشرة من الباب الثاني والثلاثين من كتاب التثنية ، والآية الثانية من الباب الأول والآية الأولى

---

(١) أفرام: (أفرايم): هو الابن الثاني ليوسف بن يعقوب عليهما السلام، وأخوه الأكبر هو منسىّ بن يوسف، ويطلق اسم أفرايم على أحد أسباط بني إسرائيل وهم نسل أفرايم ، ويطلق على الأرض التي أعطيت لسبط أفرايم في القسم الأوسط من فلسطين ويقال له : جبل أفرايم ، وأهم مدنهم شكيم (نابلس) التي كانت فيها بعد عاصمة المملكة الشمالية ، وكان خليفة موسى يوشع بن نون من سبط أفرايم وكان النبي صموئيل آخر قضاة بني إسرائيل من سبط أفرايم كذلك ، ومنهم يربعام بن ناباط أول ملوك المملكة الشمالية بعد الإنقسام ، ولذلك كثيراً ما يطلق اسم أفرايم للدلالة على المملكة الشمالية . (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٠) .

(٢) أي العرف الرائج بين الناس في احترام الابن الأكبر .

(٣) إسرائيل وداود وأفرام .

(٤) سفر صموئيل الثاني ٧/١٤ .

من الباب الثلاثين ، والآية الثامنة من الباب الثالث والستين من كتاب إشعياء ، والآية العاشرة من الباب الأول من كتاب هوشع ـ جاء إطلاق لفظ (أبناء الله) على جميع بني إسرائيل[1].

(٧) في الآية السادسة عشرة من الباب الثالث والستين من كتاب إشعياء قول إشعياء في خطاب الله هكذا : « فإنّك أنت أبونا وإبراهيم لم يعرفنا وإسرائيل جهلنا أنت يا رب أبونا مخلّصينا من الدهر اسمك » .

الآية الثامنة من الباب الرابع والستين من الكتاب المذكور هكذا : « والآن يا رب أنت أبونا . . . . » الخ . فصرّح إشعياء عليه السلام في حقه وحق غيره من بني إسرائيل بأنّ الله (أبونا) .

(٨) الآية السابعة من الباب الثامن والثلاثين من كتاب أيوب هكذا : « إذْ كان تسبّح لي نجوم الصبح جميعاً ويفرحون جميع بني الله » .

(٩) قد عرفت في صدر الجواب أنّه جاء إطلاق لفظ (أبناء الله) على الصالحين وعلى المؤمنين بالمسيح وعلى المحبّين وعلى المطيعين لأمر الله وعلى العاملين بالأعمال الحسنة .

(١٠) الآية الخامسة من الزبور السابع والستين هكذا : « أبو اليتامى وحاكم الأرامل الله في موضع قدسه » ، فأطلق على الله لفظ أبي اليتامى .

(١١) في الباب السادس من سفر الخليقة هكذا : « ٢ ـ فرأى بنو الله بنات الناس أنهنّ حسنات واتخذوا لهم نساء من كلّ ما اختاروا (٤) فأمّا جبابرة كانوا في تلك الأيام على الأرض لأنّ من بعد ما دخل أبناء الله على بنات الناس وولدن فهؤلاء هم أقوياء منذ الدهر مشهورين » .

---

(١) المواضع التي ورد فيها إطلاق لفظ (أبناء الله) على جميع بني إسرائيل هي في سفر التثنية ١/١٤ و ١٩/٣٢ ، وفي سفر إشعياء ٢/١ و ١/٣٠ و٨/٦٣ ، وفي سفر هوشع ١٠/١ ، وأكتفي بذكر فقرتي سفر التثنية وهما تدلّان على ما عداهما، ففي سفر التثنية ١/١٤ « أنتم أولاد للرب إلهكم » ، وفيه ١٩/٣٢ « فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته » .

والمراد بلفظ أبناء الله بنو الأشراف ، وببنات الناس بنات العامة ، ولذا ترجم مترجم الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م الآية الأولى[١] هكذا : « ٢ ـ رأى بنو الأشراف بنات العامة حساناً فاتخذوا لهم نساء »[٢]. فجاء إطلاق لفظ (أبناء الله) على أبناء الأشراف مطلقاً ، وفُهم منه صحّة إطلاق لفظ (الله) على الشريف أيضاً .

(١٢) جاء في المواضع الكثيرة من الإنجيل إطلاق لفظ (أبيكم) على الله في خطاب التلاميذ وغيرهم .

(١٣) قد يضاف لفظ (الإبن والأب) إلى شيء له مناسبة مّا بمعناهما الحقيقي كإطلاق (أبي الكذب) على الشيطان كما عرفت[٣]، وكإطلاق (أبناء جهنّم) و(أولاد أورشليم) على اليهود في كلام المسيح عليه السلام في الباب الثالث والعشرين من إنجيل متّى[٤]، وجاء إطلاق (أبناء الدهر) على أهل الدنيا ، وجاء إطلاق لفظ (أبناء الله) و(أبناء القيامة) على أهل الجنة في قول المسيح عليه السلام في الباب العشرين من لوقا[٥]؛ وفي الآية الخامسة من الباب الخامس من الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي جاء إطلاق (أبناء النور) و(أبناء النهار)

---

(١) يقصد الفقرة الأولى في النصّ ، وهي فقرة سفر التكوين ٦/٢ .

(٢) ومثلها في التوراة السامرية ، ونصّ فقرة سفر التكوين ٦/٢ كما يلي : « نظر بنو السلاطين بنات الناس إذْ حسان هنّ فأخذوا لهم نسوة من كل ما اختاروا » .

(٣) كما في إنجيل يوحنا ٨/٤٤ .

(٤) ففي إنجيل متّى ٢٣/١٥ و٣٧ : « ١٥ ـ ويل لكم أيّها الكتبة والفرّيسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنّم أكثر منكم مضاعفاً (٣٧) يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرّة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا » .

(٥) ففي إنجيل لوقا ٢٠/٣٤ و٣٦ « ٣٤ ـ وقال لهم يسوع : أبناء هذا الدهر يزوِّجون ويزوَّجون (٣٦) وهم أبناء الله إذْ هم أبناء القيامة » .

على أهل تسالونيكي[1] .

الدليل الثاني : (في الآية الثالثة والعشرين من الباب الثامن من إنجيل يوحنا هكذا : « فقال لهم : أنتم من أسفل أمّا أنا فمن فوق . أنتم من هذا العالم أمّا أنا فلست من هذا العالم »[2]، يعني أنّي إله نزلت من السماء وتجسّمت) .

أقول : لـمّا كان هذا القول مخالفاً للظاهر ؛ لأنّ عيسى عليه السلام كان من هذا العالم ، فأوّلوا بهذا التأويل ، وهو غير صحيح بوجهين :

الوجه الأول : أنّه مخالف للبراهين العقليّة والنصوص .

والوجه الثاني : أنّ عيسى عليه السلام قال مثل هذا القول في حق تلاميذه أيضاً ، الآية التاسعة عشرة من الباب الخامس عشر من إنجيل يوحنّا هكذا : « لو كنتم من العالم لكان العالم يحبّ خاصته ولكنْ لأنّكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم » .

وفي الباب السابع عشر من إنجيل يوحنّا هكذا : « ١٤ ـ لأنّهم ليسوا من العالم كما أنّي أنا لست من العالم (١٦) ليسوا من العالم كما أنّي أنا لست من العالم » .

فقال في حقّ تلاميذه إنّهم « ليسوا من العالم » وسوّى بينه وبينهم في عدم الكون من هذا العالم ، فلو كان هذا مستلزماً للألوهية كما زعموا لزم أن يكونوا كلهم آلهة ـ والعياذ بالله ـ بل التأويل الصحيح : أنتم طالبو الدنيا الدنيَّة وأنا لست كذلك بل طالب الآخرة ورضاء الله ، وهذا المجاز شائع في الألسنة ، يقال للزهاد والصلحاء : إنّهم ليسوا من الدنيا .

---

(١) ففي رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي ٥/٥ « جميعكم أبناء نور وأبناء نهار » .
(٢) في حاشية ق : مرادف لقوله : أنتم من أسفل . اهـ .

الدليل الثالث : (في الآية الثلاثين من الباب العاشر من إنجيل يوحنّا هكذا : « أنا والآب واحد » فهذا يدل على اتحاد المسيح بالله) .

أقول : هذا الإستدلال غير صحيح بوجهين :

الوجه الأول : أنّ المسيح عليه السلام عندهم أيضاً إنسان ذو نَفْسٍ ناطقة وليس بمتّحد بهذا الإعتبار فيحتاجون إلى التأويل ، فيقولون : كما أنّه إنسان كامل فكذلك إله كامل . فبالاعتبار الأول مغاير ، وبالاعتبار الثاني متّحد . وقد عرفت أنّ هذا التأويل باطل .

والوجه الثاني : أنّ مثل هذا وقع في حقّ الحواريين ، في الباب السابع عشر من إنجيل يوحنا هكذا : « ٢١ ــ ليكون الجميع واحداً كما أنّك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني (٢٢) وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد (٢٣) أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكمّلين إلى واحد » .

فقوله: « ليكون الجميع واحداً » وقوله « ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد » . وقوله : « ليكونوا مكمّلين إلى واحد » ، تدل على اتحادهم ، وسوّى في القول الثاني[1] بين اتحاده بالله وبين اتحادهم فيما بينهم ، وظاهر أنّ اتحادهم فيما بينهم ليس حقيقياً ، فكذا اتحاده بالله ، بل الحقّ أنّ الاتحاد بالله عبارة عن إطاعة أحكامه والعمل بالأعمال الصالحة ، وفي نفس هذا الاتحاد المسيح والحواريّون وجميع أهل الإيمان متساوية الأقدام ، وإنّما الفرق باعتبار القوة والضعف ، فاتّحاد المسيح بهذا المعنى أشد وأقوى من اتّحاد غيره . والدليل على كون الاتّحاد عبارة عن هذا المعنى قول يوحنّا في الباب الأول من رسالته الأولى وهو هكذا : « ٥ ــ وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه ونخبركم به : إنّ الله نور

---

(١) أي « ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد » .

وليس فيه ظلمة البتّة (٦) إنْ قلنا : إنّ لنا شركة معه وسلكنا في الظّلمة نكذب ولسنا نعمل الحق (٧) ولكن إنْ سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض » .

والآية السادسة والسابعة في التراجم الفارسية هكذا : « ٦ ـ اكر كوييم كه باوى متحديم ودر ظلمت رفتار نما ييم در وغكوييم ودر راستي عمل ننماييم (٧) واكر در روشنائي رفتار نماييم جنانجه اودر روشنائي مي باشد بايكد يكر متحدهستيم » ، فوقع فيها بدل لفظ الشركة لفظ الاتّحاد ، فعلم أنّ الاتحاد بالله أو الشركة بالله عبارة عمّا قلنا[1].

الدليل الرابع : (في الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنّا هكذا : « ٩ ـ الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب (١٠) ألست تؤمن أنّي أنا في الآب والآب فيّ الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكنّ الآب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال » ، فقوله : « الذي رآني فقد رأى الآب » ، وقوله : « أنا في الآب والآب فيّ » ، وقوله : « الآب الحالّ فيّ » دالة على اتحاد المسيح بالله » .

وهذا الاستدلال أيضاً ضعيف بوجهين :

أمّا الوجه الأول : فلأنّ رؤية الله في الدنيا ممتنعة عندهم كما عرفت في الأمر الرابع من المقدمة ، فيؤوّلونها بالمعرفة ، ومعرفة المسيح باعتبار الجسمية أيضاً لا يفيد الاتّحاد ، فيقولون : إنّ المراد المعرفة باعتبار الألوهية .

والحلول الذي وقع في القول الثاني والثالث[2] واجب التأويل عند جمهور أهل التثليث ، فيقولون : إنّ المراد به الاتّحاد الباطني . فبعد هذه التأويلات

---

(١) أي طاعة الله والأعمال الصالحة .
(٢) أي قوله : « أنا في الآب والآب فيّ » و « الآب الحالّ فيّ » .

يقولون : إنّه لمّا كان إنساناً كاملاً وإلهاً كاملاً صحّت أقواله الثلاثة بالإعتبار الثاني[1]، وقد عرفت مراراً أنه باطل ؛ لأن التأويل يجب أن لا يخالف البراهين والنصوص .

وأمّا الوجه الثاني : فلأنّ الآية العشرين من الباب المذكور هكذا : « في ذلك اليوم تعلمون أنّي أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم » ، وقد عرفت في جواب الدليل الثالث أنّ المسيح قال في حقّ الحواريّين «أنا فيهم وأنت فيّ» وبديهي أنّ حالَّ الحالِّ حالٌّ في محلِّ الحالِّ[2].

والآية التاسعة عشرة من الباب السادس من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس هكذا : «أم لستم تعلمون أنّ جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنّكم لستم لأنفسكم » .

والآية السادسة عشرة من الباب السادس من الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس هكذا : «وأيّة موافقة لهيكل الله مع الأوثان . فإنّكم أنتم هيكل الله الحيّ» الخ .

والآية السادسة من الباب الرابع من الرسالة إلى أفسس هكذا : «إله وآب واحد للكلّ الذي على الكلّ وبالكلّ وفي كلّكم» .

---

(١) أي باعتبار الألوهيّة لا باعتبار الجسميّة .

(٢) أي يلزم من قولهم أن يكون الحواريون آلهة ؛ لأنّه إذا حلّ الإله في عيسى فيجب أن يكون حالاّ في المحل الذي حلّ فيه عيسى أي في الحواريين بناء على البديهة القائلة : حالّ الحالّ حالّ في محلّ الحالّ ، وهي من قوانين الفكر البديهيّة ، وتوضيحها كما يلي :

١ - الشيء هو هو ، فإنّ (أ) هي (أ) .

٢ - الشيء لا يمكن أن يكون هو وليس هو في آن واحد، فإنّ (أ) لا يمكن أن تكون (أ) ولا (أ) في نفس الوقت .

٣ - الشيء لا يمكن أن يكون هو نفسه وآخر غيره معه في نفس الوقت ، فإنّ (أ) لا يمكن أن تكون (أ ب) في آن واحد ، وهذه من البديهيّات المسلمة عقلا .

فلو كان الحلول مشعراً بالاتّحاد ومُثْبتاً للألوهيّة لزم أن يكون الحواريّون بل جميع أهل كورنثوس وكذا جميع أهل أفسس آلهة ، بل الحق أنّ الأدنى إذا كان من أتباع الأعلى كأن يكون رسوله أو عبده أو تلميذه أو قريباً من أقربائه فالأمر المنسوب إلى الأدنى من التعظيم والتحقير والمحبة وغيرها يُنسب إلى الأعلى مجازاً ، ولذلك قال المسيح عليه السلام في حق الحواريين : « مَن يقْبلكم يقْبلني ، ومن يقْبلني يقْبل الذي أرسلني » ، كما وقع في الآية الأربعين من الباب العاشر من إنجيل متّى .

وقال في حق الولد الصغير : « مَن قبل هذا الولد باسمي يقبلني ومن قبلني يقبل الذي أرسلني » ، كما هو مصرح في الآية الثامنة والأربعين من الباب التاسع من إنجيل لوقا .

وقال في حق السبعين الذين أرسلهم اثنينْ اثنينْ إلى البلاد : « الذي يسمع منكم يسمع منّي والذي يرذّلكم يرذّلني والذي يرذّلني يرذّل الذي أرسلني » ، كما هو مصرّح في الآية السادسة عشرة من الباب العاشر من إنجيل لوقا .

وهكذا وقع في حقّ أصحاب اليمين وأصحاب الشمال في الباب الخامس والعشرين من إنجيل متّى[1]، ولذلك قال الله على لسان إرميا : « أكلني ابتلعني بختنصر ملك بابل جعلني كإناء فارغ بلعني كتنّين ملأ بطنه من رخصتي وطردني »[2]. كما هو مصرّح في الباب الحادي والخمسين من كتاب إرميا ،

---

(١) القصة في إنجيل متّى ٢٥/٣١ ـ ٤٦ ، وأكتفي بذكر الفقرات ٣٥ ـ ٣٩ وهي بخصوص أصحاب اليمين : « ٣٥ ـ لأني جعت فأطعمتموني ، عطشت فسقيتموني . كنت غريباً فآويتموني (٣٦) عُريانا فكسوتموني . مريضاً فزرتموني ، محبوساً فأتيتم إليّ (٣٧) فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يا رب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشاناً فسقيناك (٣٨) ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عرياناً فكسوناك (٣٩) ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك » . وعكس هذا الكلام ورد بحق أصحاب الشمال .

(٢) انظر سفر إرميا ٥١/٣٤ .

ومثل هذا وقع في القرآن المجيد ﴿ إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله يدُ الله فوق أيديهم ﴾[1].

وقال مولانا المعنوي[2] قدس سره في مثنويه :

كرتو خواهي همنشيني باخدا رونشين تودر حضور أولياء[3]

فمعرفة المسيح بهذا الإعتبار بمنزلة معرفة الله ، وأمّا حلول الغير في الله أو حلول الله فيه ، وكذا حلول الغير في المسيح أو حلول المسيح فيه ، فعبارةٌ عن إطاعة أمرهما ، في الباب الثالث من الرسالة الأولى ليوحنّا هكذا : « ومن يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه . وبهذا نعرف أنّه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا »[4].

---

(١) سورة الفتح آية ١٠ ، وفي تفسير ابن جزّي الكلبي ٤/٥٢ « هذا تشريف للنبي ﷺ حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله ، ثم أكد هذا المعنى بقوله : « يد الله فوق أيديهم » . . . وإنما المراد أنّ عقد ميثاق البيعة مع الرسول عليه الصلاة والسلام كعقده مع الله » .

(٢) في حاشية ق : جلال الدين الرومي صاحب الطريقة الـمُلّويّة . اهـ . وهو جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البكري البلخي القونوي الرومي ، يُنسب إلى قونية في جنوب وسط تركيا ، وكانت أعظم مدن الإسلام في بلاد الروم ، وهو عالم بالفقه الحنفي ، ومتصوف ولد في بلخ بفارس سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م ، ودرس العلوم في المدرسة المستنصريّة ببغداد ، وتولّى التدريس بمدارس قونية ، وقد توفي بقونية سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م . وممّا يجدر بالملاحظة أنّ هناك قونيّاً صوفيّاً روميّاً آخر ووفاته سنة ٦٧٢هـ وهو صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي الرومي الصوفي الشافعي . (كشف الظنون ٢/١٥٨٧ ، و٤/٤٢٧ ، و٦/١٣٠ ، والأعلام ٦/٣٠ ، و٧/٣٠ ، ومعجم البلدان ٤/٤١٥ ، ومعجم المؤلفين ٣/١٥٣ ، والقاموس الإسلامي ١/٦٢٠ ، ومعجم أعلام المورد ص ٤٩ ، والموسوعة الميسرة ص ٩٠٢ وص ١٤٠٩) .

(٣) في حاشية ق : إنْ شئت مجالسة الله فاختر مجالسه أوليائه . اهـ .

(٤) رسالة يوحنا الأولى ٣/٢٤ .

وقد يتمسّكون على أُلوهيّته ببعض حالاته[1]، فيستدلّون تارة أنّه ولد بلا أب ، وهذا الإستدلال ضعيف جداً ؛ لأنّ العالم حادث بأسره ، وما مضى على حدوثه إلى هذا الزمان ستة آلاف سنة على زعمهم ، وكلّ مخلوق من السماء والأرض والجماد والنبات والحيوان وآدم خلق عندهم في أسبوع واحد ، فجميع الحيوانات مخلوقة بلا أب وأم ، فكلٌّ من هذه يشارك المسيح في كونه مخلوقاً بلا أب ويفوق عليه في كونه بلا أم ، وتتولّد أصناف من الحشرات في كل سنة في موسم نزول المطر بلا أب وأم ، فكيف يكون هذا الأمر سبباً للألوهيّة ؟!

ولو نظرنا إلى نوع الإنسان فآدم عليه السلام يفوق عليه ، وكذلك ملكي صادوق[2] الكاهن الذي هو معاصر إبراهيم عليه السلام : في الآية الثالثة من الباب السابع من الرسالة العبرانية حاله هكذا : « بلا أب بلا أمّ بلا نسب لا بَداءة أيام له ولا نهاية حياة » فيفوق المسيح في كونه بلا أم ، وفي كونه لا بداية له .

ويستدلّون تارة بمعجزاته[3]، وهذا أيضاً ضعيف ؛ لأنّ من أعظم معجزاته إحياءَ الموتى ، فمع قطع النظر عن ثبوته[4]، وعن أنّه يفهم من هذا الإنجيل المتعارف تكذيبه[5] أقول :

---

(١) وهذه الحالات بمنزلة الدليل الخامس لهم على ألوهيّة المسيح .

(٢) ملكي صادق (ملكي صادوق) : هو ملك شاليم (أورشليم) ، ويظهر أنّه كان مؤمناً بين شعب وثني ، وكان معاصراً لإبراهيم عليه السلام ، وله الأفضليّة على الكهنة الذين تسلسلوا من إبراهيم . (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٢) .

(٣) وهذه المعجزات بمنزلة الدليل السادس لهم على ألوهيّة المسيح .

(٤) أي ثبوت معجزة إحياء عيسى لبعض الموتى .

(٥) أي ليس في الأناجيل ما يُثبت صدور معجزة إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام ، بل في الأناجيل الحاليّة ما يدلّ على عدم صدورها .

إنّ عيسى عليه السلام بحسب هذا الإنجيل ما أحيا إلى زمان الصلب إلّا ثلاثة أشخاص كما عرفت في الباب الأول[1]، وأحيا حزقيال عليه السلام ألوفا كما هو مصرّح في الباب السابع والثلاثين من كتابه[2]، فهو أولى بأنْ يكون إلهاً ، وأحيا إيليّا عليه السلام أيضاً ميتاً كما هو مصرّح في الباب السابع عشر من سفر الملوك الأول[3]، وأحيا اليسع[4] عليه السلام أيضاً ميتاً كما هو مصرّح في الباب الرابع من سفر الملوك الثاني[5]، وصدرت هذه المعجزة عن اليسع بعد موته : أنّ ميتا أُلقي في قبره فحيـي بإذن الله كما هو مصرّح في الباب الثالث عشر من السفر المذكور[6]، وأبرأ الأبرص من برصه كما هو مصرّح في الباب الخامس من السفر المذكور[7].

وقد يتمسّكون ببعض آيات كتب العهد العتيق ، وببعض أقوال

---

(١) وهم الأول : ابنة الرئيس على ما في إنجيل متّى ٢٥/٩ وإنجيل مرقس ٤٢/٥ وإنجيل لوقا ٥٥/٨، واسمها طليثا، والثاني: الابن الوحيد لأمه الأرملة في بلدة نايين على مافي إنجيل لوقا ١١/٧ ـ ١٧ . والثالث: العازار على مافي إنجيل يوحنا ١١/١ ـ ٤٤ . (انظر الاختلاف ٨٩) .

(٢) انظر هذه القصة في سفر حزقيال ٣٧/١ ـ ١٤ ، وأكتفي بنقل الفقرة ١٠ كما يلي : « فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً » .

(٣) القصّة في سفر الملوك الأول ١٧/١٧ ـ ٢٤ ، وأكتفي بنقل الفقرة ٢٢ كما يلي : « فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش » .

(٤) اليسع : (اليشع) : هو ابن شافاط أو ابن أخطوب ، من سبط يساكر ، ومن أسرة ثريّة ، وكان خليفة إيليّا (إلياس) في العمل النبوي في المملكة الشمالية في القرن التاسع قبل الميلاد ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم مرتين . (البداية والنهاية ٢/٥ ، والقاموس الإسلامي ١/١٧٠ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ١١١) .

(٥) القصة في سفر الملوك الثاني ٤/٨ ـ ٣٧ ، وأكتفي بنقل الفقرة ٣٥ كما يلي : « فعطس الصبي سبع مرات ثم فتح الصبي عينيه » .

(٦) القصة في سفر الملوك الثاني ١٣/ ٢٠ ـ ٢١ ، وأكتفي بنقل الفقرة ٢١ كما يلي : « فطرحوا الرجل في قبر اليشع فلمّا نزل الرجل ومسّ عظام اليشع عاش وقام على رجليه » .

(٧) القصة في سفر الملوك الثاني ٥/١ ـ ١٤ ، والفقرة ١٤ كما يلي : « فرجع لحمه كلحم صبي صغير وطهر » .

الحواريين . وإنّي قد نقلت هذه التمسّكات مع جواباتها في كتاب «إزالة الأوهام» فمن أراد الإطلاع عليها فليرجع إليه ، وتركت ذكرها في هذا الكتاب لأنّ التمسّكات الأوليّة[1] ضعيفة جداً ، ومع قطع النظر عن الضعف لا يثبت منها الألوهيّة على زعمهم أيضاً ما لم يُعترف أنّ المسيح إنسان كامل وإله كامل ، وهذا التأويل باطل كما عرفت مراراً ، والتمسّكات الثانوية[2] حالها كحال التمسّكات بالأقوال[3] المسيحية غالباً ، فيعامل بها معاملة أقوال المسيح من الحالات الثلاث كما عرفت في صدر هذا الفصل . ولو فرضنا أن بعض القول منهم نصّ على هذا الأمر ، فيحمل على أنه بحسب اجتهادهم ، وقد عرفت في الباب الأول أن جميع تحريراتهم ليست بالإلهام ، وأنّه قد وقع منهم الأغلاط والإختلافات والتناقض يقيناً ، وقول مقدسهم بولس غير مسلّم عندنا ، لأنّه ليس بحواريّ ولا واجب التسليم عندنا ، بل لا نسلّم وثاقته .

واعلم ـ أرشدك الله تعالى ـ أنّما نقلتُ الأقوال المسيحية وأوّلتها لأجل إتمام الإلزام ، وإثبات أنّ تمسّكهم بها ضعيف ، وكذا ما قلت في أقوال الحواريين إنّما هو على تقدير تسليم أنّها أقوالهم ، ولا يثبت عندنا أنّها أقوال المسيح عليه السلام والحواريّين لأجل فقدان إسناد هذه الكتب كما عرفت في الباب الأول ، ولأجل وقوع التحريف فيها عموماً ، وفي هذه المسألة خصوصاً أيضاً كما عرفت في الباب الثاني أنّ عادتهم في مثل هذه الأمور كانت كذلك .

وعقيدتي أنّ المسيح والحواريين كانوا برآء من هذه العقيدة الكفريّة يقيناً ، وأشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنّ عيسى عبدالله ورسوله ، وأنّ الحواريين رسلُ رسولِ الله .

---

(١) أي التمسّك ببعض فقرات كتب العهد العتيق للاستدلال بها على ألوهيّة المسيح .
(٢) أي التمسّك ببعض أقوال الحواريين والتلاميذ للاستدلال بها على ألوهيّة المسيح .
(٣) في المطبوعة والمقروءة : « بالأحوال » والصواب كما في المخطوطة : « بالأقوال » .

ووقعت بين الإمام الهمام الفخر الرازي - عليه الرحمة - وبين بعض القسّيسين مناظرة بخوارزم[1]، ولـمّا كان نقلها لا يخلو عن فائدة فأنقلها :

قال قدّس سرّه في المجلد الثاني[2] من تفسيره في سورة آل عمران تحت تفسير قوله تعالى : ﴿ **فمن حاجّك فيه من بعد ماجاءك من العلم . . .** ﴾ الآية[3] :
« اتفـق أنّي حين كنت بخوارزم أُخْبِرتُ أنّه جاء نصراني يدّعي التحقيق والتعمّق في مذهبهم . فذهبت إليه ، وشرعنا في الحديث .

فقال لي : ما الدليل على نبوّة محمد ﷺ ؟

فقلت له : كما نُقل إلينا ظهور الخوارق على يد موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام - نُقِلَ إلينا ظهور الخوارق على يد محمد ﷺ ، فإنْ رَدَدْنا التواتر أو قبلناه لكن قلنا : إنّ المعجزة لا تدلّ على الصدق فحينئذ بطلت نبوة سائر الأنبياء عليهم السلام ، وإنْ اعترفنا بصحّة التواتر ، واعترفنا بدلالة

---

(١) خوارزم : اسم يطلق على الإقليم الذي يشمل حوض نهر أموداريا (جيحون) ودلتاه التي تصبّ فروعها العديدة في بحر آرال ، وتقع شرقي بحر الخزر ، (بحر قزوين) وتقع الآن منطقة خوارزم في نطاق جمهوريات الاتحاد السوفياتي ، ومنها جزء في جمهوريّة أوزبكستان ، وجزء في قازاقستان . وكانت عاصمة الاقليم واسمها الآن خيوة (خيوا) ، ولـمّا فتحت خوارزم على يد قتيبة بن مسلم الباهلي عام ٩٣هـ/٧١٢م انتقلت العاصمة إلى جرجان (كاركانج) الواقعة على الضفّة الشرقية لنهر جيحون ، وكان أهل خوارزم إبّان الفتح الإسلامي يدين أكثرهم بالزرادشتيّة وبعضهم يعتنق المسيحية ، ولغتهم الخاصة بهم تعتبر من لهجات اللغة الفارسية ، وقد أغار الروس سنة ١٨٧٣م على هذه المنطقة فاحتلوها بوحشية ، وجعلوها مستعمرة روسيّة تابعة للحاكم الروسي على ولايات آسيا الوسطى . (معجم البلدان ٢/٣٩٥ ، والقاموس الإسلامي ٢/٢٩٣ ، والموسوعة الميسرة ص ٧٦٧ ، ودائرة وجدي ٣/٧٩٤) .

(٢) دققتُ النقل على تفسير الرازي المطبوع بالمطبعة البهيّة المصريّة ، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٧هـ و ١٩٣٨م ، وهو في جـ ٨ ص ٨٣ و ٨٤ تحت المسألة الأولى ، وأمّا الجزء الثاني الذي أشار إليه المؤلف ههنا فهو على حسب طبعة المطبعة المصريّة الأميريّة في رمضان سنة ١٢٧٨هـ ، والنص فيه في جـ ٢ ص ١٧٧ و ١٧٨ .

(٣) سورة آل عمران آية ٦١ .

المعجزة على الصدق ، ثم أنهما حاصلان في حق محمد [ﷺ] وجب الإعتراف قطعاً بنبوّة محمد عليه السلام ؛ ضرورة أنّ عند الاستواء في الدليل لا بدّ من الاستواء في حصول المدلول .

فقال النصراني : أنا لا أقول في عيسى عليه السلام : إنّه كان نبيّاً ، بل أقول : إنّه كان إلهاً .

فقلت له : الكلام في النبوة لا بدّ وأن يكون مسبوقاً بمعرفة الإله ، وهذا الذي تقوله باطل ، ويدلّ عليه أنّ الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته يجب أن لا يكون جسماً ولا متحيّزاً ولا عَرَضاً(١) ، وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني الذي وجد بعد أنْ كان معدوماً ، وقُتِل بعد أنْ كان حيّاً على قولكم ، وكان طفلاً أولاً ، ثم صار مترعرعاً ، ثم صار شاباً ، وكان يأكل ويشرب ويُحْدِث وينام ويستيقظ ، وقد تقرر في بداهة العقول أنّ المُحْدَث لا يكون قديماً ، والمحتاج لا يكون غنياً ، والممكن لا يكون واجباً ، والمتغيّر لا يكون دائماً .

والوجه الثاني(٢) في إبطال هذه المقالة : أنّكم تعترفون بأنّ اليهود أخذوه وصلبوه وتركوه حيّاً على الخشبة وقد مزّقوا ضلعه ، وأنّه كان يحتال في الهرب منهم وفي الإختفاء عنهم ، وحين عاملوه بتلك المعاملات أظهر الجزع الشديد . فإنْ كان إلهاً ، أو كان الإله حالاّ فيه ، أو كان جزء من الإله حالاّ فيه فَلِمَ لَمْ يدفعهم عن نفسه ؟ ولِمَ لَمْ يهلكهم بالكليّة؟ وأيّ حاجة به إلى إظهار الجزع منهم والاحتيال في الفرار منهم ؟! وبالله إنّني لأتعجب جداً أنّ العاقل كيف يليق به أن يقول هذا القول ، ويعتقد صحته ؟! فتكاد أنْ تكون بديهةُ العقل شاهدة بفساده .

---

(١) هذه الاصطلاحات من اصطلاحات علماء الكلام ، ولم يرد في الشرع إثباتها ولا نفيها .
(٢) لعلّ الوجه الأول هو قوله : « أنّ الإله عبارة عن موجود واجب الوجود . . . » الخ .

والوجه الثالث : وهو أنّه إمّا أنْ يُقال بأنّ الإله هو هذا الشخص الجسماني المشاهد ، أو يُقال حلّ الإله بكليّته فيه ، أو حلّ بعض الإله وجزء منه فيه . والأقسام الثلاثة باطلة :

أمّا الأول : فلأنّ إله العالم لو كان هو ذلك الجسم ، فحين قتله اليهود كان ذلك قولاً بأنّ اليهود قتلوا إله العالم ، فكيف بقي العالم بعد ذلك من غير إله ؟! ثم إنّ أشدّ الناس ذلاًّ ودناءة اليهود ، فالإله الذي تقتله اليهود إله في غاية العجز .

وأما الثاني : « وهو أنّ الإله بكليّته حلّ في هذا الجسم » فهو أيضاً فاسد ، لأنّ الإله إنْ لم يكن جسماً ولا عرضاً امتنع حلوله في الجسم ، وإنْ كان جسماً فحينئذ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم ، وذلك يوجب وقوع التفرّق في أجزاء ذلك الإله ، وإنْ كان عَرَضا كان محتاجاً إلى المحل ، وكان الإله محتاجاً إلى غيره ، وكلّ ذلك سخيف .

وأمّا الثالث : « وهو أنّه حلّ فيه بعض من أبعاض الإله وجزء من أجزائه » فذلك أيضاً محال ، لأنّ ذلك الجزء إنْ كان معتبراً في الإلهية فعند انفصاله عن الإله وجب أن لا يبقى الإله إلهاً . وإنْ لم يكن معتبراً في تحقّق الإلهية لم يكن جزءاً من الإله ، فثبت فساد هذه الأقسام فكان قول النصارى باطلاً .

الوجه الرابع : في بطلان قول النصارى : ما ثبت بالتواتر أنّ عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة في العبادة والطاعة لله تعالى ، ولو كان إلهاً لاستحال ذلك ؛ لأنّ الإله لا يعبد نفسه .

فهذه وجوه في غاية الجلاء والظهور دالّة على فساد قولهم .

ثم قلت للنصراني : وما الذي دلّك على كونه إلهاً ؟

فقال : الذي دلّ عليه ظهور العجائب عليه من إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص ، وذلك لا يمكن حصوله إلاّ بقدرة الإله تعالى .

فقلت له : هل تسلّم أنّه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول[1] أم لا ؟ فإنْ لم تسلّم لزمك من نفي العالم في الأزل نفي الصانع ، وإنْ سلّمت أنّه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول ؛ فأقول لـمّا جوّزت حلول الإله في بدن عيسى عليه السلام فكيف عرفت أنّ الإله ما حلّ في بدني وبدنك وفي بدن كلّ حيوان ونبات وجماد ؟!

فقال : الفرق ظاهر ، وذلك لأنّي إنّما حكمت بذلك الحلول لأنّه ظهرت تلك الأفعال العجيبة عليه ، والأفعال العجيبة ما ظهرت على يدي ولا على يدك ، فعلمنا أنّ ذلك الحلول مفقود ههنا .

فقلت له : تبيّن الآن أنّك ما عرفت معنى قولي : إنّه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول ، وذلك لأنّ ظهور تلك الخوارق دالّة على حلول الإله في بدن عيسى [عليه السلام] ، فعدم ظهور تلك الخوارق منّي ومنك ليس فيه إلاّ أنّه لم يوجد ذلك الدليل . فإذَا ثبت أنّه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول لا يلزم من عدم ظهور تلك الخوارق منّي ومنك عدم الحلول في حقّي وفي حقّك ، بل وفي حق الكلب والسنّور والفأر . ثم قلت : إنّ مذهباً يؤدّي القول به إلى تجويز حلول ذات الله في بدن الكلب والذباب لفي غاية الخسة والركاكة .

الوجه الخامس[2]: أنّ قلب العصا حيّة أبعد في العقل من إعادة الميت

(١) هذا هو الوجه الأول في الردّ على استدلال النصارى على ألوهيّة المسيح بصنعه المعجزات ، وقد أشار مؤلف إظهار الحق في حاشية المقروءة إلى أن هذا هو الوجه الأول .

(٢) في طبعات تفسير الرازي ههنا « الوجه الخامس » ، ومؤلف إظهار الحق كتبه هنا الوجه الثاني وكلاهما صواب ؛ لأن هذا الوجه يحسب ثانياً في الرد على استدلال النصارى على ألوهيّة =

حيّاً ؛ لأنّ المشاكلة بين بدن الحيّ وبدن الميت أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان ، فإذا لم يوجب قلب العصا حية كون موسى [عليه السلام] إلهاً ولا ابناً للإله فبأنْ لا يدلّ إحياء الموتى على الإلهية كان ذلك أولى .

وعند هذا انقطع النصراني ولم يبق له كلام . والله أعلم » . انتهى كلامه بعبارته الشريفة .

= المسيح بصنعه المعجزات فقط ، ويحسب خامساً تبعاً للوجوه الأربعة السابقة عليه في إبطال ألوهيّة المسيح .

الباب الخامس

(في إثبات كون القرآن كلام الله ومعجزًا ورفع شبهات القسيسين)

وضممت إلى مبحث القرآن مبحث إثبات صحّة الأحاديث النبويّة المرويّة في كتب الصّحاح من كتب أهل السنة والجماعة ، وجعلت هذا الباب مشتملاً على أربعة فصول :

[**الفصل الأول** : الأمور التي تدل على أنّ القرآن الكريم كلام الله .

الفصل الثاني : في رفع شبهات القسيسين على القرآن .

الفصل الثالث : في إثبات صحة الأحاديث النبوية المرويّة في الكتب الصحاح من كتب أهل السنة والجماعة .

الفصل الرابع : في دفع شبهات القسيسين الواردة على الأحاديث][1] .

---

(١) ما بين المعقوفتين توضيح من المحقق .



الفصل الأول

(الأمور التي تدل على أن القرآن كلام الله)

الأمور التي تدلّ على أن القرآن كلام الله كثيرة ، أكتفي منها على اثني عشر أمراً على عدد حواريي المسيح ، وأترك الباقي مثل أن يُقال : إنّ الجانب المخالِف وقت بيان أمر من الأمور الدنيوية أو الدينية أيضاً يكون ملحوظاً في القرآن ، وإنّ بيان كل شيء ترغيباً كان أو ترهيباً ، رأفة كان أو عتاباً يكون على درجة الاعتدال ، لا بالإفراط ولا بالتفريط ، وهذان الأمران لا يوجدان في كلام الإنسان لأنّه يتكلّم في بيان كلّ حال بما يناسب ذلك الحال ، فلا يُلاحَظ في العتاب حالُ الذين هم قابلون للرأفة وبالعكس ، ولا يلاحَظ عند ذكر الدنيا حالُ الآخرة وبالعكس ، ويقول في الغضب زائداً على الخطأ وهكذا أمور أخر :

الأمر الأول : كونه في الدرجة العالية من البلاغة التي لم يُعهد مثلها في تراكيبهم ، وتقاصرت عنها درجات بلاغتهم ، وهي عبارةٌ عن التعبير باللفظ المعجِب عن المعنى المناسب للمقام الذي أورد فيه الكلام بلا زيادة أو نقصان في البيان ، والدلالة عليه . وعلى هذا كلما ازداد شرف الألفاظ ورونق المعاني ومطابقة الدلالة كان الكلام أبلغ ، وتدل على كونه في هذه الدرجة وجوه :

الوجه الأول : أنّ فصاحة العرب أكثرها في وصف المشاهدات مثل وصف بعير أو فرس أو جارية أو ملك أو ضربة أو طعنة أو وصف حرب أو وصف غارة ، وكذا فصاحة العجم سواء كانوا شاعرين أو كاتبين أكثرها في أمثال هذه

الأشياء ، ودائرة الفصاحة والبلاغة فيها متسعة جداً ، لأنّ طبائع أكثر الناس تكون مائلة إليها . وظهر من الزمان القديم في كل وقت وفي كل إقليم من شاعر أو كاتب مضمون جديد ونكتة لطيفة في بيان شيء من هذه الأشياء المذكورة ، ويكون المتأخر المتتبع واقفاً على تدقيقات المتقدم غالباً . فلو كان الرجل سليم الذهن ، وتوجه إلى تحصيل ملكةٍ في وصفها يحصل له بعد الممارسة والاشتغال ملكة البيان في وصف شيء من هذه الأشياء على قدر سلامة فكره وجودة ذهنه . وليس القرآن في بيان خصوص هذه الأشياء فكان يجب أن لا تحصل فيه الألفاظ الفصيحة التي اتفقت عليها العرب في كلامهم .

الوجه الثاني : أنّه تعالى راعى فيه طريقة الصدق ، وتنزّه عن الكذب في جميعه ، وكلّ شاعرٍ ترك الكذب والتزم الصدق نزل شعره ، ولم يكن جيّداً ، ولذلك قيل: أحسنُ الشعر أكذبُه. وترى أنّ لبيد بن ربيعة[1] وحسان ابن ثابت[2] رضي الله عنهما لـمّا أسلما نزل شعرهما ، ولم يكن شعرهما الإسلامي كشعرهما الجاهلي ، والقرآن جاء فصيحاً مع التنزّه عن الكذب والمجازفة .

الوجه الثالث : أنّ الكلام الفصيح إنّما يتفق في القصيدة في البيت والبيتين ، والباقي لا يكون كذلك ، بخلاف القرآن فإنه مع طوله فصيح كله

(١) لبيد بن ربيعة : هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك العامري من أهل عالية نجد ، كان من شعراء الجاهلية وفرسانهم ، وهو أحد أصحاب المعلقات . قدم على النبي ﷺ مع قومه فأسلم وحسُن إسلامه ، ونزل بالكوفة ومات بها في خلافة عثمان ، وقيل إنه مات في أول خلافة معاوية سنة ٤١هـ/٦٦١م ، وله من العمر ١٥٧ عاماً .
(الإصابة ٣/٣٢٦ ، والاستيعاب ٣/٣٢٤ ، والأعلام ٥/٢٤٠) .

(٢) هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي النجاري المولود عام ٥٦٢م ، شاعر رسول الله ﷺ في الإسلام ، أسلم وعمره ٦٠ سنة وحسن إسلامه ، وكان المشركون يهابون لسانه ، وقد عَمِيَ قبل موته وتوفي بالمدينة سنة ٥٤هـ/٦٧٤م .
(الإصابة ١/٣٢٦ ، والاستيعاب ١/٣٣٥ ، والأعلام ٢/١٧٥) .

بحيث يعجز الخلق عنه ، ومن تأمل في قصة يوسف[1] عليه السلام عرف أنّها مع طولها وقعت على الدرجة العالية من البلاغة .

الوجه الرابع : أنّ الشاعر أو الكاتب إذا كرر مضموناً أو قصة لا يكون كلامه الثاني مثل الأول . وقد تكررت قصص الأنبياء وأحوال المبدأ والمعاد والأحكام والصفات الإلهيّة ، واختلفت العبارات إيجازاً وإطناباً وتفنناً في بيانها غَيْبةً وخطاباً ، ومع ذلك كل واحد منها في نهاية الفصاحة ولم يظهر التفاوت أصلاً .

الوجه الخامس : أنّه اقتصر على إيجاب العبادات وتحريم القبائح والحث على مكارم الأخلاق وترك الدنيا واختيار الآخرة ، وأمثال هذه الأمور توجب تقليل الفصاحة ، ولذلك إذا قيل لشاعر فصيح أو كاتب بليغ أن يكتب تسعاً أو عشراً من مسائل الفقه أو العقائد في عبارة فصيحة مشتملة على التشبيهات البليغة والاستعارات الدقيقة يعجز .

الوجه السادس : أنّ كل شاعر يحسن كلامه في فنّ فإنّه يضعف كلامه في غير ذلك الفنّ ، كما قالوا في شعراء العرب : إنّ شعر امرىء القيس[2] يحسن

---

(١) أي في سورة يوسف عليه السلام ، وهي سورة مكية وآياتها ١١١ آية .

(٢) امرؤ القيس : هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث الكندي من بني آكل المُرَار (بضم الميم وتخفيف الراء) يماني الأصل ينتهي نسبه إلى قحطان ، ولد بنجد أو بمخلاف السكاسك باليمن حوالي عام ١٣٠ق.هـ/٤٩٧م ، اشتهر بلقبه واختلف في اسمه . وهو أشعر شعراء العرب على الإطلاق مات في أنقرة عام ٨٠ ق.هـ/٥٤٥م . (الأعلام ٢ /١١ ، والقاموس الإسلامي ١/ ١٨٠ ، والموسوعة الميسرة ص ٢٢٤ ، ودائرة وجدي ١/ ٥٧٥) .

عند الطرب وذكر النساء وصفة الخيل ، وشعر النابغة[1] عند الخوف ، وشعر الأعشى[2] عند الطلب ووصف الخمر ، وشعر زهير[3] عند الرغبة والرجاء . وقالوا في شعراء فارس : إنّ النظامي[4] والفردوسي[5] وحيدان في بيان

---

(١) النابغة : هو أبو أمامة (ثمامة) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري ، شاعرٍ جاهلي من الطبقة الأولى من أهل الحجاز ، وهو من أصحاب المعلقات . وقد عمّر النابغة طويلاً وكانت وفاته عام ١٨ ق.هـ/٦٠٤م . (الأعلام ٣/٥٤ ، والموسوعة الميسرة ص ١٨١١ ، ودائرة وجدي ١٠/٣٠) .

(٢) الأعشى : هو الأعشى الكبير أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل ، ينتهي نسبه لنزار ، يعرف بأعشى قيس؛ لأنه من بني قيس بن ثعلبة الوائلي ، ويقال له أعشى بكر بن وائل ، مولده ووفاته بمنفوحة بالرياض ، وهو من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، وهو أحد أصحاب المعلقات، أدرك الإسلام ولم يُسلِم، وقيل كان نصرانياً، وكانت وفاته سنة ٧هـ/٦٢٩م . (الأعلام ٧/٣٤١ ، والقاموس الإسلامي ١/١٣٣ ، والموسوعة الميسرة ص ١٧٣ ، ودائرة وجدي ٦/٤٦٨) .

(٣) زهير (٥٢٠-٦٠٩م) : هو زهير بن أبي سلمى ، واسم أبيه : ربيعة بن رياح بن قرة المزني من مضر . ولد بنواحي المدينة ونشأ بين غطفان بالحاجر من ديار نجد ، شارك في إنهاء حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ومدح داعيي السلم ، وهو أحد أصحاب المعلقات . توفي سنة ١٣ قبل الهجرة/٦٠٩م . (الأعلام ٣/٥٢ ، والقاموس الإسلامي ٣/١١٩ ، والموسوعة الميسرة ص ٩٣١ ، ودائرة وجدي ٤/٦٥٤) .

(٤) النّظّامي : هو أبو محمد بن يوسف الكنجوي (١١٤٤-١٢١١م) ، من أشهر شعراء الفرس ، اشتهر بنظم خمس قصص «خمسة نظامي» أو ديوان نظامي ، وله تأثير كبير على من لحقه من الشعراء . (كشف الظنون ١/٨١٧ ، والموسوعة الميسرة ص ١٨٣٨ ، وأعلام المورد ص ٦٤) .

(٥) الفردوسي : هو أبو القاسم حسن بن محمد الطوسي المعروف بالفردوسي (٩٣٢-١٠٢٠م) من أشهر شعراء إيران ، عُرف بالشاهنامة وهي ملحمة تضم ستين ألف بيت عن أمجاد ملوك الفرس . (كشف الظنون ٢/١٠٢٥ ، والموسوعة الميسرة ص ١٢٨٦ ، وأعلام المورد ص ٣٢) .

الحرب ، والسعدي[1] فريد في الغزل ، والأنوري[2] في القصائد . والقرآن جاء فصيحاً على غاية الفصاحة في كل فنّ ؛ ترغيباً كان أو ترهيباً ، زجراً كان أو وعظاً أو غيرها .

وأورد هنا بطريق الأنموذج من كل فنّ آية آية :

ففي الترغيب قوله : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين**﴾[3].

وفي الترهيب قوله : ﴿ **وخاب كل جبّار عنيد • من ورائه جهنّم ويسقى من ماء صديد • يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ**﴾[4].

---

(1) السعدي : هو شرف الدين (مصلح الدين) بن عبدالله الشهير بسعدي الشيرازي ، أديب فاضل وأحد الشعراء الثلاثة الكبار في بلاد فارس (الفردوسي والأنوري والسعدي) ، مولده ووفاته بشيراز (٥٨٠هـ/١١٨٤م - ٦٩١هـ/١٢٩٢م) فنسب إليها ، ويقال له : السعدي نسبة إلى الأتابك سعد بن زنكي الذي رعاه بعد وفاة والده ، واهتم بتعليمه ، فرحل كثيراً ونال حظاً كبيراً من علوم اللغة والأدب والفقه ، وصنّف من الكتب بوستان (البستان) وهي كلمة فارسية معناها (حديقة الأزهار) وهو منظوم فارسي في الأخلاق ويُعرف بسعدنامه ، وصنف (كلستان) وهي كلمة فارسية معناها (حديقة الورود) . وهو فارسي في الأدب نظماً ونثراً .ألفهما ما بين عامي ١٢٥٦-١٢٥٨م ولهما عدة شروح بالتركية ، وله ديوان سعدي ، وله (كليات) وهو فارسي نظماً ونثراً . وقد اهتم عدد من المستشرقين بمصنفاته فترجموها ونشروها بعدة لغات أوروبية . (كشف الظنون ١/٢٤٤ و٧٩٣ ، و٢/١٥٠٤ و١٥٠٧ ، و٦/٤٦٢ ، والقاموس الإسلامي ١/٣١٢ و٣/٣٤٢ ، والموسوعة الميسرة ص ٩٨٢) .

(2) الأنوري : هو أوحد الدين علي بن إسحاق الأبيوردي المتوفي سنة ٥٦٥هـ عاش في العصر السلجوقي ، وهو أحد أشهر شعراء الفرس الثلاثة ، وترجع شهرته إلى قصائده ، وله ديوان مطبوع بالفارسي باسم ديوان أنوري . (كشف الظنون ١/٧٧٧ ، و٣/٤٩١ ، و٥/٦٩٩ ، والموسوعة الميسرة ص ٢٥١) .

(3) سورة السجدة آية ١٧ .

(4) سورة إبراهيم ١٥-١٧ .

وفي الزجر والتوبيخ قوله : ﴿ فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾[1]

وفي الوعظ قوله : ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين • ثم جاءهم ما كانوا يوعدون • ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾[2].

وفي الإلهيات قوله : ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار • عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ﴾[3].

الوجه السابع : الأغلب أنّه إذا انتقل الكلام من مضمون إلى مضمون آخر ، أو اشتمل على بيان أشياء مختلفة لا يبقى حسن ربط الكلام ، ويسقط عن الدرجة العالية للبلاغة ، والقرآن يوجد فيه الإنتقال من قصة إلى قصة أخرى ، والخروج من باب إلى غيره ، والإشتمال على أمر ونهي ، وخبر واستخبار ، ووعد ووعيد ، وإثبات النبوة ، وتوحيد الذات وتفريد الصفات ، وترغيب وترهيب ، وضرب مثال وبيان حال وغيرها ، ومع ذلك يوجد فيه كمال الربط والدرجة العالية للبلاغة الخارجة عن العادة ، فتحيّر فيها عقول بلغاء العرب .

الوجه الثامن : أنّ القرآن في أغلب المواضع يأتي بلفظ يسير متضمن لمعنى كثير ، ويكون اللفظ أعذب . ومن تأمل في سورة « ص » علـم ما قلت : كيف صدّرها ، وجمـع فيها من أخبار الكفار وخلافهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم ، ومن تكذيبهم لمحمد ﷺ ، وتعجّبهم ممّا أتى به ، والخبر

---

(١) سورة العنكبوت آية ٤٠ .

(٢) سورة الشعراء ٢٠٥-٢٠٧ .

(٣) سورة الرعد ٨-٩ .

عن إجماع ملئهم على الكفر ، وظهور الحسد في كلامهم ، وتعجيزهم وتحقيرهم ، ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة ، وتكذيب الأمم قبلهم ، وإهلاك الله لهم ، ووعيد قريش وأمثالهم مثل مُصابهم ، وحمل النبي على الصبر على أذاهم ، وتسليته بكل ما تقدم بيانه عنهم ، ثم شرع بعد تسليته في قصص الأنبياء مثل داود وسليمان وأيوب وإبراهيم ويعقوب وغيرهم عليهم السلام . وكل هذا الذي ذكر من أولها إلى آخرها في ألفاظ يسيرة متضمنة لمعانٍ كثيرة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ولكم في القصاص حياة﴾[1] فإنّ هذا القول لفظه يسير ومعناه كثير ، ومع كونه بليغاً مشتملٌ على المطابقة بين المعنيينْ المتقابلينْ وهما القصاص والحياة ، وعلى الغرابة بجعل القتل الذي هو مفوّت للحياة ظرفاً لها ، وأوْلى من جميع الأقوال المشهورة عند العرب في هذا الباب[2] لأنّهم عبّروا عن هذا المعنى بقولهم : « قَتْلُ البعض إحياء للجميع » ، وقولهم : « أكثِروا القتل ليقلّ القتل »، وقولهم : « القتْلُ أنفى للقتل » ، وأجود الأقوال المنقولة عنهم القول الأخير ، ولفظ القرآن أفصح منه بستة أوجه :

أحدها : أنّه أخصر من الكل ، لأنّ قوله : ﴿ولكم﴾ لا يدخل في هذا الباب[3]؛ لأنّه لا بد من تقدير ذلك في الكل[4]؛ لأنّ قول القائل : « قَتْلُ البعض إحياء للجميع » لا بد فيه من تقدير مثله ، وكذلك في قولهم : « القتل أنفى للقتل » .

وثانيها : أنّ قولهم : « القتل أنفى للقتل » ظاهره يقتضي كون الشيء سبباً

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٩ .

(٢) أي باب منع القتل .

(٣) أي باب عدد الكلمات وحروفها .

(٤) فيقال : ولكم في قتل البعض إحياء للجميع ، وهكذا في غيرها ، فإمّا أن تُحسب في كل الأقوال بما فيها الآية أو لا تحسب في الكل .

لانتفاء نفسه بخلاف لفظ القرآن ، فإنّه يقتضي أنّ نوعاً من القتل وهو القصاص سبب لنوع من أنواع الحياة .

وثالثها : أنّ في قولهم الأجود[1] تكرير لفظ القتل بخلاف لفظ القرآن .

ورابعها : أنّ قولهم الأجود لا يفيد إلّا الردع عن القتل بخلاف لفظ القرآن ، فإنه يفيد الردع عن القتل والجرح ، فهو أفيد .

وخامسها : أنّ قولهم الأجود دالّ على ماهو المطلوب بالتبع بخلاف لفظ القرآن فإنّه دالّ على ماهو مقصود أصلي ؛ لأنّ نفي القتل مطلوب تبعاً من حيث إنّه يتضمن حصول الحياة الذي هو مطلوب أصالة .

وسادسها : أنّ القتل ظلماً أيضاً قتل ، مع أنه ليس بنافٍ للقتل بخلاف القصاص ، فظاهر قولهم باطل ، وأمّا لفظ القرآن فصحيح ظاهراً وباطناً .

وكذلك قوله تعالى : « **ومن يطع الله** » في فرائضه « **ورسوله** » في سننه ، أو في جميع ما يأمرانه وينهيانه « **ويخش الله** » أي يَخَفْ خِلافَه وعقابه وحسابه « **ويتقْهِ** » فيما بقي من عمره في جميع أمره « **فأولئك هم الفائزون** »[2] بالمراد في المبدأ والمعاد ، فإنّ هذا القول مع وجازة لفظه جامع لجميع الضروريات .

حُكي أنّ عمر بن الخطاب[3] رضي الله عنه كان يوماً نائماً في المسجد فإذا

---

(١) قولهم الأجود هو : القتل أنفى للقتل .

(٢) سورة النور آية ٥٢ .

(٣) عمر : هو أمير المؤمنين أبو حفص : عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، ولد بمكة بعد عام الفيل بثلاثة عشرِ عاماً (٤٠ ق.هـ/٥٨٤م) ، وكان من تجار مكة ، أسلم قبل الهجرة بأربع سنوات بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة منهن أخته فاطمة زوجة سعيد بن زيد ، فقوى المسلمون بإسلامه ولقبه النبي ﷺ بالفاروق وتزوّج ابنته حفصة بعد الهجرة ، وهو أول من بادر إلى بيعة أبي بكر بالخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وعهد إليه أبو بكر بالخلافة يوم وفاته فبويع بها بنفس اليوم سنة ١٣هـ/٦٣٤م ، واصلت الجيوش الإسلامية في عهده الفتوحات فتم فتح الشام والعراق ومصر ومعظم بلاد فارس ، وهو أول من تسمّى بأمير المؤمنين ، ودوّن الدواوين في =

هو بقائم على رأسه يتشهّد شهادة الحق ، فأعلمه أنّه من بطارقة[1] الروم من جملة من يُحسن فهم الألسن من العرب وغيرها ، وأنّه سمع رجلاً من أُسراء[2] المسلمين يقرأ آية من كتابكم ، فتأملها فإذا هي جامعة لكل ما أنزل الله على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة ، وهي قوله : « **ومن يطع الله ورسوله . . .** » الآية[3].

وحُكي أنّ طبيباً نصرانياً حاذقاً سأل الحسين بن علي بن الواقدي[4]: لماذا لم

= العطاء ، ورتّب الناس على سوابقهم ، وأرّخ بالهجرة ، وقد عدّ بحق أعظم شخصية إسلامية عربية بعد رسول الله ﷺ ، وورد في فضائله أحاديث كثيرة . طعنه أبو لؤلؤة فيروز الفارسي المجوسي غلام المغيرة بن شعبة بخنجر في خاصرته وهو يهمّ بصلاة الصبح ليوم الأربعاء ٢٨ ذي الحجة سنة ٢٣هـ/٦٤٤م ، فصلّى بالناس عبدالرحمن بن عوف فقصّر جداً ، ثم احتملوه إلى بيته ، فجعل الخلافة شورى في ستة توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض وهم : (عثمان بن عفان ، وعليّ بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيدالله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبدالرحمن بن عوف)، والسابع ابنه عبدالله بن عمر على أن يكون له الرأي دون الخلافة ، عاش بعد الطعنة ثلاث ليال ، وتوفي وعمره ٦٣ سنة كعمر رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر ، وقد دامت خلافته عشر سنين وستة أشهر ، له في كتب الحديث ٥٣٧ حديثاً . (الإصابة ٢/٥١٨ ، والاستيعاب ٢/٤٥٨ ، وتهذيب التهذيب ٧/٤٣٨ ، والأعلام ٥/٤٥ ، والقاموس الإسلامي ٥/٥٢٣ ، والموسوعة العربية الميسرة ص١٢٣٦ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٦/٧٠٧) .

(١) البطارقة : جمع بطريق ، وهو بلغة أهل الشام والروم ومعناه القائد الحاذق بالحرب وأمورها وهو ذو منصب وتقدّم عندهم . والبطارقة هم الطبقة الممتازة في روما القديمة ، ومنذ عهد قسطنطين أصبحت كلمة (بطريق) لقباً فخرياً يمنح لكل من يؤدي خدمة ممتازة للإمبراطورية ، وهو لفظ معرّب ، ويقال : إنه عربي وافق العجمي ، قال ابن سيدة : العظيم من الروم ، ولا توصف به المرأة . وأما البطرك وجمعه بطارك وبطاركة : فهو المقدّم عند النصارى، ويطلق على رئيس الأساقفة ، وقيل البطرك هو البطريق . (لسان العرب ١٠/٢١ و٤٠١ ، والمعجم الوسيط ص ٦١ والموسوعة العربية الميسرة ص٣٧٦ ودائرة وجدي ٢/٢٣٣) .

(٢) مفردها أَسِير ، والجمع أُسراء ، وأُسارى وأَسارى وأَسْرى . (لسان العرب ٤/١٩) .

(٣) أي آية سورة النور السابقة رقم ٥٢ . وقد ذكر هذه القصة القاضي عياض في كتاب الشفا ١/٢٦٢ .

(٤) في المخطوطة (الواقد) ، وفي المطبوعة (الوقاد) ، وفي المقروءة (الواقدي) ولم أجد له ترجمة .

يُنقل شيء في كتابكم عن علم الطب ، والعلم علمان : علم الأبدان ، وعلم الأديان ؟

فقال الحسين : إنّ الله بيّن علم الطب كلَّه في نصف آية .

فسأل الطبيبُ النصرانيُ عن هذه الآية .

فقال : هي قوله : « **وكلوا واشربوا** » ما أحل الله لكم من المطعومات والمشروبات « **ولا تسرفوا** »[1] أي : لا تتعدّوا إلى الحرام ، ولا تُكثروا الإنفاق المستقبح ، ولا تناولوا مقداراً كثيراً يضركم ولا تحتاجون إليه .

ثم سأل الطبيب : أقال نبيكم أيضاً شيئاً في هذا الأمر ؟

فقال الحسين : إنّ نبينا أيضاً جمع الطب في ألفاظ يسيرة .

فسأل الطبيب عنها .

فقال الحسين : هي هذه : « المعدة بيت الداء ، والحِمْية رأس كل دواء ، وأعط كل بدن ما عوّدته »[2].

فقال الطبيب : الإنصاف أن كتابكم ونبيكم ما تركا حاجة إلى جالينوس[3].

---

(١) الآية ٣١ من سورة الأعراف .

(٢) هذا القول ليس حديثاً عن النبي ﷺ ، والأغلب أنّه من أقوال طبيب العرب المشهور الحارث بن كلدة الثقفي ، ولكن ورد في الأحاديث ما يؤيده .

(٣) جالينوس (جالين) : (١٢٩-١٩٩م) طبيب يوناني من أشهر أطباء العصور القديمة بعد أبقراط ، ولد بمدينة فرغامس شرقي القسطنطينيّة وتنسب إليه نحو ٥٠٠ رسالة حفظ منها حوالي ٨٠ (القاموس الإسلامي ١/٥٥٨ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ٥٩٧ ، ودائرة وجدي ٣/٣ ، ومعجم أعلام المورد ص ٣٦) .

يعني بيّنا الأمر الذي هو رأس حفظ الصحة وإزالة المرض وأصلهما ومدارهما .

الوجه التاسع : أنّ الجزالة والعذوبة بمنزلة الصفتين المتضادتينْ ، واجتماعهما على ما هو ينبغي في كل جزء من الكلام الطويل خلاف العادة المعتادة للبلغاء . فاجتماعهما في كل موضع من مواضع القرآن كله دليل على كمال بلاغته وفصاحته الخارجتينْ عن العادة .

الوجه العاشر : أنّه مشتمل على جميع فنون البلاغة من ضروب التأكيد وأنواع التشبيه والتمثيل ، وأصناف الاستعارة ، وحُسْن المطالع والمقاطع وحُسْن الفواصل ، والتقديم والتأخير ، والفصل والوصل اللائق بالمقام ، وخلوِّه عن اللفظ الركيك والشاذّ الخارج عن القياس النافر عن الإستعمال ، وغير ذلك من أنواع البلاغات ، ولا يقدر أحد من البلغاء الكُمَلاء من العرب العَرْباء إلاّ على نوع أو نوعين من الأنواع المذكورة ، ولو رام غيره في كلامه لم يتأتّ له ، وكان مقصّراً ، والقرآن محتوٍ عليها كلها .

فتلك عشرة كاملة ، وهذه الوجوه العشرة تدلّ على أنّ القرآن في الدرجة العالية من البلاغة الخارجة عن العادة ، ويعرفه فصحاء العرب بسليقتهم ، وعلماء الفِرَق بمهارتهم في فنّ البيان وإحاطاتهم بأساليب الكلام . ومَن كان أعرف بلغة العرب وفنون بلاغتها كان أعرف بإعجاز القرآن .

الأمر الثاني : تأليفه العجيب وأسلوبه الغريب في المطالع والمقاطع والفواصل مع اشتماله على دقائق البيان وحقائق العرفان ، وحسن العبارة ولطف الإشارة ، وسلاسة التركيب وسلامة الترتيب ؛ فتحيّرت فيه عقول

العرب العَرْباء[١] وفهوم الفصحاء . والحكمة في هذه المخالفة أن لا يبقى لمتعسّف عنيد مظنة السرقة . ويمتاز هذا الكلام عن كلامهم ويظهر تفوّقه ؛ لأنّ البليغ ـ ناظماً كان أو ناثراً ـ يجتهد في هذه المواضع اجتهاداً كاملاً ، ويُمدح ويُعاب عليه غالباً في هذه المواضع كما عيب على مطلع امرىء القيس :

قِفا نبكِ من ذِكْرى حبيبٍ ومنزلِ بسِقْط اللِّوى بين الدَّخول فَحَوْمَل[٢]

بأنّ صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعاني ، فإنّه وقف واستوقف ، وبكى واستبكى ، وذكر الحبيب والمنزل ، وأنّ الشطر الثاني لا يوجد فيه شيء من ذلك .

وعيب على مطلع أبي النجم[٣] الشاعر المشهور ، فإنّه دخل على هشام بن عبدالملك[٤]، فأنشده :

---

(١) العرب العاربة أو (العَرْباء): هم الـخُلّص الصُّرَحاء . (لسان العرب ١/٥٨٦) .

(٢) هذا مطلع معلقته ، والسِّقْطُ : منقطع الرمل وجانبه وطرفه ، واللوى : رمل يعوّج ويتلوّى وهو اسم وادٍ من أودية بني سليم ، والدخول وحومل : موضعان، والدخول: اسم وادٍ من أودية العُلية بأرض اليمامة . (معجم البلدان ٢/٤٤٥ ، و ٥/٢٣ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ص ٤) .

(٣) أبو النجم : هو الفضل بن قدامة العجلي من بني بكر بن وائل ، كان من أكابر الرُّجاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر ، نبغ في العصر الأموي ، وكان يحضر مجالس عبدالملك بن مروان وابنه هشام ، نزل سواد الكوفة وتوفي عام ١٣٠هـ/٧٤٧م (الأعلام ٥/١٥١) .

(٤) هشام بن عبدالملك : هو هشام بن عبدالملك بن مروان من ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولد في دمشق سنة ٧١هـ/٦٩٠م ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م ، وكان هشام حسن السياسة يقظاً يباشر الأعمال بنفسه ، فتح بعض بلاد الروم حتى وصلت الدولة الإسلامية في زمنه إلى أقصى اتساعها وصارت أكبر من مملكة الرومان ، وهو =

صفراءُ قَدْ كادَتْ ولـمّا تَفعلِ كأنّها في الأُفقِ عينُ الأَحْـولِ

وكان هشام أحول فأخرجه ، وأمر بحبسه .

وعيب على مطلع جرير[1]، فإنّه دخل على عبدالملك[2] وقد مدحه بقصيدة حائية أولها :

أتصحو أم فؤادك غير صاح[3]

فقال له عبدالملك : بل فؤادك يابن الفاعلة !.

= الذي بني الرّصافة غربي الرّقّة وتوفي فيها سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م . (الأعلام ٨٦/٨ ، والموسوعة الميسرة ص ١٨٩٨ ، ودائرة وجدي ٥١٠/١٠ ، ومعجم أعلام المورد ص ٤٤) .

(١) جرير: هو أبو حَزْرَة جرير بن عطية بن حذيفة الخَطَفَى بن بدر الكلبي اليربوعي التميمي ، مولده ووفاته باليمامة (٢٨هـ/٦٤٠م - ١١٠هـ/٧٢٨م) ، وكان أحد الثلاثة الذين تزعّموا إمارة الشعر في العصر الأموي ، فقد كان هجّاءاً مُرّاً لم يلبث أمامه غير الفرزدق والأخطل ، وقد اتصل جرير بالحجاج فأوصله إلى عبدالملك بن مروان فمدحه وابنه هشاما وسائر أشراف الشام والعراق متكسّباً بمدحهم ، له ديوان شعر في مجلدين ، ونقائضه مع الفرزدق والأخطل مطبوعة (الأعلام ١١٩/٢ ، والقاموس الإسلامي ٥٩٧/١ ، والموسوعة الميسرة ص ٦٢٤ ، ودائرة وجدي ٧٢/٣ ، ومعجم أعلام المورد ص ٤٩) .

(٢) هو رابع الخلفاء الأمويين ، وأول مَن تسمّى في الإسلام عبدالملك وهو عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي (٢٦هـ/٦٤٦م - ٨٦هـ/٧٠٥م) ، نشأ في المدينة فقيهاً واسع العلم متعبداً ناسكاً، تولى القضاء والفتيا في المدينة عام ٤٢هـ واستعمله عليها معاوية وهو ابن ١٦ سنة ، وانتقلت إليه الخلافة بعد موت أبيه سنة ٦٥هـ ، فكان من دهاة الخلفاء ، وظهر بمظهر القوة واجتمعت عليه كلمة المسلمين ، وأجرى إصلاحات كثيرة في الدواوين واللغة العربية والدنانير ، وقضى على الفتن ، ووسّع حدود الدولة شرقاً وغرباً ، وجدّد بناء المسجد الأقصى ، وبنى قبة الصخرة في القدس ، فكانت أول طراز معماري إسلامي ، توفي في دمشق ، فتولى الخلافة بعده أربعة من أبنائه فعرف بأبي الملوك .

(الأعلام ١٦٥/٤ ، والقاموس الإسلامي ٢١٠/٥ ، ودائرة وجدي ٦٢٥/١ و٣٨/٦ و٣٨٥/٩ ، والموسوعة الميسرة ص ٤١٤ و١١٨٥ و١٣٦٧ و١٦٩٦) .

(٣) البيت بتمامه :

أتـصحـوا أم فـؤادك غـير صـاح عشيّـة هَـمَّ صحبُـك بـالـرواح.

وعيب على مطلع البحتري[1] ، فإنه أنشد يوسف بن محمد[2] قصيدته التي مطلعها :

لك الويل من ليل تقاصر آخره[3]

فقال: بل لك الويل والخزي .

وعيب على مطلع إسحاق الموصلي[4] الأديب الحاذق ، فإنّه دخل على المعتصم[5] وقد فرغ من بناء قصره بميدان بغداد ، وأنشده قصيدته التي مطلعها :

---

(١) البحتري : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، مولده ووفاته بمنبج (٢٠٦هـ/٨٢١م - ٢٨٤هـ/٨٩٨م) ، وينسب إلى بحتر إحدى بطون طيء قبيلة أبي تمام ، فعرف بالبحتري والطائي ، تتلمذ على أبي تمام وارتبط اسمه به لكنّه لم يتأثر به ، اتصل بالخلفاء العباسيّين في بغداد وأصبح شاعر القصر ، نظم الشعر في الموضوعات المختلفة لكنه برع في المديح والوصف ، وكان محافظاً على التراث القديم في الشكل والمضمون معتنياً بتهذيب ألفاظه وعباراته ، وهو أحد الثلاثة الذين هم أشعر أبناء عصرهم (المتنبي ، وأبو تمام ، والبحتري) ويقال لشعره سلاسل الذهب . له ديوان شعر مطبوع ، وله مختارات من الشعر القديم سمّاها (الحماسة). (الأعلام ٨/١٢١ ، والقاموس الإسلامي ١/٢٧٥ ، والموسوعة الميسرة ص ٣٢٨ ، ودائرة وجدي ٢/٤٢) .

(٢) يوسف بن محمد : هو ابن البطل الطائي أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري ولّاه الخليفة المتوكل حرب أرمينية وأذربيجان بعد وفاة أبيه في شوال سنة ٢٣٦هـ . (ديوان البحتري ١/٢٧) .

(٣) هذا صدر بيت وهو في ديوان البحتري كما يلي :

لـه الـويـلُ من ليـلٍ تـطاول آخـرهْ ووشْـكِ نـوى حـيٍّ تُـزمُّ أبـاعِـرهْ

(٤) إسحاق الموصلي : هو أبو محمد بن النديم : إسحاق بن إبراهيم بن ميمون (ماهان) التميمي الموصلي ، فارسي الأصل ، ولد ببغداد عام ١٥٥هـ/٧٧٢م ، وكان شاعراً عالماً باللغة والتاريخ وعلوم الدين ، وراوياً حافظاً للأخبار ، وله تصانيف مختلفة ، عَمِي قبل موته بسنتين وتوفي ببغداد في خلافة المتوكل بن المعتصم عام ٢٣٥هـ/٨٥٠م . (الأعلام ١/٢٩٢ ، والموسوعة الميسرة ص ١٤٧ ، ودائرة وجدي ٩/٥٩٧) .

(٥) المعتصم : هو أبو إسحاق المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي من كبار الخلفاء العباسيّين ، ولد المعتصم سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م ، وبويع بالخلافة سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م يوم وفاة أخيه المأمون وبعهد منه ، وكان بطرسوس ، وهو فاتح عمّورية من بلاد الروم الشرقية ، وباني مدينة سامرّاء سنة ٢٢٢هـ/٨٣٧م لمّا ضاقت بغداد بجنده ، وكان لينّ =

يـا دار غـيّرك البِـلى ومحـاكِ   يا ليت شعري ما الذي أبلاكِ

فتطيّر المعتصم من هذا المطلع وأمر بهدم القصر على الفور .

[وعيب على مطلع ابن مقاتل[1] الضرير ، فإنه أنشد الداعي العلوي قصيدته التي مطلعها :

موعد أحبابك بالفرقة غد

فقال له الداعي : موعد أحبابك يا أعمى ولك المثل السوء .

وروي أيضاً أنّه دخل على الداعي في يوم المهرجان[2] فأنشده :

لا تقـل بُشرى ولكن بُشريان   غـرّة الداعي ويـوم المهـرجـان

فتطيّر به الداعي وقال له : يا أعمى تبتدىء بهذا يوم المهرجان؟ وألقاه على وجهه وضربه خمسين عصا ، وقال : إصلاح أدبه أبلغ من ثوابه][3] .

وهكذا قد خُطّىء أكثر الشعراء المشهورين في المواضع المذكورة .

وأشراف العرب مع كمال حذاقتهم في أسرار الكلام وشدة عداوتهم للإسلام لم يجدوا في بلاغة القرآن وحسن نظمه مجالاً ، ولم يوردوا في القدح مقالاً ، بل اعترفوا أنّه ليس من جنس خطب الخطباء وشعر الشعراء ، ونسبوه تارة إلى

= العريكة رضيّ الخُلق ، اتسع ملكه جداً ، عاش ٤٨ سنة ، وتوفي بسامرّاء سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م . (الأعلام ١٢٧/٧ ، والموسوعة الميسرة ص ١٧١٨ ، ودائرة وجدي ١١٢/٦) .

(١) ابن مقاتل : (٦٩٥ ـ ٧٦١هـ = ١٢٩٥ ـ ١٣٥٩م) ، وهو : علي بن مقاتل بن عبدالخالق الحموي ، زجّال من أهل حماة ، كان شاعراً وغلب عليه الزجل فاشتهر به وانتهى إليه فنّه في زمانه ، وأزجاله مجموعة في ديوان . (الأعلام ٢٣/٥) .

(٢) يوم المهرجان : (يوم المهركان) هو يوم عيد الإله ميترا ، يحتفل به في ١٦ من شهر مهر ، الذي هو أول شهور السنة قبْل الساسانيين ، وكان من رسوم الأكاسرة التتوّج في هذا العيد بالتاج الذي عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها (الموسوعة الميسرة ص ١٧٦٥ و ١٧٩٥) .

(٣) ما بين القوسين المعقوفتين ساقط من المطبوعة والمقروءة وأخذته من المخطوطة .

السحر[1] تعجّباً من فصاحته وحسن نظمه ، وقالوا تارة : إنّه إفك افتراه[2]، وأساطير الأولين[3]، وقالوا تارة لأصحابهم وأحبابهم : ﴿ **لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾[4].

وهذه كلها دأب المحجوج المبهوت ، فثبت أنّ القرآن معجز ببلاغته وفصاحته وحسن نظمه .

وكيف يُتصوّر أن يكون الفصحاء والبلغاء من العرب العَرْباء كثيرين كثرة رمال الدهناء[5] وحصى البطحاء[6]، ومشهورين بغاية العصبيّة والحميّة الجاهلية ، وتهالكهم على المباراة والمباهاة والدفاع عن الأحساب ، فيتركون الأمر الأسهل الذي هو الإتيان بمقدار أقصر سورة ، ويختارون الأشد الأصعب مثل الجلاء وبذل المهج[7] والأرواح ، ويُبتلَوْن بسبي الذراري ونهب الأموال ، ومخالفهم المتحدّي يُقرّعهم إلى مدة على رؤوس الملأ بأمثال هذه الأقوال :

﴿ **فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إنْ كنتم صادقين** ﴾[8].

---

(١) انظر السور التالية : الأنعام ٧، يونس ٢، هود ٧، الحجر ١٥، الإسراء ٤٧، الأنبياء ٣، الفرقان ٨، سبأ ٤٣، الصافات ١٥، ص ٤، الزخرف ٣٠، الأحقاف ٧، القمر ٢، المدثر ٢٤ .

(٢) انظر سورة الفرقان ٤ ، سورة سبأ ٤٣ ، سورة الأحقاف ١١ .

(٣) انظر السور التالية : الأنعام ٢٥، الأنفال ٣١، النحل ٢٤، المؤمنون ٨٣، الفرقان ٥، النمل ٦٨، الأحقاف ١٧، القلم ١٥، المطففين ١٣ .

(٤) سورة فصلت آية ٢٦ .

(٥) الدهناء : هي الفلاة أو موضع كله رمل (لسان العرب ١٣/١٦٣) .

(٦) البطحاء : مسيل فيه دقاق الحصى والتراب اللين مما جرّته السيول والجمع بطحاوات وبطاح ، فإن اتسع وعرض فهو الأبطح والجمع الأباطح (لسان العرب ٢/٤١٢) .

(٧) المهج : جمع مهجة : وهو دم القلب ، ولا بقاء للنفس بعدما تُراق مهجتها ، وقيل المهجة : خالص النفس . (لسان العرب ٢/٣٧٠) .

(٨) سورة يونس آية ٣٨ .

﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين • فإنْ لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ﴾[1].

﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾[2].

ولو كانوا يظنون أنّ محمداً ﷺ استعان بغيره لأمكنهم أيضاً أن يستعينوا بغيرهم ؛ لأنّه كأولئك المنكرين في معرفة اللغة وفي الـمُكْنةِ من الإستعانة ، فلمّا لم يفعلوا ذلك ، وآثروا المقارعة على المعارضة ، والمقاتلة على المقاولة ؛ ثبت أنّ بلاغة القرآن كانت مسلّمة عندهم ، وكانوا عاجزين عن المعارضة ، غاية الأمر أنّهم صاروا مفترقين بين مصدِّق به وبمن أُنزل عليه ، وبين متحيّر في بديع بلاغته .

روي أنه[3] سمع الوليد بن المغيرة[4] من النبي ﷺ **﴿ إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون ﴾**[5]، فقال : والله إنّ له لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة[6]، وإنّ أسفله

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣ ـ ٢٤ .

(٢) سورة الإسراء آية ٨٨ .

(٣) من هنا إلى نهاية الأمر الثاني عشر منقول من كتاب الشفا لعياض ٢٥٨/١-٢٨٠ .

(٤) الوليد بن المغيرة : هو أبو عبد شمس الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو المخزومي ، عاش ما بين ٩٥ ق.هـ/٥٣٠م ـ ١هـ/٦٢٢م ، من قضاة العرب في الجاهلية ومن زعماء قريش وزنادقتها ، ويقال له (العَدْل) لأنه كان عدل قريش كلها ، فقريش جميعها تكسو البيت وهو يكسوه وحده ، حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية وضرب ابنه هشاما على شربها ، أدرك الإسلام وهو شيخ هرم فعاداه وقاوم دعوته ، وهو الذي جمع قريشاً ليوحّد قولهم في محمد ﷺ وفي القرآن الكريم ، فرأى أن أصلح ما قيل فيه إنه سحر فنزلت فيه آيات سورة المدثر ١١-٣٠ ، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد ، وقد هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر ودفن بالحجون . (الأعلام ١٢٢/٨) .

(٥) سورة النحل آية ٩٠ .

(٦) في حاشية المخطوطة : الطلاوة ، مثلّثة : الحُسْن والبهجة والقبول والسّحر . اهـ . =

لمغدق[1]، وإنّ أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر ، وروي أيضاً أنّه لـمّا سمع القرآن رقّ قلبه ، فجاءه أبو جهل[2] ـ وكان ابنَ أخيه ـ منكراً عليه ، قال : والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني ! والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا[3] .

وروي أيضاً أنه[4] جمع قريشاً عند حضور الموسم ، وقال : إنّ وفود العرب تَرِد فاجمعوا فيه رأياً لا يُكذّب بعضكم بعضاً . قالوا : نقول كاهن . قال : والله ما هو بكاهن ، ماهو بزمزمته[5] ولا سجعه . قالوا : مجنون . قال : ماهو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته . قالوا : فنقول شاعر . قال : ماهو بشاعر ،

= ويقصد بقوله مثلثة : أي بضم الطاء وفتحها وكسرها . (انظر لسان العرب ١٥/١٤ ، والقاموس المحيط ٤/٣٥٩) .

(١) الغدق : المطر الكثير العام ، ويطلق أيضاً على الماء الكثير وإنْ لم يكن مطراً ، ومعناها هنا كثرة العطاء ، وقد تلفظ : العذق : ومعناها النخلة ، شبه القرآن بالنخلة التي قويت أصولها وثبتت وطابت فروعها . (انظر لسان العرب ١٠/٢٣٨ و٢٨٢ ، وسيرة ابن هشام ص ٢٧٠) .

(٢) أبو جهل : هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، أحد سادات قريش ودهاتها في الجاهلية ، ويكنى أبا الحكم أدرك الإسلام ولم يسلم بل كان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ فدعاه المسلمون أبا جهل ، آذي الرسول والمسلمين في مكة كثيراً ، واستمر في عناده حتى قاد جيش المشركين في وقعة بدر سنة ٢هـ/٦٢٤م فكان من قتلاها. (الأعلام ٥/٨٧ ، والموسوعة الميسرة ص ٣٢) .

(٣) انظر: (الشفا ١/٢٦٤ ـ ٢٦٥ ، وانظر دلائل النبوة للأصبهاني ١/٣٠١ رقم ١٨٣ و ١٨٤ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/١٩٩ ، والوفا بأحوال المصطفى ١/٤١٣) .

(٤) أي الوليد بن المغيرة .

(٥) الزمزمة : تراطن العلوج عند الأكل وهم صموت لا يستعملون اللسان ولا الشفة في كلامهم ، فيديرون الصوت في الخياشيم والحلوق ويفهمون على بعضهم ، فهو صوت خفي لا يكاد يفهم . (لسان العرب ١٢/٢٧٣) .

قد عرفنا الشعر كله: رجزه[1] وهزجه[2] وقريضه[3] ومبسوطه[4] ومقبوضه[5].
قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده[6]. قالوا: فما نقول؟!
قال: ما أنتم بقائلين شيئاً من هذا إلّا وأنا أعرف أنّه باطل، وإنّ أقرب القول أنّه ساحر.
ثم قال: فإنّه سحر يفرّق به بين المرء وابنه، والمرء وأخيه، والمرء وزوجه، والمرء وعشيرته. فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذّرون الناس عن متابعة النبي ﷺ؛ فأنزل الله تعالى في الوليد: ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدًا ﴾[7] الآيات.

وروي أن عتبة[8] كلّم النبي ﷺ فيما جاء به من خلاف قومه، فتلا عليه

---

(١) الرّجَز: شعر متقارب الأجزاء قليل الحروف يسهل في السمع ويقع في النفس، ومنه المشطور والمنهوك وتسمى قصائده أراجيز، ومفردها أرجوزة، وهي سجع في وزن الشعر، وقال الخليل بأن الرّجَز ليس بشعر وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث. (لسان العرب ٥/٣٥٠، والموسوعة الميسرة ص ٨٦٣).

(٢) الهزج: أصله الخفة وسرعة وقع القوائم ووضعها، وكلّ كلام متقارب متدارك: هزج. والهزج نوع من أعاريض الشعر سمي بذلك لتقارب أجزائه، وهو مسدّس الأصل حملا على صاحبيه في الدائرة وهما الرّجَز والرَّمَل (لسان العرب ٢/٣٩٠).

(٣) القريض: الشعر، وهو الاسم كالقصيد، والتقريض صناعته. (لسان العرب ٧/٢١٨).

(٤) البسيط: جنس من العروض سمي به لانبساط أسبابه، فصار أوّله مستفعلن فيه سببان متصلان في أوّله. (لسان العرب ٧/٢٦٠).

(٥) القبض في زحاف الشعر: حذف الحرف الخامس الساكن من الجزء نحو النون من فعولن أينما تصرّفت، ونحو الياء من مفاعيلن، وكلّ ما حذف خامسه فهو مقبوض، وإنما سمي مقبوضاً ليفصل ما بين حذف أوله وآخره ووسطه. (لسان العرب ٧/٢١٥).

(٦) لأنّ الساحر يعقد خيطاً ثم ينفث عليه قال تعالى في سورة الفلق آية ٤ ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾.

(٧) هذه الآية ١١ من سورة المدثر وقد نزلت في الوليد بن المغيرة من الآية ١١ إلى الآية ٣٠، والروايات السابقة عنه في سيرة ابن هشام المجلد الأول ص ٢٧٠، وفي كتاب الشفا للقاضي عياض ١/٢٦٤ ـ ٢٦٥ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٢٠٠.

(٨) عتبة: هو أبو الوليد عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، كبير قريش وأحد ساداتها في =

﴿حم كتاب فصّلت﴾ إلى قوله : ﴿أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾[1] فأمسك عتبه بيده على فيه ، وناشده الرحم أن يكفّ ، وفي رواية فجعل النبي ﷺ يقرأ وعتبة مصغٍ ملقٍ بيديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى إلى السجدة فسجد النبي ﷺ ، وقام عتبه لا يدري بمَ يراجعه ، ورجع إلى أهله ، ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم ، وقال : والله لقد كلمني بكلام ما سمعت أذناي بمثله قط ، فما دريت ما أقول له[2].

وذكر أبو عبيد[3] أنّ أعرابياً سمع رجلاً يقرأ

= الجاهلية ، كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل ، وكان خطيباً نافذ القول ، أدرك الإسلام ولم يسلم، شهد قتال بدر مع المشركين ولم يجد خوذة تسع هامته لضخامة جثته وهامته ، وقاتل قتالاً شديداً فأحاط به علي وحمزة وعبيدة بن الحارث فقتلوه سنة ٢هـ/٦٢٤م (الأعلام ص ٢٠٠ ، والموسوعة الميسرة ص ١١٨٧) .

(١) هذه هي الآية ١٣ من سورة فصّلت .

(٢) هذه هي رواية سيرة ابن هشام في المجلد الأول ص ٢٩٣ ، وعلى هذه الرواية يكون النبي ﷺ قد قرأ ٣٨ آية إلى موضع السجدة ، وعلى الرواية الأولى يكون ﷺ قد قرأ ١٣ آية ، وقد ذكر الروايتين ابن كثير في بداية تفسير سورة فصلت ، والقاضي عياض في الشفا ٢٧٤/١ و ٢٧٥ . وانظر دلائل النبوة للأصبهاني ٢٩٩/١ و ٣٠٤ رقم ١٨٢ و ١٨٥ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢٠٣/٢ ـ ٢٠٥ ، والوفا بأحوال المصطفى ٤١٥/١) .

(٣) في المخطوطة والمقروءة والمطبوعة « أبو عبيدة » وفي أصل النصّ حسبما ذكره القاضي عياض في كتابه الشفا ٢٦٢/١ هو « أبو عبيد » ، وقد ترجم له الشمني في حاشيته « مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء » (المطبوعة في هامش الشفاء ٢٦٢/١ بأنه أبو عبيد القاسم بن سلام وفيما يلي ترجمته كاملة . فأبو عبيد هو : القاسم بن سلّام الهروي الأزدي الخزاعي الخراساني البغدادي (١٥٧هـ/٧٧٤م ـ ٢٢٤هـ/٨٣٨م) من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه ، ولد وتعلم في هراة ورحل إلى العراق والحجاز ومصر وتوفي بمكة ، له تصانيف كثيرة جداً منها كتاب (فضائل القرآن) ، (وغريب الحديث) (وغريب القرآن) ، وقد أثنى العلماء على كتبه كثيراً . (كشف الظنون ٨٢٥/٥ ، والأعلام ١٧٦/٥ ، ومعجم المؤلفين ١٠١/٨) .

وبما أنّ القاضي عياض ذكر في ص ٢٦٢ رواية أبي عبيد ثم ذكر في ص ٢٦٣ ، رواية الأصمعي بعدها فيحتمل أن يكون المقصود أبا عبيدة الذي كان منافساً للأصمعي وفيما يلي ترجمته : هو أبو عبيدة النحوي مَعْمَر بن المثنى التيمي ـ بالولاء ـ البصري وأصله من باجروان ببلاد بلخ ، ولد في البصرة سنة ١١٠هـ/٧٢٨م ، وهو من أئمة العلم بالأدب واللغة ومن حفاظ الحديث ، =

﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾[1] فسجد ، وقال : سجدت لفصاحته .

وسمع رجل آخر من المشركين رجلاً من المسلمين يقرأ ﴿ فلمّا استيئسوا منه خلصوا نجيّا ﴾[2] فقال : أشهد أنّ مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام .

وحكى الأصمعي[3] أنّه سمع جارية تتكلم بعبارة فصيحة وإشارة بليغة وهي خماسية أو سداسية وهي تقول : أستغفر الله من ذنوبي كلها . فقال لها : ممّ تستغفرين ولم يجْرِ عليك قلم ؟ فقالت :

أستغفر الله لذنبي كلّهْ

= استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨هـ فقرأ عليه من كتبه ، عني بجمع الروايات الأدبية والتاريخية عن العرب قبل الإسلام وبعده، أشار إليه الجاحظ بقوله: «لم يكن في الأرض خارجي ولا إجماعي أعلم بجميع العلوم منه» وكان إبّاضيّاً شعوبياً ، وقيل إنّه من أصل يهودي ، فكره العرب وألف في مثالبهم، وله أكثر من مائتي مؤلف في الأدب واللغة والتاريخ والحديث والقرآن ، وكان منافساً للأصمعي ، توفي بالبصرة سنة ٢٠٩هـ/٨٢٤م ، ولم يحضر جنازته أحد . (الأعلام ٢٧٢/٧ ، والقاموس الإسلامي ٢٤٧/٥ ، والموسوعة الميسرة ص ٣٦ ، ودائرة وجدي ٦٠/٦) .

(١) سورة الحجر آية ٩٤ .

(٢) سورة يوسف آية ٨٠ .

(٣) الأصمعي : هو أبو سعيد عبدالملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، مولده ووفاته بالبصرة (١٢٢هـ/٧٤٠م - ٢١٦هـ/٨٣١م) ، ونسبته إلى جده أصمع ، وكان الأصمعي كثير التطواف في البوادي يقتبس العلوم والأخبار والغرائب والنوادر ليتحف بها الخلفاء فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة ، وصار إماماً في اللغة والشعر والبلدان والأخبار ، وعرف بكثرة الحفظ ورواية الشعر والصدق والتدين والإفتاء بما أجمع عليه العلماء ، والتوقف في المسائل الخلافية ، وتجويز أفصح اللغات فقط ، وعدم تفسير شيء من القرآن والحديث ، فإذا سئل عن شيء منهما يقول : معناه في اللغة كذا ، ولا أعلم المراد منه في الكتاب والسنة أي شيء هو؟ ولذلك نالت مرويّاته من التوثيق أكثر مما نالت من مرويات غيره ، استقدمه هارون الرشيد وعهد إليه بتأديب ولده ، وكان يسميه شيطان الشعر ، ألّف كثيراً من الرسائل والكتب اللغوية منها (الأصمعيات) وهي ٩٢ قصيدة مختارة لواحد وسبعين شاعراً في موضوعات متنوعة (الأعلام ١٦٢/٤ ، والقاموس الإسلامي ١٢٦/١ ، والموسوعة الميسرة ص ١٧٠ ، ودائرة وجدي ٣٩٣/١ ، ومعجم أعلام المورد ص ٥) .

قتلت إنساناً بغير حلّهْ ،

مثل غزالٍ ناعمٍ في دَلّهْ[1]،

انتصف الليل ولم أُصلِّهْ .

فقال لها : قاتلك الله ، ما أفصحك !

فقالت : أَوَ يُعَدُّ هذا فصاحة بعد قوله تعالى : ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾[2].

فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين ، وخبرين وبشارتين[3].

وفي حديث إسلام أبي ذر : ووصف أخاه أُنَيْساً فقال : والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس ، لقد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية أنا أحدهم ، وإنّه انطلق إلى مكة وجاءني ، قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون شاعر كاهن ساحر ، ثم قال : لقد سمعت ما قال الكهنة ، فما هو بقولهم ، ولقد وضعته على أقراء[4] الشعر فلم يلتئم ، وما يلتئم على لسان أحد بعدي أنّه

---

(١) دلّه : حسن الهيئة وقيل حسن الحديث . (لسان العرب ١١/٢٤٧) .

(٢) سورة القصص آية ٧ .

(٣) الشفا ١/٢٦٣ .

(٤) في حاشية ق : أي أجزاء . اهـ . وفي شرح النووي لصحيح مسلم ١٦/٢٨ : أي طرقه وأنواعه . وفي لسان العرب ١/١٣٢ : هذا الشعر على قَرْءِ هذا الشعر : أي على طريقته ومثاله ، وفسّر قوله : أقراء الشعر : أي على طرقه وبحوره ، واحدها قَرْءِ ، وتأتي أقراء : بمعنى قوافيه التي يختم بها ، الواحد : قَرْءٌ ، وقُرْءٌ ، وقَرِيءٌ ؛ لأنها مقاطع الأبيات وحدودها .

شعر ، وإنّه لصادق وإنّهم لكاذبون[1].

وروي في الصحيحين[2] عن جبير بن مطعم[3] رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فلمّا بلغ هذه الآية : **﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون • أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون • أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون ﴾**[4] كاد قلبي أن يطير للإسلام[5].

---

(١) انظر فتح الباري ٦/٥٤٩ باب ١٠ من كتاب المناقب حديث ٣٥٢٢ ، و ٧/١٧٣ باب ٣٣ من كتاب مناقب الأنصار حديث ٣٨٦١ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٦/٢٧ في باب فضائل أبي ذر من كتاب فضائل الصحابة ، ودلائل النبوة للأصبهاني ١/٣٣٢ رقم ١٩٧ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٢٠٨ ، والشفا ١/٢٦٦ ، وحدائق الأنوار لابن الديبع الشيباني ١/٣٣٨ ، والبداية والنهاية ٣/٣٩ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٩٧) .

(٢) الصحيحان : هما صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم في الحديث الشريف ، وهما أصحّ كتابين بعد كتاب الله تعالى ، ويسمى الحديث الذي اتفقا على روايته في صحيحيهما: المتفق عليه .

(٣) جبير بن مطعم : هو أبو عدّي وقيل أبو محمد : جبير بن مطعم بن عديّ بن نوفل القرشي من سادة قريش وعلمائهم ، وكان أعرف نسّابة قريش بتاريخها ، قدم على النبي ﷺ في فداء أسرى بدر فسمعه يقرأ في المغرب بسورة الطور ، فكان ذلك أول ما حبّبه بالإسلام ، أسلم يوم فتح مكة وقيل عام خيبر ، وله في الصحيحين ستون حديثاً ، توفي في المدينة في خلافة معاوية سنة ٥٩هـ/٦٧٩م . (الإصابة ١/٢٢٥ ، والاستيعاب ١/٢٣٠ ، وسير أعلام النبلاء ٣/٩٥ ، والأعلام ٢/١١٢ ، والقاموس الإسلامي ١/٥٨٢) .

(٤) سورة الطور آية ٣٥ ـ ٣٧ .

(٥) رواه البخاري في كتاب الأذان وفي كتاب الجهاد وفي كتاب المغازي وفي كتاب التفسير والحديث في فتح الباري ٢/٢٤٧ حديث ٧٦٥ و ٦/١٦٨ حديث ٣٠٥٠ و ٧/٣٢٣ حديث ٤٠٢٣ و ٨/٦٠٣ حديث رقم ٤٨٥٤ وفي رواية كتاب المغازي (وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي) ورواه مسلم في كتاب الصلاة باب القراءة في العشاء (٤/١٨٠) ولم يذكر فيه (كاد قلبي أن يطير) =

وقد حُكي أنّ ابن المقفّع[1] طلب معارضة القرآن وشرع فيه ، فمرّ بصبي يقرأ ﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ﴾[2] فرجع فمحا ما كتب ، وقال : أشهد أن هذا لا يعارض ، وماهو من كلام البشر .

وكان يحيى بن حكم الغزال[3] بليغ الأندلس في زمنه ، فحُكي أنه رام شيئاً من هذا ، فنظر في سورة الإخلاص ليأتي على أسلوبها ، وينظم الكلام على منوالها ، قال : فاعترتني منه خشية ورِقّة حملتني على التوبة والإنابة .

وقال النّظّام من المعتزلة : إعجاز القرآن بالصَّرفة : على معنى أن العرب

= كما رواه مالك وأبو داود وابن ماجه والنسائي والطبراني وعبدالرزاق كلهم من طريق الزهري ، (وانظر سير أعلام النبلاء ٣/٩٦ بالهامش ، وانظر الشفا ١/٢٧٤) .

(١) في المخطوطة والمقروءة « ابن المقنّع » بالنون ، ولم أجد ترجمة لابن المقنّع ، وبما أنّ النصّ منقول عن كتاب الشفا ١/٢٧٥ وفيه (ابن المقفع) بالفاء وهو الصواب ، فهو الذي اتهم بمعارضة القرآن . وهو عبدالله بن المقفّع ، واسمه : روزبه بن ذادَوَيْه ، فارسي الأصل ، ولد في العراق سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م ، وكان مجوسيًا مزدكياً نشأ وتعلم بالبصرة ، كتب لولاة العراق الأمويين ، ثم لأعمام المنصور ، وأدب أبناءهم ، ثم ولي كتابة الديوان للمنصور العباسي ، وترجم له كتب أرسطو طاليس الثلاثة في المنطق ، وكتاب المدخل إلى علم المنطق (ايساغوجي) ، وهو أول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق اليوناني ، وترجم عن الفارسية كتاب كليلة ودمنة ، وله رسائل مختلفة ، أسلم على يد عيسى بن علي عمّ السفاح ، ثم اتّهم بالزندقة فقتله في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبي عام ١٤٢هـ/٧٥٩م .

(سير أعلام النبلاء ٦/٢٠٨ ، والأعلام ٤/١٤٠ ، ومعجم المؤلفين ٦/١٥٦ ، والموسوعة الميسرة ص ٢٧ ، ودائرة وجدي ٧/٨٩٨ ، ومعجم أعلام المورد ص ٤٦ ، وإعجاز القرآن للباقلاني ص ٣٥) .

(٢) سورة هود آية ٤٤ .

(٣) يحيى بن حكم الغزال : هو يحيى بن الحكم البكري الأندلسي الجياني ، بليغ الأندلس المعروف بالغزال (الغزّال) ، عاش ما بين ١٥٦هـ/٧٧٣م - ٢٥٠هـ/٨٦٤م ، شاعر وسياسي أندلسي امتاز نظمه الجيد بالفكاهة المستملحة ، وكان مقرّباً من أمراء الأندلس وملوكها من بني أمية ، وقد أوفده الخليفة الأموي عبدالرحمن الثاني في مهمات إلى ملوك الروم ، وكان موصوفاً بحدّة الخاطر وبديهة الرأي وحسن الجواب والنجدة والإقدام ، وله ديوان شعر لم يعثر عليه كاملاً .

(الأعلام ٨/١٤٣ ، ومعجم المؤلفين ١٣/١٩٣ ، والموسوعة الميسرة ص ١٢٥٤م) . وقصته ذكرها القاضي عياض في الشفا ١/٢٧٥ .

كانت قادرة على كلامٍ مثل القرآن قبل مبعث النبي ﷺ ، لكن الله صرفهم عن معارضته بسلب الدواعي بعد المبعث . فهذا الصرف خارق للعادة ؛ فيكون معجزاً[1] .

فهو أيضاً يُسلّم أنّ القرآن معجز لأجل الصّرف ، ومثله غير مقدور لهم بعد المبعث ، وإنما نزاعه في كونه مقدوراً قبل المبعث . وقوله غير صحيح بوجوه :

الوجه الأول : أنّه لو كان كذا لعارضوا القرآن بالكلام الذي صدر عنهم قبل المبعث ، ويكون مثل القرآن .

والوجه الثاني : أنّ فصحاء العرب إنّما كانوا يتعجّبون من حسن نظمه وبلاغته وسلاسته في جزالته لا لعدم تأتّي المعارضة مع سهولتها في نفسها .

والوجه الثالث : أنّه لو قُصِد الإعجازُ بالصّرف لكان الأنسب ترك الإعتناء ببلاغته وعلوّ طبقته ؛ لأنّ القرآن على هذا التقدير كلّما كان أنزل في البلاغة وأدخل في الركاكة كان عدم تيسّر المعارضة أبلغ في خرق العادة .

والوجه الرابع : يأباه قوله تعالى : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾[2] .

فإنْ قيل : إنّ فصحاء العرب لـمّا كانوا قادرين على التكلّم بمثل مفردات السورة ومركباتها القصيرة كانوا قادرين على الإتيان بمثلها !

قلت: هذه الملازمة ممنوعة لأنّ حكم الجملة قد يخالف حكم الأجزاء ؛ ألا ترى أنّ كل شَعرة شَعرة لا تصلح أن يربط بها الفيل أو السفينة ، وإذا سُوِّي

---

(١) وعلى هذا يكون الصرف نفسه هو المعجزة لا القرآن الكريم . وقال المرتضى الشيعي بأن معنى الصّرفة : أنّ الله سلبهم العلوم التي يُحتاج إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن ، وهو رأي بينّ الخلط كسابقه ، وقد ردّ على القائلين بالصّرفة ابن الجوزي بالوفا ٤١٧/١ ، والقاضي عياض بالشفا ٣٧٣/١ ، وابن كثير في البداية والنهاية ٨١/٦ ، وانظر اعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي ص ١٤٤ .

(٢) سورة الاسراء آية ٨٨ .

من الشَّعرات حبل متين يصلح أن يُربط بهذا الحبل الفيلُ أو السفينةُ ؛ ولأنّها لو صحّت لزم أن يكون كل آحاد العرب قادراً على الإتيان بمثل قصائد فصحائهم كامرىء القيس وأضرابه .

الأمر الثالث : كون القرآن منطوياً على الإخبار من الحوادث الآتية فوجدتْ في الأيام اللاحقة على الوجه الذي أخبر :

(١) كقوله تعالى : **﴿لتدخلنّ المسجد الحرام إنْ شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصّرين لا تخافون﴾**[1] .

(٢)وكقوله تعالى : **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾**[2] .

فكان الله وعد المؤمنين بجعل الخلفاء منهم وتمكين الدين المرضيّ لهم وتبديل خوفهم بالأمن ، فوفّى وعده في مدة قليلة بأن ظهر في حياة الرسول ﷺ أنّ أهل الإسلام تسلّطوا على مكة وخيبر[3] والبحرين[4] ومملكة اليمن[5] وأكثر ديار

---

(١) سورة الفتح آية ٢٧ ، وقد استشهد بهذه الآية البيهقي في دلائل النبوة ٣١٣/٤ ، وابن كثير في البداية والنهاية ٢٠٨/٦ ، وابن الجوزي في الوفا ٤١٨/١ .

(٢) سورة النور آية ٥٥ . وقد استشهد بهذه الآية ابن كثير في البداية والنهاية ٢٠٧/٦ والبيهقي في دلائل النبوة ٥/٣ و٣١٧/٦ .

(٣) خيبر : ناحية على بعد ثمانية بُرُد (حوالي ١٤٥ كم) شمال المدينة المنورة على طريق تبوك والشام ، وكان يسكنها في زمان النبي ﷺ يهود من بني النضير وبني قريظة فأقاموا لهم فيها سبعة حصون منيعة ، ولفظ خيبر بلسان اليهود معناه : الحصن ، ولأنّ فيها حصوناً كثيرة سميت خيابر ، فتحها النبي ﷺ عنوة سنة ٧هـ/٦٢٨م ، وأبقى أهلها فيها على أن يكون لهم نصف غلّة الأرض مقابل عملهم فيها ، وبلدة خيبر الحاليّة تقع في وادي الزيدية أكبر وديان خيبر ، وبها قلعة تسمى الحصن . (معجم البلدان ٤٠٩/٢ ، والقاموس الإسلامي ٣٠٨/٢ ، والموسوعة الميسرة ص ٧٧٠ ، ودائرة وجدي ٦٨٤/٣) .

(٤) البحرين : إسم جامع للبلاد الواقعة بين البصرة وعمان ، وهي : (منطقة الأحساء) الآن في القسم الشرقي من المملكة العربية السعودية . (معجم البلدان ٣٤٨/١) .

(٥) اليمن : دولة عربية في الجنوب الغربي من جزيرة العرب ، وسميت باليمن لتيامنهم =

العرب ، وأنّ اقليم الحبش[1] صار دار الإسلام بإيمان النجاشيّ الملك ، وأنّ أناساً من هجر[2]، وبعض المسيحيين من نواحي الشام قبلوا الإطاعة وأداء الجزية ، وأنّ هذا التسلط زاد في خلافة الصدّيق الأكبر رضي الله عنه بأن تسلّط أهل الإسلام على بعض ديار فارس[3] وعلى بصرى[4] ودمشق وبعض الديار الأُخَر من الشام أيضاً ، ثم زاد هذا التسلّط في خلافة الفاروق رضي الله عنه بأن تسلطوا على سائر ديار الشام وجميع مملكة مصر وعلى أكثر ديار فارس أيضاً ، ثم زاد هذا التسلّط في خلافة ذي النورين[5] رضي الله عنه بأن تسلّطوا

= إليها ، لأنّ العرب تفرقوا من مكة ، فمن أخذ منهم يميناً سميت بلادهم باليمن ، ومن أخذ منهم شمالاً سميت بلادهم بالشام، والنسبة إليها يمني ويماني . (معجم البلدان ٥/٤٤٧، ودائرة وجدي ٦/٢٨٩ ، و ١٠/٩٥٤) .

(١) في حاشية ق : حبش وحبشة والأحبش : بلدة من السودان . اهـ . يقصد إقليم الحبشة واسمه الآن أثيوبيا .

(٢) في حاشية ق : بلدة باليمن . اهـ . وهجر اسم لعدة مواضع ، وناحية البحرين كلها هجر (معجم البلدان ٥/٣٩٣) .

(٣) اسم لإقليم واسع في جنوب غرب إيران يحده الخليج العربي من الغرب والجنوب وأهم مدنه شيراز ، وثغره بوشير (بوشهر) ، وهذا الإقليم هو نواة الامبراطورية الفارسية القديمة التي أسسها الملك قورش الذي ملك سنة ٥٥٩ ق.م ، وكان الفرس يدينون بالثنوية الزرادشتية ، بدأ فتح فارس في زمن عمر وتمّ فتحها زمن عثمان رضي الله عنهما (معجم البلدان ٤/٢٢٦ ، والموسوعة الميسرة ص ١٢٦٣ ، ودائرة وجدي ٧/١٧٣ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٦٧) .

(٤) بصرى : بلدة في أقصى جنوب سوريا بمحافظة درعا ، جنوب شرقي مدينة درعا بحوالي ٣٦ كم ، وشمال الحدود الأردنية بحوالي ١٥ كم ، وهي قصبة كورة حوارن ، ومشهورة عند العرب؛ لأنها كانت نهاية طريق القوافل من الحجاز إلى الشام ، قدمها النبي ﷺ وهو صبي برفقة عمه أبي طالب فنصحهما راهبها بالرجوع لما رأى من علامات النبوة ، وقد فتحت بصرى وجميع أرض حوران على يد خالد بن الوليد سنة ١٣هـ/٦٣٤م بمساعدة حاكمها رومانوس الذي اعتنق الإسلام . (معجم البلدان ١/٤٤١ ، والقاموس الإسلامي ١/٣٢٣ ، والموسوعة الميسرة ص ٣٧٥ ، ودائرة وجدي ٢/٢٢٢) .

(٥) ذو النورين : هو ثالث الخلفاء الراشدين أبو عبدالله أو أبو عمرو : عثمان بن عفان .

في جانب الغرب إلى أقصى الأندلس[1] والقيروان[2]، وفي جانب الشرق إلى حد الصين[3]. ففي مدة ثلاثين سنة تسلّط أهل الإسلام على هذه الممالك تسلّطاً تامّاً ، وغلب دين الله المرضيّ على سائر الأديان في هذه الممالك ؛ فكانوا يعبدون الله آمنين غير خائفين . وفي خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ وإنْ لم يتسلّط أهل الإسلام على الممالك الجديدة لكنّه لا شبهة في ترقّي الملّة الإسلامية في عهده الشريف أيضاً .

(٣) وكقوله تعالى : ﴿ستُدْعَوْن إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ [4]

ووقع كما أخبر ؛ لأنّ المراد بـ ﴿ قوم أولي بأس ﴾ على أظهر الوجوه وأشهرها بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب[5]. والداعي الصديق الأكبر رضي الله

---

(١) الأندلس : (أندُلوسيـة) بضم الدال وفتحها ، كلمة عجمية لم تستعملها العرب في القديم ، وهي اسم للإقليم الواقع في جنوب اسبانيا .

(٢) القيروان : مدينة في تونس ، أنشأها عقبة بن نافع في خلافة معاوية سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م ، وكانت عاصمة حكام المسلمين في غرب افريقيا واشتهرت بمدارسها وصنائعها ، وفيها الجامع المشهور الذي يرجع تاريخه إلى القرن ٩م . (معجم البلدان ٤/ ٤٢٠ ، ودائرة وجدي ٧/ ٩٦٠ ، والموسوعة الميسرة ص ١٤١١) .

(٣) الصواب أنّ وصول المسلمين إلى الأندلس وإلى حدّ الصين كان في عهد خلفاء بني أُميّة لا في خلافة عثمان رضي الله عنه .

(٤) سورة الفتح آية ١٦ ، واستشهد بهذه الآية البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ١٦٥ ـ ١٦٧ .

(٥) مسيلمة الكذاب : هو أبو ثمامة مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي ، ولد ونشأ باليمامة في القرية المسماة اليوم (الجبيلة) قرب العيينة بوادي حنيفة في نجد ، وفد على النبي ﷺ مع قومه بني حنيفة عام ٩هـ فأسلم متردّداً ولما عاد ارتدّ وادّعى النبوة وأبطل جميع فرائض=

عنه[1].

(٤) وكقوله تعالى : ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾[2].

وحال هذا القول كحال القول الثاني ، وسيظهر الوفاء الكامل لهذا الوعد عن قريب على ما هو المرجوّ إن شاء الله ، وهو على كل شيء قدير[3].

(٥) وكقوله تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذْ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ● ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً ● وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية لّلمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً ● وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرًا ﴾[4].

=الإسلام ، وتوفي النبي ﷺ قبل القضاء على فتنته فانتدب له أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد سنة ١٢هـ/٦٣٣م ، فهاجم ديار بني حنيفة فصمدوا له حتى استشهد من المسلمين ١٢٠٠ منهم ٤٥٠ صحابياً ، ثم انتهت المعركة بمقتل مسيلمة الذي صار مضرب المثل في الكذب (الأعلام ٢٢٦/٧ ، والموسوعة الميسرة ص ١٧٠٤ ، ومعجم قبائل العرب ٣١٢/١) .

(١) رجّح هذا القول البيضاوي في تفسيره ص ٦٧٩ ، وأبو السعود في تفسيره ١٦٠/٥ ، واستدلاّ به على صحة إمامة أبي بكر رضي الله عنه ، بينما ذكر ابن كثير وابن جزّي الكلبي في تفسيريهما أربعة أقوال : الأول : أنهم هوازن وثقيف ، والثاني : أنهم بنو حنيفة ، والثالث : أنهم الروم ، والرابع : أنهم الفرس .

(٢) سورة الصف آية ٩ ، واستشهد بهذه الآية البيهقي في دلائل النبوة ٣١٥/٦ .

(٣) في حاشية ق : أي في حال المهدي . اهـ . وأحاديث المهدي لم يرو شيء منها في الصحيحينْ ، قال أبو السعود في تفسيره ٣٢٥/٥ : « ليُعليه على جميع الأديان المخالفة له ، ولقد أنجز الله عز وعلا وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان إلاّ وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام » .

(٤) سورة الفتح آية ١٨ ـ ٢١ .

والمراد بالفتح القريب فتح خيبر ، وبالمغانم الكثيرة في الموضع الأول مغانم خيبر أو هجر ، وبالمغانم الكثيرة في الموضع الثاني المغانم التي تحصل للمسلمين من يوم الوعد إلى يوم القيامة ، وبأخرى مغانم هوزان أو فارس أو الروم ، وقد وقع كما أخبر .

(٦) وكقوله تعالى : ﴿**وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب**﴾(١) .

فقوله : ﴿**أخرى**﴾ أي يعطيكم خصلة أخرى . وقوله : ﴿**نصر من الله**﴾ مفسر للأخرى ، وقوله : ﴿**فتح قريب**﴾ أي عاجل ، وهو فتح مكة ، وقال الحسن : هو فتح فارس والروم ، وقد وقع كما أخبر(٢) .

(٧) وكقوله تعالى : ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً**﴾(٣) .

والمراد بالفتح فتح مكة؛ لأن الأصح أنّ هذه السورة نزلت قبل فتح مكة ؛ لأنّ (إذا) يقتضي الإستقبال ، ولا يقال فيها وقع : إذا جاء وإذا وقع ، فحصل فتح مكة ، ودخل الناس في الإسلام فوجاً بعد فوج من أهل مكة والطائف(٤)

---

(١) سورة الصف آية ١٣ .

(٢) فتحت مكة في حياة النبي ﷺ سنة ٨هـ ، أمّا فارس والروم فقد تمّ فتحهما في خلافة عمر رضي الله عنه .

(٣) سورة النصر آية ١ ـ ٢ .

(٤) الطائف: من المدن القديمة في الحجاز، وكان اسمها« وجّ » على اسم وجّ بن عبدالحيّ من العماليق ، ولما أُطيف عليها الحائط سميت : الطائف ، وتقع على ظهر جبل غزوان جنوب شرقي مكة بـ ٧٠ كم ، ومتوسط ارتفاعها عن سطح البحر ١٥٠٠ متر ، وكان سكانها في زمان النبي ﷺ من قبيلتيْ هوازن وثقيف الذين حصّنوا مدينتهم ، وكان معبودهم اللات فكسروا صنمهم سنة ٩هـ ووفدوا على النبي ﷺ معلنين إسلامهم. (معجم البلدان ٨/٤ ، وسيرة ابن هشام المجلد ٢ ص ٤٧٨ ، والقاموس الإسلامي ٤٤٣/٤ ، والموسوعة الميسرة ص ١١٤٩) .

وغيرها في حياته صلى الله عليه وسلم .

(٨) وكقوله تعالى : ﴿قل للذين كفروا ستغلبون﴾[١].

وقد وقع كما أخبر فصاروا مغلوبين[٢].

(٩) وكقوله تعالى : ﴿وإذ يعدكم﴾ أي اذكروا إذ يعدكم ﴿الله إحدى الطائفتين﴾ القافلة الراجعة من الشام[٣]، والقافلة الآتية من بيت الله الحرام ﴿أنّها لكم وتودّون أنّ غير ذات الشوكة﴾ أي القافلة الراجعة ﴿تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾[٤] فوقع كما أخبر.

(١٠) وكقوله تعالى : ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾[٥].

---

(١) سورة آل عمران آية ١٢ ، واستشهد بها ابن الجوزي في الوفا ٤١٨/١ .

(٢) في تفسير البيضاوي ص ٦٨ : « أي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر ، وقيل لليهود . . . وقد صدق الله وعده بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة » ومثله في تفسير أبي السعود ٤٤٥/١ .

(٣) الشام والشآم ـ بالمدّ ـ والشأم ـ بالهمزة المفتوحة والساكنة مثل : نهَر ونهْر ـ اسم يطلق على الاقليم الممتد من جبال دوروس شمالاً ـ في جنوب تركيا ـ إلى سيناء جنوباً ، ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط غرباً إلى روافد الفرات الأعلى والصحراء العربية شرقاً ، وسبب هذه التسمية إمّا لكثرة قراها وتدانيها من بعضها فشبهت بالشامات ، وإمّا لأن قوماً من كنعان بن حام بن نوح عليه السلام لما خرجوا عند التفريق وتشاءموا إليها ـ أي أخذوا ذات الشمال ـ فسميت بالشام ، وإمّا لأنّ أول من نزلها سام بن نوح عليه السلام ، فجعلت السين شيناً ، وفي معجم البلدان أنّ حدّها طولاً من العراق إلى العريش المتاخمة للحدود المصرية ، وعرضاً من جبلي طيء إلى بحر الروم ـ الأبيض المتوسط ـ ، وكان اسمها أولاً : سورى ، وهي المذكورة في كتب أهل الكتاب باسم : آرام ، وفي كتب السير والتواريخ أنّ هاشم بن عبد مناف هلك في غزة من أرض الشام ، وفي زمن عثمان رضي الله عنه كان معاوية والياً على الشام ، أي على الإقليم المذكور بأسره ويضم سوريا الحالية ولبنان والأردن وفلسطين ، وبعدما قسمت البلاد إلى ألوية في زمن العثمانيين صار لواء الشام يعني دمشق وتوابعها فقط ، والآن تقلّصت هذه التسمية فلا تدل إلا على مدينة دمشق فقط . (معجم البلدان ٣١١/٣ ، وسيرة ابن هشام ١٣٧/١ ، والقاموس الإسلامي ٢٢/٤ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٤٩٢) .

(٤) سورة الأنفال آية ٧ ، وهي بخصوص معركة بدر .

(٥) سورة الحجر آية ٩٥ .

ولما نزلت هذه الآية بشّر النبي ﷺ أصحابه بأنّ الله كفاه شرهم وأذاهم . وكان المستهزئون نفراً بمكة ينفّرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا بضروب البلاء وفنون العناء[1]، فتم نوره وكمل ظهوره .

(١١) وكقوله تعالى : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾[2].

وقد وقع كما أخبره مع كثرة من قصد ضرره ، فعصمه الله تعالى حتى انتقل من الدار الدنيا إلى منازل الحسنى في العقبى[3].

(١٢) وكقوله تعالى : ﴿ **الم ● غلبت الروم ● في أدنى الأرض** ﴾ ، أي أرض العرب ﴿ **وهم** ﴾ أي الروم ﴿ **من بعد غلبهم سيغلبون** ﴾ أي الفرس ﴿ **في بضع سنين** ﴾ أي ما بين الثلاثة والعشرة ﴿ **لله الأمر من قبلُ ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ● بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ● وعد**

(١) قيل كانوا خمسة يبالغون في إيذاء النبي ﷺ والاستهزاء به ، فأمّا الوليد بن المغيرة فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظّماً لأخذه فأصاب عرقاً في عقبه فقطعه فمات ، وأمّا العاص بن وائل فدخلت في أخمصه شوكة فانتفخت رجله فصارت كالرحي ومات ، وأمّا عديّ بن قيس وقيل الحرث بن قيس بن الطلاطلة فامتخط قيحاً حتى مات ، وأمّا الأسود بن عبد يغوث فقعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة حتى مات ، وأمّا الأسود بن المطلب فعمي . (تفسير البيضاوي ص ٣٥١ ، وتفسير أبي السعود ٣/٣٣٠) ، وقد ذكرت قصتهم في دلائل النبوة للأصبهاني ١/٣٥٢ ـ ٣٥٦ أرقام ٢٠١ و٢٠٢ و٢٠٣ ، والوفا ١/٤٩٨ والبداية والنهاية ٣/١١٥ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١/٤٠٩ ـ ٤١٠ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ١٤٣ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٣١٦) .

(٢) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٣) روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله » .

(انظر سنن الترمذي ١١/١٧٤ ، أبواب التفسير ، تفسير سورة المائدة ، الحديث الرابع ، وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٢/١٨٤ و٤٦٥ ، و٣/٢٥٤ و٣٧٣ ، والوفا ١/٤٠٩ و٤٩٣ ـ ٤٩٧ ، والشفا ١/٣٤٧ ، وحدائق الأنوار ١/٢٧٢ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٨٦) .

الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ● يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾[1].

الفرس كانوا مجوساً ، والروم نصارى ، فورد خبر غلبة الفرس إياهم مكة ، ففرح المشركون ، وقالوا : أنتم والنصارى أهل الكتاب[2]، ونحن وفارس أمّيّون لا كتاب لنا ، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ، ولنظهرنّ عليكم ؛ فنزلت هذه الآيات ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : لا يُقرّنّ الله أعينكم ، فوالله لتظهرنّ الروم على فارس في بضع سنين . فقال أُبيّ بن خلف[3]: كذبت ، اجعل بيننا وبينك أجلاً ، فراهنه على عشر قلائص[4] من كل واحد منهما ، وجعلا الأجل ثلاث سنين . فأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ ، فقال : البضع ما بين الثلاث إلى التسع ، فزايدْه في الإبل ، ومادِّه في الأجل . فجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين . ومات أُبيّ بعدما رجع من أحد، وظهرت الروم على فارس في السنة السابعة من مغلوبيتهم[5]، فأخذ

(١) سورة الروم آية ١ ـ ٧ .

(٢) أي الكتاب السماوي ، لنزول الإنجيل على عيسى عليه السلام ، ولنزول القرآن على محمد ﷺ .

(٣) أبيّ بن خلف : هو أبيّ بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح من مشركي قريش العتاة ، وأكثرهم عداوة وحقداً على الإسلام والمسلمين ، وكان موغلاً في إيذاء المسلمين وتعذيبهم ، وهو الذي فتّ العظم البالي عند الرسول ﷺ منكراً للبعث فأنزل الله فيه آخر سورة يس ٧٧ ـ ٨٣ ، وهو الذي صدّ صديقه عقبة بن أبي معيط عن الإسلام وأمر بالبصاق على الرسول ﷺ ، فأنزل الله فيهما﴿ويوم يعضّ الظالم﴾آيات سورة الفرقان ٢٧ ـ ٢٩ ، شارك أبيّ بن خلف في غزوة أحد فأدرك النبي ﷺ في الشعب فقال : أيْ محمد ، لا نجوتُ إنْ نجوتَ . فتناول ﷺ الحربة من الحارث بن الصِّمّة فطعنه بها في عنقه فمات بسرف قرب مكة وهم عائدون به سنة ٣هـ/ ٦٢٥م (سيرة ابن هشام المجلد الأول ص ٣٦٠ ، والمجلد الثاني ص ٨٤) .

(٤) قلائص : (قِلاص) (قُلُص) : جموع مفردها قَلوص ، وهي الفتية من الإبل كالثنية وابنة المخاض والناقة الطويلة القوائم والسمينة تسمى قلوصاً (لسان العرب ٨١/٧) .

(٥) وذلك في زمان الامبراطور الروماني هرقل الأول الذي حكم ما بين ٦١٠ ـ ٦٤١ ، ففي حوالي سنة ٦٢٠م أغار الفرس على مملكته وانتزعوا منها آسيا الصغرى وفلسطين ومصر ، ثم انتصر =

أبو بكر القلائص من ورثة أبيّ ، فقال النبي ﷺ : تصدّق بها[1].

قال صاحب ميزان الحق في الفصل الرابع من الباب الثالث[2]: « لو فرضنا صدق ادّعاء المفسرين أنّ هذه الآية نزلت قبل غلبة الروم الفرس فنقول: إنّ محمداً [ﷺ] قال بظنّه أو بصائب فكره لتسكين قلوب أصحابه ، وقد سمع مثل هذه الأقوال من أصحاب العقل والرأي في كل زمان ». انتهى .

فقوله : « لو فرضنا صدق ادّعاء المفسرين » يشير إلى أنّ هذا الأمر ليس بمسلَّم عنده ، وهذا عجيب ؛ لأنّ قوله تعالى : ﴿**سيغلبون في بعض سنين**﴾ نصّ في أنّ هذا الأمر يحصل في الزمان المستقبل القريب في زمان أقل من عشر سنين ، كما هو مقتضى لفظ السنين والبضع ، وكذا قوله : ﴿**ويومئذ يفرح المؤمنون**﴾ وقوله : ﴿**وعد الله لا يخلف الله وعده**﴾ لأنّهما يدلّان على حصول الفرح في الزمان الآتي وحصول هذا الأمر فيه ، ولا معنى للوعد وعدم الخلف في الأمر بعد وقوعه .

وقوله : « إنّ محمداً [ﷺ] قال بظنّه أو بصائب فكره » مردود بوجهين :

الأوّل : أنّ محمداً ﷺ كان من العقلاء عند المسيحيين أيضاً ، ويعترف بهذا القسيس النبيل ههنا ، وفي المواضع الأخر من تصانيفه . وليس من شأن العاقل المدّعي للنبوة أن يدّعي ادّعاء قطعياً أنّ الأمر الفلاني يكون في المدة القليلة هكذا ألبتة ، ويأمر معتقديه بالرهان على هذا سيّما في مقابلة المنكرين الطالبين

= هرقل على ملك الفرس كيسخرو الثاني واستردّ آسيا الصغرى وبدّد شمل حلفائه سنة ٦٢٧م (دائرة وجدي ٤/٤٦٣) .

(١) هذه رواية تفسير البيضاوي ص ٥٣٤ وتفسير أبي السعود ٤/٣٤٨ ، ثم قال البيضاوي : « والآية من دلائل النبوة لأنّها إخبار عن الغيب » .

(٢) الكلام الآتي للدكتور/ فندر مؤلف ميزان الحق محذوف من الطبعة الثالثة لميزان الحق المطبوع بإشراف مركز الشبيبة في سويسرا .

لمذلّته المتفحّصين لمزلّة أقدامه في أمر لا يكون وقوعه مفيداً فائدة يعتدّ بها ، ويكون عدم وقوعه سبباً لمذلّته وكذبه عندهم ، ويحصل لهم سند عظيم لتكذيبه .

والثاني : أنّ العقلاء وإنْ كانوا يقولون في بعض الأمور بعقولهم ويكون ظنّهم صحيحاً تارة وخطأ أخرى ، لكن جرت العادة الإلهية بأنّ القائل لو كان مدّعي النبوة كذباً ، ويخبر عن الحادثة الآتية ، ويفتري على الله بنسبة هذا الخبر إلى الله ، لا يكون هذا الخبر صحيحاً ، بل يخرج خطأ وغلطاً البتة ، كما ستعرفه في آخر هذا المبحث إن شاء الله .

(١٣) وكقوله تعالى : **﴿ أم يقولون نحن جميع منتصر • سيهزم الجمع ويولّون الدبر ﴾**[١].

عن عمر رضي الله تعالى عنه : لـمّا نزلت لم أعلم ماهو حتى كان يوم بدر سمعت رسول الله ﷺ وهو يلبس درعه ويقول : سيُهزم الجمع ؛ فعلمته[٢].

(١٤) وكقوله تعالى : **﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾**[٣].

---

(١) سورة القمر آية ٤٤ ـ ٤٥ .

(٢) ذكره ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٦١٩/٨ في شرح حديث ٤٨٧٥ في كتاب التفسير باب **﴿سيهزم الجمع ويولّون الدبر﴾** ، وقال البيضاوي في تفسيره ص ٧٠٤ بعد أن ذكر ما تقدّم عن عمر : « وهو من دلائل النبوة » .

(٣) سورة التوبة آية ١٤ .

وقد وقعت هذه الأحوال كما أخبر[1].

(١٥) وكقوله تعالى : ﴿لن يضروكم﴾ أي اليهود ﴿إلّا أذى﴾ إمّا بالطعن في محمد وعيسى عليهما السلام ، وإمّا بتخويف الضَّعَفَة من المسلمين ﴿وإنْ يقاتلوكم يولّوكم الأدبار ثم لا يُنصرون﴾[2] فأخبر فيه عن ثلاثة مغيّبات :

الأول : أن المؤمنين يكونون آمنين من ضرر اليهود .

والثاني : لو قاتلوا المؤمنين ينهزمون .

والثالث : أنه لا يحصل لهم قوة وشوكة بعد الانهزام .

وكلها واقع[3].

(١٦) وكقوله تعالى : ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلّا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة﴾[4].

وقد وقع كما أخبر ، فليس لليهود حكومة في موضع من المواضع ، وفي كل إقليم يوجدون رعايا مضروباً عليهم الذلّة[5].

---

(١) أي بانتصار المسلمين على المشركين في المعارك التي جرت بين الفريقين إلى أن تمّ فتح مكة سنة ٨هـ ، قال البيضاوي في تفسيره ص ٢٤٩ : « وقد أوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات » .

(٢) سورة آل عمران آية ١١١ .

(٣) قال البيضاوي في تفسيره ص ٨٥ : « وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع، إذْ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر » .

(٤) سورة آل عمران آية ١١٢ .

(٥) ويفهم من هذه الآية والتي قبلها (آل عمران ١١١ ـ ١١٢) أنّ وجود اليهود في فلسطين الآن لن يكون أبديّاً ، وسينتصر عليهم المسلمون بإذن الله تصديقاً لوعد الله في القرآن وفي الأحاديث النبوية الشريفة ، ولكن الله يؤخر النصر عن المسلمين لحكمة يعلمها ، وما على المسلمين إلّا أنْ يأخذوا بأسباب النصر .

(١٧) وكقوله تعالى : ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾[١].

وقد وقع يوم أُحد بوجهين كما أخبر :

الأول : أنّ المشركين لـمّا استولوا يوم أُحد على المسلمين وهزموهم أوقع الله الرعب في قلوبهم ؛ فتركوهم وفروا منهم من غير سبب .

والثاني : أنّهم لـمّا ذهبوا إلى مكة ، فلمّا كانوا في بعض الطريق ندموا ؛ فقالوا : بئسما صنعتم ! إنّكم قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلاّ الشَّرِيد تركتموهم ، ارجعوا فاستأصلوهم قبل أن يجدوا قوة وشوكة ، فقذف الله في قلوبهم الرعب ، فذهبوا إلى مكة[٢].

(١٨) وكقوله تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[٣] أي من التحريف والزيادة والنقصان ممّا تواتر عند علماء الأعيان من قرّاء الزمان .

وقد وقع كما أخبر ، فما قدر أحد من الملحدة[٤] والمعطّلة[٥] والقرامطة[٦] أن

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥١ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام المجلد الثاني ص ١٠١ ـ ١٠٤ .

(٣) سورة الحجر آية ٩ .

(٤) الملحدة أو الملاحدة جمع ملحد ، وهو الذي ينكر النبوّات والمعاد وينفي وجود الخالق ، وهم الدهريون والزنادقة قديماً ، وهم الشيوعيون والوجوديون حالياً .

(٥) المعطلة : هم الذين ينكرون صفات الله ، فيؤمنون بالله مجرداً عن الصفات ويقال لهم النّفاة ، وعلى رأسهم الجهمية .

(٦) القرامطة : وهي دعوة ظهرت في بداية القرن العاشر الميلادي بزعامة أحد الإسماعيليين اسمه أو لقبه قرمط قتله المكتفي بالله العباسي سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م ، ومن دعاتهم البارزين حمدان قرمط وميمون القداح ، ومذهبهم ظاهره الرفض وباطنه الكفر ، ويعتقدون بإلهين ، ومذهبهم في النبوات كمذهب الفلاسفة ، وينكرون القيامة ويبيحون جميع المحرّمات ، فهم فرقة زنادقة وملاحدة أتباع فلاسفة الفرس الذين يعتقدون بنبوة زرادشت ومزدك ، ولهم عدة أسماء: فهم إسماعيلية باطنية ، خرّمية ، مزدكية ، بابكية ، محمّرة ، سبعية ، تعليمية ، حشاشون ، قرامطة وهم أصل الفاطميين والعبيْديّين والدروز . =

يحرّف شيئاً منه : لا حرفاً من حروف مبانيه ولا من حروف معانيه ، ولا إعراباً من إعراباته إلى هذه المدة التي نحن فيها ، أعني ألفاً ومائتين وثمانين من الهجرة[1]، بخلاف التوراة والإنجيل وغيرهما كما عرفت في الباب الأول والثاني . والحمد لله على إتمام هذه النعمة .

(١٩) وكقوله تعالى : ﴿لا يأتيه الباطل﴾ أي التحريف بالزيادة والنقصان ﴿من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[2] وحال هذا القول كالقول السابق[3].

(٢٠) وكقوله تعالى : ﴿إنّ الذي فرض عليك القرآن﴾ أي أحكامه وفرائضه ﴿لرادّك إلى معاد﴾[4].

روي أنّه عليه السلام لما خرج من الغار ، وسار في غير الطريق مخافة الطلب ، فلمّا أمن رجع إلى الطريق ، ونزل بالجحفة[5] بين مكة والمدينة ، وعرف الطريق إلى مكة ، واشتاق إليها ، وذكر مولده ومولد أبيه ، فنزل جبريل عليه السلام وقال : تشتاق إلى بلدك ومولدك ؟ فقال عليه السلام : نعم .

= (انظر البداية والنهاية ١١/٧٠ـ٧١ و١١٢ـ١١٣ و٢٠١ـ٢٠٢ ، والأعلام ٥/١٩٤ ، والموسوعة الميسرة صـ ١٣٧٣ ، والكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد لخالد محمد علي الحاج ١/١٥٥ـ١٦٢ ، ودائرة وجدي ٧/٧١٣) .

(١) أي سنة تأليف كتاب إظهار الحق ١٢٨٠هـ/١٨٦٤م .

(٢) سورة فصلت آية ٤٢ .

(٣) يُنظر في هذا القول وسابقه: الوفا ١/٤١٩ـ٤٢١ ، فقد تكلم على آية سورة الحجر ٩ كلاماً جيداً .

(٤) سورة القصص آية ٨٥ .

(٥) الجحفة : قرية بين مكة والمدينة ، وهي ميقات الإحرام لأهل مصر والشام الذين لا يمرّون بالمدينة المنورة ، وكان اسمها مهيعة ، وإنّما سُمّيت الجحفة لأنّ السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام ، فسميت بالجحفة وبينها وبين البحر ١٠ كم ، وليس لها وجود الآن ، وصار ميقات الإحرام قرية رابغ الواقعة على ساحل البحر شمال الجحفة بـ ١٦ كم (معجم البلدان ٢/١١١ ، والقاموس الإسلامي ١/٥٨٤) .

لا شكّ أنّهم كانوا من أشدّ أعدائه ، وكانوا أحرص الناس في تكذيبه ، وكانوا متفكرين في الأمور التي بها ينمحي الإسلام أو تحصل الذلّة لأهله ، وكان المطلوب منهم أمراً سهلاً لا صعباً ، فلو لم يكن النبي ﷺ صادقاً في دعواه عندهم لبادروا إلى القول به لتكذيبه ، بل أعلنوا هذا التمنّي بالقول مراراً ، وشهّروا أنّه كاذب يفتري على الله أنه قال كذا ، ويدّعي من جانب نفسه ادّعاء، ويقول تارة: «والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلاّ غصّ بريقة»[1] ـ يعني مات مكانه ـ ويقول تارة : « لو أنّ اليهود تمنّوا الموت لماتوا » ونحن تمنّينا مراراً وما متنا مكاننا .

فظهرت بصرفهم عن تمنّيهم ـ مع كونهم على تكذيبه أحرص الناس ـ معجزته وبانت حجته[2] .

وفي هذه الآية إخباران عن الغيب :

الأول : أنّ قوله : ﴿ لن يتمنّوه ﴾ يدلّ دلالة بيّنة على أنّ ذلك لا يقع في المستقبل من أحد منهم ؛ فيفيد عموم الأشخاص .

والثاني : أنّ قوله : « أبداً » يدل على أنّه لا يوجد في شيء من الأزمنة الآتية في المستقبل ؛ فيفيد عموم الأوقات . فبالنظر إلى العمومين هما غيبان .

(٢٢) وكقوله تعالى : ﴿ **وإنْ كنتم في ريب ممّا نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إنْ كنتم صادقين ● فإنْ لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾[3] .

فأخبر بأنّهم لا يفعلون البتة ، ووقع كما أخبر .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم وعبدالرزاق عن عكرمة عن ابن عباس ، وانظر تفسير أبي السعود ٢١٨/١ والشفا ٢٧٢/١ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢٧٤/٦ والوفا ٤١٨/١ .

(٢) قال البيضاوي في تفسيره قوله تعالى : ﴿ ولن يتمنّوه أبداً ﴾ ص ٢٠ « وهذه الجملة إخبار بالغيب وكان كما أخبر ، لأنّهم لو تمنّوا لنقل واشتهر » ، وانظر تفسير أبي السعود ٢١٨/١ ، والشفا للقاضي عياض ٢٧٢/١ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢٧٤/٦ ، والوفا ٤١٨/١ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٣ ـ ٢٤ .

وهذه الآية دالّة على الإعجاز من وجوه أربعة .

أولها : أنّا نعلم بالتواتر أنّ العرب كانوا في غاية العداوة لرسول الله ﷺ ، وفي غاية الحرص على إبطال أمره ؛ لأنّ مفارقة الأوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج من أقوى الأدلة على ذلك ، فإذا انضاف إليه مثل هذا التقريع وهو قوله : ﴿ **فإنْ لم تفعلوا ولن تفعلوا** ﴾ صار حرصهم أشدّ ، فلو كانوا قادرين على الإتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه لأتوا به ؛ فحيث ما أتوا[1] به ظهر الإعجاز .

وثانيها : أنّ النبي ﷺ وإنْ كان متّهماً عندهم في أمر النبوة لكنّه كان معلوم الحال في وفور العقل والفضل والمعرفة بالعواقب ، فلو كان كاذباً لما تحدّاهم بالغاً في التحدي إلى النهاية ، بل كان عليه أن يخاف مما يتوقعه من فضيحة يعود وبالها على جميع أموره ، فلو لم يعلم بالوحي عجزهم عن المعارضة لما جاز أن يحملهم عليها بهذا التقريع .

وثالثها : أنّه لو لم يكن قاطعاً في أمره لما قطع في أنّهم لا يأتون بمثله ؛ لأنّ المزوِّر لا يجزم بالكلام ، فجزمه يدل على كونه جازماً في أمره .

ورابعها : أنّه وجد مُخْبَرَ[2] هذا الخبر على ذلك الوجه ؛ لأنّه من عهده عليه السلام إلى عصرنا هذا لم يخلُ وقت من الأوقات ممن يعادي الدين والإسلام ، وتشتدّ دواعيه في الوقيعة فيه ، ثم إنّه مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة قط .

فهذه الوجوه الأربعة في الدلالة على الإعجاز مما تشتمل عليه هذه الآية[3] .

---

(١) ما : نافية بمعنى لم ، أي لم يأتوا .

(٢) في حاشية ق : أي مدلول . اهـ .

(٣) وقد ذكر البيضاوي في تفسيره ص ١٩ : أنّ هاتين الآيتين دالتان على نبوة محمد ﷺ من ثلاثة وجوه ، ثم ذكرها وملخصها :

الأول : ما فيهما من التحدي والتحريض على بذل الوسع في المعارضة وتعليق الوعيد على عدم =

فهذه الأخبار وأمثالها تدلّ على كون القرآن كلام الله ؛ لأنّ عادة الله جارية على أنّ مدّعي النبوة لو أخبر عن شيء ونسب إلى الله كذباً لا يخرج خبره صحيحاً .

في الباب الثامن عشر من كتاب التثنية هكذا : « ٢١ ــ فإنْ أجبت وقلت في قلبك كيف أستطيع أن أميّز الكلام الذي لم يتكلّم به الرب ٢٢ ــ فهذه تكن لك آية أنّ ما يكن قاله ذلك النبي في اسم الربّ ولم يحدث فهذا الربّ لم يكن تكلّم به بل ذلك النبي صوّره في تعظّم نفسه ولذلك لا تخشاه »[1].

الأمر الرابع : ما أخبر من أخبار القرون السالفة والأمم الهالكة ، وقد عُلم أنّه كان أُميّاً ما قرأ ولا كتب ولا اشتغل بمدارسةٍ مع العلماء ولا مجالسةٍ مع الفضلاء ، بل تربّى بين قوم كانوا يعبدون الأصنام ، ولا يعرفون الكتاب ، وكانوا عارين عن العلوم العقلية أيضاً ، ولم يغبْ عن قومه غيْبة يمكن له التعلّم فيها من غيرهم . والمواضع التي خالف القرآنُ فيها في بيان القصص والحالات المذكورة كتبَ أهل الكتاب كقصة صلب المسيح عليه السلام وغيرها ؛ فهذه المخالفة قصديّة : إمّا لعدم كون بعض هذه الكتب أصليّة كالتوراة والإنجيل المشهورَين ، وإمّا لعدم كونها إلهاميّة ، ويدلّ على ما ذكرت قوله تعالى : ﴿ **إنّ هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون**﴾[2].

= الإتيان بما يعارض أقصر سورة في القرآن ومع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة لم يتصدوا للمعارضة . والثاني : أنهما تتضمنان الإخبار عن الغيب على ماهو به ، فلو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه . والثالث : أنه ﷺ لو شكّ في أمره لما دعاهم إلى المعارضة بهذه المبالغة مخافة أن يُعارَض فتدحض حجته . وانظر الشفا للقاضي عياض ١/٢٧٣ ، والوفا ١/٤١٨ و ٤٨٥ ، والبداية والنهاية ٦/٢٠٧ .

(١) وفي طبعة سنة ١٨٦٥م « ٢١ ــ وإنْ قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلّم به الرب (٢٢) فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه » .

(٢) سورة النمل آية ٧٦ .

الأمر الخامس : مافيه من كشف أسرار المنافقين ؛ حيث كانوا يتواطؤون في السرّ على أنواع كثيرة من المكر والكيد ، وكان الله يُطْلع رسوله على تلك الأحوال حالاً فحالاً ، ويخبره عنها على سبيل التفصيل ، فما كانوا يجدون في كل ذلك إلّا الصدق ، وكذا مافيه من كشف حال اليهود وضمائرهم[1] .

الأمر السادس : جمعه لمعارف جزئية وعلوم كلّيّة لم تعهدها العرب عامة ، ولا محمد ﷺ خاصة من علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقلية والسّير والمواعظ والحِكَم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم .

وتحقيق الكلام في هذا الباب : أنّ العلوم إمّا دينية أو غيرها ، ولا شك أنّ الأولى أعظمها شأناً وأرفعها مكاناً ، فهي إمّا علم العقائد[2] والأديان ، وإمّا علم الأعمال ، أمّا علم العقائد والأديان فهو عبارة عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . أمّا معرفة الله تعالى فهي عبارة عن معرفة ذاته ، ومعرفة صفات جلاله ، ومعرفة صفات إكرامه وأفعاله ، ومعرفة أحكامه ، ومعرفة أسمائه ، والقرآن مشتمل على دلائل هذه المسائل وتفاريعها وتفاصيلها على وجه لا يساويه شيء من الكتب بل لا يقرب منه .

وأمّا علم الأعمال فهو إمّا أن يكون عبارة عن علم التكاليف المتعلقة بالظواهر وهو علم الفقه[3]، ومعلوم أنّ جميع الفقهاء إنّما استنبطوا مباحثهم من

---

(١) ورد كشف أسرار المنافقين واليهود في سورة التوبة والأحزاب والحشر والمنافقون ، ووردت آيات مفرّقة في سورة البقرة وآل عمران والنساء وغيرها ، ولأنّ سورة التوبة اختصت بهذا الأمر وفضح مؤامراتهم على الإسلام سميت الفاضحة .

(٢) ما يقصد فيه نفس الإعتقاد دون العمل . (التعريفات للجرجاني ص ١٥٨) .

(٣) هو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، وقيل هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفيّ الذي يتعلق به الحكم ، وهو علم مستنبط بالإجتهاد ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل . (التعريفات للجرجاني ص ١٧٥ ، وكشف الظنون ٢/١٢٨٠) .

القرآن . وإمّا أن يكون علم التصوّف[1] المتعلق بتصفية الباطن ورياضة القلوب[2]، وقد حصل في القرآن من مباحث هذا العلم ما لا يوجد في غيره ، كقوله : ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[3]، وقوله : ﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾[4]، وقوله : ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه ولي حميم﴾[5]. فقوله : ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ يعني : ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالخصلة التي هي أحسن ، وهي الصبر ومقابلة السيئة بالحسنة . وقوله : ﴿فإذا الذي . . .﴾ الخ ، يعني : إذا قابلت إساءتهم بالإحسان ، وأفعالهم القبيحة بالأفعال الحسنة تركوا أفعالهم القبيحة ، وانقلبوا من العداوة إلى المحبة ، ومن البِغْضَةِ إلى المودة .

---

(١) التصوّف : هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطناً فيحصل للمتأدب بالحكمين كمال ، وقيل هو صفاء المعاملة مع الله تعالى وأصله التفرّغ عن الدنيا وتهذيب الأخلاق النفسية ، وتمخيطها عن خلطات الطبع ونزغاته . (كتاب التعريفات للجرجاني ص ٦١ و٦٢ و١١٩ و٢٩٨) . وأما علم التصوّف (ويسمى علم الحقيقة) : فهو علم يعرف به كيفية ترقّي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم ، ويسمى كذلك علم الباطن ويُعرّف بأنه معرفة أحوال القلب والتخلية ثم التحلية . (كشف الظنون ١/٢١٨ و٤١٣) .

والتصوف مذهب روحي معروف عند بعض شعوب الحضارات القديمة كالهنود ، ولفظه مستحدث لم يكن في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد خلفائه الراشدين ، ولما وقعت الفتنة بالدنيا سُمّي المعرضون عن زخرفها المقبلون على الله باسم الصوفيّة لزهدهم ، وعلى تعاقب الأطوار دخلت في الصوفية أفكار وعقائد دينيّة وفلسفيّة من الأمم الأخرى الوثنيّة ومن الفرق الباطنيّة ، فكثرت الفرق الصوفية ، وتبنّت بعضها نظريات وعقائد يُحكم على اتباعها بالكفر الصريح كنظرية وحدة الوجود عند ابن عربي . (القاموس الإسلامي ١/٤٧٠ ، ودائرة وجدي ٥/٥٨٥ ، والموسوعة الميسرة ص ٥٢٥ ـ ٥٢٦) .

(٢) على معنى علم تزكية النفوس عن الأخلاق الرديّة وتصفية القلوب عن الأغراض الدنيّة . (كشف الظنون ج ١ هامش ص ٤١٣) .

(٣) سورة الأعراف آية ١٩٩ .

(٤) سورة النحل آية ٩٠ .

(٥) سورة فصّلت آية ٣٤ .

ونحو هذه الأقوال كثيرة فيه ؛ فثبت أنه جامع لجميع العلوم النقليّة أصولها وفروعها ، ويوجد فيه التنبيه على أنواع الدلالات العقليّة ، والردّ على أرباب الضلال ببراهين قاهرة وأدلّة ظاهرة ، سهلة المباني مختصرة المعاني ، كقوله تعالى : ﴿ **أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم**﴾[1]، وكقوله تعالى : ﴿ **يحييها الذي أنشأها أول مرة**﴾[2]، وكقوله تعالى : ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا**﴾[3]، ولنعم ما قيل :

جميعُ العلمِ في القرآنِ لكنْ ... تَقَاصَرَ عنه أفهامُ الرجالِ

الأمر السابع : كونه بريئاً عن الاختلاف والتفاوت مع أنّه كتاب كبير مشتمل على أنواع كثيرة من العلوم ، فلو كان ذلك من عند غير الله لوقع فيه أنواع من الكلمات المتناقضة ؛ لأنّ الكتاب الكبير الطويل لا ينفكّ عن ذلك ، ولـمّا لم يوجد فيه ذلك علمنا أنّه ليس من عند غير الله كما قال الله تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**﴾[4]، وإلى هذه الأمور السبعة المذكورة أشار الله تعالى بقوله : ﴿ **أنزله الذي يعلم السرّ في السماوات والأرض**﴾[5]؛ لأنّ مثل هذه البلاغة والأسلوب العجيب ، والإخبار

---

(١) سورة يس آية ٨١ .

(٢) سورة يس آية ٧٩ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٢٢ .

(٤) سورة النساء آية ٨٢ . قال البيضاوي في تفسيره ص ١٢٠ : « أي ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً ، وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ، ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض ، وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض على ما دلّ عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية » .

(٥) سورة الفرقان آية ٦ ، وقال البيضاوي في تفسيره ص ٤٧٦ : « لأنّه أعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمّنه أخباراً عن مغيبات مستقبلية وأشياء مكنونة لا يعلمها إلاّ عالم الأسرار فكيف تجعلونه أساطير الأوّلين » .

عن الغيوب ، والاشتمال على أنواع العلوم ، والبراءة عن الاختلاف والتفاوت مع كون الكتاب كبيراً مشتملاً على أنواع العلوم لا يتأتّى إلاّ من العالم الذي لا يغيب عن علمه مثقال ذرة مما في السماوات والأرض .

الأمر الثامن : كونه معجزة باقية متلوّة في كل مكان مع تكفّل الله بحفظه بخلاف معجزات الأنبياء ؛ فإنّها انقضت بانقضاء أوقاتها ، وهذه المعجزة باقية على ما كانت عليه من وقت النزول إلى زماننا هذا ، وقد مضت مدة ألف ومائتين وثمانين وحجتها قاهرة ومعارضته ممتنعة . وفي الأزمان كلها القرى والأمصار مملوءة بأهل اللسان وأئمة البلاغة ، والملحد فيهم كثير ، والمخالف العنيد حاضر ومهيّء ، وتبقى إنْ شاء الله هكذا ما بقيت الدنيا وأهلها في خير وعافية ، ولـمّا كان المعجز منه بمقدار أقصر سورة[1]، فكلّ جزء منه بهذا المقدار معجزة ؛ فعلى هذا يكون القرآن مشتملاً على أكثر من ألفيْ معجزة .

الأمر التاسع : أنّ قارئه لا يسأمه ، وسامعه لا يمجّه ، بل تكراره يوجب زيادة محبّة كما قيل :

وخيْرُ جليسٍ لا يُمَلُّ حديثُهُ   وتَرْدادُهُ يزدادُ فيهِ تَجَمُّلا

وغيره من الكلام ولو كان بليغاً في الغاية يُملُّ مع الترديد في السمع ، ويكره في الطبع ، ولكن هذا الأمر بالنسبة إلى من له قلب سليم ، لا إلى من له طبع سقيم .

الأمر العاشر : كونه جامعاً بين الدليل ومدلوله[2]. فالتالي له إذا كان ممّن يدرك معانيه يفهم مواضع الحجة والتكليف معا في كلام واحد باعتبار منطوقه

---

(١) وهي سورة الكوثر التي هي عشر كلمات بثلاث آيات في سطر واحد .
(٢) في حاشية ق : أي الأحكام . اهـ .

ومفهومه ؛ لأنّه ببلاغة الكلام يستدلّ على الإعجاز ، وبالمعاني يقف على أمر الله ونهيه ، ووعده ووعيده .

الأمر الحادي عشر : حِفْظه لمتعلّميه بالسهولة كما قال الله تعالى : ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر**﴾(1) فحِفْظه ميسّر على الأولاد الصغار في أقرب مدّة ، ويوجد في هذه الأمة في هذا الزمان أيضاً مع ضعف الإسلام في أكثر الأقطار أزيد من مائة ألف من حفّاظ القرآن ؛ بحيث يمكن أن يُكتب القرآن من حِفْظ كلّ منهم من الأول إلى الآخر بحيث لا يقع الغلط في الإعراب فضلاً عن الألفاظ ، ولا يخرج في جميع ديار أوربا(2) عدد حفّاظ الإنجيل بحيث يساوي الحفّاظ في قرية من قرى مصر مع فراغ بال المسيحيين وتوجّههم إلى العلوم والصنائع منذ ثلاثمائة سنة ، وهذا هو الفضل البديهي لأمة محمد ﷺ ولكتابهم .

الأمر الثاني عشر : الخشية التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماع القرآن ، والهيبة التي تعتري تاليه ، وهذه الخشية قد تعتري مَن لا يفهم معانيه ، ولا يعلم تفسيره ؛ فمنهم من أسلم لها لأول وهلة ، ومنهم من استمرّ على كفره ، ومنهم من كفر حينئذ ثم رجع بعده إلى ربّه .

---

(1) سورة القمر آيات ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ .

(2) أوروبا : هي أصغر أقسام الكرة الأرضية مساحة وتزيد مساحتها على عشرة ملايين كم٢، ويحدّها من الشمال المحيط المتجمد الشمالي ، ومن الشرق : آسيا ، ويفصلها عنها جبال الأورال وبحر قزوين ، ومن الجنوب : البحر الأبيض المتوسط ، ومن الغرب : المحيط الأطلسي (الأطلنطي) . وقد جاءت تسميتها من اليونانيين الذين كانوا يقسّمون الأرض إلى ثلاثة أقسام هذا أحدها ويسمونه : (أورفي) ، وقد بدأ اتصال المسلمين بأوروبا في خلافة عثمان رضي الله عنه ، حين غزا قائداه معاوية وعبدالله بن أبي سرح جزيرة قبرص عام ٢٨هـ/٦٤٨م . (معجم البلدان ٢٧٨/١ ، والقاموس الإسلامي ٢١٢/١ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ٢٦٠ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٧٥٥/١) .

روي أنّ نصرانياً مرّ بقارئ ، فوقف يبكي . فسُئِل عن سبب البكاء . فقال : الخشية التي حصلت له من أثر كلام الرب .

وأنّ جعفر الطيار[١] رضي الله عنه لـمّا قرأ القرآن على النجاشي وأصحابه ما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر رضي الله عنه من القراءة ، وأنّ النجاشي أرسل سبعين عالماً من علماء المسيحيين إلى رسول الله ﷺ ، فقرأ عليهم سورة (يس)[٢] فبكوا وآمنوا، فنزل في حق الفريقين أو أحدهما قوله تعالى : **﴿ وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ممّا عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنّا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾**[٣] .

وقد عرفت حال جبير بن مطعم رضي الله عنه وعتبة وابن المقفع[٤] ويحيى بن حكم الغزال .

---

(١) جعفر الطيار : هو أبو عبدالله جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ وأشبه الناس به خَلْقاً وخُلُقاً ، وهو أكبر من أخيه عليّ بعشر سنين ، كان من السابقين للإسلام ، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية فكان المتكلّم عن المهاجرين عند النجاشي ، ولم يرجع إلى الحجاز إلّا في سنة ٧هـ حين فتح رسول الله ﷺ خيبر ، وفي جمادى الأولى سنة ٨هـ/ ٦٢٩م اشترك جعفر في غزوة مؤتة قائداً وحاملاً للراية ، فقاتل حتى قُطعت يداه وعُقرت فرسه ووُجد في صدره تسعون ضربة مختلفة ، وكان عمره ٤١ سنة ، ودفن قرب مؤتة ، وسمّي الطيار وذا الجناحينْ ؛ لأنّ الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء . (الإصابة ١/ ٢٣٧ ، والإستيعاب ١/ ٢١٠ ، والأعلام ٢/ ١٢٥ ، والقاموس الإسلامي ١/ ٦١٢) .

(٢) قرأ جعفر على النجاشي رضي الله عنهما صدر سورة مريم ، وقرأ رسول الله ﷺ على الوفد سورة يس ، وقيل سورة مريم ، وكانوا سبعين ، وقيل ثلاثين ، وقيل غير ذلك (تفسير البيضاوي ص ١٦٠ ، وتفسير أبي السعود ٢/ ١١٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٣٠٣) .

(٣) سورة المائدة آية ٨٣ .

(٤) ذكرت سابقاً أنّه ورد في المخطوطة والمطبوعة بالنون (ابن المقنّع) ، وورد في كتاب الشفا للقاضي عياض بالفاء (ابن المقفّع) .

وقال نور الله الشوستري[1] في تفسيره : إنّ العلاّمة علي القوشجي[2] لما راح من وراء النهر إلى الروم جاء إليه حَبْر من أحبار اليهود لتحقيق الإسلام ، وناظره إلى شهر ، وما سلّم دليلاً من أدلة العلاّمة إلى هذا الحين . فجاء يوماً وقت الصبح ـ وكان العلاّمة مشتغلاً بتلاوة القرآن على سطح الدار ، وكان كريه الصوت في الغاية ـ فلمّا دخل الباب ، وسمع القرآن أثّر القرآنُ في قلبه تأثيراً بليغاً ، فلـمّا وصل إلى العلاّمة قال : إنّي أدخل في الإسلام ؛ فأدخله العلاّمة في الإسلام ، ثم سأله عن السبب . فقال : ما سمعت مدة عمري كريه الصوت مثلك ، فلمّا وصلتُ إلى الباب سمعت منك القرآن ، وقد حصل تأثيره البليغ فيّ ؛ فعلمت أنّه وحي .

فثبت من الأمور المذكورة أنّ القرآن معجز وكلام الله ، كيف : لا ؟! وحسن الكلام يكون لأجل ثلاثة أشياء : أن تكون ألفاظه فصيحة ، وأن يكون نظمه مرغوباً ، وأن يكون مضمونه حسناً . وهذه الأمور الثلاثة متحققة في القرآن بلا ريب .

ونختم هذا الفصل ببيان ثلاث فوائد :

---

(١) في حاشية ق : من مجتهدي الشيعة . اهـ . وهو نور الله بن شريف الدين عبدالله المرعشي التستري الشوستري من نسل الإمام زين العابدين ، عاش ما بين ٩٥٦هـ/١٥٤٩م - ١٠١٩هـ/١٦١٠م، وهو من مجتهدي وعلماء الشيعة الإماميّة، وكان يُنعت بالقاضي ضياء الدين ، وهو من بلدة تستر بإيران ، ولاّه السلطان أكبر شاه منصب قاضي القضاة بلاهور ، وله ٩٧ كتاباً ورسالة ، منها مصائب النواصب ، وحاشية على تفسير البيضاوي ، وقد قُتِل في أكبر أباد . (كشف الظنون ٤٩٨/٦ ، والأعلام ٥٢/٨ ، ومعجم المؤلفين ١٢٢/١٣) .

(٢) على القوشجي : هو علاء الدين عليّ بن محمد القوشجي ، فلكيّ رياضيّ فقيه حنفي من سمرقند ، له مؤلفات كثيرة ، أرسله الأمير حسن الطويل أمير تبريز في سفارة إلى السلطان محمد خان سلطان بلاد الروم ليُصلح بينهما ، فأبقاه السلطان عنده وأعطاه مدرسة أياصوفيا ، فأقام بالآستانة ، وتوفي فيها ٨٧٩هـ/١٤٧٤م (كشف الظنون ٧٣٦/٥ ، والأعلام ٩/٥ ، ومعجم المؤلفين ٢٢٧/٧) .

الفائدة الأولى : سبب كون معجزة نبينا من جنس البلاغة أيضاً : أنّ بعض المعجزات تظهر في كلّ زمان من جنس ما يغلب على أهله أيضاً ؛ لأنّهم يبلغون فيه الدرجة العليا ، فيقفون فيه على الحدّ الذي يمكن للبشر الوصول إليه ، فإذا شاهدوا ما هو خارج عن الحدّ المذكور علموا أنّه من عند الله ، وذلك كالسحر في زمن موسى ، فإنّه كان غالباً على أهله ، وكانوا كاملين فيه ، ولما عَلِم السحرةُ الكَمَلَة أنّ حدّ السّحْر تخييل لما لا ثبوت له حقيقة ، ثم رأوا عصاه انقلبت ثعباناً يتلقّف سِحْرهم الذي كانوا يقلبونه من الحق الثابت إلى المتخيّل الباطل من غير أن يزداد حجمها ـ علموا أنّه خارج عن السحْر ومعجزة من عند الله فآمنوا به ، وأمّا فرعون فلمّا كان قاصراً في هذه الصناعة ظنّ أنّه سِحْر أيضاً ، وإنْ كان أعظم من سِحْر سَحَرَته .

وكذا الطبّ لمّا كان غالباً على أهل زمن عيسى عليه السلام ، وكانوا كاملين فيه ، فلمّا رأوا إحياء الميت وإبراء الأكمه علموا بعلمهم الكامل أنّهما ليسا من حدّ الصناعة الطبيّة ، بل هو من عند الله .

والبلاغة قد بلغت في عهد الرسول عليه السلام إلى الدرجة العليا ، وكان بها فخارهم حتى علّقوا القصائد السبع بباب الكعبة تحدّياً بمعارضتها ، كما تشهد به كتب السيَر[1]، فلما أتى النبيّ ﷺ بما عجز عن مثله جميع البلغاء عُلم أنّ ذلك من عند الله قطعاً .

---

(١) يقصد المعلّقات ، التي هي قصائد عربية عدّها النقاد أروع ما نظمه العرب الجاهليّون ، واختلف في سبب تسميتها بالمعلقات فقال ابن عبد ربه الأديب الأندلسي : لأنّها كتبت بماء الذهب على الحرير ، وعُلقت في أستار الكعبة ، ولذلك تسمى المذهّبات ، وقد نفى جماعة : منهم ابن خلدون هذا الرأي ، وأنّه لم يعرفه أحد من الرواة ، وقيل : لأنّ ملك الحيرة استحسنها وعلّقها في خزانته ، وقيل : لعلوقها بالذاكرة ، وقيل لأنّها تسمى بالسّموط ، أي العقود النفيسة ومن شأنها التعليق ، كما اختلف في عددها وأصحابها ، فقيل : هي سبع ، وقيل : عشر ، وقد أجمع النقاد على معلقات امرىء القيس وطرفة وزهير وعنترة ثم اختلفوا في الباقي وهم : عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلّزة ، ولبيد ، والأعشى والنابغة ، وعبيد بن الأبرص ، وعلقمة الفحل ، وعلى كل =

الفائدة الثانية : نزول القرآن منجماً ومفرّقاً ولم ينزل دفعة واحدة لوجوه :

أحدها : أنّ النبي ﷺ لم يكن من أهل القراءة ، فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة كان لا يضبطه ، ولجاز عليه السهو .

وثانيها : لو أنزل الله عليه الكتاب دفعة فربما اعتمد على الكتاب ، وتساهل في الحفظ . فلما أنزله الله منجماً حفظه[1]، وبقيت سُنّة الحفظ في أُمّته .

وثالثها : في صورة نزول الكتاب دفعة كان نزول جميع الأحكام دفعة واحدة على الخلق ، فكان يثقل عليهم ذلك ، ولمّا نزل مفرّقاً لا جَرَم نزلت التكاليف قليلاً قليلاً ، فكان تحمّلها أسهل ؛ كما روي عن بعض الصحابة أنّه قال : لقد أحسن الله إلينا كلّ الإحسان : كنّا مشركين ، فلو جاءنا رسول الله بهذا الدين جملة وبالقرآن دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا ، فما كنّا ندخل في الإسلام ، ولكنّه دعانا إلى كلمة واحدة ، فلما قبِلناها ، وذقنا حلاوة الإيمان قبِلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة إلى أن تمّ الدين وكملت الشريعة .

ورابعها : أنّه إذا شاهد جبريلَ[2] حالاً بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته ،

= حال فجميعها تمثل أنضج صور الشعر الجاهلي شكلاً ومضموناً ، وهي القصائد الطوال التي سمّتها العرب السّموط؛ لأنّها مخزن حكمتهم، ومستقر بلاغتهم ، وغاية ما وصل إليه خيال شاعريتهم ، وقد اعتنى بها الأدباء فشرحت عدة شروح (كشف الظنون ٢/١٧٤٠ ، والموسوعة الميسرة ص ١٧٢١ ، ودائرة وجدي ٦/٥٤٣) .

(١) يقال في هذا الوجه والذي قبله آية ٣٢ من سورة الفرقان ، وهي قوله تعالى : « وقال الذين كفروا لولا نُزّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبّت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً » .

(٢) جبريل وينطق جبرائيل : وهو حامل الوحي إلى الأنبياء ، وهو الذي بلّغ محمداً ﷺ بالنبوة عندما كان في غار حراء، وكان ينزل عليه بالقرآن الكريم طيلة مدة البعثة، وأحياناً يتمثل له بهيئة رجل ويراه الصحابة ، ورد ذكره في القرآن الكريم بعدّة أسماء : فباسم جبريل ٣ مرات ، وباسم روح القدس ٤ مرات ، وباسم الروح الأمين مرّة واحدة ، وهو الوارد ذكره في قصة تبشير مريم بعيسى بلفظ (روحنا) ٣ مرات ، وله نعوت منها : جبريل الأمين ، وأمين الوحي ، وخازن القدس ، والناموس الأكبر ، وطاووس الملائكة ، وهو ـ حاشا لله وحاشاه ـ =

فكان أقوى على أداء ما حُمِّل ، وعلى الصبر على عوارض النبوّة وعلى احتمال أذيّة القوم .

وخامسها : أنّه لما تمّ شرط الإعجاز فيه مع كونه منجماً ثبت كونه معجزاً ، فإنّهم لو قدروا لوجب أن يأتوا بمثله منجّماً مفرّقاً .

وسادسها : كان القرآن ينزل بحسب أسئلتهم والوقائع الواقعة لهم ، فكانوا يزدادون بصيرة ؛ لأنّ الإخبار عن الغيوب كان ينضمّ بسبب ذلك إلى الفصاحة .

وسابعها : أنّ القرآن لّما نزل منجماً مفرّقاً وتحدّاهم النبي ﷺ من أوّل الأمر فكأنّه تحدّاهم بكل واحد من نجوم القرآن ، فلمّا عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكلّ أولى ، فثبت بهذا الطريق أنّ القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة .

وثامنها : أنّ السفارة بين الله وبين أنبيائه وتبليغ كلامه إليهم منصب عظيم ، فلو نزل القرآن دفعة واحدة كان زوال هذا المنصب عن جبريل عليه السلام محتملاً ، فلما نزل مفرّقاً منجّماً بقي ذلك المنصب العظيم عليه .

الفائدة الثالثة : سبب تكرار بيان التوحيد وحال القيامة وقصص الأنبياء في مواضع ـ أنّ العرب كانوا مشركين وثنيّين ينكرون هذه الأشياء ، وغير العرب

= الأقنوم الثالث من الثالوث الإلهي عند النصارى ، فهو مشارك للآب والابن (عيسى) في الإلهيّة ، ويوجبون له جميع الصفات الإلهية كالعلم والخلق والتأثير في الكون واستحقاق العبادة . (القاموس الإسلامي ١/٥٧٦ و ٢/٥٨٩ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٢٤٥ و ٤١٤ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ٦١٢ و ٨٨٨ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٧/٦٥٣) .

بعضهم ـ مثل أهل الهند والصين[1] والمجوس ـ كانوا مثل العرب في الإنكار ، وبعضهم كأهل التثليث : كانوا في الإفراط والتفريط في اعتقاد هذه الأشياء ، فلأجل التقرير والتأكيد كرّر بيان هذه الأشياء .

ولتكرار القصص أسباب أخر أيضاً :

منها : أنّ إعجاز القرآن لّما كان باعتبار البلاغة أيضاً ، وكان التحدّي بهذا الإعتبار ، فكررت القصص بعبارات مختلفة إيجازاً وإطناباً مع حفظ الدرجة العليا للبلاغة في كل مرتبة ليُعلم أنّ القرآن ليس كلام البشر ؛ لأنّ هذا الأمر عند البلغاء خارج عن القدرة البشرية .

ومنها : أنّه كان لهم أن يقولوا : إنّ الألفاظ الفصيحة التي كانت مناسبة لهذه القصّة استعملتْها ، وما بقيت الألفاظ الأخرى مناسبة لها ، أو أن يقولوا : إنّ طريق كلّ بليغ يخالف طريق الآخر ، فبعضهم يقدر على الطريق المطنب ، وبعضهم على الموجز ، فلا يلزم من عدم القدرة على نوع عدم القدرة مطلقاً ، أو أن يقولوا : إنّ دائرة البلاغة ضيقة في بيان القصص ، وما صدر عنك بيانها مرة فمحمول على البخت والإتفاق ، فلما كررت القصص إيجازاً وإطناباً لم يبق عذر من هذه الأعذار الثلاثة .

---

(١) الصين : دولة كبرى في جنوب شرق آسيا يمتاز شعبها بخصائصه الذاتية ، وحدودها الشمالية تتصل بمنغوليا وجمهوريات الاتحاد السوفياتي ، وفي القرن العاشر قبل الميلاد أقيم سدّ الصين المنيع على حدودها الشمالية لمنع انسياب المغول إلى داخل الصين وكانت الصين معروفة للعرب في الجاهلية والإسلام بحكم العلاقات التجارية مع جارتها الهند . وقد استوطن كثير من تجار المسلمين في الصين وصاهروا أهلها وفيها الآن أربع ديانات : ديانة كنفوشيوس وبوذا ولاوتسو والإسلام ، ويحكمها الآن الشيوعيون وعاصمتها بكين . (معجم البلدان ٣/ ٤٤٠ ، والقاموس الإسلامي ٤/ ٣٨٦ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١١٣٩ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٥/ ٥٩٧) .

ومنها : أنّه ﷺ كان يضيق صدره بإيذاء القوم وشرّهم كما أخبر الله تعالى : **﴿ولقد نعلم أنّك يضيق صدرك بما يقولون﴾**(١) فيقصّ الله قصّة من قصص الأنبياء مناسبة لحاله في ذلك الوقت لتثبيت قلبه كما أخبر الله تعالى : **﴿وكُلّاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾**(٢).

ومنها : أنّ المسلمين كانوا يحصل لهم الإيذاء من أيدي الكفار ، أو أنّ قوماً كانوا يُسلمون ، أو أنّ الكفار كان المقصود تنبيههم ، فكان الله ينزل في كل موضع من هذه القصص ما يناسبه ، لأنّ حال السلف تكون عبرة للخلف .

ومنها : أنّ القصة الواحدة قد تشتمل على أمور كثيرة ، فتُذكر تارة ويقصد بها بعض الأمور قصداً وبعضها تبعاً ، وتعكس مرة أخرى .

---

(١) سورة الحجر آية ٩٧ .
(٢) سورة هود آية ١٢٠ .

الفصل الثاني

(في رفع شبهات القسّيسين على القرآن)

الشبهة الأولى : (لا نسلّم أنّ عبارة القرآن في الدرجة القصوى من البلاغة الخارجة عن العادة ، ولو سلّمنا ذلك فهو يكون دليلاً ناقصاً على الإعجاز ؛ لأنّه لا يظهر إلّا لمن كان له معرفة تامّة بلسان العرب ، ويلزم أن تكون جميعُ الكتب التي توجد في الألسن الأخرى مثل اليوناني واللاتيني وغيرهما في الدرجة العالية من البلاغة كلامَ الله ، على أنّه يمكن أن تؤدّى المطالب الباطلة والمضامين القبيحة بألفاظ فصيحة وعبارات بليغة في الدرجة القصوى) .

والجواب : عدم تسليم كون عبارة القرآن في الدرجة العليا مكابرة محضة لما عرفت في الأمر الأول والثاني من الفصل الأول .

وقولهم : «لأنّه لا يظهر إلّا لمن كان له معرفة تامّة بلسان العرب» حقٌّ، لكن التقريب[1] غير تامّ ؛ لأنّ هذه المعجزة لـمّا كانت لتعجيز البلغاء والفصحاء ، وقد ثبت عجزهم ولم يعارِضوا واعترفوا بها ، وعرفها أهل اللسان بسليقتهم ، وغيرهم من العلماء بمهارتهم في فنّ البيان ، وإحاطتهم بأساليب الكلام ، وعرفها العوامّ من الفِرَق بشهادة ألوف ألوف من أهل اللسان والعلماء ، فظهر أنّها معجزة يقيناً ، ودليل كامل لا ناقص كما زعموا ، وصارت سبباً من الأسباب الكثيرة التي يُعلم بها أنّ القرآن كلام الله .

---

(١) في حاشية ق : معنى التقريب سوق الدليل على وجه يستلزم المطلوب . اهـ . فإذا كان المطلوب غير لازم واللازم غير مطلوب لا يتمّ التقريب ، فالتقريب هو سوق المقدمات على وجه يفيد المطلوب ويجعل الدليل مطابقاً للمدّعي . (التعريفات للجرجاني ص ٦٧) .

ولا يدّعي أهل الإسلام أنّ سبب كون القرآن كلام الله منحصر في كونه بليغاً فقط ، وكذا لا يدّعون أنّ معجزة النبي ﷺ منحصرة في بلاغة القرآن فقط ، بل يدّعون أنّ هذه البلاغة سبب من الأسباب الكثيرة لكون القرآن كلام الله ، وأنّ القرآن بهذا الإعتبار أيضاً معجزة من المعجزات الكثيرة للنبي ﷺ كما عرفت في الفصل الأول ، وستعرفه في الباب السادس إنْ شاء الله تعالى . وهذه المعجزة ظاهرة في هذا الزمان أيضاً لألوف ألوف من أهل اللسان وماهري علم البيان وعجْزُ المخالفين ثابت من ظهورها إلى هذا الحين وقد مضت مدة ألف ومائتين وثمانين من الهجرة .

وقد عرفت في الأمر الثاني من الفصل الأول أن قول النّظّام[1] مردود ، وما قال أبو موسى الملقب بـ (مزدار)[2] ـ راهب المعتزلة ـ « إنّ الناس قادرون على مثل هذا القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة » فهو مردود أيضاً كقول النّظام ، على أنّ مزدار هذا كان رجلاً مجنوناً استولى على دماغه اليبوسة بسبب كثرة الرياضة ، فهذى بأمثال هذه الهذيانات كثيراً ، مثلاً : كان يقول : إنّ الله قادر على أن يكذب ويظلم ولو فعل لكان إلهاً كاذباً ظالماً ، وإنّ من لابس السلطان

(١) النظّام هو أبو اسحاق : إبراهيم بن سيّار بن هانيء البلخي البصري ، من أئمة المعتزلة في البصرة ، وتتلمذ على أبي الهذيل العلاف ، عُرف بالنّظّام لأنّه كان ينظم الخرز في سوق البصرة وكان مناظراً ذكيّاً فصيحاً متبحراً في علوم الفلسفة لرجالها الطبيعيين والإلهيّين ، وكان واقفاً على الإتجاهات الفكرية والعقائد الدينيّة والمذاهب الفلسفيّة والمسائل اللغويّة والأدبيّة في عصره ، حافظاً للأشعار والأخبار ، وقد ردّ على الفِرق المخالفة للإسلام من ثنويّة ودهريّة ورافضة ، كما ردّ على الفِرق الإسلامية المخالفة لمذهبه ، وقد انفرد عن المعتزلة بآراء خاصة تابعته فيها طائفة منهم سُميت النّظّاميّة نسبة إليه ، ذكرت له مؤلفات في الفلسفة والإعتزال لم يصلنا منها شيء ، وقد أُلّفت كتب خاصّة للردّ على النّظّام وتضليله ، وكانت وفاته سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م (الأعلام ١/٤٣ ، ومعجم المؤلفين ١/٣٧ ، والموسوعة الميسرة ص ١٨٣٥ ، ودائرة وجدي ١٠/٣٠٩) .

(٢) في حاشية خ ، ط: سأله إبراهيم من أهل السُنّة هل في الدنيا مؤمن عندك ؟ قال : لا . فقال إبراهيم : فإذاً لا يدخل أحد على اعتقادك في الجنة التي سعتها عظيمة جداً إلا أنت وثلاثة من معتقديك ، فبقي مبهوتاً . اهـ .

كافر لا يرِث ولا يورَث منه .

وقوله : « يلزم أن تكون جميع الكتب . . . » الخ ، غير مسلّم ؛ لأنّ هذه الكتب لم تثبت بلاغتها في الدرجة القصوى باعتبار الوجوه التي مرّ ذكرها في الأمر الأول والثاني من الفصل الأول ، ولم يثبت ادّعاء مصنفيها الإعجاز ، ولا عجْزُ فصحاء هذه الألسن عن معارضتها . فإن ادّعى أحد هذه الأمور بالنسبة إلى هذه الكتب فعليه الإثبات ، وإلّا فلا بدّ أن يمتنع عن مثل هذا الادّعاء الباطل ، على أنّ شهادة بعض المسيحيين في حق الكتب المذكورة بأنّها في هذه الألسن مثل القرآن في اللسان العربي في الدرجة العليا من البلاغة غير مقبولة ؛ لأنّهم إذا لم يكونوا من أهل اللسان فلا يميّزون غالباً في لسان الغير بين المذكّر والمؤنّث ، ولا بين المفرد والتثنية والجمع ، ولا بين المرفوع والمنصوب والمجرور ، فضلاً عن أن يميّزوا الأبلغ عن البليغ ! وعدم تمييزهم هذا لا يختصّ بالعربي ، بل فيه وفي العبراني واليوناني واللاتيني على طريقة واحدة ، ومنشأ عدم التمييز سذاجة كلامهم سيّما إذا كان هذا البعض من أهل إنكلترة ، فإنّهم مشاركون في هذه السذاجة غيرهم من المسيحيين ، ويمتازون عنهم بعادة أخرى أيضاً : وهي أنّهم إذا عرفوا ألفاظاً معدودة من لسان الغير يظنّون أنّهم تبحّروا في المعرفة ، وإذا تعلّموا مسائل معدودة من علم يعدّون أنفسهم من علماء هذا العلم ، والفرنساويون واليونانيون طاعنون عليهم في هذه العادة .

ويشهد على الدعوى الأولى أنّ الأب سركيس الهاروني مطران[1] الشام جمع بإذن البابا أربانوس الثامن[2] كثيراً من القسيسين والرهبان والعلماء ومعلمي

(١) المطران : رئيس ديني عند النصارى ، وهو دون البطريرك وفوق الأسقف . (المعجم الوسيط ص ٨٧٥) .

(٢) أربان (أربانوس) الثامن ، من فلورنسا ، ولد سنة ١٥٦٨م ، واستلم البابويّة سنة ١٦٢٣م ، وكانت حرب الثلاثين عاماً طوال عهده ، وتوفي سنة ١٦٤٤م (الموسوعة الميسرة ص ١١٠) .

اللسان العبراني والعربي واليوناني وغيرها ليُصلحوا الترجمة العربية التي كانت مملوءة بالأغلاط الكثيرة ، والنقصانات الغزيرة ، فاجتهدوا في هذا الباب اجتهاداً تامّاً في سنة ألفٍ وستمائة وخمس وعشرين من الميلاد ، فأصلحوا ، لكنّه لّما بقي بعد الإصلاح التامّ في تراجمهم النقصانات التي هي لازمة لسجيّة المسيحيين اعتذروا عنه في المقدّمة التي كتبوها في أوّل تلك الترجمة ، فأنقل عذرهم عن المقدّمة المذكورة بعبارتهم وألفاظهم وهي هذه : « ثم إنّك في هذا النقل تجد شيئاً من الكلام غير موافق قوانين اللغة بل مضادّاً لها ، كالجنس المذكّر بدل المؤنّث ، والعدد المفرد بدل الجمع ، والجمع بدل المثنّى ، والرفع مكان الجرّ والنصب في الإسم ، والجزم في الفعل[1] وزيادة الحروف عوض الحركات ، وما يشابه ذلك . فكان سبباً لهذا كله سذاجة كلام المسيحيين ، فصار لهم نوع تلك اللغة مخصوصاً ، ولكنْ ليس في اللسان العربي فقط ، بل في اللاتيني واليوناني والعبراني تغافلت الأنبياء والرسل والآباء الأولون عن قياس الكلام ؛ لأنّه لم يُرِدْ روحُ القدس أن يقيّد اتساع الكلمة الإلهيّة بالحدود المضيّقة التي حدّتها الفرائض النحوية ، فقدّم لنا الأسرار السماوية بغير فصاحة وبلاغة » انتهى كلامهم .

ويشهد على الدعوى الثانية أنّ أبا طالب خان السّيّاح ألّفَ كتاباً باللسان الفارسي سماه بـ (المسير الطالبي) وهو مشتمل على أحوال سياحته ، وكتب فيه من حالات كلّ إقليم ساح فيه ما رأى فيه من المحاسن والذمائم[2]، فكتب محاسن أهل إنكلترة وذمائمهم ، فأُترجم الذميمة الثامنة من كتابه لتعلّق الحاجة

---

(١) قولهم : « والنصب في الاسم والجزم في الفعل » يظنونه غير موافق لقوانين اللغة ، وهذا يثبت جهلهم الفعلي باللغة العربية ؛ لأنّ الاسم يُنصب والفعل يُجزم ، ولعلّهم يقصدون : الجزم في الاسم والجرّ في الفعل .

(٢) في القاموس المحيط ١١٧/٤ : الذام : العيب ، والذُّموم : العيوب .

بها في هذا المقام ، فقال : « الثامنة : خطؤهم في معرفة حدّ العلوم ولسان الغير ؛ لأنّهم يحسبون أنفسهم عارفي كل لسان ، ومن أهل كلّ عِلْم إذا عرفوا ألفاظاً معدودة من ذلك اللسان ، أو مسائل معدودة من ذلك العلم ، ويؤلّفون الكتب فيهما ، وينشرون هذه المزخرفات بعد الطبع . ووقفتُ على هذا المعنى بشهادة الفرنساويين واليونانيين ؛ لأن تحصيل ألسنتهم رائج في أهل إنكلترة . وحصل لي اليقين بمشاهدة تصرفاتهم في اللسان الفارسي . . . » ثم قال : « اجتمع في لندن الكتب الكثيرة من هذا النوع بحيث كاد أن تبقى الكتب الحقّة بعد برهة من الزمان غير مميّزة »[١] انتهى كلامه .

وقولهم : « على أنّه يمكن أن تؤدّى المطالب الباطلة . . . » الخ ، لا ورود له في حق القرآن ؛ لأنّه مملوء من أوله إلى آخره بذكر هذه الأمور السبعة والعشرين ، ولا تجد آية طويلة فيه تكون خالية عن ذكر أمر من هذه الأمور :

الأول : الصفات الكاملة الإلهيّة ، مثل كونه : واحداً وقديماً وأزليّاً وأبديّاً وقادراً وعالماً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً وحكيماً وخبيراً وخالق السماوات والأرض ورحيماً ورحماناً وصبوراً وعادلاً وقدّوساً ومحيياً ومميتاً وغيرها .

الثاني : تنزيه الله عن المعائب والنقائص ، مثل الحدوث والعجز والجهل والظلم وغيرها .

---

(١) في حاشية خ ، ط : وعبارته في الفارسية هكذا : « هشتم خطاي ايشان درشنا ختن حد علوم وزبان غير يعني بمجرد ادنستن جند لفظ خودرازبان داني برزبان وبه دانستن جند مسئلة صاحب العلم ميد اندو كتابهاي دران تأليف كرده بطريق جهابه نشر أن مزخرفات مي نمايندااين معنى مرابكوا هي فرانس دكريك كه تحصيل زبان انها در انكلش مروج است معلوم شده واز تصرفات كه در فارسي مي كنند به يقين بيوسته » .

ثم قال : « كه أقسام أين نوع كتب در لندن انقدر فراهم امده اند كه كتب حقه نزديك است كه بعد اندك زمان غير مميز مانند » انتهى كلامه بلفظه . اهـ .

الثالث : الدعوة إلى التوحيد الخالص ، والمنع من الشرك مطلقاً ، وعن التثليث الذي هو شعبة الشرك يقيناً ، كما علمت في الباب الرابع .

الرابع : ذكر الأنبياء عليهم السلام .

الخامس : تنزيههم عن عبادة الأوثان والكفر وغيرها .

السادس : مدح المؤمنين بالأنبياء .

السابع : ذم منكريهم .

الثامن : تأكيد الإيمان بالأنبياء عموماً ، وبالمسيح خصوصاً .

التاسع : الوعد بأنّ المؤمنين يغلبون المنكرين عاقبة الأمر .

العاشر : حقّيّة القيامة وجزاء الأعمال في يومها .

الحادي عشر : ذكر الجنة والنار .

الثاني عشر : ذمّ الدنيا وبيان عدم ثباتها .

الثالث عشر : مدح العُقْبى وبيان ثباتها .

الرابع عشر : بيان حِلّ الأشياء وحرمتها .

الخامس عشر : بيان أحكام تدبير الـمُنزل .

السادس عشر : بيان أحكام سياسات المدن .

السابع عشر : التحريض على محبة الله وأهل الله .

الثامن عشر : بيان الأشياء التي هي ذريعة الوصول إلى الله .

التاسع عشر : الزجر عن مصاحبة الفجّار والفسّاق .

العشرون : تأكيد خلوص النية في العبادات البدنية والمالية .

الحادي والعشرون : التهديد على الرياء والسمعة .

الثاني والعشرون : التأكيد على تهذيب الأخلاق بالإجمال والتفصيل .

الثالث والعشرون : التهديد على الأخلاق الذميمة بالإجمال .

الرابع والعشرون : مدح الأخلاق الحسنة ، مثل الحِلْم والتواضع والكرم والشجاعة والعفّة وغيرها .

الخامس والعشرون : ذمّ الأخلاق القبيحة مثل الغضب والتكبّر والبخل والجبن والظلم وغيرها .

السادس والعشرون : وعظ التقوى .

السابع والعشرون : الترغيب إلى ذكر الله وعبادته .

ولا شكّ أنّ هذه الأمور محمودة عقلاً ونقلاً ، وجاء ذكر هذه الأمور في القرآن مراراً للتأكيد والتقرير ، ولو كانت هذه المضامين قبيحة ، فأيّ مضمون يكون حسناً ؟!

نعم ، لا يوجد في القرآن :

(١) أنّ النبي الفلاني زنى بابنتيه [١].

(٢) أو زنى بزوجة الغير وقتله بالحيلة [٢].

(٣) أو عبد العجل [٣].

---

(١) يشير إلى ماورد عن لوط عليه السلام في سفر التكوين ١٩/٣٠ـ٣٨ .

(٢) يشير إلى ما ورد عن داود عليه السلام وامرأة أوريا في سفر صموئيل الثاني ١١/١ ـ ٢٧ .

(٣) يشير إلى ما ورد عن هارون عليه السلام في سفر الخروج ٣٢/١ ـ ٦ .

(٤) أو ارتدّ في آخر عمره وعبد الأصنام وبنى المعابد لها[١].

(٥) أو افترى على الله الكذب ، وكذَب في التبليغ ، وخدع بكذبه نبيّاً آخر مسكيناً ، وألقاه في غضب الرب[٢].

(٦) أو أنّ داود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم من أولاد ولد الزنا وهو فارص بن يهوذا[٣].

(٧) أو أنّ الرسول الأعظم ابن الله البكر أبا الأنبياء زنى ابنه الأكبر بزوجة أبيه[٤].

(٨) وابنه الثاني بزوجة ابنه[٥]، وسمع هذا النبي العظيم الشأن ما صدر عن ابنيْه المحبوبيْن ، وما أجرى عليهما الحدّ غير أنّه دعا على الأكبر وقت موته لأجل هذه الحركة الشنيعة ، ولم يُنقل في حق الآخر الغضب أيضاً ، بل دعا له بالبركة التامّة عند الموت .

(٩) أو أنّ الرسول العظيم الآخر البكر الثاني أيضاً الزاني بزوجة الغير زنى ابنه الحبيب ببنته الحبيبة ، وسمع ، وما أجرى عليهما الحدّ[٦]، لعله امتنع عن الحدّ لأنّه كان مبتلى بالزنا أيضاً في زعمهم[٧]، فكيف يجري على الغير سيّما على أولاده .

---

(١) يشير إلى ما ورد عن سليمان عليه السلام في سفر الملوك الأول ١١/١ ـ ١٣ .

(٢) يشير إلى النبي الذي وردت قصته في سفر الملوك الأول ١٣/١ ـ ٣٠ .

(٣) يشير إلى قصة يهوذا بن يعقوب عليه السلام وكنّته ثامار في سفر التكوين ٣٨/١٢ ـ ٣٠ .

(٤) يشير إلى قصة رأوبين بن يعقوب عليه السلام وبلهة سريّة أبيه في سفر التكوين ٣٥/٢٢ ، و ٤٩/٣ ـ ٤ .

(٥) يشير هنا كذلك إلى قصة يهوذا بن يعقوب عليه السلام وكنّته ثامار في سفر التكوين ٣٨/١٢ ـ ٣٠ .

(٦) يُشير إلى قصّة أمنون بن داود عليه السلام وأخته ثامار في سفر صموئيل الثاني ١٣/١ ـ ٣٩ .

(٧) يشير هنا كذلك إلى ما ورد عن داود عليه السلام وامرأة أوريا في سفر صموئيل الثاني ١١/١ ـ ٢٧ .

وهذا القدر مسلّم بين اليهود والنصارى ، ومصرّح في كتب العهد العتيق المسلمة عند الفريقين .

(١٠) أو أنّ يحيى عليه السلام الرسول الذي هو أعظم الأنبياء الإسرائيلية بشهادة عيسى عليه السلام - وإن كان الأصغر في ملكوت السماوات[١] أعظم منه بشهادة عيسى عليه السلام أيضاً - لم يعرف إلهه الثاني ومرسله الذي هو عيسى باعتبار العلاقة المجهولة معرفة جيدة إلى ثلاثين سنة ما لم يَصِرْ هذا الإله مريداً لعبده هذا ، وما لم يحصّل الاصطباغ منه ، وما لم ينزل على هذا الإله الثاني الإلهُ الثالث في شكل الحمامة[٢]، وبعدما رأى نزول الثالث على الثاني في الشكل المذكور تذكّر أمر الإله الأوّل الآب أنّ الإله الثاني هو ربّه ومالكه وخالق الأرض والسماوات .

(١١) أو أنّ الرسول الآخر السارق الذي كان عنده الكيس للسرقة - أعني: يهوذا الإسخريوطي، الذي هو صاحب الكرامات والمعجزات، وأحد الحواريين الذين هم أعلى منزلة من موسى بن عمران وسائر الأنبياء الإسرائيلية على زعمهم - باع دينه بدنياه بثلاثين درهماً[٣]، ورضي بتسليم إلهه بأيدي اليهود على هذه المنفعة القليلة حتى أخذوا إلهه وصلبوه . لعلّ هذه المنفعة كانت عظيمة عنده لأنّه كان صيّاداً مفلوكاً لصّاً ، وإنْ كان رسولاً صاحب المعجزات أيضاً على زعمهم ، فثلاثون درهماً عنده كانت أحب وأعظم رتبة من هذا الإله المصلوب .

---

(١) في حاشية ق : قوله في ملكوت السماوات : المراد به المسيحيون ، أي قوم عيسى . اهـ .

(٢) انظر إنجيل متّى ٣/١٣-١٧ ، وإنجيل مرقس ١/٩-١١ ، وإنجيل لوقا ٣/٢١-٢٢ .

(٣) انظر إنجيل متّى ٢٦/١٤-١٦ و٢٧/٣-٩ ، وإنجيل مرقس ١٤/١٠-١١ ، وإنجيل لوقا ٢٢/٣-٦ ، وإنجيل يوحنا ١٨/١-٥ ، والنّصارى يعتقدون أنّ الحواريين الاثني عشر أنبياء .

(١٢) أو أنّ قيافاً رئيس الكهنة الذي ثبتت نبوّته بشهادة يوحنا الإنجيلي أفتى بقتل إلهه ، وكذّبه ، وكفّره وأهانه[١] .

ووقع في حق هذا الإله المصلوب ثلاثة أمور عجيبة من ثلاثة أنبياء على عدد التثليث : ـ أنّ أعظم أنبيائه الإسرائيليّة[٢] لم يعرفه معرفة جيدة إلى ثلاثين سنة ما لم يَصِرِ هذا الإله مُريداً له وما لم ينزل عليه الإله الثالث في شكل الحمامة .

وأنّ نبيه الثاني[٣] رضي بتسليمه ورجّح منفعة ثلاثين درهماً على منزلة ألوهيته ووعْده .

وأنّ رسوله الثالث[٤] أفتى بقتله وكذّبه وكفّره ـ أعاذنا الله من أمثال هذه الإعتقادات السوء في حق الأنبياء عليهم السلام ، ولا يؤاخذني على ما نقلتُ هذه المزخرفات على سبيل الإلزام ، والله ثم بالله لا أعتقد في حق الأنبياء هذه الكذبات ، وهم بريئون منها .

وأقول : القدر الذي نقلت من حال يحيى عليه السلام إلى حال قيافا مصرّح به في العهد الجديد .

وكذا لا يوجد في القرآن هذه المسائل الفخيمة[٥] التي عجزت في أكثرها عقولنا بل عقول العالم ، وتعتقدها الفرقة القديمة العظيمة الشأن ، أعني : فرقة الكاثوليك التي عددها بحسب ادّعاء بعض آبائها في هذا الزمان أيضاً بقدر مائتي مليون :

---

(١) انظر إنجيل متّى ٢٦/٥٧ـ٦٨ ، وإنجيل مرقس ١٤/٥٣ـ٦٥ ، وإنجيل لوقا ٢٢/٥٤ـ٧١ ، وإنجيل يوحنا ١٨/١٢ـ٢٤ .
(٢) يقصد يحيى عليه السلام .
(٣) يقصد يهوذا الإسخريوطي .
(٤) يقصد قيافا رئيس الكهنة في أورشليم ، لأنّه ورد في كتبهم ما يفيد أنّه نبي .
(٥) بمعنى العظيمة ، وهي صيغة مبالغة على وزن فعيلة .

(١) أنّ مريم[١] عليها السلام قد حبلت بها أمّها بلا قرب الزوج . كما انكشفت هذه الحقيقة على البابويين من مدة قريبة .

(٢) ومثل أنّ مريم والدة الله حقيقة .

(٣) ومثل أنّ كلّ خبزة من الخبزات وإنْ كانت بمقدار مليونات متعددة يستحيل في العشاء الربّاني في آن واحد في أمكنة مختلفة إلى المسيح الكامل بلاهوته وناسوته الذي تولّد من العذراء إذا فُرض أنّ مليونات من الكهنة في أطراف العالم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً قدّسوا في آن واحد .

(٤) ومثل أنّ خبزاً واحداً إذا كسره الكاهن ولو إلى مائة ألف كسرة تصير كل كسرة منه أيضاً مسيحاً كاملاً ، وإنْ كان وجود الحبوب ثم الطحن ثم العجن ثم وجود الخبز ثم الكسر كلها من الحوادث بمشاهدة الحسّ ، فتعطّل حكم الحسّ عندهم في هذه الأمور كلها .

(٥) ومثل أنّه لا بد أن تُصطنع الصور والتماثيل ، ويُسجد قدّامهن[٢] .

---

(١) مريم : هي أم عيسى مريم ابنة عمران ، وأمّها حنّة ، ويظنّ أنّها من سبط يهوذا من آل داود عليه السلام ، عاشت في الناصرة بشمال فلسطين ، وقصة ولادتها لأبويْها وكفالة زكريا لها مفصلة في سورة آل عمران ، وقصة بشارة جبريل لها بولادة عيسى المسيح من غير أب مفصلة في سورة مريم ، وقد برّأها القرآنُ من قذف اليهود إيّاها بالفاحشة وورد اسمها فيه ٣٤ مرة . وعند المسيحيين هي أعظم القدّيسات ووالدة الإله ، وتكرمها الكنيستان الكاثوليكية والأرثوذكسية أعظم تكريم ، وتعتقد الكنيسة الكاثوليكية بأنّها ولدت بلا دنس مبرّأة من الخطيئة الأولى (أي من غير أب) ويعتقدون بأنها رفعت بجسدها إلى السماء بعد موتها ويتلون أوراداً يتوسّلون بها ويرجون شفاعتها على أنها أكمل مخلوق من البشر ، وجعلوا لها عيداً في ٢١ آب (أغسطس) وتحمل عدة كنائس ومزارات اسمها ، يحجّ إليها المسيحيون أشهرها: (لورد) في جنوب فرنسا . (قاموس الكتاب المقدس ص ٨٥٦ ، والموسوعة الميسرة ص ١٦٨٩ ، ودائرة وجدي ٨/٧٧٤ ، وقصص الأنبياء للنجار ص ٣٧٤) .

(٢) في ص ٣١٧ من كتاب تاريخ كنيسة المسيح على وجه الاختصار أنّ الكنيسة الكاثوليكية في توليدو باسبانيا أحرقت غلاماً كان قد كتب الوصايا العشر على داره ولم يحذف منها الوصية الثانية التي تنهى عن السجود للتماثيل وغيرها .

(٦) ومثل أنّه لا خلاص بدون الإيمان بالبابا . وإنْ كان غير صالح في نفس الأمر[١] .

(٧) ومثل أنّ أسقف رومية هو البابا دون غيره هو رأس الكنيسة ومعصوم من الغلط .

(٨) وأنّ كنيسة رومية هي أمّ الكنائس كلها ومعلمتها .

(٩) ومثل أنّ للبابا ولمتعلّقيه خزانة[٢] من قدر جزيل من استحقاقات القدّيسين أن يمنحوا الغفرانات ، سيّما إذا استوفوا ثمناً وافياً لأجلها كما هو المروّج عندهم .

(١٠) ومثل أنّ البابا له منصب تحليل الحرام وتحريم الحلال .

قال المعلم ميخائيل مشّاقة من علماء البروتستانت في الصفحة (٦٦) من كتابه المسمى بـ(أجوبة الإنجيليّين على أباطيل التقليديّين) المطبوع سنة ١٨٥٢م في بيروت هكذا : « والآن نراهم يزوّجون العمّ بابنة أخيه ، والخال بابنة أخته ، والرجل بامرأة أخيه ذات الأولاد ، خلافاً لتعليم الكتب المقدسة ولمجامعهم المعصومة . وقد أضحت هذه المحرّمات حلالاً عند أخذهم

---

(١) في حاشية خ ، ط : « قال ميخائيل في الصفحة ٦٦ من أجوبة الإنجيليّين : « كم من الباباوات عاشوا بالفجور ، وكم منهم سقط في الهرطقات وحُرِم من المجامع ، وكم منهم جلسوا اثنين لا بل ثلاثة سويّة على كرسي بطرس كما حصل سنة ١٤١١ إذْ جلس بناديكتوس الثاني عشر وغريغوريوس الثالث عشر ويوحنا الثالث والعشرون ، وكان كل منهم يدعي الخلافة والعصمة ويحْرم الآخر ويلعنه حتى عزلهم المجمع ، وأقام مرتينوس الخامس مع الإقرار بأنّ يوحنا المذكور هو البابا الشرعي ، وبذلك قطعوا سلسلة الخلافة التي يزعمونها » انتهى كلامه بلفظه .

وفي الرسالة الثانية من كتاب الثلاث عشرة رسالة المطبوع سنة ١٨٤٩م في بيروت في الصفحة ٨٧ : « وأمّا الباباوات فمنهم من قال عن نفسه : إنّه ملك الملوك وربّ الأرباب . وإنّه الله على الأرض ، وإنّه ربّ السماويات والأرضيات والجهنميات » انتهى كلامه بلفظه . اهـ .

(٢) في حاشية ق : أي قُدرة . اهـ .

الدراهم عليها ! وكم من التحديدات وضعوها على الإكليريكيّين[1] بتحريم الزيجة الناموسيّة[2] المأمور بها من ربّ الشريعة » انتهى كلامه بلفظه .

ثم قال : « وكم حرّموا أصناف الأطعمة ، ثم أباحوا ما حرّموه . وفي عصرنا أباحوا أكل اللحوم في صومهم الكبير الذي طالما شدّدوا بتحريمها فيه » انتهى كلامه بلفظه .

وفي الرسالة الثانية من كتاب (الثلاث عشرة رسالة) في الصفحة ٨٨ : « فرنسيس ذاباذْلا الكردينال يقول : إنّ البابا[3] مأذون أنْ يعمل ما يريد حتى

---

(١) في حاشية ق : أي القسّيسين . اهـ . وهي كلمة إنجليزية Ecclesiastical ومعناها : كنسي ، إكليريكي ، وهي مأخوذة من Ecclesi or Ecclesio ومعناها : كنيسة ، وكلمة Ecclesiastic ومعناها : كاهن ، والإكليروس هم مجموع الكهنة ورجال الدين في الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية الذين يضطلعون بالمراسم الدينيّة كتقديم ذبيحة القُدّاس ومنح الأسرار والتبشير ، وهم على مراتب متفاوتة كالتالي : المطران والقُسّ والشمّاس . وللمطران والقس مهمّتان : القيام بالمراسم الدينيّة وتعهّد شؤون الشعب الروحية ، أمّا الشمّاس فهو مجرّد مساعد ، وللمطران سلطة منح جميع الأسرار ، أمّا القسّ فلا يستطيع منح الكهنوت وسرّ التثبيت ، ويستطيع القسّ أن يكون راعياً في قرية أو حيّ في مدينة ، أمّا الأسقف فيرأس أبرشية مكوّنة من عدة مدن ، ويسمى مجموع الكهنة : الإكليروس (الموسوعة الميسرة ص ١٤٩٢) .

(٢) في حاشية ق : أي الشرعيّة . اهـ .

(٣) البابا : في حاشية ق : نائب سيدنا عيسى . اهـ . والبابا هو الرئيس الأول في الديانة النصرانية الكاثوليكية ، وذلك أنّ النصارى في باديء أمرهم كانوا يسمّون صاحب هذا الدين المقيم لمراسمه بالبطرك ، وهو عندهم رئيس الملّة وخليفة المسيح فيهم ، ويحقّ له أن يبعث نوابه وخلفاءه إلى الأمم البعيدة ويسمّونهم الأساقفة ، أي نواب البطرك ، وأول من تسمّى بالبطرك حنانيا تلميذ مرقس الإنجيلي ، وكان الأساقفة يدعون البطرك بالأب تعظيماً له ، فاشتبه الاسم في أعصار متطاولة وأرادوا أن يميزوا بين البطرك والأسقف فدعوا البطرك بابا ، ومعناه : أبو الآباء ، وظهر هذا الاسم أول ظهوره في مصر ثم نقلوه إلى صاحب الكرسي الأعظم عندهم ، وهو كرسي بطرس الرسول في روما ، وفي سنة ١٠٨١م قرر المجمع اللاتراني بأنّ مطران روما له السلطة التامة على سائر المطارنة ، وأنّه هو وحده يحمل لقب البابا الذي معناه المطران العامّ ، وفي سنة ١٨٧٠م اتخذ المجمع الفاتيكاني قراراً بعصمة البابا من الخطأ ، وللبابويّة الآن أراض شاسعة في مدينة روما بإيطاليا ، ويسمى محل إقامة البابا فيها بالفاتيكان ، ولا تعترف طائفتا البروتستانت والأرثوذكس بمنصب البابوية ، ولا بسلطة البابا الدينية والروحية . (مقدمة ابن خلدون ص ٤١٣ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ٢٩٦ و ١٢٦١ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٢/٢) .

ما لا يحلّ أيضاً ، وهو أكبر من الله ، سبحان الله عما يصفون » انتهى كلامه بلفظه .

(١١) ومثل أنّ أنفس الصدّيقين تتوجه إلى العذاب في الـمَطْهر[1] وتتقلّب في نيرانه حتى يمنحها البابا الغفران ، أو يخلّصها القسوس بقداساتهم بعد استيلائهم على أثمانها ، وهو غير جهنم ، وأهل هذه الفرقة يحصّلون السندات من نواب البابا وخلفائه لتحصل النجاة عن عذابه .

لكنّي أتعجب من هؤلاء العقلاء أنّهم إذا اشتروا سندات من هذا خليفةِ الله النافذِ أمره في الأرض والسماء فلم لا يطلبون منه وصولات ممضيّة بختم الذين أعتقهم من العذاب ؟!

ولـمّا كانت قدرة الباباوات تزيد يوماً فيوماً بفيض روح القدس اخترع البابا لاون العاشر[2] للمغفرة تذاكر تعطَى منه أو من وكيله للمشتري بمغفرة خطاياه الماضية والمستقبلة أيضاً ، وكان مكتوباً فيها هكذا : « ربُّنا يسوعُ المسيح يرحمك ويعفو عنك باستحقاقات آلامه المقدّسة ، وبعد : فقد وهب لي بقدرة سلطان رسله بطرس وبولس والبابا الجليل في هذه النواحي أن أغفر لك أولاً عيوبك الإكليروسيّة مهما كانت ، ثم خطاياك ونقائصك ولو مهما كانت تفوت الإحصاء ، بل أيضاً الخطايا المحفوظ حلّها للبابا ، وبقدر امتداد مفاتيح الكنيسة الرومانيّة أغفر لك كل العذابات التي سوف تستحقها في المطهر ، وأردّك إلى أسرار الكنيسة المقدّسة وإلى اتّحادها وإلى ما كنت حاصلاً عليه عند

---

(١) في حاشية ق : أي البرزخ . اهـ .

(٢) لاون العاشر (ليو) : هو ابن لورنتسودي ميديتشي من فلورنسا ، ولد سنة ١٤٧٥م ، واستلم مركز البابا في روما سنة ١٥١٣م إلى وفاته سنة ١٥٢١م ، وفي عهده قامت الحركة البروتستنتاتية بقيادة مارتن لوثر . (الموسوعة الميسرة ص ١٦٠٢ ، ومعجم أعلام المورد ص ٥٤) .

عمادك[1] من العفة والطهارة ، حتى إنّك متى متّ تُغلق في وجهك أبواب العذابات : وتُفتح لك أبواب الفردوس . وإنْ لم تمت الآن فهي باقية لك بفاعليّة تامّة إلى آخر ساعة موتك باسم الآب والابن والروح القدس . آمين » . كُتب بيد الأخ يوحنا تَتْزَلْ الوكيل الثاني[2] .

(١٢) ومثل أنّ مسافة جهنّم فراغ مكعّب في قلب الأرض ، كلٌّ من أضلاعه مائتا ميل[3] .

(١٣) ومثل أنّ البابا يرسم الصليب على نعليْه ، وغيره على وجهه . لعل نعليْ البابا ليسا أدْوَن من الصليب ومن وجوه الأساقفة الآخرين .

(١٤) ومثل أنّ بعض القدّيسين وجهه كوجه الكلب وجسده كجسد الإنسان ، وهو يشفع لهم عند الله .

---

(١) في حاشية ق : أي الاصطباغ . اهـ . يعني التعميد ، وفي ص ٢١ من المنتخب الجليل من تخجيل مَن حرّف الإنجيل أنّ التعميد هو غمس التائب في الماء إشارة إلى انغماسه في الطاعة والتجرد من المخالفة ، ينوي ذلك عند التعميد ، وقد عمّد يحيى عليه السلام المسيح عيسى ابن مريم ، لأنّ يحيى أكبرمنه بستة أشهر . وفي قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧ أنّ المعموديـة هـي طقس الغسل بالماء رمزاً للنقاوة والانخراط في سلك طائفة مّا ، وأنّ اليهود كانوا يستعملون هذه العادة .

وفي كتاب تاريخ كنيسة المسيح على وجه الاختصار ص ١٠٠ أنّ زمن المعموديّة يكون في عيد الفصح والعنصرة خصوصاً في اليوم الذي قبله ، وأمّا عند الضرورة فكانوا يعمّدون في أيّ حين كان ، وسواء في ذلك الأطفال والفتيان .

(٢) جوهان (يوحنا) تتْزل (١٤٦٥ ـ ١٥١٩م) ، وهو راهب ألماني دومينيكي ، كان معاصراً للبابا ليو العاشر ويساعده في بيع صكوك الغفران (معجم أعلام المورد ص ٨٢) .

وقد ذكر هذا النص للغفرانات نوفل الطرابلسي في كتابه سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان ص ١٥٣ ، وذكر أنّ أوراق الغفرانات كانت تباع في مدينة ويتمبرج ، والجدير بالذكر أنّ مدينة ويتنبرغ هي التي كان لوثر يعمل راهباً ومدرّساً فيها ، وهو الذي ثار ضد البابا وغفراناته .

(٣) الميل وحدة لقياس المسافات ويساوي الميل ١٦٠٩ متر (الموسوعة الميسرة ص ١٧٦٧) .

قال المعلم المذكور في الصفحة (١١٤) من كتابه المذكور طاعناً على تلك الفرقة : « وربما صوّروا بعض قدّيسين على صورة لم يخلق الله مثلها ، كتصويرهم رأس كلب على جسم إنسان يسمّونه القديس خريسطفورس ، ويقدّمون له أنواع العبادة : إذْ يقبّلونه ويسجدون أمامه ، ويُشعلون له الشموع ، ويُطلقون البخور ، ويلتمسون شفاعته . فهل يليق بالمسيحيين الإعتقاد بوجود العقل النطقي والقداسة في أدمغة الكلاب ؟! أين هي عصمة كنائسهم من الغلط ؟! » انتهى كلامه بلفظه .

وفي هذا القول « هل يليق بالمسيحيين . . . » الخ صادق يقيناً . وهذا القدّيس مشابه لبعض قدّيسي مشركي الهند . ولعلّ محبة المسيحيين من أهل أوربا للكلاب لأجل كونها على صورة هذا القدّيس[1] المكرّم .

(١٥) ومثل أنّ خشبة الصليب وتصاوير الآب الأزلي والابن والروح القدس يسجد لها بالسجود الحقيقي العبادي ، وأنّ صور القدّيسين يُسجد لها بالسجود الإكرامي . وإنّي متحيّر ما معنى استحقاق الأشياء الأوليّة للسجود العبادي ؟! لأنّ تعظيمهم لخشبة الصليب لا يخلو :

إمّا أن يكون أنّ مثلها قد مسّ جسد المسيح ، وهو ارتفع عليه بحسب زعمهم .

---

(١) التقديس : التطهير والتبريك ، والمقدّس بمعنى القدّيس والجمع قدّيسون ، وهو عند النصارى : المؤمن الذي توفى طاهراً ، فكأنه قد حصل على قدر من القداسة يضمن له الخلاص ، وقد تطلق كلمة قدّيس على المؤمن الموجود في الأرض اطلاقاً شائعاً ، ويرى الكاثوليك والأرثوذكس أنه يجوز للمؤمنين أن يطلبوا شفاعة القديسين ، وقد يمنحون الطفل عند تعميده اسم قديس ؛ ليكون شفيعاً لهم طوال حياته ، ويعدّون مريم رئيسة القديسين والقديسات وأن الملائكة كلهم قديسون . (لسان العرب ١٦٨/٦ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٧١٩ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٧١) .

وإمّا لأجل أنّها واسطة فدائه .

وإمّا لأجل أنّ دمه سال عليه .

فإنْ كان **الأول** : يلزم أن يكون نوع الحمير معبوداً لهم أعلى من الصليب عندهم ؛ لأنّ المسيح عليه السلام ركب على الأتان والجحش ومسّا جسد المسيح ، وكانا موضوعي راحته ودخوله ممجّداً إلى أورشليم ، والحمار يُشارك الإنسان في الجنس القريب وهو الحيوانية ، فهو جسم نام حسّاس متحرك بالإرادة بخلاف الخشب الذي ليس له قدرة الحسّ والحركة .

وإن كان **الثاني** : فيهوذا الإسخريوطي الدافع أحق بالتعظيم ؛ لأنّه الواسطة الأولى والذريعة الكبرى للفداء . فإنّه لولا تسليمه لما أمكن لليهود مَسْك المسيح وصلبه ، ولأنّه مساوٍ للمسيح عليه السلام في الإنسانية ، وعلى صورة الإنسان الذي هو صورة الله ، وكان ممتلئاً بروح القدس صاحب الكرامات والمعجزات . فالعجب أنّ هذه الواسطة الأولى[١] عندهم ملعونة والصغرى[٢] مباركة معظمة !

وأمّا **الثالث** : فلأنّ الشوك المضفور إكليلاً على رأس المسيح عليه السلام قد فاز أيضاً بالمنصب الأعلى : هو سيلان الدم عليه . فما باله لا يُعظّم ولا يُعبد ، ويُشعل بالنار ، وهذا الخشب يُعبد ؟! إلّا أن يقولوا : إنّ هذا سرّ ـ مثل سرّ التثليث والإستحالة ـ خارج عن إدراك العقول البشرية . وأفحش منه تعظيم صورة أقنوم الآب ؛ لأنّك قد عرفت في الأمر الثالث والرابع من مقدّمة الباب الرابع أنّ الله بريء عن الشبه ، وما رآه أحد ، ولا يقدر أن يراه أحد في

---

(١) يهوذا الإسخريوطي .
(٢) خشبة الصليب .

الدنيا[1]. فإذا كان كذلك فأيّ أب من آبائهم رآه فصوّره ؟ ومن أين عَلِموا أنّ هذه الصورة مطابقة لصورته تعالى وليست مطابقة لصورة شيطان من الشياطين ، أو لصورة كافر من الكفار ؟ ولم لا تعبدون كلّ إنسان سواء كان مسلماً أو كافراً ؛ لأنّ الإنسان على صورة الله بحسب نصّ التوراة[2]؟!

والعجب أنّ البابا يسجد لهذه الصورة الوهمية الجمادية التي لا حسّ ولا حركة لها ، ويحقّر صورة الله التي هي الإنسان ، ويمدّ رجله لذلك الإنسان لكي يقبّل حذاءه ، وما ظهر لي فرق بين هؤلاء أهل الكتاب ومشركي الهند : وجدت عوامّهم كعوامّهم ، وخواصّهم كخواصّهم في هذه العبادة ، وعلماء مشركي الهند يقولون مثل قول علمائهم في الاعتذار .

(١٦) ومثل أنّ البابا هو القاضي الأعلى في الحكم على تفسير معاني الكتب . واختُرعت هذه العقيدة في الأجيال المتأخّرة ، وإلّا لما قدر اكستاين[3] وفم الذهب وغيرهما من القدماء الذين لم يكونوا باباوات ، ولم يستأذنوهم أن يفسّروا جميع الكتب المقدسة من تلقاء أنفسهم ، وتفاسيرهم قُبِلت عند جميع كنائس عصرهم . لعلّ الباباوات حصل لهم هذا القضاء الأعلى بمطالعة تفاسيرهم بعدما صنّفوها .

---

(١) يقصد الإشارة إلى ما ورد في سفر التثنية ٤/١٢ ـ ١٥ ، وفي إنجيل يوحنّا ١/١٨ « الله لم يره أحد قط » ، ومثلها في رسالة يوحنا الأولى ٤/١٢ ، وفي الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٦/١٦ « لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه » .

(٢) يقصد الإشارة إلى ما في سفر التكوين ١/٢٦ ـ ٢٧ « ٢٦ ـ وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا . . . (٢٧) فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه » . ومثلها ما في سفر التكوين ٥/١ ، و ٩/٦ .

(٣) اكستاين : في حاشية ق : كان عالماً كبيراً في القرن الرابع من الميلاد . اهـ .

(١٧) ومثل أنّ الأساقفة[١] والشمامسة[٢] ممنوعون عن الزواج ، ولذلك يفعلون ما لا يفعله المتزوّجون ، وقاوم في كثير من الأحيان بعض معلّميهم اجتهاد الباباوات ، فأنقل بعض أقوالهم عن كتاب الثلاث عشرة رسالة في الرسالة الثالثة في الصفحة ١٤٤ و ١٤٥ .

«فالقدّيس برنردوس[٣] يقول[٤]: إنزعوا[٥] من الكنيسة الزواج المكرّم والمضجع الذي هو بلا دنس ، فتملؤوها بالزنا في المضاجع مع الذكور والأمهات والأخوات وبكل أنواع الأدناس . والفاروس بيلاجيوس أُسقف

---

(١) الأسقف : في حاشية ق : الأسقف كبير الكل وأكبر من بشب . اهـ . وذلك أن رئيس الملّة عند النصارى يسونه البطرك ، وهو خليفة المسيح فيهم ويحق له أن يبعث نوابه إلى أنحاء الأرض ، فهذا النائب للبطرك يسمى الأسقف والمقيم للصلوات يسمى القسيس ، ثم لما أرادوا تمييز البطرك عن الأسقف أطلقوا اسم البابا ، فرتبة الأسقف رتبة دينيه عند النصارى فوق رتبة القسيس ، ودون رتبة البطرك والمطران ، والجمع أساقفة وأساقف ، ويعتبرون من رؤوس النصارى في الدين وعلمائهم ، وأصل كلمة أسقف من الكلمة اليونانية (أبسكوبوس) ومعناها : (مشرف) ، وفي لسان العرب أن أصلها سرياني ، وقد يطلق العهد الجديد على الأسقف لقب (شيخ) ، وعلى الأسقف أن يشرف على الكنيسة ويعلم أبناءها ، ويقوم بالخدمات الروحية فيها وينفذ التعاليم . (لسان العرب ١٥٦/٩ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٤١٣ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٢ و ٥٣٢ ، ودائرة معارف القرن العشرين ١٩٨/٥) .

(٢) الشمّاس : من الكلمة اليونانية (دياكونس) ومعناها خادم ، ومهمته الخدمة الروحية والوعظ أحياناً ، ويشارك الأسقف في الخدمة وهو دونه بالمرتبة ، وهذه الخدمة ترجع إلى عصر مبكّر جداً في الكنيسة ، وكما يعمل الشمّاس بين الرجال تعمل الشمّاسة بين النساء . (قاموس الكتاب المقدس ص ٥١٩) .

(٣) هو برنردوس البرجوندي كان رئيساً على دير اكلرفال ، وله مؤلّفات عديدة ، وتوفي سنة ١١٥٣م . (تاريخ كنيسة المسيح على وجه الإختصار ص ١٦٦) .

(٤) في هامش ص ١٤٤ مايلي : وعظ عدد ٦٦ في نشيد الأنشاد ،

(٥) أصل النصّ في الكتاب بصيغة الأمر أي (انزعوا) ، ولعل صيغة الماضي التي كتبها مؤلف إظهار الحق هي الأصوب (نزعوا) . وأنا كتبتها حسب الأصل .

سَلْفًا في بلاد البرتغال سنة ١٣٠٠م يقول: يا ليت أنّ الإكليروسيّين لم يكونوا نذروا العفة ـ ولا سيّما إكليروس اسبانيا ـ لأنّ أبناء الرعية[١] هناك أكثر عدداً بيسير من أبناء الكهنوت[٢]. . . ويوحنا أسقف سالتزبرج[٣] في الجيل الخامس عشر كتب أنّه وجد قُسوساً قلائل غير معتادين على نجاسة متكاثرة مع النساء ، وأنّ أديرة الراهبات متدنّسة مثل البيوت المخصوصة للزناء » انتهى كلامه بلفظه ملخصاً[٤].

وكيف يُعتقد العصمة في حقّهم إذا كانوا شابّين شاربي الخمر ، وما نجا

---

(١) في حاشية ق : أي أولاد الحلال . اهـ .

(٢) في حاشية ق : أي أولاد الحرام من القسوس . اهـ .

(٣) سالتزبرج (سالزبورج) : مقاطعة جبليّة في غرب وسط النمسا ، وعاصمتها سالزبورج ، وفيها مركز أسقفيّ منذ عام ٨١٦م ، وقد تأسست جامعتها سنة ١٦٢٣م ، وأهلها نصارى على المذهب الكاثوليكي ، طُرد منها اليهود في أواخر القرن ١٥م ، وهاجر منها ثلاثون ألفاً من البروتستانت نتيجة الاضطهاد ، وفي سنة ١٨٠٢م تحوّل أساقفتها علمانيّين (الموسوعة الميسرة ص ٩٤٧) .

(٤) وفي كتاب الدليل إلى طاعة الإنجيل للمعلم ميخائيل مشاقة ، المطبوع في بيروت سنة ١٨٤٩م ، في الباب السابع (في الاعتراف للكهنة) يعدّد المؤلف عيوب الاعتراف ، فأنقل العيب الثالث منها ص ١٥٦ ـ ١٥٧ حيث يقول : « ثمّ لا نقدر أن نجزم بأنّ جميع الكهنة ولا سيما الغير المتزوجين يقدرون على ضبط شهواتهم ، فاستماعهم الاعترافات يكون مما يُنهض شهوتهم للسقوط في فخّ الشيطان ، ويسهّل عليهم طريق الوصول إلى مرغوبهم ؛ لأنّهم بواسطته يعرفون مَن هي أهل لذلك ، ولولا هذه المعرفة ربما كان برقع الوظيفة يجعلهم يستحون من الطلب خوفاً من أنّ الباب الذي يقرعونه لا يفتح لهم فيفتضحون ، وأمّا بواسطة الاعتراف فيرتفع عنهم هذا الخوف ويتجاسرون على فعل الخطيّة ، وهذا عيب ثالث يكون من الاعتراف » .

وفي دائرة معارف القرن العشرين ٤/٢٩٧ ـ ٢٩٩ نقل بعض الأقوال والاعترافات في هذا الشأن .

روبيل بن يعقوب عليه السلام فزنى ببلها سريّة أبيه[1]، ولا يهوذا بن يعقوب عليه السلام فزنى بزوجة ابنه[2]، ولا داود عليه السلام فزنى بزوجة أوريّا مع كونه ذا زوجات كثيرة[3]، ولا لوط عليه السلام فزنى في حالة خمار الخمر بابنتيْه[4]، وهكذا . فإذا كان حال الأنبياء وأبنائهم على عقائدهم هكذا فكيف يُرجى منهم العصمة ؟! بل الحق أنّ الفاروس بيلاجيوس ويوحنا صادقان في أنّ أبناء الرعية هناك أكثر عدداً بيسير من أبناء الكهنوت ، وأنّ أديرة الراهبات متدنّسة مثل البيوت المخصوصة للزنا ، وأمثال هذه المسائل كثيرة أطوي الكشح[5] عن بيانها خوفاً من التطويل ، فأقول :

لعلّ هذه المضامين العالية التي نقلتها وأمثالها لو وجدوها في القرآن لاعترفوا بأنّه كلام الله وقبلوه ، لكنّهم لـمّا وجدوه خالياً عنها وعن أمثالها ؛ فكيف يعترفون ويقبلون ؟ لأنّ المضامين الحسنة المألوفة عندهم هي هذه المضامين وأمثالها ، لا المضامين التي ذكرت في القرآن .

وأمّا بعض المضامين التي توجد في القرآن في ذكر الجنة والنار وغيرهما ، ويزعمون أنّها قبيحة ، فأذكرها إن شاء الله تعالى في الشبهة الثالثة بجواباتها فانتظر .

---

(١) أي بزعمهم وعقيدتهم المستندة لكتبهم حسبما في سفر التكوين ٣٥/٢٢ و ٤٩/٣ ـ ٤ .
(٢) إشارة إلى ما في سفر التكوين ٣٨/١٢ ـ ٣٠ .
(٣) إشارة إلى ما في سفر صموئيل الثاني ١١/١ ـ ٢٧ .
(٤) إشارة إلى ما في سفر التكوين ١٩/٣٠ ـ ٣٨ .
(٥) الكشح : هو الخصر ، يقال طوى كشحه على الأمر : إذا عزم عليه وأضمره وستره ، وطوى كشحه عن الأمر : إذا أعرض عنه ، والكاشح : العدو الذي يضمر العداوة . (لسان العرب ٢/٥٧٢).

الشبهة الثانية : (أنّ القرآن مخالف لكتب العهد العتيق والجديد في مواضع فلا يكون كلام الله) .

والجواب أولاً : أنّ هذه الكتب لـمّا لم تثبت أسانيدها المتصلة إلى مصنّفيها ، وكذا لم يثبت أنّ كل كتاب منها إلهامي . وقد ثبت أنّها مختلفة اختلافاً معنوياً في مواضع كثيرة ومملوءة بالأغلاط الكثيرة يقيناً كما عرفت هذه الأمور في الباب الأول ، وقد ثبت التحريف فيها أيضاً كما عرفت في الباب الثاني ؛ فلا تضرّ مخالفتها القرآن في المواضع المذكورة ، بل تكون دليلاً على كون المواضع المذكورة غلطاً أو محرفة في الكتب المذكورة ، كسائر الأغلاط والتحريفات التي عرفتها في البابين الأوّلين ، وقد عرفت في الأمر الرابع من الفصل الأول من هذا الباب أنّ هذه المخالفة قصديّة لأجل التنبيه على أنّ ما خالف القرآن غلط أو محرف لا أنّها سهويّة .

والجواب الثاني : أنّ المخالفة التي بين القرآن وبين كتب العهدين في زعم القسّيسين على ثلاثة أنواع :

الأول : باعتبار الأحكام المنسوخة .

والثاني : باعتبار بعض الحالات التي جاء ذكرها في القرآن ولا يوجد ذكرها في العهدين .

والثالث : باعتبار أنّ بيان بعض الحالات في القرآن يخالف بيان هذه الكتب ، ولا مجال لهم أن يطعنوا على القرآن باعتبار هذه الأنواع .

أمّا الأول : فلأنّك قد عرفت في الباب الثالث بما لا مزيد عليه أنّ النَّسْخ لا يختصّ بالقرآن ، بل وُجد في الشرائع السابقة بالكثرة ، وأنّه لا استحالة

فيه ، وأنّ الشريعة العيسوية نَسخت جميع أحكام التوراة إلاّ تسعة أحكام من الأحكام العشرة المشهورة[1]، وقد وقع فيها التكميل أيضاً على زعمهم ، والتكميل أيضاً نوع من أنواع النسخ ، فصارت هذه الأحكام أيضاً منسوخة بهذا الوجه ، فبعد ذلك ليس من شأن المسيحي العاقل أن يطعن على القرآن باعتبار هذا النوع .

وأمّا الثاني[2]: فهو كالأول أيضاً ، وشواهده كثيرة أكتفي منها على ثلاثة عشر شاهداً :

الشاهد الأول : الآية التاسعة من رسالة يهوذا هكذا : « وأمّا ميخائيل رئيس الملائكة فلـمّا خاصم إبليس محاجّاً عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال : لينتهرك الربّ » .

فمخاصمة ميخائيل إبليس عن جسد موسى لم تُذكر في كتاب من كتب العهد العتيق .

الشاهد الثاني : ثم في تلك الرسالة هكذا : « ١٤ ــ وتنبّأ عن هؤلاء أيضاً أخنوخ[3] السابع من آدم قائلاً هوذا قد جاء الربّ في ربوات قدّيسيه (١٥)

---

(١) الأحكام العشرة أو الكلمات العشر والوصايا العشر هي المكتوبة على لوحيْ الحجر ، ونصّها ورد في سفر الخروج ٢٠/٢ ـ ١٧ ، وفي سفر التثنية ٥/٦ ـ ٢١ (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٢٩) .

(٢) يقصد الحالات التي جاء ذكرها في القرآن الكريم ولا يوجد لها ذكر في كتب العهدين .

(٣) في حاشية ق : أخنوخ هو إدريس . اهـ .
وهو لفظ عبري قد يكتب في العربية (حنوك) وهو النبي إدريس بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ، ورد ذكره في القرآن الكريم مرتين ، وفي سفر التكوين ٥/٢٣ أنه عاش ٣٦٥ سنة . (القاموس الإسلامي ١/٥٣ ، والموسوعة الميسرة ص ٩٩ ، ودائرة وجدي ١/١١٩ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٣٢ ،وقصص الأنبياء للنجار ص ٢٤) .

ليصْنَعَ دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجّارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلّم بها عليه خطاة فجّار » .

ولا أثر لهذا الخبر أيضاً في كتاب من كتب العهد العتيق .

الشاهد الثالث : الآية الحادية والعشرون من الباب الثاني عشر من الرسالة العبرانية هكذا : « وكان المنظر[1] هكذا مخيفاً حتى قال موسى : أنا مرتعب ومرتعد » .

وهذا الحال مذكور في الباب التاسع عشر من سفر الخروج[2]، لكن لا يوجد فيه ولا في كتاب من كتب العهد العتيق هذه الفقرة : « حتى قال موسى : أنا مرتعب ومرتعد » .

الشاهد الرابع : الآية الثامنة من الباب الثالث من الرسالة الثانية إلى تيموثاوس هكذا : « وكما قاوم ينّيسُ ويمبريسُ موسى » الخ .

وهذا الحال مذكور في الباب السابع من سفر الخروج[3]، ولا أثر لهذين الإسمين في هذا الباب ولا في باب آخر ، ولا في كتاب آخر من كتب العهد العتيق .

الشاهد الخامس : الآية السادسة من الباب الخامس عشر من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس هكذا : « وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باق إلى الآن ولكنّ بعضهم قد رقدوا » .

---

(١) في حاشية ق : أي منظر الله . اهـ .

(٢) ففي سفر الخروج ١٩/١٤ ـ ٢٥ قصّة ذهاب موسى وقومه إلى جبل سيناء ، وحصول البروق والرعود والسحاب الثقيل ونار ودخان ، فارتعد الشعب لذلك .

(٣) قصّة سحرة فرعون ومعارضتهم لموسى مذكورة في الإصحاح ٧ من سفر الخروج ، وليس فيها ذكر اسم أحد منهم ، فمن أين جاء بولس باسميْ ينيس ويمبريس .

ولا يوجد لهذا أثر في إنجيل من الأناجيل الأربعة ولا في كتاب أعمال الحواريين[1]، مع أنّ لوقا أحرص الناس على تحرير أمثال هذه الأحوال .

الشاهد السادس : في الآية الخامسة والثلاثين من الباب العشرين من كتاب الأعمال هكذا : « متذكّرين كلمات الربّ يسوع أنّه قال : مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » .

وهذا القول لا يوجد له أثر في إنجيل من الأناجيل الأربعة .

الشاهد السابع : الأسماء التي ذكرت في الباب الأوّل من إنجيل متّى بعد زربابل[2] لا توجد في كتاب من كتب العهد العتيق .

الشاهد الثامن : في الباب السابع من كتاب الأعمال هكذا : « ٢٣ ــ ولما كملت له مدة أربعين سنة خطر على باله أن يفتقد إخوته بني إسرائيل (٢٤) وإذْ رأى واحداً مظلوماً حامى عنه وأنصف المغلوب إذْ قتل المصري (٢٥) فظنّ أنّ إخوته يفهمون أنّ الله على يده يعطيهم نجاة وأمّا هم فلم يفهموا (٢٦) وفي اليوم الثاني ظهر لهم وهم يتخاصمون فساقهم إلى السلامة قائلاً : أيّها الرجال ، أنتم إخوة ، لماذا تظلمون بعضكم بعضاً (٢٧) فالذي كان يظلم قريبه دفعه قائلاً : من أقامك رئيساً وقاضياً علينا (٢٨) أتريد أن تقتلني كما قتلت أمس المصريّ » .

---

(١) قصّة قيام المسيح من قبره بعد صلبه ودفنه بزعمهم وظهوره للتلاميذ مذكورة في إنجيل متّى ٢٨/٩ ـ ٢٠ ، وفي إنجيل مرقس ١٦/٩ ـ ٢٠ ، وفي إنجيل لوقا ٢٤/٢٨ ـ ٥٣ ، وفي إنجيل يوحنا ٢٠/١١ ـ ٣٠ و ٢١/١ ـ ٢٣ ، وفي سفر أعمال الرسل ١/١ ـ ١٤ ، ولا ذكر في هذه المواضع لظهوره لأكثر من ٥٠٠ شخص .

(٢) وهي في إنجيل متّى ١/١٣ ـ ١٥ ، كما يلي : أبيهود ، ألياقيم ، عازور صادوق ، أخيم ، أليود ، أليعازر ، متّان ، يعقوب . ولذلك لم يُترجَم لبعضهم في قاموس الكتاب المقدس ، أو ترجم لبعضهم بترجمة مبهمة ومكررة للكلّ وهي « أحد أسلاف المسيح » ، كما في الصفحات ١١٠ و ١١٤ و ١١٥ و ٥٣٧ و ٥٨٩ و ٨٣٥ .

وهذا الحال مذكور في الباب الثاني من كتاب الخروج ، لكنّ بعض الأشياء ذُكرت في كتاب الأعمال وما جاء ذكرها في كتاب الخروج ، وعبارة الخروج هكذا : « ١١ ــ وفي تلك الأيّام لما شبّ موسى خرج إلى إخوته وأبصر تعبّدهم ورآ رجلاً من أهل مصر يضرب رجلاً من إخوته العبرانيين (١٢) فالتفت إلى الجانبين فلم يرا أحداً فقتل المصري ودفنه في الرمل (١٣) وانّه خرج من اليوم الثاني ونظر إلى رجلين عبرانيين يختصمان فقال للظالم منهما : لم تضرب صاحبك (١٤) فقال له ذلك الرجل : من جعلك مسلّطاً علينا أو قاضياً لعلك تريد قتلي كما بالأمس قتلت المصري » .

الشاهد التاسع : الآية السادسة من رسالة يهوذا هكذا : « والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبديّة تحت الظلام » .

الشاهد العاشر : في الآية الرابعة من الباب الثاني من الرسالة الثانية لبطرس : « الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنّم وسلّمهم محروسين للقضاء »(١).

وهذا الحال الذي نقله بطرس ويهوذا الحواريان لا يوجد في كتاب من كتب العهد العتيق ، بل الظاهر أنّه كاذب ؛ لأنّ الظاهر أنّ المراد بهؤلاء الملائكة المحبوسين الشياطينُ ، والشياطينُ ليسوا بمحبوسين بقيود أبديّة كما يشهد عليه الباب الأوّل من كتاب أيوب(٢) والآية الثانية عشرة من الباب الأول من إنجيل

---

(١) في حاشية ق : أي إلى يوم القيامة . اهـ .

(٢) ففي سفر أيّوب ١/٦ ـ ١٢ محاورة بين الربّ وبين الشيطان يظهر منها أنّ الشيطان غير محبوس .

مرقس[1]، والآية الثامنة من الباب الخامس من الرسالة الأولى لبطرس[2]، وغيرها من الآيات .

الشاهد الحادي عشر : الآية الثامنة عشرة من الزبور المائة والرابع على وفق الترجمة العربية ، ومن الزبور المائة والخامس على وفق التراجم الأُخر هكذا : « وذلّت بالقيود رجلاه وبالحديد عبرت نفسه »[3].

وحال كون يوسف مسجوناً مذكور في الباب التاسع والثلاثين من سفر التكوين[4]، وليس ذُلّ رجليه بالقيود وعبرة نفسه بالحديد مذكورَيْن فيه ، ولا يلزم هذان الأمران للمسجون وإن كانا غالبين .

الشاهد الثاني عشر : في الآية الرابعة من الباب الثاني عشر من كتاب هوشع هكذا : « وغلب الملاك وتقوّى بكى وسأله » الخ .

وحال مصارعة المَلَك يعقوب مذكور في الباب الثاني والثلاثين من سفر التكوين[5] ولا يوجد فيه بكاء يعقوب .

الشاهد الثالث عشر : يوجد في الإنجيل ذكر الجنّة والجحيم والقيامة وجزاء الأعمال فيها وإن كان بالإجمال[6]، ولا أَثر لهذا في الكتب الخمسة لموسى ، بل لا يوجد فيها سوى المواعيد الدنيوية للمطيعين والتهديدات الدنياوية للعاصين .

---

(١) ففي إنجيل مرقس ١/١٢ ـ ١٣ تجربة إبليس للمسيح في البرّيّة لمدة أربعين يوماً .

(٢) ففي رسالة بطرس الأولى ٥/٨ « اصحوا واسهروا لأنّ إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو» .

(٣) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٤٤م .

(٤) انظر سفر التكوين ٣٩/١٩ ـ ٢٣ .

(٥) انظر سفر التكوين ٣٢/٢٢ ـ ٣٢ .

(٦) انظر .إنجيل متّى ٥/٢٢ و١٠/٢٨ و٢٣/١٥ و٢٥/٤٦ ، وإنجيل مرقس ٩/٤٣ ـ ٤٤ ، وإنجيل لوقا ٢٣/٤٣ .

وهكذا يوجد مواضع كثيرة .

فظهر مما ذكرنا أنّه إذا ذكر بعض الأحوال في كتاب ، ولا يوجد ذكره في الكتاب المتقدم لا يلزم منه تكذيب الكتاب المتأخر ، وإلّا يلزم أن يكون الإنجيل كاذباً لا شتماله على الحالات التي لم تذكر في التوراة ولا في كتاب آخر من كتب العهد العتيق ، فالحقّ أنّ الكتاب المتقدم لا يلزم أن يكون مشتملاً على الحالات كلها ، ألا ترى أنّ أسماء جميع أولاد آدم وشيث[1] وأنوش[2] وغيرهم ، وكذا أحوالهم ليست مذكورة في التوراة .

وفي تفسير دوالى ورجردمينت ذيل شرح الآية الخامسة والعشرين من الباب الرابع عشر من سفر الملوك الثاني[3]: هكذا : « لا يوجد ذكر هذا الرسول يونس إلّا في هذه الآية ، وفي البلاغ المشهور الذي كان إلى أهل نينوى[4]. ولا يوجد في كتاب من الكتب إخباراته عن الحوادث الآتية التي جرّأ بها يوربعام السلطان[5] على محاربة سلاطين السِّريا[6]، وسببه ليس منحصراً في أنّ الكتب الكثيرة للأنبياء لا توجد عندنا ، بل سببه[7] هذا أيضاً أنّ الأنبياء لم يكتبوا كثيراً من إخبارهم عن الحوادث الآتية » انتهى . فهذا القول يدل صراحة على ما قلت .

---

(١) هو شيث بن آدم عليه السلام ، وُلد بعد مقتل أخيه هابيل ، وكان عمر أبيه آدم ١٣٠ سنة ، وعاش شيث ٩١٢ سنة (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣١) .

(٢) هو ابن شيث بن آدم عليه السلام . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٧) .

(٣) ففي سفر الملوك الثاني ١٤/٢٥ « يونان بن أمتّاي النبي الذي من جت حافر » .

(٤) يقصد سفر يونان وهو أربع إصحاحات قصيرة تحكي قصة إرسال يونس إلى أهل نينوي وما جرى له بعد ذلك .

(٥) المقصود هنا هو يربعام الثاني بن يوآش بن يهوآحاز الذي هو ثالث عشر ملوك مملكة إسرائيل الشمالية ، والذي ملك ٤١ سنة ما بين ٧٨٦ ـ ٧٤٦ ق.م ، فهو الذي حارب بنهدد ملك سوريا . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٩١ وص ٩١٧ وص ١٠٦٠) .

(٦) أي سوريا .

(٧) في حاشية ق : أي سبب عدم الوجدان . اهـ .

والآية الثلاثون من الباب العشرين من إنجيل يوحنّا هكذا : « وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدّام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب » .

والآية الخامسة والعشرون من الباب الحادي والعشرين من إنجيل يوحنا هكذا : « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كُتبت واحدة واحدة فلست أظنّ أنّ العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » .

وهذا الكلام وإن لم يخلُ عن المبالغة الشاعرية ـ لكنّه لا شكّ أنّه يفيد أنّ جميع حالات عيسى عليه السلام ما كُتبت . فالطاعن باعتبار النوع الثاني[1] على القرآن حاله كحال الطاعن باعتبار النوع الأول[2] بلا تفاوت .

وأما النوع الثالث[3]: فلأنّ مثل هذه الإختلافات يوجد بين كتب العهد العتيق بعضها مع بعض ، وبين الأناجيل بعضها مع بعض ، وبين الإنجيل والعهد العتيق كما عرفت في الفصل الثالث من الباب الأول ، ويوجد في النُّسَخ الثلاث للتوراة ، أعني العبرانيّة واليونانيّة والسامريّة . وقد حصل لك الإطلاع على بعض الاختلافات[4] أيضاً في الباب الثاني ، لكن القسّيسين من عادتهم أنهم يغلّطون عوامّ المسلمين في كثير من الأوقات بهذه الشبهة ، فالأنسب أنْ أذكر بعض هذه الإختلافات ولا أخاف من التطويل اليسير لأنّه لا يخلو عن الفائدة المهمة :

---

(١) باعتبار أنّ القرآن الكريم ذكر حالات غير مذكورة في عهد كتب العهدين .

(٢) النوع الأول باعتبار أنّ القرآن الكريم نَسَخَ بعض أحكام كتب أهل الكتاب .

(٣) النوع الثالث باعتبار أنّ بيان بعض الحالات في القرآن الكريم مختلف عن بيانها في كتب العهدين .

(٤) معظم هذه الاختلافات مذكورة في الباب الأول في قسم (الإختلافات والأغلاط) وقد سبق التفصيل فيها هناك فلا داعي لتفصيلها هنا .

الإختلاف الأول : أنّ الزمان من خلق آدم إلى زمن الطوفان باعتبار العبرانية ألف وستمائة وست وخمسون سنة (١٦٥٦) ، وباعتبار اليونانية ألفان ومائتان واثنتان وستون سنة (٢٢٦٢) ، وعلى وفق السامرية ألف وثلثمائة وسبع سنين (١٣٠٧)[١].

الإختلاف الثاني : أنّ الزمان من الطوفان إلى ولادة إبراهيم باعتبار العبرانية مائتان واثنتان وتسعون سنة (٢٩٢) ، وباعتبار اليونانية ألف واثنتان وسبعون سنة (١٠٧٢) ، وباعتبار السامرية تسعمائة واثنتان وأربعون سنة (٩٤٢)[٢].

الإختلاف الثالث : يوجد في النسخة اليونانية بين أرفخشد وشالح بطن واحد وهو قينان ، ولا يوجد في العبرانية والسامرية ، ولا في السفر الأول من أخبار الأيام ، ولا في تاريخ يوسيفس ، لكن لوقا الإنجيلي اعتمد على اليونانية فزاد قينان في بيان نسب المسيح[٣] ؛ فيجب على المسيحيّين أن يعتقدوا صحة اليونانية وكون غيرها غلطاً لئلا يلزم كذب إنجيلهم .

الإختلاف الرابع : أنّ موضع بناء الهيكل - أعني : المسجد - باعتبار العبرانية جبل عيبال ، وباعتبار السامريّة جبل جرزّيم . وقد عرفت حال هذه الإختلافات في الباب الثاني فلا أطوّل الكلام في توضيحها[٤].

الإختلاف الخامس : أنّ الزمان من خلق آدم إلى ميلاد المسيح باعتبار العبرانية (٤٠٠٤) ، وباعتبار اليونانية (٥٨٧٢) ، وباعتبار السامرية (٤٧٠٠) . وفي المجلد الأول من تفسير هنري واسكات : « إنّ هيلز

---

(١) تفصيله في الشاهد الأول من المقصد الأول من الباب الثاني ، وسلسلة أعمار ذرية آدم إلى نوح مذكورة في الإصحاح ٥ من سفر التكوين .

(٢) (٣) تفصيله في الشاهد الثاني من المقصد الأول من الباب الثاني ، وسلسلة أعمار ذرية نوح إلى إبراهيم مذكورة في الإصحاح ١١ من سفر التكوين .

(٤) تفصيله في الشاهد الثالث من المقصد الأول من الباب الثاني ، وهو إشارة إلى ما في سفر التثنية ١١/٢٩ و٢٧/٤ .

أخذ التاريخ بعد تصحيح أغلاط يوسيفس واليونانية. وعلى تحقيقه من خلق العالم إلى ميلاد المسيح (٥٤١١)، ومن الطوفان إلى الميلاد (٣١٥٥) » انتهى.

وجارلس روجر في كتابه الذي قابل فيه التراجم الإنجليزية نقل خمسة وعشرين قولاً من أقوال المؤرخين في بيان المدة التي من خلق العالم إلى ميلاد المسيح ، وإلى سنة ألف وثمانمائة وسبع وأربعين[1] ، ثم اعترف أنه لا يطّابق قولان منها ، وأنّ تمييز الصحيح عن الغلط محال ، وأنا أنقل ترجمة كلامه ، وأكتفي على بيانها إلى ميلاد المسيح ، لأنّ المدة التي بعدها لا اختلاف فيها للمؤرخين[2]، فلا حاجة إلى نقل الغاية الأخرى :

---

(١) (٢) أي إنّ جارلس روجر عمل جدولين ، أحدهما في حساب المدة من آدم إلى المسيح وهذا الذي يريده المؤلف ؛ لأنّ الخلاف فيه كثير ، وثاني الجدولين كان في حساب المدة من المسيح إلى سنة ١٨٤٧م وهذا لا حاجة للمؤلف بنقله .

أسماء المؤرخين	المدة التي من خلق آدم إلى ميلاد المسيح
١ ـ ماريانوس سكوتوس	٤١٩٢
٢ ـ لارنت يوس كودومانوس	٤١٤١
٣ ـ توما ليديت	٤١٠٣
٤ ـ ميكائيل مستلي نوس	٤٠٧٩
٥ ـ جي بابتست رك كيولوس	٤٠٦٢
٦ ـ جيكب سليانوس	٤٠٥٣
٧ ـ هنري كوس بوندانوس	٤٠٥١
٨ ـ وليم لينك	٤٠٤١
٩ ـ أرازمس رين هولت	٤٠٢١
١٠ ـ جيكوبوس كيبالوس	٤٠٠٥
١١ ـ أرج بشب أشر	٤٠٠٣
١٢ ـ ديوني سيوس بتاويوس	٣٩٨٣
١٣ ـ بشب بك	٣٩٧٤
١٤ ـ كرن زيم	٣٩٧١
١٥ ـ ايلي اس ريوس نيروس	٣٩٧٠
١٦ ـ جوهانيس كلاوريوس	٣٩٦٨
١٧ ـ كرستيانوس لونكو مونتانوس	٣٩٦٦
١٨ ـ فلب ملانختون	٣٩٦٤
١٩ ـ جيكب هين لي نوس	٣٩٦٣
٢٠ ـ الفون سوس سال مرون	٣٩٥٨
٢١ ـ اسكي ليكر	٣٩٤٩
٢٢ ـ ميتهيوس برول ديوس	٣٩٢٧
٢٣ ـ أندرياس هل وي كيوس	٣٨٣٦
٢٤ ـ الرواج العام لليهود	٣٧٦٠
٢٥ ـ الرواج العام للمسيحيين[١]	٤٠٠٤

(١) أي العرف السائد بين اليهود أو بين المسيحيين لهذه المدة الزمنية من آدم إلى المسيح عليهما السلام.

ولا يطّابق قولان من هذه الأقوال . ومن يتأمل في هذا الأمر في حين من الأحيان يفهم أنّ هذا الأمر العجيب في غاية الإشكال ، لكن الظاهر أنّ المؤرخين المقدَّسين لم يريدوا في حين من الأحيان أن يكتبوا التاريخ بالنظم ، ولا يمكن الآن لأحد أن يعلم العدد الصحيح » انتهى كلام جارلس روجر .

فظهر من كلامه أنّ معرفة الصحيح الآن محال جدّاً ، وأنّ المؤرخين من أهل العهد العتيق أيضاً كتبوا ما كتبوا رجماً بالغيب ، وأن الرائج العام في اليهود يخالف الرائج العام في المسيحيّين .

فأنصف - أيها اللبيب - أنّه لو فُهِمَتْ مخالفة القرآن المجيد لتاريخ من تواريخهم المقدّسة التي حالها كما عرفت ، أَنَشُكُّ لأجل هذه المخالفة في القرآن ؟! لا والله ، بل نقول : إنّ مقدَّسيهم غلطوا وكتبوا ما كتبوا - سيّما إذا لاحظنا تواريخ العالم جزمنا أنّ تحرير مقدسيهم في أمثال هذه الأمور ليس له إلّا رتبة الظن والتخمين - ولذلك لا نعتمد على هذه الأقوال الضعيفة .

قال العلامة تقي الدين أحمد بن علي المقريزي في المجلد الأوّل من تاريخه ناقلاً عن الفقيه الحافظ أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم[1] : « وأما

---

(١) ابن حزم : هو أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الفارسي الأصل ، الأندلسي القرطبي ، عالم أندلسي مؤرّخ ، وفقيه ، ومحدّث ، وأديب ، ومؤلف في علم العقائد ومقارنة الأديان ، ولد في قرطبة عام ٣٨٤هـ/٩٩٤م ، وكانت رئاسة الوزارة وتدبير أمور الدولة له ولأبيه من قبله، ثم زهد فيها وانصرف للعلم والتأليف ، فكان فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنّة ، ويرفض توسع الفقهاء في القياس ، فانتسب إلى مذهبه كثيرون يقال لهم : الحزمية والظاهريّة نسبة إليه ، وهو اشتهر بمذهبه الذي يأخذ بظاهر المعنى لألفاظ القرآن والحديث ، فلقب بابن حزم الظاهري ، وتوفي سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م ، بلغت مؤلفاته ٤٠٠ مجلد في مختلف فنون العلم ، أشهرها « الفصل » في مقارنة الأديان ، و« المحلى » في الفقه . (كشف الظنون ٥/٦٠ ، والأعلام ٤/٢٥٤ ، ومعجم المؤلفين ٧/١٦ ، والقاموس الإسلامي ٢/٧١ ، والموسوعة الميسرة ص١٣) .

نحن ـ يعني : أهل الإسلام ـ فلا نقطع على علمِ عددٍ معروفٍ عندنا ، ومن ادّعى في ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل فقد قال ما لم يأت قط عن رسول الله ﷺ فيه لفظةٌ تصحّ ، بل صحّ عنه عليه السلام خلافه ، بل نقطع على أنّ للدنيا أمداً لا يعلمه إلّا الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ **ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم** ﴾[1]. وقال رسول الله ﷺ : « ما أنتم في الأمم قبلكم إلّا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود ، والشعرة السوداء في الثور الأبيض »[2]. وهذه نسبةٌ من تدبّرها وعرف مقدار عدد أهل الإسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الأرض ، وأنّه الأكثر علم أنّ للدنيا أمداً لا يعلمه إلّا الله تعالى »[3] انتهى كلامه بلفظه . وهو مختار الفقير أيضاً ، والعلم التامّ عند الله وهو أعلم .

الإختلاف السادس : أنّ الحكم الحادي عشر الزائد على الأحكام العشرة المشهورة يوجد في السامرية ولا يوجد في العبرانية[4].

(١) سورة الكهف آية ٥١ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب ٧ قصّة يأجوج ومأجوج ، وفي كتاب التفسير ، في تفسير سورة الحج باب ١ (وترى الناس سكارى)، وفي كتاب الرقاق باب ٤٥ الحشر ، وباب ٤٦ (إنّ زلزلة الساعة . . .) ، وهذه الأحاديث في فتح الباري ٣٨٢/٦ حديث رقم ٣٣٤٨ و٤٤١/٨ حديث رقم ٤٧٤١ و٣٧٨/١١ حديث رقم ٦٥٢٨ و ٦٥٢٩ ، و ٣٨٨/١١ حديث رقم ٦٥٣٠ ، ورواه مسلم في كتاب الإيمان في بيان كون هذه الأمّة نصف أهل الجنة ٣٧٦ ـ ٣٨٠ ، وهو في شرح النووي ٩٥/٣ ـ ٩٨ ، ورواه الترمذي في أبواب صفة الجنة باب ١٣ وهو بشرح ابن العربي ١٥/٩ ، ورواه ابن ماجه في أبواب الزهد باب ٣٤ صفة أمّة محمد ﷺ . وهو بتحقيق الأعظمي ٤٤٥/٢ حديث رقم ٤٣٣٧ ، ورواه الإمام أحمد في عدة مواضع .

(٣) نصّ المقريزي في كتابه المعروف بالخطط في طبعة المطبعة الأميريّة بالقاهرة سنة ١٢٧٠هـ/(٢٥٨/١) ، وعنها بالأوفست طبعة مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٧٠م (٢٥٨/١) ، وفي طبعة مكتبة إحياء العلوم بمطبعة الساحل الجنوبي في الشيّاح بلبنان سنة ١٩٥٩م (٤٥٣/١) ، وكلام ابن حزم ليس حرفيًا ، ويوجد في كتابه (الفصل في الملل والاهواء والنحل) ٢٥٧/٢ بتحقيق الدكتور/ محمد إبراهيم نصر والدكتور عبدالرحمن عميرة .

(٤) الأحكام العشرة نصّها في سفر الخروج ٢/٢٠ ـ ١٧ ، وفي سفر التثنية ٦/٥ ـ ٢١ ، ويوجد في الفقرة الأخيرة من النصّين زيادة في التوراة السامريّة بخصوص بناء المذبح في جبل =

الإختلاف السابع : الآية الأربعون من الباب الثاني عشر من سفر الخروج في العبرانية هكذا : « فكان جميع ما سكن بنو إسرائيل في أرض مصر أربعمائة وثلاثين سنة » .

وفي السامرية واليونانية هكذا : « فكان جميع ما سكن بنو إسرائيل وآباؤهم وأجدادهم في أرض كنعان وأرض مصر أربعمائة وثلاثين سنة » .

والصحيح ما فيهما ، وما في العبرانية غلط يقيناً[1].

الإختلاف الثامن : في الآية الثامنة من الباب الرابع من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « وقال قايين لهابيل أخيه ولـمّا صارا في الحقل » .

وفي السامرية واليونانية هكذا : « وقال قاين لهابيل أخيه تعالى نخرج إلى الحقل ولما صارا في الحقل » .

والصحيح ما فيهما عند محققيهم[2].

الإختلاف التاسع : في الآية السابعة عشرة من الباب السابع من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « وصار الطوفان أربعين يوماً على الأرض »[3].

وفي اليونانية هكذا : « وصار الطوفان أربعين يوماً وليلة على الأرض » .

والصحيح ما في اليونانية[4].

الإختلاف العاشر : في الآية الثامنة من الباب التاسع والعشرين من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « حتى تجتمع الماشية » .

= جرزّيم ، ولا توجد هذه الزيادة في النسخ الأخرى للتوراة ، ولعلّ السامريّين زادوا هذا الحكم ليثبتوا البركة لجبل جرزيم الذي يقدّسونه .

(١) وتفصيله في الشاهد الأول من المقصد الثالث من الباب الثاني .

(٢) وتفصيله في الشاهد الثاني من المقصد الثالث من الباب الثاني .

(٣) وكذلك في السامريّة .

(٤) وتفصيله في الشاهد الثالث من المقصد الثالث من الباب الثاني .

وفي السامرية واليونانية وكنـي كات والترجمة العربية لهيوبي كينت هكذا : « حتى تجتمع الرعاة » .

والصحيح ما في هذه الكتب ، لا ما في العبرانية[١].

الإختلاف الحادي عشر : في الآية الثانية والعشرين من الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « وضاجع بلها سريّة أبيه فسمع إسرائيل »[٢].

وفي اليونانية هكذا : « وضاجع بلها سريّة أبيه فسمع إسرائيل وكان قبيحاً في نظره » .

والصحيح ما في اليونانية[٣].

الإختلاف الثاني عشر : في أول الآية الخامسة من الباب الرابع والأربعين من سفر التكوين توجد في اليونانيّة هذه الجملة : « لِمَ سرقتم صواعي » ولا توجد في العبرانية ، والصحيح ما في اليونانيّة[٤].

الإختلاف الثالث عشر : في الآية الخامسة والعشرين من الباب الخمسين من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « فاذهبوا بعظامي من ههنا » .

وفي اليونانية والسامرية هكذا : « فاذهبوا بعظامي من ههنا معكم »[٥].

الإختلاف الرابع عشر : في آخر الآية الثانية والعشرين من الباب الثاني من سفر الخروج في اليونانية هذه العبارة : « وولدت أيضاً غلاماً ثانياً ودعا اسمه

---

(١) وتفصيله في الشاهد الرابع من المقصد الأول من الباب الثاني .
(٢) وكذلك في السامريّة .
(٣) وتفصيله في الشاهد الرابع من المقصد الثالث من الباب الثاني .
(٤) وتفصيله في الشاهد الخامس من المقصد الثالث من الباب الثاني .
(٥) وتفصيله في الشاهد السادس من المقصد الثالث من الباب الثاني .

العازر فقال من أجل أنّ إله أبي أعانني وخلّصني من يد فرعون » .

ولا توجد في العبرانية ، والصحيح ما في اليونانية ، وأدخلها مترجمو العربية في تراجمهم[1].

الإختلاف الخامس عشر : في الآية العشرين من الباب السادس من سفر الخروج في العبرانية هكذا : « فولدت له هارون وموسى » .

وفي السامرية واليونانية هكذا : « فولدت له هارون وموسى ومريم أختهما » .

والصحيح ما فيهما[2].

الإختلاف السادس عشر : توجد في آخر الآية السادسة من الباب العاشر من سفر العدد في الترجمة اليونانية هذه العبارة : « وإذا نفخوا مرّة ثالثة يرفع الخيام الغربية للارتحال وإذا نفخوا مرّة رابعة يرفع الخيام الشمالية للارتحال » .

ولا توجد في العبرانية ، والصحيح ما في اليونانية[3].

الإختلاف السابع عشر : توجد في النسخة السامريّة في الباب العاشر من سفر العدد ما بين الآية العاشرة والحادية عشرة هذه العبارة : « قال الربّ مخاطباً لموسى : إنكم جلستم في هذا الجبل كثيراً فارجعوا وهلمّوا إلى جبل الأمورانيّين وما يليه إلى العرباء[4] وإلى أماكن الطور والأسفل قبالة التيمن[5] وإلى شطّ

---

(١) وتفصيله في الشاهد السابع من المقصد الثالث من الباب الثاني .

(٢) وتفصيله في الشاهد الثامن من المقصد الثالث من الباب الثاني .

(٣) وتفصيله في الشاهد التاسع من المقصد الثالث من الباب الثاني .

(٤) العرباء يعني العربة : وهو الوادي من البحر الميت إلى خليج العقبة (قاموس الكتاب المقدس ص ٦١٥) .

(٥) التيمن (تيمان) معناها اليميني أو الجنوبي ، وقد يكون المقصود بها منطقة شرقيّ البتراء في جنوب الأردن (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٨) .

البحر أرض الكنعانيين ولبنان[1] وإلى النهر الأكبر نهر الفرات[2] هوذا أعطيتكم الأرض فادخلوا ورثوا الأرض التي حلف الربّ لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنّه سيعطيكم إياها ولخَلَفكم من بعدكم » انتهت .

ولا توجد هذه العبارة في العبرانية .

قال المفسر هارسلي في الصفحة (١٦١) من المجلد الأول من تفسيره : « توجد في النسخة السامرية ما بين الآية العاشرة والحادية عشرة من الباب العاشر من سفر العدد العبارة التي توجد في الآية السادسة والسابعة والثامنة من الباب الأول من سفر التثنية وظهر هذا الأمر في عهد بروكوبيس »[3] .

الإختلاف الثامن عشر : في الباب العاشر من كتاب التثنية في العبرانية هكذا : « ٦ ــ ثم ارتحل بنو إسرائيل من بيروت بني يعقن[4] إلى موشرا ومات هناك هارون وقبر هناك ثم حُبِّرَ[5] بعده العازر ابنه (٧) ومن ثَمّ أتوا إلى غدغاد وارتحلوا من هناك وحلّوا في يطبثا أرض المياه والسواقي (٨) في ذلك الزمان اعتزل سبط لاوي ليحمل التابوت الذي فيه ميثاق الربّ ويقوم قدّامه في الخدمة

---

(١) لبنان : دولة جبلية صغيرة على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، وتحدّها سوريا من الشمال والشرق ، وتحدّها فلسطين من الجنوب مساحتها ١٠ آلاف كم٢، وعلى ساحل البحر تقع بعض المدن التاريخيّة القديمة مثل صور وصيدا وطرابلس وبيروت العاصمة ، (معجم البلدان ٥/١١ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٨١٠ ، والموسوعة الميسرة ص ١٥٥٠ ، ودائرة وجدي ٨/٣١٧) .

(٢) الفرات : معناها في أصل كلام العرب أعذب المياه ، ونهر الفرات هو أحد النهرين الرئيسيّين اللذين يرويان أرض العراق ، وطوله ٢٣٣٠ كم ، ومنابعة شرقي تركيا ويدخل سوريا باتجاه الجنوب ويلتقي بنهر دجلة في العراق فيكونان شط العرب الذي يصب في الخليج العربي . (معجم البلدان ٤/٢٤١ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٢ ، والموسوعة الميسرة ص ١٢٧٨) .

(٣) توجد هذه العبارة في جميع النسخ وجميع الطبعات في سفر التثنية ١/٦ ـ ٨ ، والنص السابق هو لفظ سفر التثنية من طبعة سنة ١٨٤٤م ، ولا توجد في سفر العدد إلاّ في السامريّة فقط .

(٤) أي آبار بني يعقان . (٥) أي نُصِّب حبرا .

ويبارك باسمه حتى إلى هذا اليوم »[1].

وهذه العبارة تخالف عبارة الباب الثالث والثلاثين من سفر العدد في تفصيل المراحل ، وتوجد في السامرية في كتاب التثنية أيضاً العبارة التي في سفر العدد .

وعبارة سفر العدد هكذا : « ٣٠ ـ وارتحلوا من حشمونا وأتوا مشروت (٣١) ومن مشروت نزلوا في بنيعقان (٣٢) وارتحلوا من بنيعقان وأتوا جبل جدجاد (٣٣) وارتحلوا من ثَمّ ونزلوا في يطبت (٣٤) ومن يطبت أتوا عفرونا (٣٥) وارتحلوا من عفرونا ونزلوا في عصينجبر[2] (٣٦) وارتحلوا من ثَمّ وأتوا برّيّة سين فهذه هي قادس (٣٧) وارتحلوا من قادس ونزلوا في هور الطور[3] الذي في أقصى أرض أدوم (٣٨) ثم صعد هارون الحبر إلى هور الجبل عن أمر الربّ فمات هناك في سنة أربعين من خروج بني إسرائيل من مصر في الشهر الخامس من اليوم الأوّل من الشهر (٣٩) وهارون يومئذ ابن مئة وثلاثة وعشرين سنة (٤٠) وسمع الكنعاني ملك عارد[4] الذي كان يسكن التيمن في

---

(١) هذا النصّ والذي بعده منقولان من طبعة سنة ١٨٤٤م ، وهناك فرق في بعض الأسماء بالنسبة لطبعة سنة ١٨٦٥م وبالنسبة للتوراة السامريّة ، وعلى كل حال فهي أسماء أماكن حطّ فيها بنو إسرائيل في البرّيّة أثناء التيه في صحراء النقب وسيناء ، وتراجمها مبهمة جداً . (انظر قاموس الكتاب المقدس في الصفحات التالية : ١٥١ و١٩٣ و٣٠٨ و٣٢٦ و٥٤٧ و٥٦٧ و٧٠٠ و٧٠٨ و١٠٧٢ و١٠٧٣) .

(٢) عصينجبر (عصيون جابر) بلدة على الطرف الشمالي من خليج العقبة ، وقد كانت آخر محطات بني إسرائيل في رحلتهم في البرّيّة قبيل وصولهم إلى برّيّة صين (سين) ، ويُعتقد أنّ ذلك المكان هو تلّ الخليفة وهو أقرب إلى مدينة إيلات منه إلى مدينة العقبة (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣١) .

(٣) هور الطور (هور الجبل) : هو جبل هور الذي عند حدود بلاد أدوم ، في منتصف المسافة من جنوب البحر الميت إلى شمال خليج العقبة ، ويبلغ ارتفاعه حوالي ١٥٠٠ متر قرب البتراء ووادي موسى ، وقد يُطلق عليه اسم جبل هارون ، ويُظنّ أنّ هارون دُفن فيه . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٤) .

(٤) عارد (عراد) بلدة في جنوب فلسطين ، جنوب مدينة الخليل بـ ٣٠ كم وغربي البحر الميت بـ ١٥ كم ، وقد قاوم ملِكها بني إسرائيل ومنعهم من دخول بلاده (قاموس الكتاب المقدس ص ٦١٥) .

أرض كنعان أنْ جاء بنو إسرائيل (٤١) ثم ارتحلوا من هور الطور ونزلوا في صلمونا (٤٢) وارتحلوا من ثَمّ وأتوا فينون »[١] الخ .

ونقل آدم كلارك في الصفحة ٧٧٩ و ٧٨٠ من المجلد الأول من تفسيره في شرح الباب العاشر من كتاب التثنية تقرير كني كات في غاية الإطناب وخلاصته : « أنّ عبارة المتن السامري صحيحة ، وعبارة العبري غلط . وأربع آيات ما بين الآية الخامسة والعاشرة ـ أعني : الآية السادسة إلى التاسعة ـ ههنا أجنبية محضة لو أُسقطت ارتبطت جميع العبارة ارتباطاً حسناً ، فهذه الآيات الأربع كُتبت من غلط الكاتب ههنا ، وكانت من الباب الثاني من كتاب التثنية » انتهى . وبعد نقل هذا التقرير أظهر رضاءه عليه وقال : « لا يُعجَل في إنكار هذا التقرير » .

أقول : يدلّ على إلحاقيّة الآيات الأربع الجملة الأخيرة التي توجد في آخر الآية الثامنة[٢] .

الإختلاف التاسع عشر : الآية الخامسة من الباب الثاني والثلاثين من كتاب التثنية في العبرانية هكذا : « هم أخربوا نفوسهم عيبهم ليس عيباً يكون على أبنائه هم الجيل الأعوج المتعسّف » .

وفي اليونانية والسامريّة هكذا : « اخربوهم ليسوا له هم أبناء الغلط والعيب »[٣] .

وفي تفسير هنري واسكات : « هذه العبارة أقرب إلى الأصل » انتهى .

---

(١) فينون (فونون): محلّة في البرّيّة نزلها بنو إسرائيل قبل وصولهم إلى مؤاب ، ويظن أنّها فينان الواقعة شرقي وادي العربة بحوالي ٩ كم (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٠٠ وص ٧٠٥) .

(٢) أي جملة « إلى هذا اليوم » تدلّ على إلحاقيّة ما قبلها على الأصل بعد مدة .

(٣) في النسخة السامرية التي ترجمها أبو الحسن إسحاق الصّوري كما يلي : « أفسدوا ليس له ذوي العيب يا جيلا متعسفاً ومتفتّلاً » .

وقال المفسر هارسلي في الصفحة ٢١٥ من المجلد الأول هكذا : « فلتقرأ هذه الآية على وفق السامرية واليونانية وهيوبى كينت وكني كات ، والمتن العبري محرف ههنا » انتهى .

وهذه الآية في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣١م ، وسنة ١٨٤٤م ، وسنة ١٨٤٨م هكذا : « اخطوا إليه وهو بريء من أبناء القبائح أيها الجيل الأعوج المتلوي »[1].

الإختلاف العشرون : الآية الثانية من الباب العشرين من سفر التكوين في العبرانية هكذا : « وقال عن سارة امرأته إنّها أختي ووجّه أبيملك مِلك جرارا[2] وأخذها » .

في تفسير هنري واسكات أنّ هذه الآية في اليونانية هكذا : « وقال عن سارة امرأته إنّها أُختي لأنّه كان خائفاً من أنْ يقول إنّها امرأته ظانّاً أنّ أهل البلدة يقتلونه بسببها فوجّه أبيملك سلطان فلسطين أُناساً وأخذها » انتهى .

فهذه العبارة : « لأنّه كان خائفاً من أنْ يقول إنّها امرأته ظانّاً أنّ أهل البلدة يقتلونه بسببها » لا توجد في العبرانية[3].

الإختلاف الحادي والعشرون : توجد في الباب الثلاثين من سفر التكوين بعد الآية السادسة والثلاثين هذه العبارة في السامرية : « وقال ملَك الربّ ليعقوب يا يعقوب فقال لبيك قال الملَك ارفع طرفك وانظر إلى التيوس والفحول التي تضرب النعاج والمعز فإنّهم بلقاء ومنمّرة ومنقّطة فقد رأيت ما فعل

---

(١) وفي طبعة سنة ١٨٦٥م كما يلي : « أفسد له الذين ليسوا أولاده عيبهم . جيل أعوج ملتو » .

(٢) أبيملك : اسم أحد ملوك فلسطين في عصر إبراهيم عليه السلام ، وبلدته جرارا : مدينة قديمة في جنوب فلسطين جنوب شرقي غزة بـ ١٣ كم ، وربما كانت هي المكان المعروف الآن بخربة أم جرار . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣ وص ١٦٣ وص ٢٥٤) .

(٣) وكذلك لا توجد في السامريّة ، فتبيّن أنّ هذه العبارة زيادة تفسيريّة اجتهاديّة .

بك لابان[1] أنا إله بيت إيل حيث مسحت قائمة الحجر ونذرت لي نذراً والآن قم فاخرج من هذه الأرض إلى أرض ميلادك »[2].

ولا توجد في العبرانية .

الإختلاف الثاني والعشرون : توجد بعد الجملة الأولى من الآية الثالثة من الباب الحادي عشر من سفر الخروج هذه العبارة في النسخة السامريّة[3]: « وقال موسى لفرعون : الربّ يقول : إسرائيل ابني بل بكري فقلت لك أطلق ابني ليعبدني وأنت أبيت أن تطلقه ها أنا ذا سأقتل ابنك بكرك »[4].

ولا توجد في العبرانية .

الإختلاف الثالث والعشرون : الآية السابعة من الباب الرابع والعشرين من سفر العدد في العبرانية هكذا : « يجري الماء من دلوه وذريته بماء كثير فيتعالى من أجاج ملكه وترفع مملكته »[5].

وفي اليونانية : « ويظهر منه انسان وهو يحكم على الأقوام الكثيرة وتكون

---

(١) لابان : هو لابان بن بتوئيل بن ناحور بن تارح ، فيكون إبراهيم عليه السلام أخاً لجده ناحور ، وهو أخو رفقة زوجة إسحاق ، وهو خال يعقوب عليه السلام ووالد زوجتيه ليّا وراحيل ، وكان لابان يسكن في حاران (حرّان) ببلاد مابين النهرين على نهر بليخ في تركيا ، شمال الحدود السورية بقليل . (قاموس الكتاب المقدس ص ٨٠٤) .

(٢) هذه العبارة الزائدة في السامريّة في الإصحاح الثلاثين من سفر التكوين توجد في جميع النسخ بما فيها السامريّة في الإصحاح الحادي والثلاثين من سفر التكوين فقرة ١١ ـ ١٣ ، ممّا يدلّ على أنّ هذا هو مكانها الطبيعي ، وأنّها زيدت في السامريّة في الإصحاح الثلاثين فيما بين الفقرتين ٣٦ و ٣٧ .

(٣) في النسخة السامريّة التي ترجمها أبو الحسن إسحاق الصوري العبارة الآتية في الفقرة السابعة لا في الثالثة .

(٤) الفقرة السابقة الموجودة في النسخة السامريّة في سفر الخروج ١١/٧ توجد في جميع النسخ بما فيها السامريّة في سفر الخروج ٤/٢٢ ـ ٢٣ ، ممّا يدلّ على زيادتها في السامريّة في الإصحاح ١١ .

(٥) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٤٤م ، وقريب منها مافي طبعة سنة ١٨٦٥م وما في السامريّة .

مملكته أعظم من مملكة أجاج وترتفع مملكته »[1].

الإختلاف الرابع والعشرون : توجد في الآية الحادية والعشرين من الباب التاسع من سفر الأحبار في العبرانية هذه الجملة : « كما أمر موسى »[2].

وتوجد بدلها في اليونانيّة والسامريّة هذه الجملة : « كما أمر الربُّ موسى »[3].

الإختلاف الخامس والعشرون : الآية العاشرة من الباب السادس والعشرين من سفر العدد في العبرانية هكذا : « ففتحت الأرض فاها وابتلعت قورح[4] في موت الجماعة مع المائتين والخمسين الذين أحرقتهم النار وكانت آية عظيمة »[5].

وفي السامرية هكذا : « وابتلعتهم الأرض ولما ماتت الجماعة وأحرقت النار قورح مع المائتين والخمسين فصار عبرة » .

وفي تفسير هنري واسكات : « إنّ هذه العبارة مناسبة للسياق وللآية السابعة عشرة من الزبور المائة والسادس »[6] انتهى .

---

(١) أيْ إنّ عبارة « ويظهر منه إنسان وهو يحكم على الأقوام الكثيرة » مزيدة في اليونانيّة ، ولا ذكر لها في العبرانيّة والسامريّة .

(٢) هكذا في طبعتيْ سنة ١٨٤٤م وسنة ١٨٦٥م .

(٣) أي بزيادة لفظ « الربّ » ، وفي السامرية كما يلي : « كما وصى الله موسى » .

(٤) في حاشية ق : قارون . اهـ . وهو قورح بن يصهار بن قهات بن لاوي ، اتحد معه جماعة من سبط رأوبين ، وثاروا على موسى وهارون واتهموهما بأنّهما مترئسان جورا فاستشهد موسى ربَّه ، فابتلعت الأرض قورح وخرجت نار أكلت جماعته ، وورد اسمه في القرآن الكريم بلفظ (قارون) ٤ مرّات ، ووردت قصته في سورة القصص آية ٧٦ ـ ٨٢ (البداية والنهاية ١/٣٣٦ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٦ ، والموسوعة الميسرة ص ١٣٦٠) .

(٥) هذا نصّ طبعة سنة ١٨٤٤م وقريب منه نص طبعة سنة ١٨٦٥م .

(٦) ففي المزمور ١٠٦/١٧ ـ ١٨ « ١٧ ـ فتحت الأرض وابتلعت داثان وطبقت على جماعة أبيرام (١٨) واشتعلت نار في جماعتهم اللهيب أحرق الأشرار » .

الإختلاف السادس والعشرون : استخرج محققهم المشهور ليكلرك اختلافات بين السامرية والعبرانية ، وقسمها إلى ستة أقسام :

القسم الأول : الإختلافات التي فيها السامريّة أصحّ من العبرانية ، وهي أحد عشر اختلافاً .

والقسم الثاني : الإختلافات التي تقتضي القرينة والسياق فيها صحّة ما في السامريّة ، وهي سبعة اختلافات .

والقسم الثالث : الإختلافات التي توجد فيها زيادة في السامريّة ، وهي ثلاثة عشر اختلافاً .

والقسم الرابع : الإختلافات التي فيها حُرّفت السامريّة ، والمحرِّف محقق فطين ، وهي سبعة عشر اختلافاً .

والقسم الخامس : الإختلافات التي فيها السامريّة ألطف مضموناً ، وهي عشرة اختلافات .

والقسم السادس : الإختلافات التي فيها السامريّة ناقصة ، وهما اختلافان .

وتفصيل الإختلافات المذكورة هكذا :

(القسم الأوّل : أحد عشر اختلافاً) .

في سفر التكوين (٩) :

١ ــ باب ٢ / ٤

٢ ــ باب ٧ / ٢

٣ ــ باب ١٩ / ١٩

٤ ــ باب ٢٠ / ٢

٥ ــ باب ٢٣ / ١٦

٦ ـ باب ١٤/٣٤

٧ و ٨ ـ باب ١٠/٤٩ - ١١

٩ ـ باب ٢٦/٥٠

وفي سفر الخروج (٢) :

١٠ ـ باب ٢/١

١١ ـ باب ٢/٤

(القسم الثاني : سبعة اختلافات) :

في سفر التكوين (٦) :

١ ـ باب ٤٩/٣١

٢ ـ باب ٢٦/٣٥

٣ ـ باب ١٧/٣٧

٤ و ٥ ـ باب ٣٤/٤١ و ٤٣

٦ ـ باب ٣/٤٧

في سفر التثنية (١) :

٧ ـ باب ٥/٣٢

(القسم الثالث : ثلاثة عشر اختلافاً) :

في سفر التكوين (٣) :

١ ـ باب ١٥/٢٩

٢ ـ باب ٣٦/٣٠

٣ ـ باب ١٦/٤١

في سفر الخروج (٧) :

٤ ــ باب ١٨/٧

٥ ــ باب ٢٣/٨

٦ ــ باب ٥/٩

٧ ــ باب ٢٠/٢١

٨ ــ باب ٥/٢٢

٩ ــ باب ١٠/٢٣

١٠ ــ باب ٩/٣٢

في سفر الأحبار (٢) :

١١ ــ باب ١٠/١

١٢ ــ باب ٤/١٧

في سفر التثنية (١) :

١٣ ــ باب ٢١/٥

(القسم الرابع : سبعة عشر اختلافاً) :

في سفر التكوين (١٣) :

١ ــ باب ٢/٢

٢ ــ باب ١٠/٤

٣ ــ باب ٥/٩

٤ ــ باب ١٩/١٠

٥ ــ باب ٢١/١١

٦ ــ باب ٣/١٨

٧ ــ باب ١٢/١٩

٨ ــ باب ١٦/٢٠

٩ و ١٠ ــ باب ٣٨/٢٤ و ٥٥

١١ ــ باب ٧/٣٥

١٢ ــ باب ٦/٣٦

١٣ ــ باب ٥٠/٤١

في سفر الخروج (٣) :

١٤ ــ باب ٥/١

١٥ ــ باب ٦/١٣

١٦ ــ باب ٥/١٥

في سفر العدد (١) :

١٧ ــ باب ٣٢/٢٢

(القسم الخامس : عشرة اختلافات) :

في سفر التكوين (٦) :

١ ــ باب ٨/٥

٢ ــ باب ٣١/١١

٣ ــ باب ٩/١٩

٤ ــ باب ٣٤/٢٧

٥ ــ باب ٤/٣٩

٦ ــ باب ٢٥/٤٣

في سفر الخروج (٢) :

٧ ــ باب ٤٠/١٢

٨ ــ باب ١٧/٤٠

في سفر العدد (١) :

٩ ــ باب ١٤/٤

في سفر التثنية (١) :

١٠ ــ باب ١٦/٢٠

(القسم السادس : اختلافان)[1] :

في سفر التكوين (٢) :

١ ــ باب ١٦/٢٠

٢ ــ باب ١٤/٢٥ .

قال محققهم المشهور هورن في المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢م : « إنّ المحقق المشهور ليكلرك قابل العبرانيّة بالسامريّة بالجدّ والتدقيق ، واستخرج هذه المواضع . وفي هذه المواضع للسامريّة بالنسبة إلى العبرانيّة نوعُ صحّة » انتهى .

ولا يظنَّ أحدٌ انحصار مواضع المخالفة بين العبرانية والسامرية في الستين على ماحقّق ليكلرك ؛ لأنّ الإختلاف الرابع والثامن والعاشر والخامس عشر والسابع عشر والثامن عشر والثاني والعشرين والرابع والعشرين والخامس والعشرين[2] ليست بداخلة في هذه الستين ، بل مقصود ليكلرك ضبط المواضع التي فيها مخالفة كثيرة بين النسختيْن عنده ، ولم يدخل في هذه الستين ممّا ذكرت إلاّ أربعة اختلافات . فإذا أخذنا جميع الإختلافات المذكورة في الشواهد الستة والعشرين بعد إسقاط المشترك صار اثنين وثمانين شاهداً من الاختلافات التي بيْن النُسَخ الثلاث للتوراة ، فأكتفي عليها ، ولا أذكر الإختلافات التي بيْن العبرانيّة واليونانيّة بالنسبة إلى الكتب الأخرى من العهد العتيق خوفاً من التطويل ، وهذا القدر يكفي للبّيب . وظهر أنّ قول الطاعن باعتبار النوع

---

(١) فيكون مجموع الإختلافات في الأقسام الستة كما يلي :
١١ + ٧ + ١٣ + ١٧ + ١٠ + ٢ = ٦٠ اختلافاً استخرجها المحقق ليكلرك .

(٢) من الإختلافات التي ذكرها المؤلف لا من التي استخرجها ليلكرك .

الثالث[1] أيضاً ساقط عن الإعتبار بمثل سقوطه باعتبار النوعين الأوّلين .

الشبهة الثالثة : (يوجد في القرآن :

(١) أنّ الهداية والضلال من جانب الله تعالى .

(٢) وأنّ الجنّة مشتملة على الأنهار والحور والقصور .

(٣) وأنّ الجهاد على الكفار مأمور به .

وهذه المضامين قبيحة تدلّ على أنّ القرآن ليس كلامَ الله) .

وهذه الشُّبـه أيضاً من أقوى شُبههم قلّما تخلو من رسائلهم تكون في ردّ أهل الإسلام ولا توجد فيها هذه الشُّبـه . ولهم في بيانها على قدر اختلاف أذهانهم تقريرات عجيبة يتحيّر الناظر من تعصّباتهم بعد ملاحظة هذه التقريرات .

أقول في الجواب عن الأمر الأول :

إنّه قد وقع في مواضع من كتبهم المقدسة أمثال هذا المضمون فيلزم عليهم أنْ يقولوا : إنّ كتبهم المقدسة ليست من جانب الله يقيناً . وأنا أنقل بعض الآيات عنها ليظهر الحال للناظر :

الآيـة الحادية والعشرون من الباب الرابع من سفر الخروج هكذا : « وقال له الربّ وهو راجع إلى مصر انظر جميع العجائب التي وضعتُها بيدك اعملها قدّام فرعون[2] فأنا أقسّي قلبه فلا يطلق الشعب » .

---

(١) وهو باعتبار أنّ بيان القرآن لبعض الحالات مخالف لبيان كتب العهدين ، فبيّن المؤلف أنّ كتب العهدين نفسها مختلفة في بيان بعض الحالات ، فلماذا يطعنون بهذا على القرآن ؟.

(٢) كلمة فرعون كانت في الأصل نعتاً للقصر الملكي في مصر ومعناها (البيت الأعظم) ، ثم أصبحت علماً على ملوك مصر ويلقب بها كل حاكم ، وقد اختلف في اسم فرعون الذي دعاه موسى للتوحيد ثم أغرقه الله فقيل : تحتمس الثالث ، وقيل : امنوفس الثاني ، وقيل : رعمسيس الثاني ، وقيل منفتاح . (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٤٠ و٦٧٦ ، والموسوعة الميسرة ص ١٢٩٠ و١٧٦٢) .

ثم قول الله في الآية الثالثة من الباب السابع من سفر الخروج هكذا : « إنّي أقسّي قلب فرعون وأكثّر آياتي وعجائبي في أرض مصر » .

وفي الباب العاشر من سفر الخروج هكذا : « ١ ــ وقال الربّ لموسى ادخل إلى عند فرعون لأنّي قسّيت قلبه وقلوب عبيده لكي أصنع به آياتي هذه (٢٠) وقسّى الربُّ قلب فرعون ولم يطْلق بني إسرائيل (٢٧) فقسّى الربّ قلب فرعون ولم يشأ أنْ يُرْسِلهم » .

وفي الآية العاشرة من الباب الحادي عشر من سفر الخروج هكذا : وقسّى الربّ قلب فرعون فلم يرسل بني إسرائيل من أرضه » .

فظهر من هذه الآيات أنّ الله كان قد قسّى قلوب فرعون وعبيده لتكثير معجزات موسى عليه السلام في أرض مصر .

والآية الرابعة من الباب التاسع والعشرين من كتاب التثنية هكذا : « ولم يعطكم الرب قلباً فهيماً ولا عيوناً تنظروا بها ولا آذاناً تسمعوا بها حتى اليوم » .

والآية العاشرة من الباب السادس من كتاب إشعياء هكذا : « أعمي قلب هذا الشعب وأثقل آذانه وأغمض عيونه لئلا يبصر بعينه ويسمع بأذنه ويفهم بقلبه ويتوب فأشفيه » .

والآية الثامنة من الباب الحادي عشر من الرسالة الرومية هكذا : « كما هو مكتوب أعطاهم الله روح سباتٍ[1] وعيوناً حتى لا يبصروا وآذاناً حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم » .

وفي الباب الثاني عشر من إنجيل يوحنا هكذا : « لم يقدروا أن يؤمنوا لأنّ

---

(١) في حاشية ق : أي الروح النائمة . اهـ .

إشعياء قال أيضاً قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم »[1].

فعُلِم من التوراة وكتاب إشعياء والإنجيل أنّ الله أعمى عيون بني إسرائيل وأغلظ قلوبهم وأثقل آذانهم لئلا يتوبوا فيشفيهم الله ، فلذلك لا يبصرون الحق ولا يتفكرون فيه ولا يسمعونه ، ولا يزيد معنى ختم الله على القلوب والسمع على هذا .

والآية السابعة عشرة من الباب الثالث والستين من كتاب إشعياء في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١م ، وسنة ١٨٣١ ، وسنة ١٨٤٤م هكذا : « لماذا أضللتنا يارب عن طرقك أقسيت قلوبنا أنْ لا نخشاك فالتفِتْ لسبب عبيدك سبط ميراثك » .

والآية التاسعة من الباب الرابع عشر من كتاب حزقيال في التراجم المسطورة هكذا : « والنبيّ إذا ضلّ وتكلّم بكلام فأنا الربّ أضللت ذلك النبي وأمدّ يدي عليه وأهلكه من بين شعبي إسرائيل » .

فوقع في كلام إشعياء صراحة : « أضللتنا يارب وأقسيت قلوبنا » ، وفي كلام حزقيال : « أنا الربّ أضللت ذلك النبي » .

وفي الباب الثاني والعشرين من سفر الملوك الأول هكذا : « ١٩ ــ ثم قال ميخا أيضاً من أجل هذا فاسمع قول الرب رأيت الربَّ جالساً على كرسيه وجميع أجناد السماء قياماً حوله عن يمينه وعن شماله (٢٠) فقال الرب من يخدع أخآب[2] ملِك إسرائيل فيصعد ليسقط براموث جلعاد[3] وقال بعضهم قولاً

---

(١) إنجيل يوحنا ١٢/٣٩ ـ ٤٠ .

(٢) أخآب : هو ثامن ملوك مملكة إسرائيل (الشمالية)، وهو ابن عمري وخليفته على العرش ، حكم من سنة ٨٧٥ ـ ٨٥٢ ق.م ، وتزوّج من ايزابل ابنة اثبعل ملِك صيدون ، وكانت وثنيّة تعبد الإله بعل ، فأثّرت على زوجها الذي انقاد لها في عبادة بعل (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٠ وص ٩١٧) .

(٣) في حاشية ق : اسم بلدة . اهـ . ومعناها مرتفعات جلعاد ، وهي مدينة شرقي الأردن=

وقال بعضهم قولاً آخر (٢١) ، فخرج روح وقام قدّام الرب وقال أنا أخدعه فقال له الرب بماذا (٢٢) فقال أنا أخرج فأكون روح ضلالة في أفواه جميع أنبيائه فقال له الرب تخدع وتقدر على ذلك أُخرج وافعل كذلك (٢٣) والآن قد جعل الربّ روح ضلالة في أفواه جميع أنبيائك[1] هؤلاء والربّ قال عليهم بالشرّ » .

وهذه الرواية صريحة في أنّ الله تعالى يجلس على كرسيه ، وينعقد عنده محفل المشاورة للإغواء والخدع ـ كما ينعقد محفل (بارلمنت)[2] في لندن لأجل بعض أمور السلطنة ـ فيحضر جميع أجناد السماء ، فبعد المشاورة يرسل روح الضلالة فيقع هذا الروح في الأفواه ، ويُضلّ الناس .

فانظر ـ أيها اللبيب ـ إذا كان الله وأجنادُ السماء يريدون إغواء الإنسان فكيف ينجو الإنسان الضعيف !؟

وههنا عجب آخر وهو أنّ الله شاور ، وأرسل روح الضلالة بعد المشاورة ليخدع أخآب ، فكيف أظهر ميخا الرسول سرّ محفل الشورى ونبه أخآب عليه !؟

وفي الباب الثاني من الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي هكذا : « ١١ ـ ولأجل هذا[3] سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدّقوا

= والأغلب أنّها في منطقة عجلون ومرتفعاتها في شمال غرب الأردن ، ويرجّح أنّها تل راميث الحالية (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٩٣) .

(١) ذكر المؤلف في متن الكتاب ضمن النص مايلي : « وكانوا نحو أربعمائة » فأخرجته إلى الهامش .

(٢) بارلمنت : (Parliament) كلمة إنجليزيّة معناها : مجلس نوّاب الأمّة ، ويقال له : البرلمان ، والبرلمان الإنجليزي جمعية تتألف من مجلسيْ اللوردات والعموم ، وقد ظهرت نواة البرلمان الإنجليزي في القرن ١٣م ، ويتكون الآن من ٦٢٥ عضواً . (المورد ص ٦٥٩ ، ودائرة وجدي ١٤٢/٢ ، والموسوعة الميسرة ص ٣٥١) .

(٣) ذكر المؤلف توضيحاً في متن الكتاب ضمن النصّ كما يلي : « أي لعدم قبولهم محبّة الحق » فأخرجته إلى الهامش .

الكذب (١٢) لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سُـرُّوا بالإثم »، فمقدّسهم ينادي أنّ الله يرسل إلى الهالكين عمل الضلال أولاً فيصدّقون الكذب فيدينهم .

وإذا فرغ المسيح عليه السلام من توبيخ المدن التي لم يتُب أهلها فقال : « أحمدك أيها الآب ربّ السماء والأرض لأنّك أخفيت هذه عن الحُكماء والفُهماء وأعلنتها للأطفال نعم أيها الآب لأنّ هكذا صارت المسرّة أمامك » ، كما هو مصرّح في الباب الحادي عشر من إنجيل متّى . فالمسيح عليه السلام يصرّح أنّ الله أخفى الحق عن الحُكماء ، وأظهره للأطفال ، ويحمد على هذا الأمر ويقول : وكان رضاء الله هكذا .

والآية السابعة من الباب الخامس والأربعين من كتاب إشعياء في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١م ، وسنة ١٨٣١م ، وسنة ١٨٤٤م هكذا : « المصوِّر النور والخالق الظّلمة الصانع السلام والخالق الشرّ أنا الربّ الصانع هذه جميعها » .

وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٨م هكذا : « سازنده نور وافريننده تاريكي منم صلح دهنده وظاهر كننده شر منكه خداوندم اين همه اشيارا بوجودمي آرم » .

وفي الآية الثامنة والثلاثين من الباب الثالث من مراثي إرميا هكذا : « أَمِنْ فم الربّ لا يخرج الشر والخير »(١).

وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٨م : « أيا خير وشر ازدهان خدا صادري نمي شود » ، والاستفهام إنكاري ، والمراد أنّ الخير والشرّ كلاهما يصدران عن الله تعالى .

---

(١) في طبعة سنة ١٨٤٤م : « أَمِنْ فم العالي لا يخرج لا شرور ولا خيرات » .

وفي الآية الثانية عشرة من الباب الأول من كتاب ميخا في التراجم المذكورة هكذا : « فإنّ الشرّ نزل من قِبَل الربّ إلى باب أورشليم » .

وفي الترجمة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٣٨م : « اما هر بدى بردر وازه أورشليم ازخدا وند نازل شد » . فظهر أنّ خالق الشرّ هو الله تعالى كما هو خالق الخير .

وفي الباب الثامن من الرسالة الروميّة هكذا : « ٢٩ ـ لأنّ الذين عرفهم بسبق علْمٍ قصدهم أن يكونوا شركاء لشبه ابنه ليكون هو بكراً لإخوة كثيرين (٣٠) والذين سبق فعيّنهم فهؤلاء دعاهم أيضاً » الخ .

وفي الباب التاسع من الرسالة المذكورة : « ١١ ـ وهما لم يولدا[١] بعد ولا فعلاً خيراً أو شرّاً لكي يثبت قصد الله حسب الإختيار ليس من الأعمال بل من الذي يدعو (١٢) قيل لها إنّ الكبير يُستعبَد للصغير (١٣) كما هو مكتوب أحببتُ يعقوب وأبغضتُ عيسو[٢] (١٤) فماذا نقول ألعلّ عند الله ظلماً حاشا (١٥) لأنّه يقول لموسى إني أرحم مَن أرحم وأتراءف على مَن أتراءف (١٦) فإذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذي يرحم (١٧) لأنّه يقول الكتاب لفرعون إنّي لهذا بعينه أقمتك لكي أُظهر فيك قوّتي ولكي ينادى

(١) في حاشية ق : أي يعقوب وعيسو . اهـ .

(٢) يعقوب وعيسو: هما توأمان لإسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، وأكبرهما عيسو ، وسمّي نسله بالأدوميين ، وأصغرهما يعقوب النبي ، والخلاف بينه وبين أخيه عيسو ذهب يعقوب إلى خاله لابان في حرّان في بلاد مابين النهرين في (فدان أرام) سوريا ، وخدمه ١٤ سنة وتزوج ابنتيه ليّا وراحيل وجاريتيه زلفا وبلها ، وعاد إلى فلسطين ثم إلى مصر عند ابنه يوسف . ونسله هم الإسرائيليون (اليهود) ، ورد اسمه في القرآن الكريم بلفظ يعقوب ١٦ مرة وورد اسمه فيه بلفظ إسرائيل مرتين ، ونُسب إليه بنو إسرائيل في القرآن في ٤١ موضعاً ، مات في مصر وعمره ١٤٧ سنة ، ونقلت جثته إلى فلسطين ودفن في مغارة المكفيلة في الخليل (حبرون) عند أبيه وجدّه (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧٣ ، والموسوعة الميسرة ص ١٩٨٣ ، وقصص الأنبياء للنجار ص ١١٩ ، ودائرة وجدي ١٠/٩٤٤) .

باسمي في كلّ الأرض (١٨) فإذاً هو يرحم مَن يشاء ويقسّي مَن يشاء (١٩) فستقول لي لماذا يلوم بعد لأنّ من يقاوم مشيئته (٢٠) بل مَن أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله ألعلّ الـجُبْلة تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا (٢١) أم ليس للخزّاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان » .

فهذه العبارة من مقدسهم[1] كافية لإثبات القَدَر ، وكون الهداية والضلال من جانبه .

ولنعم ما قال إشعياء عليه السلام في الآية التاسعة من الباب الخامس والأربعين من كتابه : « الويل لمن يخالف جابله[2] الخزف من فخرانيّ الأرض هل يقول الطّين لجابله ماذا تصنع وعملك هو بلا اليدين » .

وبالنظر إلى هذه الآيات لعلّ مقتدى فرقة البروتستانت (لوثر) مال إلى الجبر كما يدلّ عليه ظاهر كلامه .

ذكر في الصفحة ٢٧٧ من المجلد التاسع من كاثوليك هرلد أقوال المقتدى الممدوح[3]، فأنقل عنها قولين :

(١) « طبع الإنسان كالفرس ، إنْ ركبه الله يمشِ كما يريد الله ، وإنْ ركبه الشيطان يمشِ كما يمشي الشيطان . وهو لا يختار راكباً من نفسه ، بل يجتهد الركبان أنّ أيّا منهم يحصّله ويتسلّط عليه » .

(٢) « إذا وجد أمر في الكتب المقدّسة بأنْ افعلوا هذا الأمر فافهموا أنّ هذه الكتب تأمر عدم فعل هذا الأمر الحسن لأنّك لا تقدر على فعله » . انتهى .

فالظاهر من كلامه أنّه يعتقد الجبر .

---

(١) أي بولس .
(٢) في حاشية ق : أي الذي يصنع الفخار . اهـ .
(٣) في حاشية ق : لوثر . اهـ .

وقال القسيس طامس انكلس الكاثوليكي في الصفحة ٣٣ من كتابه المسمى بـ (مرآة الصدق) المطبوع سنة ١٨٥١م طاعناً على فرقة البروتستانت هكذا :

« وعّاظهم القدماء علموهم هذه الأقوال المكروهة :

الأول : أنّ الله موجد العصيان .

الثاني : وأنّ الإنسان ليس بمختار على أنْ يجتنب عن الإثم .

الثالث : وأنّ العمل على الأحكام العشرة غير ممكن .

الرابع : وأنّ الكبائر ـ وإنْ كانت عظيمة ـ لا تُوصل الإنسان إلى النقص في نظر الله .

الخامس : وأنّ الإيمان فقط ينجي الإنسان ، لأنّنا ندان بالإيمان فقط . وهذا التعليم أنفع ، وتعليم مملوء بالطمأنينة .

السادس : وأنّ أب إصلاح الدين ـ يعني : لوثر ـ قال : آمنوا فقط ، واعلموا يقيناً أنه يحصل لكم النجاة بلا مشقّة الصوم ، وبلا مؤونة التقوى ، وبلا مشقّة الإعتراف ، وبلا مشقّة الأمور الحسنة ، ولكم نجاة يقينيّة بلا شبهة كما للمسيح نفسه . أذنبوا وبالجرأة التامة أُذنبوا وآمنوا فقط ، وينجيكم الإيمان وإنْ ابتليتم في يوم واحد ألف مرة بالزنا أو القتل . آمنوا فقط وأنا أقول لكم إنّ إيمانكم ينجيكم »[1] انتهى .

---

(١) ذكر في حاشية المخطوطة مراجع الأقوال الستة السابقة وهي بالترتيب كما يلي :
١ ـ أنست ايل باب ٣ .
٢ ـ كتاب الصلاة العامّة .
٣ ـ لوطر اب باسم .
٤ ـ كولون تعليم .
٥ ـ انست ايل .
٦ ـ دي ليبرالي . اهـ .

فظهر أنّ ما قال علماء البروتستانت في الأمر الأول في حق القرآن مردود بلا شبهة ، مخالف لكتبهم المقدسة ولقول مقتداهم[1]. ولا يلزم من خلق الشرّ أنْ يكون شرّيراً ، كما لا يلزم من خلق السواد والبياض وغيرهما من الأعراض أن يكون أسود أو أبيض . والحكمة في خلْق الشرّ كما هي في خلْق الشيطان الذي هو أصل الشرور ورأس المفاسد مع عِلْم الله الأزلي بأنّ الشيطان يصدر عنه كذا وكذا ، وكما هي في خلق الشهوة والحرص في طبع الإنسان مع علْمه الأزليّ بما يترتب عليهما في كل فرد فرد من أفراد الإنسان ، وكما كان الله قادراً على أنْ لا يخلق الشيطان ، أو يخلقه ولا يعطيه القدرة على الإغواء ، ويمنعه عن الشرور ؛ ومع ذلك خلقه ولم يمنعه عن الشرّ لحكمة مّا ، فكذلك قادر على أن لا يخلق الشرّ لكنه في خلقه حكمة مّا .

وأما الجواب عن الأمر الثاني : فهو أنّه لا قُبح في كوْن الجنة مشتملة على الحور والقصور وسائر النعيم عند العقل ، ولا يقول أهل الإسلام إنّ لَذَّات الجنة مقصورة على اللذّات الجسمانية فقط كما يقول علماء البروتستانت غلطاً أو تغليطاً للعوامّ ، بل يعتقدون بنصّ القرآن أنّ الجنة تشتمل على اللذّات الروحانية والجسمانية ، والأولى أفضل من الثانية ، ويحصل كلا النوعين للمؤمنين :

قال الله تعالى في سورة التوبة : ﴿ **وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنّات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم**﴾[2].

فقوله : ﴿ **ورضوان من الله . . . .** ﴾ الآية ـ معناه أنّ رضواناً من الله أكبر

(١) أي طعنهم على القرآن الكريم ما ثبت فيه أنّ الهداية والضلال من جانب الله تعالى مردود عليهم ؛ لأنّه ثبت في كتبهم ما عابوه على القرآن الكريم .

(٢) سورة التوبة آية ٧٢ .

منزلة من كلّ ما سلف ذكره من الجنّات والأنهار والمساكن الطيبة ، وهذا القول يدلّ على أنّ أفضل ما يعطي الله في الجنة هي اللذات الروحانية ـ وإنْ كان يعطي اللذات الجسمانية أيضاً ـ ولذلك قال : ﴿ **ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ ؛ لأنّ الإنسان مخلوق من جوهريْن : لطيف علوي ، وكثيف سفلي جسماني ، وانضمّ إليهما حصول سعادة وشقاوة ، فإذا حصلت الخيرات الجسمانيّة ، وانضمّ إليها حصول السعادات الروحانيّة كانت الروح فائزة بالسعادات اللائقة بها ، والجسد واصلاً إلى السعادات اللائقة به ، ولا شك أنّ ذلك هو الفوز العظيم .

وإنْ قال علماء البروتستانت : إنّ اجتماعهما أيضاً في الجنة قبيح في عقولنا : أقول لهم : لا تضطربوا ، فإنّه لا يحصل لكم إن شاء الله .

وقد عرفت في الباب الأول أنّ الإنجيل عندنا عبارة عمّا أُنزل على عيسى عليه السلام فقط ، فلو وُجد في قول من الأقوال المسيحيّة ما يخالف ظاهرُه حكم القرآن ـ فمع قطع النظر عن أنّه مروي برواية الآحاد ، وعن أنّ مخالفة كتبهم المقدسة لا تضرّ القرآن كما عرفت في جواب الشبهة الثانية ـ أقول : إنّ ذلك القول يكون مؤوّلاً ألبتّة ، وكوْن أهل الجنة كالملائكة في زعمهم لا ينافي الأكل والشرب على حُكْم كتبهم ، ألا يرون أنّ الملائكة الثلاثة الذين ظهروا لإبراهيم ، وأحضر لهم إبراهيم عليه السلام عجلاً حنيذاً وسمناً ولَبَناً أكلوا هذه الأشياء كما صُرّح به في الباب الثامن عشر من سفر التكوين[1]، وأنّ

---

(١) سفر التكوين ١٨/٦ ـ ٨ ، وقد قال الشيخ زيادة ـ الذي كان نصرانياً ثم أسلم ـ في كتابه الأجوبة الجليّة لدحض الدعوات النصرانية : « وكان يقتضي للنصارى أن يتعجّبوا من كتابهم حيث دلّ على أنّ الملائكة الثلاثة الذين ضافوا عند سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام أكلوا عنده ، ويفسّرونهم بأنهم أقانيم الله ، تعالى سبحانه عن ذلك علوّاً كبيراً ، وذلك محل التعجّب لامتناع أكل الملائكة.كما دلّ عليه القرآن العظيم في هذه القصّة بخلاف أكل البشر في الجنة لأنّهم بحسب طبيعتهم يأكلون » انظر مختصر الأجوبة الجليّة للطيبي المطبوع على هامش إظهار الحق ج ٢ ص ١٨٣ طبعة سنة ١٣٠٩هـ .

المَلَكين اللذيْن جاءا إلى لوط عليه السلام ، وصنع لهما وليمة وخبزاً فطيراً أكلا كما صُرِّح به في الباب التاسع عشر من سفر التكوين[1].

والعجب أنّهم لما اعترفوا بالحشر الجسماني ، فأيّ استبعاد في اللذات الجسمانيّة ؟! نعم ، لو كانوا منكرين للحشر مطلقاً كمشركي العرب[2]، أو كانوا منكرين للحشر الجسماني ومعترفين بالحشر الروحاني كأتباع أرسطو[3]، فكان لاستبعادهم وجه بحسب الظاهر ، وعندهم تجسّد الله[4] وما انفك عنه الأكل والشرب وسائر اللوازم الجسدانية باعتبار أنّه إنسان ، ولمّا لم يكُنْ عيسى عليه السلام مرتاضاً مثل يحيى في الاجتناب عن الأطعمة النفيسة وشرب الخمر كان المنكرون يطعنون عليه بأنّه أكول وشرّيب كما هو مصرّح به في الباب الحادي عشر من إنجيل متّى[5].

---

(١) سفر التكوين ١٩/٣ .

(٢) العرب كانوا ينكرون الحشر مطلقاً ، أي الجمساني والروحاني ، وقد حكى ذلك عنهم القرآن الكريم في مواضع كثيرة . انظر السور التالية : الأنعام ٢٩ ، هود ٧ ، الإسراء ٤٩ و٩٨ ، والمؤمنون ٣٧ ، و٨٢ ، ويس ٧٨ ، والصّافات ١٦ ، والجاثية ٢٤ ، والواقعة ٤٧ ، والتغابن ٧ .

(٣) أرسطو : (أرسطو طاليس): فيلسوف يوناني ، ولد في مقدونيا عام ٣٨٤ وتوفي عام ٣٢٢ق. م ، تتلمذ على أفلاطون في أثينا حوالي عشرين سنة ، ثم اعتزله وانصرف للتأليف والتعليم ، ومن تلاميذه الإسكندر الأكبر المقدوني ، وسُمّي تلاميذه بالرواقيّين أو المشّائين لأنّه كان يحاضرهم ماشياً ، وفي عهد المأمون العباسي نُقلت مؤلفاته إلى العربية على يد جماعة من المترجمين والشرّاح ، وأطلقوا عليه لقب المعلم الأول ، وقسّموا مؤلفاته إلى أربعة أقسام (المنطقيّات ، والطبيعيّات ، والإلهيات ، والخُلقيات) . ويرى أرسطو أنّ سعادة الروح في الآخرة ، وأنّ النفوس التي استكملت قوّتيْ العلم والعمل تشبّهت بالإله ووصلت إلى كمالها ، فإذا فارقت الروح البدن اتصلت بالروحانيّين وبقيت في لذّة عقليّة ونفسيّة مستمرة بينما اللذات الجسميّة تنتهي عند حدّ معين . (القاموس الإسلامي ١/٦٦ ، والموسوعة الميسرة ص ١١٧ وص ١٧٠٤ ، ودائرة وجدي ١/١٦٤ ، ومعجم أعلام المورد ص ٨).

(٤) أي في عيسى عليه السلام .

(٥) ففي إنجيل متّى ١١/١٨ ـ ١٩ نصّ طبعة سنة ١٨٢٥م و١٨٢٦م: « ١٨ ـ لأنّ يحيى قد جاء وهو لا يأكل ولا يشرب فقيل إن به جِنّة ١٩ ـ وجاء ابن الإنسان وهو يأكل ويشرب فقيل إنّ هذا الرجل أكول سكير محبّ للعشّارين والمذنبين » .

وعندنا هذا الطعن مردود ، لكنّا نقول : إنّه لا شك أنّ عيسى عليه السلام باعتبار الجسميّة كان إنساناً فقط ، فكما أنّ الأطعمة النفيسة وشرب الخمر ما كانا مانعين في حقه عليه السلام عن اللذّات الروحانيّة مع كونه في هذه الدار الدنيا ، بل كان على حضرته غَلَبَةُ الأحكام الروحانية ، فكذلك اللذّات الجسمانيّة لا تكون مانعة عن اللذّات الروحانيّة لأهل الجنّة مع كونهم في النّشأة الأخرى .

وأما الجواب عن الأمر الثالث[1]: **فيجيىء في الباب السادس ـ إنْ شاء الله ـ؛ لأنّ الجهاد في مطاعن النبي ﷺ عندهم من أعظم المطاعن**[2]**، فأذكره في المطاعن هناك .**

الشبهة الرابعة : (أنّ القرآن لا يوجد فيه ما تقتضيه الروح وتتمنّاه) .

والجواب : أنّ ما تقتضيه وتتمنّاه أمران : الاعتقادات الكاملة ، والأعمال الصالحة .

والقرآن مشتمل على بيان كِلا النوعين على أكمل وجه كما عرفت في جواب الشبهة الأولى . ولا يلزم من عدم بعض الأمور التي هي مقتضى الروح على زعم علماء البروتستانت نقصان القرآن ، كما لا يلزم نقصان التوراة والإنجيل والقرآن من عدم بعض الأمور التي هي مقتضى الروح على زعم علماء مشركي الهند من البراهمة، كما سمعت منهم أنّهم يقولون : إنّ ذبح الحيوان لأجل الأكل والتلذّذ خلاف مقتضى الروح وغير مستحسن عند العقل جداً ، ولا يُتصوّر أن تحصل له الإجازة فيه من جانب الله ، فالكتاب المشتمل عليه لا يكون من جانب الله .

الشبهة الخامسة : (يوجد في القرآن الاختلافات المعنوية ، مثلاً قوله :

(١) أي المطعن المتعلق بالأمر بالجهاد وقتال الكفار .
(٢) لهم عدة مطاعن على النبي ﷺ من أعظمها طعنهم في الجهاد .

﴿ لا إكراه في الدين ﴾[1]. وقوله في سورة الغاشية : **﴿ فذكّر إنّما أنت مذكّر • لستَ عليهم بمصيطر ﴾**[2]. وقوله في سورة النور : **﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولّوا فإنما عليه ما حُمّل وعليكم ما حُمّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين ﴾**[3]، وهذه الآيات تخالف الآيات التي فيها أمر الجهاد .

ووقع في أكثر الآيات أنّ المسيح إنسان ورسول فقط ، ووقع في موضعين بضدّها أنّه ليس من جنس البشر ، بل منزلته أعلى منه :

الأول : قوله في سورة النساء : **﴿إنّما المسيحُ عيسى ابنُ مريم رسول الله وكلمتُه ألقاها إلى مريم وروحٌ منه﴾**[4].

والثاني : قوله في سورة التحريم : **﴿ومريمَ ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾** [5].

وهذان الاختلافان من أعظم الاختلافات في زعم القسّيسين ؛ ولذا اكتفى عليهما صاحب ميزان الحق في الفصل الثالث من الباب الثالث منه .

وأقول في الجواب عن الإختلاف الأول : إنّ هذا ليس باختلاف ، بل هذا الحكم كان قبْل الجهاد ، فلمّا نزل حكم الجهاد نَسَخ هذا الحكم ، والنّسْخ ليس باختلاف معنوي وإلاّ يلزم أن يكون بين الإنجيل والتوراة في جميع الأحكام المنسوخة اختلاف معنويّ ، وكذا في نفس أحكام التوراة ، وكذا في نفس أحكام الإنجيل ، كما عرفت في الباب الثالث بما لا مزيد عليه ، على أنّ

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦ .
(٢) سورة الغاشية آية ٢١ ـ ٢٢ .
(٣) سورة النور آية ٥٤ .
(٤) سورة النساء آية ١٧١ .
(٥) سورة التحريم آية ١٢ .

قوله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ ليس بمنسوخ[1] .

وقد عرفت الجواب عن الإختلاف الثاني في الأمر السابع من مقدّمة الكتاب[2]، وظهر لك هناك أنّ القولين المذكورين لا يدلّان على أنّ عيسى بن مريم ليس من جنس البشر ، وفَهْم هذا المعنى وهْمٌ صرف وظنّ فاسد . والعجب من هؤلاء العقلاء أنّهم لا يرون الإختلافات والأغلاط التي وقعت في كتبهم كما علمت بعضاً منها في الفصل الثالث من الباب الأول ! .

---

(١) قال البيضاوي في تفسيره الآية ٢٥٦ من سورة البقرة ص ٥٨ : « وقيل إخبار بمعنى النهي أي لا تُكرهوا في الدين ، وهو إمّا عامّ منسوخ بقوله: ﴿ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ أو خاصّ بأهل الكتاب » .

وقال في تفسيره آخر سورة الغاشية ص ٧٩٧ : « فإنّ جهاد الكفار وقتْلهم تسلّط وكأنّه أوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة » .

والخلاصة أنّ آية ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ إنْ كانت منسوخة كما هو قول ابن مسعود فلا تناقض بينها وبين آيات الأمر بالجهاد ، وإنْ كانت غير منسوخة وأنّها خاصّة بأهل الكتاب دون الوثنيّين كما هو اختيار قتادة والشعبي والحسن والضحاك فلا مناقضة كذلك ؛ لأنّ القتال يكون للوثنيّين دون أهل الكتاب الذين يدفعون الجزية ، وأمّا آية سورة النور فلا علاقة لها بالجهاد ، وهي أمرٌ بطاعة الله ورسوله .

وأمّا آية سورة الغاشية فقد ذكر القرطبي أنّه إنْ جُعِل الاستثناء منقطعاً فمعناها : لست بمسلّط عليهم فتقتلهم ثم نسختها آية السيف ، ولا مناقضة في ذلك ؛ لأنّ الله لم يسلّطه عليهم بالقتال في مكّة وسلّطه عليهم بعد هجرته منها ، وإنْ جُعل الاستثناء متصلاً فمعناها : لست بمسلّط إلّا على من تولّى وكفر فأنت مسلّط عليه بالجهاد ، وعلى هذا التقدير فلا نَسْخ فيها (انظر تفسير القرطبي م ١ ج ٣ ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ ، وم ٦ ج ١٢ ص ٢٩٦ ، وم ١٠ ج ٢٠ ص ٣٧ ، وتفسير ابن كثير ١/٣١٠ ، و٣/٢٩٩ ، و٤/٥٠٤ ، ولسان الصدق ص ٣٠٧ ـ ٣١٠) .

(٢) ذكر المؤلف في الأمر السابع من المقدّمة في العادة الثالثة لفندر مؤلّف ميزان الحق أنّه يترجم الآيات القرآنيّة ويفسّرها على رأيه ليعترض عليها بعد ذلك ، ويزعم أنّ التفسير الصحيح والترجمة الصحيحة ما قاله هو لا ما صدر عن علماء الإسلام ومفسّري القرآن ، ويضرب المؤلف على هذه العادة ثلاثة شواهد ، الشاهد الثالث منها كان في تأويلات فندر الفاسدة لآيتيْ سورة النساء ١٧١ ، وسورة التحريم ١٢ ، وقد ردّ عليه المؤلف هناك ردّاً علمياً مفصّلاً .

الفصل الثالث

(في إثبات صحة الأحاديث النبويّة المرويّة في الكتب الصِّحاح من كتب أهل السُّنة والجماعة)

وهذا الفصل مشتمل على ثلاث فوائد :

الفائدة الأولى : جمهور أهل الكتاب من اليهود والمسيحيّين كانوا يعتبرون سلفاً وخلفاً الروايات اللسانية كالمكتوب ، بل جمهور اليهود يعتبرونها اعتباراً أزيد من المكتوب ، وفرقة الكاثوليك تعتبرها مساوية له ، وتعتقد أنّ كليْهما واجبا التسليم وأصلان للإيمان . وجمهور البروتستانت من المسيحيّين أنكروها كما أنكرها الصادوقيّون من فرقة اليهود . وهؤلاء المنكرون من البروتستانت كانوا مضطرّين في إنكارها ؛ لأنّهم لو لم ينكروها لما أمكن لهم بيان أصول ملّتهم وعقائدهم الجديدة ، لكنّهم مع ذلك يحتاجون إليها في مواضع كثيرة ، ويوجد سند اعتبارها من كتبهم المقدسة كما سيظهر لك جميع هذه الأمور إنْ شاء الله تعالى .

قال آدم كلارك في شرح ديباجة كتاب عزرا في المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة ١٨٥١م : « قانون اليهود كان مُنْقسماً على نوعين : مكتوب ويقولون له : التوراة ، وغير مكتوب ويقولون له : الروايات اللسانية التي وصلت إليهم بواسطة المشايخ[1]، ويدّعون أنّ الله كان أعطى موسى كِلا

---

(١) لقب شيخ في العهد القديم يشير إلى أصحاب المراكز السّامية الذين لهم سلطة على الآخرين ، وكان لهم حق ممارسة قطع العهد وممارسة بعض الأعمال الدينيّة ، وكان اختيارهم مؤسَّساً على تقدّم السن أو باعتبار وظيفة مّا ، وهم يكوّنون مجلساً للشورى عُرف في اليهود المتأخرين بالسنهدريم أي المجمع ، ويتألف من سبعين عضواً ، وإلى هذا المجمع تنسب التوراة السبعينية التي وضعها سبعون عالماً من أحبار اليهود . وفي أيام المسيح عليه السلام كان رئيس =

النوعين على جبل الطُّور ، فوصل إلينا أحدهما بواسطة الكتابة ، وثانيهما بواسطة المشايخ بأن نقلوها جيلاً بعد جيل ؛ ولهذا يعتقدون أنّ كليْهما متساويان في المرتبة ، ومن جانب الله ، وواجبا التسليم ، بل يرجّحون الثاني ، ويقولون : إنّ القانون المكتوب ناقص ومغلَق في كثير من المواضع ، ولا يمكن أن يكون أصل الإيمان على الوجه الكامل بدون اعتبار الرواية اللسانيّة . وهذه الرواية واضحة وأكمل ، وتشرح القانون المكتوب وتكمّله ؛ ولهذا يردّون معاني القانون المكتوب إذا كانت مخالفة للروايات اللسانية .

واشتهر فيما بينهم أنّ العهد المأخوذ من بني إسرائيل ما كان لأجل القانون المكتوب ، بل كان لأجل هذه الروايات اللسانية ، فكأنّهم بهذه الحيلة نبذوا القانون المكتوب ، وجعلوا الروايات اللسانية مبنى دينهم وإيمانهم ، كما أنّ الرومانيّين الكاثوليكيّين في ملّتهم اختاروا هذه الطريقة ، ويفسّرون كلام الله على حسب هذه الروايات ـ وإنْ كان هذا المعنى الرّوائي مخالفاً لمواضع كثيرة ووصلت حالتهم في زمان ربّنا إلى مرتبة ألزمهم الربّ في هذا الأمر بأنّهم يُبْطلون كلام الله لأجل سُنّتهم ، ومن عهد الربّ أفرطوا فيه جدّاً حتى عظّموا هذه الروايات أزيد من المكتوب .

وفي كتبهم أنّ ألفاظ المشايخ أحبّ من ألفاظ التوراة ، وألفاظ التوراة بعضها جيدة وبعضها غير جيدة ، وألفاظ المشايخ كلها جيدة ، وألفاظهم أجود جدّاً من ألفاظ الأنبياء ، ومرادهم بألفاظ المشايخ هذه الروايات اللسانية التي وصلت إليهم بواسطة المشايخ .

= المجمع هو رئيس الكهنة ، وكان مع موسى عليه السلام سبعون شيخاً لإعانته في القضاء والحكم وهم الذين ورد ذكرهم في قوله تعالى في سورة الأعراف آية ١٥٥ ﴿ **واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا** ﴾ ، وهم الذين طلبوا رؤية الله جهرة كما في سورة البقرة آية ٥٥ ﴿ **وإذْ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة** ﴾ . (انظر تفسير البيضاوي ص ١١ وص ٢٢٤ ومقدّمة ابن خلدون ص ٤٠٩ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٩٤ وص ٥٣١ ، والموسوعة الميسرة ص ٩٥٩) .

وأيضاً في كتبهم أنّ القانون المكتوب كالماء ، والمشنا والتلمود اللذيْن رواياتهم مضبوطة فيهما مثل الخمر ذات الأبازير ، وأيضاً في كتبهم أنّ القانون المكتوب كالملح ، والمشنا والتلمود مثل الفلفل والأبازير العذبة ، ومثلها أقوال أُخَر يُعلم منها أنّهم يعظّمون الروايات اللسانيّة أزيد من القانون المكتوب ، ويَفهمون كلام الله على ما يُفهم شرحه من هذه الروايات ، فكأنّ القانون المكتوب عندهم بمنزلة الجسد الميت ، والروايات اللسانيّة بمنزلة الروح التي بها الحياة

ويقولون في كوْن هذه الروايات أصلاً : إنّ الله لـمّا أعطى موسى التوراة فأعطاه معاني التوراة أيضاً ، وأمر أن يَكتب الأول ، ويَحفظ الثاني ، ويبلّغه بالرواية اللسانية فقط ، وهكذا تُنقل جيلاً بعد جيل ؛ ولذلك يطْلقون على الأول لفظ القانون المكتوب ، وعلى الثاني لفظ القانون اللساني ، والفتاوى التي تكون مطابقة لهذه الروايات يسمّونها قوانين موسى التي حصلت على جبل سيناء ، ويُذعنون أنّ موسى كما حصلت له التوراة في الأربعين يوماً التي كانت المكالمة بينه وبين الله على جبل سيناء فيها ، فكذلك حصلت له هذه الروايات اللسانية أيضاً ، وجاء بها موسى من الجبل ، وبلّغهما إلى بني إسرائيل بأن طلب هارونَ في الخيمة بعدما رجع من الجبل ، فعلّمه القانون المكتوب أولاً ، ثم الروايات اللسانية التي هي معاني القانون المكتوب كما وجدهما من الله . وقام هارون بعدما تعلّم ، وجلس على يمين موسى ، ودخل أليعازار وايتامار ابنا هارون ، وتعلّما كما تعلّم أبوهما ، وقاما فجلس أحدهما على يسار موسى والآخر على يمين هارون ، فدخل المشايخ السبعون ، وتعلّموا القانونيْن ، وجلسوا في الخيمة ، ثم تعلّم الناس الذين كانوا مشتاقين للتعلّم ، ثم قام موسى ، وقرأ هارونُ ما تعلّم وقام ، ثم قرأ أليعازار وايتامار وقاما، ثم قرأ المشايخ السبعون ما تعلّموا على الناس ، فسمع كلٌّ من هؤلاء الناس هذا القانون أربع مرات ، وحفظوه حفظاً جيداً ، ثم أُخبر هؤلاء بعدما خرجوا سائر بني إسرائيل ، فبلّغوا

القانون المكتوب بواسطة الكتابة ، وبلّغوا معانيها بالرواية إلى الجيل الثاني . وكانت الأحكام في المتن المكتوب ستمائة وثلاثة عشر ، فقسّموا القانون بحسبها .

ويقولون : إنّ موسى جمع بني إسرائيل كلهم في أول الشهر الحادي عشر من السنة الأربعين من خروج مصر ، وأخبرهم بموته ، وأمر بأنّ أحداً إنْ نسي قولاً من القانون الإلهي الذي وصل بواسطتي إليه يجيء إليّ ويسألني ، وكذلك إنْ كان لأحدٍ اعتراض على قول من أقوال القانون يجيء إليّ لأرفع ذلك الاعتراض ، وكان مشتغلاً بالتعليم إلى حياته الباقية ـ يعني : من أول الشهر الحادي عشر إلى السادس من الشهر الثاني عشر ـ وعلّم القانون المكتوب وغير المكتوب وأعطى بني إسرائيل من القانون المكتوب ثلاث عشرة نُسخة مكتوبة بيده ، بأن أعطى كل فرقة فرقة نسخة نسخة لتبقى محفوظة فيما بينهم جيلاً بعد جيل ، وأعطى بني لاوي نسخة أخرى أيضاً لتبقى محفوظة في الهيكل ، وقرأ القانون غير المكتوب ـ أعني : الروايات اللسانية ـ على يوشع ، وصعد على جبل نبو[1] في اليوم السابع من الشهر ، ومات هناك .

وفوّض يوشع بعد موت موسى هذه الروايات إلى المشايخ ، وهم فوّضوا إلى الأنبياء . فكان كل نبيٍّ يوصلها إلى نبي آخر إلى أن أوصل إرميا إلى باروخ ، وباروخ إلى عزرا ، وعزرا إلى مجمع العلماء الذين كان شمعون صادق[2] آخرهم ، وهو أوصل إلى أينيتي كونوس ، وهو إلى يوئي بن يخنان ، وهو إلى يوسي بن يوسير ، وهو إلى نهتان الاربلي ويوشع بن برخيا ، وهما إلى يهوذا بن

---

(١) جبل نبو (نابو): شمال غربي مأدبا بحوالي ٨ كم ، وهو يقابل مدينة أريحا من الجنوب الشرقي ، وهو أحد جبال سلسلة جبال عباريم في مؤاب والممتدة من الكفرين شمالاً إلى ماعيين جنوباً ، وعليه وقف موسى قُبيل وفاته وأخذ يراقب فلسطين ، وقمته اسمها رأس الفسجة . (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٩١ ، وص ٩٥٣) .

(٢) في حاشية ق : شمعون اسم شخص . اهـ .

يبحا وشمعون بن شطاه ، وهما إلى شمايا وأبي طليون ، وهما إلى هلل ، وهو إلى ابنه شمعون ـ والمظنون أنّ شمعون هذا هو شمعون الذي أخذَ ربَّنا المنجّي على اليدين إذْ جاءت مريم به إلى الهيكل بعد ما تمّت أيام تطهيرها ـ وهو أوصل إلى كملئيل ابنه ، وهذا كملئيل[١] هو الذي تعلّم منه بولس ، وهو أوصل إلى شمعون ابنه ، وهو إلى كملئيل ابنه ، وهو إلى شمعون ابنه ، وهو إلى الرّبّي يهوذا حق دوش ابنه ، وجمع يهوذا[٢] هذا هذه الروايات في كتاب سماه المشنا » انتهى

ثم قال : « إنّ اليهود يعظمون هذا الكتاب تعظيماً بليغاً ، ويعتقدون أنّ ما فيه هو كلّه من جانب الله أُوحي إلى موسى على جبل سيناء مثل القانون المكتوب ؛ ولهذا هو واجب التسليم مثله .

ومُذْ صُنّف هذا الكتاب صار رائجاً بينهم رواجاً تامّاً بالدّرْس والتدريس ، وكتب عليه علماؤهم الكبار شرحين : أحدهما في القرن الثالث في أورشليم ، والثاني في ابتداء القرن السادس في بابل، واسم كل من هذين الشرحينْ (كمرا) ؛ لأنّ معنى كمرا في اللغة : الكمال . وقد حصل التوضيح التامّ للمتن في هذيْن الشرحينْ في ظنّهم ، وإذا جُمع الشرح والمتن يقال لهذا المجموع (التلمود)[٣]، ويقال للتمييز : تلمود أورشليم ، وتلمود بابل . وكأنّ مذهبهم

---

(١) هو كملئيل (غمالائيل) بن شمعون بن هليل ، وهو حاخام يهودي وعضو في السنهدريم ومن الفرّيسيّين ، وأحد اللاهوتيّين المشهورين جداً في القرن الميلادي الأوّل ، وهو أستاذ بولس. (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٦٢) .

(٢) حوالي سنة ١٥٠م ويقال له يوضاس .

(٣) التلمود كلمة آرامية بمعنى التعاليم أو القانون ، ويتكوّن من التعاليم الشفويّة اللسانية وشروحها ، فالنص أو المتن يُسمّى (المشنة) ومعناها : (المكرر) ، لأنّها تكرار للتعاليم ، وتحتوي على ٦٣ مقالة ، ولما شُرحت المشنة سمى شرحها : كمرا (الجمارة) ومعناها : التفسير ، ولم يُشرح من المشنة إلاّ ٣٦ مقالة فقط ، فأصبح التلمود هو المشنة (أي المتن المحتوي على النص الأصلي بعد التدوين) + الجمارا (أي الشروح والتفسيرات) .

(قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٢ ، والموسوعة الميسرة ص ٥٤٣ ، والقاموس الإسلامي ٤٩٥/١) .

الرائج الآن كلّه مندرج في هذيْن التلمودَيْن اللذيْن كُتُبُ الأنبياء خارجة عنهما ، ولما كان تلمود أورشليم مغلَقاً فلذلك الآن اعتبار تلمود بابل عندهم زائد » انتهى .

وقال هورن في الباب السابع من الحصة الأولى من المجلّد الثاني من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢م : « مشنا كتاب مشتمل على روايات اليهود المختلفة ، وشروح متون الكتب المقدسة . وظنّهم في حقّه أنّ الله لـمّا أعطى موسى التوراة على جبل طور سيناء أعطاه هذه الروايات أيضاً في ذلك الحين ، ووصلتْ من موسى إلى هارون وأليعازار ويوشع ومنهم إلى الأنبياء الآخرين ، ومن هؤلاء الأنبياء إلى المشايخ الآخرين ، وهكذا وصلت من جيل إلى جيل إلى أن وصلت إلى شمعون ، وهذا شمعون هو شمعون الذي أخذ ربَّنا المنجّي على يديه ، ووصلت منه إلى كملئيل ، ومنه إلى يهوذا حق دوش [أي المقدّس] ، وهو جمعها في آخر القرن الثاني بمشقّة في أربعين سنة في كتاب ، وهذا الكتاب من هذا الوقت بَطْنا بعد بَطْن مستعمل في اليهود ، وكثيراً ما تكون عزّة هذا الكتاب زائدة على القانون المكتوب » انتهى .

ثم قال : « على مشنا شرحان يسمى كلّ منهما (كمرا) أحدهما: (كمرا) أورشليم الذي كُتِب في أورشليم على رأي بعض المحققين في القرن الثالث ، وعلى رأي فادرمون في القرن الخامس ، وثانيهما: (كمرا) بابل الذي كتب في القرن السادس في بابل ، وكمرا هذا مملوء بالحكايات الواهية ، لكنّه عند اليهود معتبر عظيم ، ودَرْسه وتدريسه رائجان فيهم ، ويرجعون إليه في كل مُشْكِل مذعنين بأنّه مرشد لهم . ويقال (كمرا) ؛ لأنّ معنى كمرا : الكمال . وظنّهم أنّ هذا الشرح كمال التوراة ، ولا يمكن أن يكون شرح أفضل منه ، ولا حاجة إلى شرح آخر . وإذا انضمّ بالمتن كمرا أورشليم يقال للمجموع تلمود أورشليم . وإذا انضمّ به كمرا بابل يقال للمجموع : تلمود بابل » انتهى .

فظهر من تحرير هذين المفسّريْن أربعة أشياء :

الأول : أنّ اليهود يعتبرون الرواية اللسانية كالتوراة ، بل كثيراً ما يعظّمونها تعظيماً زائداً عليها ، ويفهمون أنّها بمنزلة الروح ، والتوراة بمنزلة الجسد . وإذا كان حال التوراة هكذا فكيف حال الكتب الأخر ؟!

والثاني[1] : أنّ هذه الروايات[2] جمعها يهوذا حقّ دوش في آخر القرن الثاني[3] ، وكانت محفوظة بالحفظ اللساني إلى ألف وسبعمائة سنة[4] . ووقع على اليهود في أثناء هذه المدة آفات عظيمة ودواهٍ جسيمة مثل حادثة بخت نصر[5]

---

(١) في حاشية ق : المقصود أنّ المسلمين لم ينفردوا بالحديث ، بل أغلب الفرق غير البروتستانت يعتبرونه . اهـ .

(٢) أي روايات المشنة (القانون غير المكتوب) دون الشرح .

(٣) القرن الثاني الميلادي .

(٤) المقصود (١٧٠٠) سنة من تاريخ استلام موسى هذه التعاليم على جبل طور سيناء ، فالزمان ما بين تلقيها وما بين تدوينها ١٧ قرناً ، فيكون موسى عاش في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

(٥) بخت نصر : في حاشية ق : حادثة بخت نصّر كانت قبل ميلاد المسيح بخمسمائة وثمانية وثمانين ٥٨٨ سنة . اهـ . وقد يكتب اسمه (نابوشانزار) (نبوخذراصّر) (نبوخذناصّر) (نبوخذ نصّر) (بختنصر) ، وهو بختنصّر الثاني ابن (نبو بلاسّر) ويكتب (نابوبولصّر) (نابو بولازار)، وهما من أعاظم ملوك الكلدانيين ، وكان أبوه (نبوبلاسّر) قد أسس الامبراطورية الكلدانية في بابل سنة ٦٢٥ ق.م على أنقاض الامبراطورية الآشورية ، وبعد وفاته سنة ٦٠٥ ق.م أعلن ابنه بختنصر نفسه خليفة لأبيه وكان عمره ٢٥ سنة (ولد ٦٣٠ ق.م) ، غزا فلسطين والقدس عدة مرات ، أولها سنة ٦٠٥ ق.م وفيها سبى النبي دانيال وآخرين ، وأبقى ملكها يهوياقيم ، ولما عصى يهوياقيم عاد بختنصّر إلى فلسطين سنة ٥٩٧ ق.م فاعتقله وعزله ونصّب مكانه الملك يهوياكين (يكنيا) ثم عزله بعد ثلاثة أشهر فقط لعصيانه ، وعيّن مكانه الملك متنيا سنة ٥٩٧ ق.م ، وغيّر اسمه وسمّاه (صدقيا) ، ولـمّا ثار صدقيا عاد نبوخذ نصّر إلى فلسطين للمرّة الثالثة سنة ٥٨٨ ق.م (أو ٥٨٧ أو ٥٨٦ ق.م) واعتقل صدقيا وقتل ابنيه أمامه ، ثم قلع عينيه وحمله أسيراً إلى بابل ، ودمّر الهيكل وأحرق كل محتوياته وأسر عدة آلاف من اليهود ـ وهذا الحدث هو ما يعرف في التاريخ بالسبي البابلي ـ واستعمل الأسرى في مشاريعه العمرانية ، وإليه ينسب بناء الجنائن المعلقة وحفر قنوات للري من مياه شط العرب وبناء معابد للآلهة عشتار (أشتار) ، وقد ازدهرت في عهده الامبراطورية البابلية وكانت بابل في ذروة مجدها ، وقد دام ملكه ٤٣ سنة إلى وفاته سنة ٥٦٢ ق.م ، وأخباره موجودة في أسفار الملوك والأخبار وعزرا ونحميا وارميا ودانيال . (قاموس =

وأنتيوكس[1] وتيطوس[2] وغيرها ، بحيث انقطع التواتر في هذه الحوادث ، وضاعت الكتب كما عرفت في الباب الثاني ، ومع ذلك عندهم اعتبارها أزيد من التوراة .

والثالث : أنّ هذه الروايات في أكثر الطبقات مرويّة برواية واحد واحد مثل كملئيل الأول والثاني وشمعون الثاني والثالث، وهؤلاء ما كانوا من الأنبياء عند اليهود، وكانوا عند المسيحيين من أشدّ الكفار المنكرين للمسيح، ومع ذلك هذه الروايات عند اليهود مبنى الإيمان وأصل العقائد ، وعندنا الحديث الصحيح المروي برواية الآحاد لا يكون مبنى العقائد[3].

= الكتاب المقدس ص ٩١٧ و ٩٥٤ ، والقاموس الإسلامي ١/ ٢٨٢ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٢١ ، ومعجم الأعلام الملحق بالمورد للبعلبكي ص ٦٣ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٢/ ٥ و ٩/ ٣٧) .

(١) أنتيوكس : ويكتب (أنطيوخس) (أنطيوكس) ، وهو اسم لعدة ملوك رومانيين من خلفاء الإسكندر المقدوني (الكبير) الذين حكموا سوريا ، والملك المقصود هنا هو : أنطيوخس الرابع ويقال له : أنتيوكس أبيفانس ، وهو ابن أنطيوخس الثالث وخليفة أخيه سلوقس الرابع ، وقد حكم أنتيوكس أبيفانس سوريا من سنة ١٧٥ ـ ١٦٣ ق.م ، وأراد أن يمحق ديانة اليهود ويصبغ فلسطين بالصبغة الهيلينية ، فكان يعزل أحبار اليهود ويبيع مناصبهم بالثمن ، وقتل من اليهود ما بين ٤٠ ـ ٨٠ ألفاً ، ونهب أمتعة الهيكل النفيسة وتقدر قيمتها بـ ٨٠٠ وزنة ذهب ، وقرّب خنزيرة وقودا على المذبح للإهانة ، ثم لما رجع إلى أنطاكية أرسل قائده أبولونيوس بعشرين ألفاً من الجنود ، فغدروا بأهل القدس يوم السبت أثناء اجتماعهم للصلاة ، فنهبوا المدينة ودمّروها وأحرقوا بيوتها وهدموا أسوارها ، وقتلوا النساء والصبيان ولم ينج في ذلك اليوم إلاّ من فرّ إلى الجبال أو اختفى في المغائر ، وهذه الأعمال الوحشية أدت لثورة المكابيين . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٦ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ٢٤٧) .

(٢) تيطس : في حاشية ق : بعد عيسى بسبعين سنة . اهـ . واسمه فلافيوس سبابينوس فسباسيانوس ولد عام ٣٩م ، وكان مجيئه إلى القدس عام ٧٠م في زمان امبراطورية والده ، وكان قائداً للجيش فأرسله أبوه لقتال اليهود فحاصرهم في القدس حصاراً شديداً حتى أكلوا أبناءهم ، ثم أعمل فيهم السيف فقتل منهم ٧٠ ألفاً ، واستولى على القدس وخرّبها ، وشارك والده في الحكم عام ٧١م بعد أن استولى على القدس وخرّبها ، ثم عيّن امبراطوراً لروما عام ٧٩م وبقي كذلك إلى وفاته عام ٨١م . (الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٦٨ ، ومعجم الأعلام الملحق بالمورد للبعلبكي ص٨٣)

(٣) رجح بعض علماء السلف الأخذ برواية الآحاد في الحديث الصحيح إذا تلقتها الأمة بالقبول ولم تعارض أصلاً من الأصول الشرعية .

والرابع : أنّ كمرا بابل لما كُتِب في القرن السادس فحكاياته الواهية على قول هورن كانت محفوظة بالرواية اللسانية فقط إلى مدة هي أزيد من ألفين[1].

فإذا عرفت حال اليهود باعتراف محققي فرقة البروتستانت فاعلم الآن حال جمهور قدماء المسيحية :

قال يوسي بيس[2] الذي تاريخه معتبر عند علماء الكاثوليك والبروتستانت :

(١) في الباب التاسع من الكتاب الثاني من تاريخه المطبوع سنة ١٨٤٧م في الصفحة ٧٨ في بيان حال يعقوب الحواري : « إنّ كليمنس نقل حكاية قابلة للحفظ في كتابه السابع في بيان حال يعقوب هذا . والظاهر أنّ كليمنس نقل هذه الحكاية عن الروايات اللسانية التي وصلت إليه من الآباء والأجداد » .

(٢) ثم نقل في الباب الثالث والعشرين من الكتاب الثالث قول أرينيوس في الصفحة ١٢٣ : « كنيسة[3] أفسس التي بناها بولس وأقام فيها يوحنا الحواري إلى عهد سلطنة ترجان[4] شاهد[5] ذو إيمان لأحاديث الحواريّين » .

---

(١) ١٥ قرن قبل الميلاد + ٦ قرون بعد الميلاد = ٢١ قرناً ، وأول مرّة يظهر فيها التلمود ما بين سنتي ١٨٧١ ـ ١٨٨٩م ، وكان باللغة الفرنسية .

(٢) في حاشية ق : مؤرّخ من كبار المسيحيين . اهـ . يوسي بيس (أوسيبيوس): (٢٦٣ ـ ٣٣٩) مؤرخ يوناني ولد بفلسطين ، وصار أسقف قيسارية (قيصرية بفلسطين) ما بين عامي ٣١٤ ـ ٣٣٩م ، واشتبك في جدال عنيف مع خصوم مذهب آريوس الديني ، ولم يوافق على قواعد الإيمان التي اعتمدها مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ، كتب (التاريخ الكنسي) في ١٠ مجلدات ، وهو تاريخ جامع لأحوال الكنيسة ، بل أعظم ما ألّف في هذا الشأن ومعتبر عند الكاثوليك والبروتستانت ، وطبع سنة ١٨٤٧م ، ويوسي بيس (أسيبيوس) غير (يوسيبيوس النيقوميدي) المتوفى سنة ٣٤٢م ، وهو زعيم آريوسي كذلك عارض قرارات مجمع نيقيه وحمى أريوس فنفي ثم أعيد وجعل أسقف نيقوميديا ثم بطريرك القسطنطينية . (الموسوعة الميسرة ص ٢٦٥ و١٩٩٣ ، وتاريخ كنيسة المسيح على وجه الاختصار ص ١٢٧) .

(٣) في حاشية ق : مبتدأ . اهـ .

(٤) تراجان (ترايانوس): ولد سنة ٥٣م ، وصار امبراطور روما سنة ٩٨م ، إلى وفاته سنة ١١٧م (الموسوعة الميسرة ص ٥٠٢) .

(٥) في حاشية ق : خبر . اهـ .

(٣) ثم نقل في تلك الصفحة قول كليمنس : « اسمعوا في حق يوحنا الحواري حكاية ليست بكاذبة ، بل هي صادقة محققة بقيت في الصدور ومحفوظة » .

(٤) ثم قال في الباب الرابع والعشرين من الكتاب الثالث في الصفحة ١٢٦ : « تلاميذ المسيح مثل الحواريين الإثنى عشر والسبعين رسولاً وكثير من أناس آخرين لم يكونوا غير واقفين على الحالات المذكورة [أي الحالات التي كتبها الإنجيليّون] لكنْ كتبها منهم متّى ويوحنّا فقط ، وعُلِم من الرواية اللسانية أنّ تحريرهما أيضاً كان لأجل الضرورة » .

(٥) ثم قال في الباب الثامن والعشرين من الكتاب الثالث في الصفحة ١٣٢ : « كتب أرينيوس[1] في كتابه الثالث حالاً هو حريّ بأن يُكتب ، ووصل إليه هذا الحال من بوليكارب[2] بالرواية اللسانية » .

(٦) ثم قال في الباب الخامس من الكتاب الرابع في الصفحة ١٤٧ : « لم أر حال أساقفة أورشليم بالترتيب في كتاب، لكنّه ثبت بالرواية اللسانية أنّهم بقوا مدة قليلة » .

(٧) ثم قال في الباب السادس والثلاثين من الكتاب الثالث في الصفحة ١٣٨ : « وصل إلينا بالرواية اللسانية أنّهم لـمّا أُذْهبوا أكناثيوس[3] إلى الروم

---

(١) أرينيوس (أريناوس): ولد في آسيا ، وذهب إلى فرنسا وصار خادماً لكنيسة ليون ، ثم صار أسقفا فيها ، وهو تلميذ بوليكارب ، وقد كتب رسالة إلى فلورينوس جاء فيها : « وقد سمعت هذه الأشياء كلها برحمة الله باهتمام وكتبتها على صفحات قلبي لا على الورق ، ولم أزل بنعمته تعالى ذاكراً لها ذكراً صحيحاً » . (كتاب تاريخ كنيسة المسيح على وجه الإختصار ص ٤٦) .

(٢) بوليكارب (بوليكربوس) كان أسقف أزمير (تاريخ كنيسة المسيح ص ٤٦) .

(٣) أكناثيوس (أغناطيوس): أسقف انطاكية ، ويُظنّ أنّه هو الذي احتضنه المسيحُ وهو طفل ، ولـمّا حبسه الامبراطور ترايانوس نكّل به ، وكُلّف بأنْ يقبض على النّار بيديه ، وأُلصق على جانبيْه ورق مغموس بالزيت وأُجلس على النار ، ثم مُزّق لحمه بملقط محمى ، وكتب عدة رسائل إلى كنائس أفسس ومغنيسيا ورومية وفيلادلفية ، كما كتب إلى بوليكربوس أسقف إزمير يوصيه بالاعتناء بكنيسة انطاكية ، ثم بعد ذلك ألقي إلى الوحوش الضارية (انظر تاريخ كنيسة المسيح على وجه الاختصار ص ٣٣ ـ ٣٥) .

ليقتلوه بإلقائه بين أيدي السباع لأجل كونه مسيحيّاً ، ومرّ بإيشيا[1] في حفاظة العسكريّين ، فقوّى الكنائس المختلفة في أثناء الطريق بنصائحه وأقواله ، وأخبرهم عن البِدعات التي كانت منتشرة في تلك الأيام ، أو كانت حدثت ، ووصّاهم باللصوق بالروايات اللسانيّة لصوقاً قويّاً ، واستحسن أيضاً لأجل زيادة الحِفْظ أنْ كَتَبَ هذه الروايات ، وأثبت شهادته عليها » .

(٨) ثم قال في الباب التاسع والثلاثين من الكتاب الثالث في الصفحة ١٤٢ : « قال بيبيس في ديباجة كتابه : أكتب لانتفاعكم جميع الأشياء التي وصلت من المشايخ إليّ ، وحفظتها بعد التحقيق التامّ لتثبت زيادة تحقيقها بشهادتي عليها ؛ لأنّي ما رضيت من قديم الزمان بسماع الأحاديث من الذين يلغون كثيراً ، أو يعلّمون نصائح أخرى أيضاً ، بل سمعت الأحاديث من الذين لا يعلّمون إلاّ النصائح الحقّة التي هي مرويّة من ربّنا الصادق . ومَن لقيتُه مِن متّبعي المشايخ سألته عن هذا : أنّ اندراوس أو بطرس أو فيلبس أو ثوما أو يعقوب أو متّى أو شخصاً آخر من تلاميذ ربّنا أو أرستيون أو القسّيس يوحنا ـ مريد ربنا ـ ماذا قال ؟ لأنّ الفائدة التي حصّلتها من ألْسِنَةِ الأحياء ما حصّلتها من الكتب » .

(٩) ثم قال في الباب الثامن من الكتاب الرابع في الصفحة ١٥١ : « هجيسي بوس من مؤرّخي الكنيسة مشهور ، ونُقِلتْ عن تأليفاته أشياءُ كثيرة

---

(١) في حاشية ق : هي آسيا . اهـ . وأصلها كلمة يونانية ، لأنّ اليونانيّين كانوا يقسّمون الأرض إلى ثلاثة أقسام : أحدها وأكبرها هو الجزء الشرقي ، ولذلك يقال آسيا الكبرى ؛ لأنّها أكبر القارّات وأورفي (أوروبا) ولوبية (افريقية) ، وهي تكوّن مع أوروبا كتلة الأرض المعروفة بأوراسيا ، وتفصلها جبال الأورال والقوقاز والبوسفور والدردنيل وبحر إيجه (معجم البلدان ١ / ٥٤ ، ودائرة وجدي ١ /٣٦٨ ، والموسوعة الميسرة ص ١٦٢ ، والقاموس الإسلامي ١ /١١١) .

والمقصود بإيشيا هنا : آسيا الصغرى التي هي شبه جزيرة بأقصى غرب آسيا بين البحريْن الأسود والأبيض المتوسط ، وتسمّى أيضاً بالأناضول ، ويفصلها عن أوروبا غرباً مضيقا البوسفور والدردنيل وبحر إيجه .

نقلها عن الحواريّين بالروايات اللسانيّة ، وكَتب هذا المصنِّف مسائلَ الحواريين التي وصلتْ إليه بالرواية اللسانيّة بعبارة سهلة في خمسة كتب » .

(١٠) ثم نقل في الباب الرابع عشر من الكتاب الرابع قول أرينيوس في بيان حال بوليكارب في الصفحة ١٥٨ : « علّم بوليكارب دائماً ما تعلّمه من الحواريّين ، وبلّغته الكنيسة بالرواية ، وكانت مسألة صادقة » .

(١١) ثم نقل في الباب السادس من الكتاب الخامس عن قول أرينيوس فهرست أساقفة الروم ، وقال في الصفحة ٢٠١ : « ألآنَ إليّ تهيروس أسقفها[1] الثاني عشر من السلسلة التي وصل إلينا بواسطتها الصدْقُ والروايات اللسانية من الحواريين » .

(١٢) ثم نقل في الباب الحادي عشر من الكتاب الخامس قول كليمنس في الصفحة ٢٠٦ : « ما كتبتُ هذه الكتب لطلب الرفعة ، بل لظنّ كِبَر سنّي ، ولأنْ تكون ترياقاتٍ لنسياني جمعتُها على طريق التفسير كأنّها شروح للمسائل الإلهاميّة التي صِرتُ بها معظّماً بعدما تعلّمتها من الصادقين المباركين ، ومنهم يوني كوس الذي كان في اليونان ، والثاني الذي كان يقيم في ميكنيا كريشيا . كان أحدهما سريانياً والآخر مصرياً ، وكان الباقون من سكان المشرق: كان واحد منهم آشورياً ، وواحد منهم عبرانياً من أهل فلسطين[2]، والشيخ الذي

(١) في حاشية ق : أي الروم . اهـ . وكانت مدينة روما قصبة بلاد الروم .

(٢) هي البلاد التي تسمى في التوراة أرض كنعان ، وهي آخر كور الشام من ناحية مصر في الزاوية الجنوبية الغربية من آسيا ، وهي الأرض المقدسة التي أمر موسى قومه بدخولها فجبنوا ، ولم يدخلوها إلّا في زمن يوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام ، ويحدّها الآن من جهة الغرب البحر الأبيض المتوسط ، ومن الشرق الأردن ، ومن الشمال لبنان ، ومن الجنوب صحراء سيناء وخليج العقبة ، وفي عاصمتها القدس المسجد الأقصى الذي أسري برسول الله ﷺ إليه وعرج منه إلى السموات العلى ، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم بأنها الأرض المباركة والأرض المقدسة ، وقد فتح المسلمون فلسطين تماماً وأجلوا الروم عنها سنة ١٥ أو ١٦هـ (الكامل لابن الأثير ٢/٣٤٧ ، والقاموس الإسلامي ٥/٢٤٦ ، ومعجم البلدان ٤/٢٧٤ ، والموسوعة الميسرة ص ١٣٠٩ ، ودائرة وجدي ٧/٤٠٣ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٨٥ و ١٠٨٥) .

وصلتُ آخراً إلى خدمته كان مختفياً في مصر ، وكان أفضل من المشايخ كلهم ، وما طلبت شيخاً آخر بعده لأنّ أحداً ما كان أفضل منه . وهؤلاء المشايخ حفظوا الروايات الصادقة التي هي منقولة من بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس جيلاً بعد جيل » .

(١٣) ثم نقل في الباب العشرين من الكتاب الخامس قول أرينيوس في الصفحة ٢١٩ : « سمعتُ بفضل الله هذه الأحاديث بالإمعان التامّ ، وكتبتها في صدري لا في القرطاس ، وعادتي من قديم الأيام أنّي أكرّرها بالديانة »[١] .

(١٤) ثم قال في الباب الرابع والعشرين من الكتاب الخامس في الصفحة ٢٢٢ : « كتب بولي كراتيس الأسقف رواية وصلتْ إليه بالرواية اللسانيّة في كتابه الذي أرسله إلى وكتر وكنيسة الروم » .

(١٥) ثم قال في الباب الخامس والعشرين من الكتاب الخامس في الصفحة ٢٢٦ : « ناركثوس وتهيوفلوس وكاسيوس من أساقفة فلسطين ، وأسقف كنيسة أشور وأسقف تولمائي كلاروس والأشخاص الآخرون الذين جاؤوا مع هؤلاء الأساقفة قدّموا أموراً كثيرة في حق الرواية التي وصلتْ إليهم في باب عيد الفصح من الحواريين منقولة بالرواية اللسانية جيلاً بعد جيل ، وكتبوا في آخر الكتاب أنْ أرسِلوا نقوله إلى الكنائس لئلاّ يبقى للذين يضلّون عن الصراط المستقيم سريعاً موضع الفرار » .

(١٦) ثم قال في الباب الثالث عشر من الكتاب السادس في بيان حال كليمنس اسكندريانوس الذي كان من أتباع تابعي الحواريّين في الصفحة ٢٤٦ : « إنّه قال في كتابه الذي أُلّف في بيان عيد الفصح : إنّ الأحبّاء طلبوا منّي أن أكتب لنفع الأجيال الآتية الروايات التي سمعتها من الأساقفة » .

---

(١) انظر كتاب تاريخ كنيسة المسيح على وجه الاختصار ص ٤٦ ، وسبق نقل قوله في المثال ٥٠ في الهامش في ترجمة أرينيوس .

(١٧) ثم قال في الباب الحادي والثلاثين من الكتاب السادس في الصفحة ٢٦٣ : « ايفريكانوس في رسالته التي هي موجودة إلى هذا الحين ، وكان أرسلها إلى أرستيديس يبيّن التطبيق بيْن بيانيْ متّى ولوقا في نسب المسيح باعتبار الرواية التي وصلت إليه من الآباء والأجداد » . انتهى كلامه[1].

وعُلِم من أقواله السبعة عشر أنّ قدماء المسيحية كانوا يعتبرون الرواية اللسانيّة اعتباراً عظيماً .

وقال جان ملنر الكاثوليكي في كتابه الذي طُبع في بلدة دربي سنة ١٨٤٣م في رسالته العاشرة التي أرسلها إلى جيمس برون :

(١) « إني كتبت فيما قبل أيضاً أنّ مبنى إيمان الكاثوليك ليس كلام الله الذي هو مكتوب فقط ، بل أعمّ ، مكتوباً كان أو غير مكتوب - يعني : الكتب المقدسة والروايات اللسانية على ما شرحتهما كنيسة الكاثوليك به » .

(٢) ثم قال في تلك الرسالة : « إنّ أرينيوس قال في الباب الخامس من المجلد الثالث من كتابه : إنّه لا يوجد لطالبي الحقّ أمر أسهل من أنْ يتفحّصوا في كلّ كنيسة الروايات اللسانية التي هي منقولة عن الحواريين وأظهروها في العالم كله » .

(٣) ثم قال في تلك الرسالة : « إنّ أرينيوس قال في الباب الثالث من المجلد الأول من كتابه : إنّ أَلْسِنَةَ الأقوام وإنْ كانت مختلفة ، لكنّ حقيقة الرواية اللسانيّة في كل موضع متّحدة : كنائس جرمن ليست مخالفة في التعليم والعقائد لكنائس فرنسا واسبانيا والمشرق ومصر وليبيا » .

---

(١) أي كلام المؤرخ يوسيبيس .

(٤) ثم قال في تلك الرسالة : « إنّ أرينيوس قال في الباب الثاني من المجلد الثالث : ولـمّا كان تحرير حال سلاسل الكنائس كلها يفضي إلى التطويل فلذلك نرجع إلى رواية وعقيدة كنيسة الروم التي هي قديمة وعظيمة ومشهورة جداً ، وبناها بطرس وبولس ، والكنائس كلها موافقة لها ؛ لأنّ الروايات اللسانيّة المنقولة عن الحواريّين جيلاً بعد جيل كلّها محفوظة فيها » .

(٥) ثم قال في تلك الرسالة : « إنّ أرينيوس قال في الباب الرابع والستين من الكتاب الرابع : ولو فرضنا أنّ الحواريين لم يتركوا الكتب لنا فنقول : إنّه أَمَا كان لازماً علينا أن نطيع الأحكام التي ثبتت بالرواية اللسانية التي هي منقولة عن الحواريين وكانوا سلّموها للناس الذين سلّموها للكنيسة . وهذه الروايات هي التي يعمل بحسبها الوحشيون الذين آمنوا بالمسيح بلا استعمال الحروف والمداد ؟ » .

(٦) ثم قال في تلك الرسالة : « إنّ ترتولين قال في كتابه الذي ألّفه في ردّ أهل البدعة ، وطُبع في بلدة رهنان في الصفحة ٣٦ و ٣٧ : إنّ عادة أهل البدعة أنّهم يتمسكون بالكتب المقدسة ، ويستدلّون ويقولون : إنّه ليس غير الكتب المقدسة المكتوبة شيئاً قابلاً لأنْ يُجْعل مبنى الإيمان ويقال بحسبه ، ويُعجّزون بهذه الحيلة الأقوياء ، ويُلْقُون الضعفاءَ في شبكاتهم ، ويُوقِعون المتوسّطين في الشكّ ، ولذا نقول : لا تُجيزوا هؤلاء أبداً أن يُناظروا مستدلّين بالكتب المقدسة ؛ لأنّه لا تترتب على المباحثة التي تكون بالكتب المقدسة فائدة مّا غير أن يصير الدماغ والبطن خاليينْ. فلذلك طريقة الرجوع إلى الكتب المقدسة غلط لأنّه لا يحصل انفصال أمرٍ من هذه الكتب ، وإنْ حصل شيء يكون على الوجه الناقص ، ولو لم يكن هذا الأمر أيضاً كانت طريقة المباحثة في تلك الصورة أيضاً أن يحقّق أوّلاً أنّ الكتب المقدسة علاقتها من أيّ الناس ؟

وبلّغ أيُّ شخص إلى أيِّ شخص في أيِّ وقت الرواية التي صِرْنا بسببها مسيحيّين ؟ لأنّ الموضع الذي يوجد فيه أحكام الدين المسيحي وعقائده يوجد فيه صدْق الإنجيل ومعانيه وجميع روايات الدين المسيحي التي هي لسانية » .

(٧) ثم قال في تلك الرسالة : « إنّ أوريجن قال : إنّه لا يليق بنا أن نعتبر الناس الذين ينقلون عن الكتب المقدسة ، ثم يقولون : إنّ الكلام في بيتكم فانظروا فيه ؛ لأنّه لا يليق بنا أنْ نطرق الرواية الأولى التي في الكنيسة ، أو نعتقد غير ما بلّغت إلينا كنائسُ الله برواية مسلسلة » .

(٨) ثم قال في تلك الرسالة : « كتب باسليوس أنّ المسائل الكثيرة محفوظة في الكنيسة يوعَظ بها ، أُخذت بعضها من الكتب المقدسة ، وبعضها من الروايات اللسانية ، وقوّتها في الدين متساوية ، ومَن كان له وقوف مّا على الشريعة العيسوية لا يعترض على هذا » .

(٩) ثم قال في تلك الرسالة : « قال ابيفانيس في كتابه الذي ألفه في مقابلة المبتدعين : ولْنستعمل الرواية اللسانية لأنّ جميع الأشياء لا توجد في الكتب المقدسة » .

(١٠) ثمّ قال في تلك الرسالة : « إنّ كريزاستم صرح في شرح الآية الرابعة عشرة[1] من الباب الثاني من الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي : ظهر من هذا صراحة أنّ الحواريين لم يبلّغوا الأشياء كلها إليها بواسطة التحرير ، بل بلّغوا أشياء كثيرة بدون التحرير أيضاً ، وكلتاهما متساويتان في الاعتبار ، ولذلك

---

(١) في حاشية المخطوطة والمطبوعة : « هذا بحسب النسخة المطبوعة في الرومية ، أما بحسب تراجم البروتستانت فهذه الآية الخامسة عشرة » . اهـ .

وفيما يلي نصها : ففي طبعة سنة ١٨٢٣م وسنة ١٨٤٤م فقرة رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي ٢/١٤ « فالآن يا إخوتنا اثبتوا واصبروا على التقاليد التي تعلّمتم من كلامنا مشافهة ومن رسالتنا » .

وفي طبعة سنة ١٨٦٥م فقرة رسالة بولس الثانية إلى تسالونيكي ٢/١٥ «فاثبتوا إذاً أيّها الإخوة وتمسّكوا بالتعاليم التي تعلّمتوها سواء كان بالكلام أم برسالتنا » .

فلنلاحظ أنّ رواية الكنيسة منشأ الإيمان ، وإذا ثبت شيء بالرواية اللسانيّة فلا نطلب زائداً عليه » .

(١١) ثم قال في تلك الرسالة : « إنّ اكستاين كتب في حقّ الشخص الذي حصل له الاصطباغ من المبتدعين أنّه وإن لم يوجد السند التحريري في هذا الباب لكنّه فلْيُلاَحَظ أنّ هذا الرسم أُخِذَ من الرواية اللسانية ؛ لأنّ الأشياء الكثيرة تسلِّم الكنيسة العامّة أنّ الحواريين قرّروها وهي ليست بمكتوبة » .

(١٢) ثم قال في تلك الرسالة : « إنّ الأُسقف ونسنت قال : فليفسِّر المبتدعون الكتب المقدسة على وفق رواية الكنيسة العامة » . انتهى كلامه[1] .

وعُلم من أقواله الاثني عشر أنّ الروايات اللسانيّة مبنى إيمان فرقة الكاثوليك ، وكانت معتبرة عند القدماء .

وفي الصفحة ٦٣ من المجلد الثالث من كاثوليك هرلد :

(١) « أَوْرَدَ الرّبّي موسى قدسي شواهد كثيرة على أنّ متن الكلام المقدّس لا يُفهم بدون معونة الحديث والرواية اللسانية . واقتدى مشايخُ الكاثوليك هذه القاعدة في كل وقت » .

(٢) « وقال ترتولين : فليُرجع لإدراك الشيء الذي علّم المسيحُ الحواريين إلى الكنائس التي بناها الحواريون وعلّموها بتحريـراتهم وروايـاتهم اللسانية » انتهى .

فعُلِم من هذه العبارات المذكورة أنّ اليهود عندهم تعظيم الروايات والأحاديث أزيد من تعظيم التوراة ، وأنّ جمهور قدماء المسيحية ـ مثل : كليمنس وأرينيوس وهجيسي بوس وبوليكارب وبولي كراتيس وناركثوس وتهيوفلوس وكاسيوس وكلاروس وكليمنس اسكندريانوس وايفريكانوس

---

(١) أي كلام جان ملنر الكاثوليكي ، ويقصد بالكنيسة العامّة : الكنيسة الكاثوليكيّة .

وترتولين وأوريجن وباسليوس وابيفانيس وكريزاستم واكستاين وونسنت الأسقف وغيرهم ـ كانوا يعظّمون الروايات اللسانية ويعتبرونها .

وأكناثيوس كان من وصاياه في آخر عمره التشبّث بالروايات اللسانية تشبّثاً قوياً .

وكليمنس قال في وصف مشايخه : إنّهم حفظوا الروايات الصادقة المرويّة عن بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس جيلاً بعد جيل .

وابيفانيس قال : الفائدة التي حصّلتها من أَلْسِنَةِ الأحياء ما حصّلتها من الكتب .

وأرينيوس قال : سمعت الأحاديث بفضل الله بالإمعان التامّ ، وكتبتها في صدري لا في القرطاس ، وعادتي من قديم الأيام أنّي أكرّرها دائماً بالديانة .

وقال أيضاً : إنّه لا يوجد لطالبي الحق أمر أسهل من أن يتفحّصوا في كل كنيسة الروايات اللسانية التي هي منقولة عن الحواريين وأظهروها في العالم كله .

وقال أيضاً : لو فرضنا أنّ الحواريين لم يتركوا الكتب لنا ، فنقول : إنّه أما كان لازماً علينا أن نطيع الأحكام التي ثبتت بالروايات اللسانية التي هي منقولة عن الحواريين ؟

وأوريجن وترتولين يلومان على منكري الأحاديث .

وباسليوس قال : المسائل المأخوذة من الكتب المقدسة والمأخوذة من الأحاديث كلتاهما متساويتان في القوة .

وكريزاستم قال : كلتاهما متساويتان في الاعتبار ، ورواية الكنيسة منشأ الإيمان . وإذا ثبت شيء بالرواية اللسانية فلا نطلب زائداً عليه .

واكستاين صرّح أنّ الأشياء الكثيرة تسلّم الكنيسة العامة أنّ الحواريين قرّروها ، وأنّها ليست بمكتوبة .

فالإنصاف أنّ ردّ الجميع لا يخلو عن تعصّب وجهل ، ويكذب هذا الأمر إنجيلهم أيضاً :

(١) في الآية الرابعة والثلاثين من الباب الرابع من إنجيل مرقس هكذا : « وبدون مثل لم يكن يكلّمهم وأمّا على انفراد فكان يفسّر لتلاميذه كل شيء » .

ويبعد أن لا تكون هذه التفسيرات كلها أو بعضها مرويّة ، وأن يكون الحواريون محتاجين إلى التفسير ومعاصرونا لا يكونون كذلك .

(٢) والآية الخامسة والعشرون من الباب الحادي والعشرين من إنجيل يوحنا هكذا : « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظنّ أنّ العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » .

وكلام الإنجيلي وإنْ لم يخل عن المبالغة والغلو لكنّه لا شكّ أنّ قوله : « وأشياء أخر كثيرة » يشمل جميع أفعال المسيح معجزات كانت أو غيرها ، ويبعد أن لا يكون شيء منها مرويّاً بالرواية .

(٣) والآية الخامسة عشرة من الباب الثاني من الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي هكذا : « فاثبتوا إذاً أيها الإخوة وتمسّكوا بالتعاليم التي تعلّمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا » .

وقوله : « سواء كان بالكلام أم برسالتنا » يدلّ صراحة على أنّ بعض الأشياء وصلت إليهم بواسطة التحرير ، وبعضها بالكلام مشافهة . فلا بد أن يكون كلاهما معتبرَيْن عند المسيحيّين كما صرح كريزاستم في شرح هذا الموضع على ما عرفت .

(٤) وفي الآية الرابعة والثلاثين من الباب الحادي عشر من الرسالة الأولى

إلى أهل كورنثوس في الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٤م هكذا : « فأمّا سائر الأشياء فسأوصيكم بها إذا قدمت إليكم »[١].

ومن البيّن أنّ هذه الأشياء الباقية أوصاهم شفاها عندما جاء إليهم ، وهذه لم تكتب ، ويبعد أن لا يكون شيء منها مروياً .

(٥) والآية الثالثة عشرة من الباب الأول من الرسالة الثانية إلى تيموثاوس هكذا : « تمسّك بصورة الكلام الصحيح الذي سمعته منّي في الإيمان والمحبّة التي في المسيح يسوع » .

فقوله : « الذي سمعته مني » يدلّ على أنّه سمع بعض الأشياء شفاهاً .

(٦) والآية الثانية من الباب الثاني من الرسالة المذكورة هكذا : « وما سمعته منّي بشهود كثيرين أَوْدِعْهُ أُنَاساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلّموا آخرين أيضاً » .

فهنا مقدّسهم يأمر تيموثاوس أن يعلّم الأناس الأمناء الأحاديث التي سمعها منه ، وأن يُعلّم الأمناءُ أناساً آخرين ، فلا بد أن تكون هذه الروايات مروية .

(٧) وفي آخر الرسالة الثانية ليوحنا هكذا : « إذْ كان لي كثير لأكتب إليكم لم أُرِدْ أن يكون بورق وحبر لأنّي أرجو أن آتي إليكم وأتكلم فمًا لفم لكي يكون فرحنا كاملاً »[٢].

(٨) وفي آخر الرسالة الثالثة هكذا : « وكان لي كثير لأكتبه لكنني لست أريد أن أكتب إليك بحبر وقلم ولكنني أرجو أن أراك عن قريب فنتكلم فمًا لفم »[٣].

فهاتان الآيتان تدلّان على أنّ يوحنا قال في المشافهة أشياء كثيرة على

---

(١) وهو نص طبعة سنة ١٨٢٣م كذلك .
(٢) رسالة يوحنا الثانية فقرة ١٢ .
(٣) رسالة يوحنا الثالثة فقرة ١٣ ـ ١٤ .

ما وعد ، ويبعد أن لا تكون هذه الأشياء كلها أو بعضها مروية برواية .

فظهر مما ذكرنا أنّ مَن أنكر من فرقة البروتستانت اعتبار الأحاديث مطلقاً في الملّة المسيحية فهو إمّا جاهل أو متعسف عنيد ، وقوله مخالف لكتبه المقدسة ولجمهور علمائه من القدماء ، وهو داخل في زمرة المبتدعين على قول بعض القدماء ومع ذلك لا بد له من اعتبارها في كثير من هَوَساتِ فرقته، مثل:

(١) أنّ الابن مساو للآب في الجوهر .
(٢) وأنّ الروح القدس منبثق[1] من الآب والابن .
(٣) وأنّ المسيح ذو طبيعتين وأقنوم واحد .
(٤) وأنّه ذو إرادتين : إلهية وإنسانية .
(٥) وأنّه بعدما مات نزل الجحيم ، وغيرها من هوساتهم .

مع أنّ هذه الكلمات لا توجد بعينها في العهد الجديد ، وما اعتقدوا هذه الأمور إلّا من الأحاديث والتقليدات .

وأيضاً يلزم عليه أن ينكر كثيراً من أجزاء كتبه المقدسة .

مثل أن ينكر إنجيل مرقس ولوقا وتسعة عشر باباً من كتاب أعمال الحواريين ؛ لأنّها كتبت بالروايات اللسانية لا بالمشاهدة ولا بالوحي كما عرفت في الباب الأول .

ومثل أن ينكر خمسة أبواب : من الخامس والعشرين إلى التاسع والعشرين من سفر الأمثال ؛ لأنّها جمعت في عهد حزقيا من الروايات اللسانية التي كانت جارية بينهم ، وما بين زمان الجمع وموت سليمان عليه السلام مدة مائتين وسبعين سنة .

---

(١) في حاشية ق : أي مُخْرَج . اهـ .

الآية الأولى من الباب الخامس والعشرين من السفر المذكور هكذا : « فهذه أيضاً أمثال سليمان التي استكتبها أصدقاء حزقيا ملك يهوذا » .

وقال آدم كلارك المفسر في تفسيره المطبوع سنة ١٨٥١م ذيل شرح هذه الآية : « يُعلم أنّ في آخر هذا السفر أمثالاً جُمعت بأمر حزقيا السلطان من الرواية اللسانية التي كانت جارية من عهد سليمان ، فجمعوا هذه الأمثال منها ، وجعلوها ضميمة هذا السفر . ويمكن أن يكون المراد بأحبّاء حزقيا إشعيا وشنيا وغيرهما من الأنبياء الذين كانوا في ذلك العهد ، فتكون تلك الضميمة مثل السفر الباقي سنداً ، وإلّا كيف ضمّوها بالكتاب المقدس » انتهى .

فقوله : « جمعت بأمر حزقيا السلطان من الرواية اللسانية » صريح فيما قلت .

وقوله : « ويمكن أن يكون المراد . . . » الخ ، مردود ؛ لأنّه مجرد احتمال لا يتمّ على المخالف بدون السند الكامل ، وليس عنده سند ، بل يقول احتمالاً ورجماً بالغيب .

وقوله : « كيف ضمّوها بالكتاب المقدس » مردود ؛ لأنّ اليهود كان عندهم اعتبار الروايات أزيد من اعتبار التوراة ، فإذا صار المشنا عندهم معتبراً مع أنّه جُمع من روايات المشايخ بعد ألف وسبعمائة سنة تقريباً ، وكذا صارت قصص (كمرا) بابل معتبرة مع أنّها جُمعت بعد ألفيْ سنة ، فأيّ مانع من اعتبار الأبواب الخمسة التي جمعت بعد مائتين وسبعين سنة[1] .

ولقد أنصف بعض المحققين من علماء البروتستانت ، واعترف أنّ الروايات اللسانية أيضاً معتبرة مثل المكتوب .

في الصفحة ٦٣ من المجلد الثالث من كاثوليك هرلد هكذا : « إنّ الدكتور

---

(١) أي إصحاحات سفر الأمثال من ٢٥ ـ ٢٩ .

بريت الذي هو من فضلاء البروتستانت قال في الصفحة ٧٣ من كتابه : إنّ هذا الأمر ظاهر من الكتب المقدسة : أنّ الدين العيسوي صار مفوَّضاً إلى الأساقفة الأولين وتابعي الحواريين بالرواية اللسانية ، وكانوا مأمورين بأن يحافظوا عليه ، ويفوّضوه إلى الجيل المتأخر . ولا يثبت من كتاب مقدس سواء كان كتاب بولس أو غيره من الحواريين أنّهم كتبوا متفقين أو منفردين جميع الأشياء التي لها دخل في النجاة ، أو جعلوا قانوناً يفهم منه أنّه لا يوجد فيه شيء ضروري له دخل في النجاة غير المكتوب .

وقال في الصفحة ٣٢ و٣٣ من الكتاب المذكور : نرى بولس وغيره من الحواريين : أنّهم كما بلّغوا إلينا الأحاديث بواسطة التحرير ، كذلك بلّغوا بواسطة الرواية اللسانيّة أيضاً ، والويل للذين لا يحافظونها . والأحاديث العيسوية في أمر الإيمان سند كالمكتوب . انتهى كلام الدكتور بريت .

وقال أسقف مون نيك : إنّ أحاديث الحواريّين سند كمكتوباتهم ، ولا يُنكِر أحد من البروتستانت أنّ تقرير الحواريّين اللساني أزيد من تحريرهم .

وقال جلنك ورتهه : إنّ هذا النزاع : أنّ أيّ إنجيل قانوني وأيّ إنجيل ليس بقانوني يزول بالرواية اللسانية التي هي قاعدة الإنصاف لكل نزاع » . انتهى كلام كاثوليك هرلد .

وقال القسيس طامس انكلس الكاثوليكي في الصفحة ١٨٠ و ١٨١ من كتابه المسمى بـ (مرآة الصدق) المطبوع سنة ١٨٥١م : «يشهد أسقف ماني سيك من علماء البروتستانت أنّ ستمائة أمر قرّرها الله في الدين، وتُؤمر الكنيسة بها، ويُقبل في حقها أنّ الكتاب المقدس ما بيّنها في موضع وما علّمها» انتهى .

فعلى اعتراف هذا الفاضل ستمائة أمر ثبتت بالرواية اللسانية ، ووّاجبة التسليم عند فرقة البروتستانت .

الفائدة الثانية : هذا الأمر ظاهر بالتجربة الصحيحة : أنّ الأمر العجيب أو المهتمّ بشأنه يكون محفوظاً لأكثر الناس ، وخلافه لا يبقى محفوظاً غالباً لعدم الإهتمام ، ولذلك إذا سألت الناس الذين لا يكونون متعوّدين على أكل طعام واحد مخصوص أو أطعمة مخصوصة : ماذا أكلتم أمس ، أو قبل أمس ؟ لا يكون هذا محفوظاً لأكثرهم غالباً لعدم الإهتمام بهذا الأمر ، وعدم كونه عجيباً أو عظيماً ، وهكذا الحال في أكثر الأفعال العامّة والأقوال العامّة .

وإذا سألت عن حال الكوكب الذي كان من ذوات الأذناب ، وظهر في شهر صفر سنة ١٢٥٩ من الهجرة ، وشهر مارس سنة ١٨٤٣ من الميلاد ، وكان ظاهراً في الجوّ إلى شهر ، وكان في غاية الطول يكون محفوظاً للكثيرين من ناظريه ، وإنْ لم يكن شهرُ ظهوره وعامُه محفوظين لهم ، وقد مضت عليه مدة أزيد من إحدى وعشرين سنة ، وكذلك حال الزلازل العظيمة والمحاربات الشديدة والأمور النادرة .

ولما كان اهتمام المسلمين بحفظ القرآن في كل قرن ، يوجد فيهم من حفاظ القرآن في هذا العصر أيضاً أزيد من مائة ألف في الديار الإسلامية كلها ـ وإنْ زالت سلطنة أهل الإسلام من أكثر أقطار الممالك ، ووقع الفتور في الأمور الدينية في أكثر أقطارهم ـ ومن كان شاكّاً في هذا الأمر من المسيحيين فلْيجرّب ولْيدخل في الجامع الأزهر فقط ، فيجد في كل وقت أكثر من ألف حافظ من حفاظ القرآن الذين حفظوه بالتجويد التام ، ولو تتبّع قرى مصر لا يجد قرية من قرى أهل الإسلام تكون خالية عن حُفّاظ للقرآن ، ووجد كثيراً من البغّالين والحمّارين من أهل مصر أيضاً حافظين للقرآن ، فإنْ أنصف اعترف ألبتة أنّ هؤلاء البغّالين والحمّارين فائقون في هذا الباب من البابا والأساقفة والقسوس الذين يوجدون شرقاً وغرباً في هذا الزمان الذي هو زمان شيوع العلم في المسيحيين فضلاً عن القرون السالفة المسيحية من الجيل السابع إلى

الجيل الخامس عشر التي كان الجهل فيها بمنزلة شعار العلماء في تلك القرون على اعتراف علماء البروتستانت .

وظنّي أنّه لا يوجد في جميع ديار أوربا كلها عشرة[1] من حُفّاظ الإنجيل أو التوراة أو كِلَيْهما بحيث يساوي حفظهم لأحدهما أو لكِلَيْهما حفظ هؤلاء البغّالين والحمّارين للقرآن .

وقد عرفت في الفائدة الأولى قول أرينيوس أنّه قال : « سمعت بفضل الله هذه الأحاديث بالإمعان التامّ ، وكتبتها في صدري لا في القرطاس ، وعادتي من قديم الأيام أنّي أكرّرها بالديانة » .

وقال أيضاً : « أَلْسِنة الأقوام وإنْ كانت مختلفة ، لكنّ حقيقة الرواية اللسانية في كل موضع متّحدة : كنائس جرمن ليست مخالفة في التعليم والعقائد لكنائس فرنسا وأسبانيا والمشرق ومصر وليبيا » .

وقال وليم ميور في الباب الثالث من تاريخ كليسيا المطبوع سنة ١٨٤٨م : « قدماء المسيحية ما كان عندهم عقيدة مكتوبة من عقائد الإيمان التي اعتقادها ضروري للنجاة ، وكانت تعلّم للأطفال وللذين كانوا يدخلون في الملّة المسيحية تعليماً لسانياً . وهذه العقائد كانت متّحدة قرباً وبعداً ، ثم لما ضبطوها بالكتابة ، وقابلوها ، وجدوها مطابقة ، وما وجدوا فيها غير الإختلاف القليل اللفظي ، وما كان فرق في أصل المطلب » انتهى كلامه .

فعُلم أنّ الأمر الذي يكون مهتماً بشأنه يكون محفوظاً ، ولا يتطرق فيه خلل بمرور مدة طويلة ، وهذا الأمر ظاهر في القرآن وقد مضت مدة ألف ومائتين

---

(١) هذا على سبيل التساهل من المؤلّف ، وإلاّ نقطع أنّه لا يوجد واحد ؛ لأنّ علماءهم الذين يتصدّون للمناظرات العلنية المصوّرة مع علماء المسلمين نراهم يقرؤون الفقرات من السطور المكتوبة لا من حفظ صدورهم .

وثمانين سنة ، وهو كما أنّه محفوظ بواسطة الكتابة في كل قرن فكذلك محفوظ في كل قرن أيضاً بواسطة صدور ألوف من الرجال . وأكثر فِرَق المسيحيين في هذا الزمان أيضاً ـ بحيث لو لاحظنا حال كبار علمائهم وخواصّهم فضلاً عن عوامّهم وجدناهم أنّه ـ لا يحصل لهم تلاوة كتبهم المقدسة .

قال المعلم ميخائيل مشّاقـــة من علماء البروتستانت في خاتمة كتابه المسمى بـ (الدليل إلى طاعة الإنجيل) المطبوع سنة ١٨٤٩م في الصفحة ٣١٦ : « إنني ذات يوم سألت كاهناً [من كهنة الكاثوليك] أن يجيبني بالصدق عن مطالعته الكتاب المقدس ، وكم مرّة قرأه في مدة حياته ؟ فقال : إنّه كان يقرأ فيه أحياناً ، وربما جملة أسفار منه لم يقرأها ، ولكن منذ اثنتي عشرة سنة لأجل انهماكه في خدمة الرعية لم يبق له فرصة للمطالعة فيه . ولا يخلو أنّ كثيرين من الشعب يعرفون جهالة هؤلاء الإكليروس[١]، ولكنهم مع ذلك ينقادون إلى إرشادهم في الـمنْعِ عن مطالعة الكتب المفيدة التي ترشدهم إليها» انتهى كلامه بلفظه .

الفائدة الثالثة : الحديث الصحيح أيضاً معتبر عند أهل الإسلام على الوجه الذي سنفصّل . ولما كان قول رسول الله ﷺ : « اتقوا الحديث عنّي إلّا ما علمتم ، فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار » متواتراً[٢]، رواه

---

(١) في حاشية ق : أي الأسقف . اهـ . ومعناها طبقة رجال الدين المسيحي على اختلاف مراتبهم .

(٢) الحديث متواتر باللفظ ، وهو مروي في الصحيحين والسنن : أبو داود ٣١٩/٣ في كتاب العلم حديث ٣٦٥١ ، والترمذي ١٢٦/١٠ في أبواب العلم ، ابن ماجه ٩/١ باب ٤ حديث ٢٥ ـ ٣٠ ، والدارمي ٦٦/١ باب ٢٥ رقم ٢٣٧ إلى ٢٤٤ ، ومسند الإمام أحمد في عدة مواضع ، وفي الصحيحين : في فتح الباري ١٩٩/١ في كتاب العلم ٣٨ رقم ١٠٦ ـ ١١٠ ، ١٦٠/٣ في كتاب الجنائز رقم ١٢٩١ ، و٤٩٦/٦ في كتاب أحاديث الأنبياء ٥٠ رقم ٣٤٦١ و ٥٧٨/١٠ في كتاب الأدب ١٠٩ رقم ٦١٩٧ ، وفي صحيح مسلم بشرح النووي ٦٥/١ و١٢٩/١٨ في كتاب الإيمان ١١٢ وفي كتاب الزهد ٧٢ . وأكتفي بنقل رواية البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء =

اثنان وستون صحابياً ، منهم العشرة المبشرة[1] ـ كان أهل الإسلام مهتمّين بالأحاديث النبوية من القرن الأول ، وكان اهتمامهم في حفظ الأحاديث أزيد من اهتمام المسيحيّين كما أنّ اهتمامهم في حفظ القرآن في كل قرن أشدّ من اهتمام المسيحيين في حفظ كتبهم المقدسة ، لكنّ الصحابة لم يدوّنوها في الكتب في عهدهم لبعض الأعذار ، منها الاحتياط التامّ لأجل أن لا يختلط كلام الرسول بكلام الله ، وتابعو الصحابة كالزهري[2] والربيع بن صبيح[3] وسعيد[4] وغيرهم ـ رحمهم الله ـ شرعوا في تدوينها ، لكنّهم ما كتبوها مرتبة على ترتيب أبواب الفقه ، ولـمّا كان هذا الترتيب حسناً ضبطها تبع التابعين على هذا الترتيب .

= باب ٥٠ حديث رقم ٣٤٦١ في فتح الباري ٦/٤٩٦ عن عبدالله بن عمرو أنّ النبي ﷺ قال : « بلّغوا عني ولو آية ، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومَن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار » .

(١) العشرة المبشرون بالجنة جميعهم من المهاجرين، وقد توفي ﷺ وهو عنهم راضٍ ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن مالك وهو (سعد بن أبي وقاص) . وفي ترجمة عبدالله بن مسعود أنّه من العشرة المبشرين (سنن ابن ماجه ١/٢٦ باب ١١ حديث ١٢٠ ، والقاموس الإسلامي ٥/٣٩٤ ، والإعتقاد للبيهقي ص ١٨٨) .

(٢) الزهري : هو أبوبكر: محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري القرشي ، اشتهر بالزهري؛ لأنّه من بني زهرة ، واشتهر بكنيته (ابن شهاب) ، وُلد بالمدينة المنورة عام ٥٨هـ/٦٧٨م ، وهو تابعي صحب عشرة من أجلّاء الصحابة ، وهو أحد الفقهاء السبعة ، ومن أكابر حفّاظ الحديث النبوي ، ومن الثقات المعتمدين في السِّير ، وأوّل مَن دوّن الحديث النبوي ، روى عنه الإمام مالك وابن عيينه وسفيان الثوري ، وكانت وفاته سنة ١٢٤هـ/٧٤٢م . (تهذيب التهذيب ٩/٤٤٥ ، والأعلام ٧/٩٧ ، والقاموس الإسلامي ٣/١١٧ ، والموسوعة الميسرة ص ٩٣١ ، ودائرة وجدي ٤/٦٥٧) .

(٣) الربيع بن صبيح : هو التابعي أبو بكر الربيع بن صبيح السعدي البصري ، وكان عابداً ورعا ، وأول مَن صنّف بالبصرة ، خرج غازياً إلى السند فمات في البحر فدفن في إحدى الجزر سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م . (تهذيب التهذيب ٣/٢٤٧ ، والأعلام ٣/١٥) .

(٤) سعيد : ليس هو سعيد بن المسيّب كما قد يُتوهم : بل المقصود به سعيد بن جبير : لأنّه هو الوارد عنه أنّه كتب الحديث النبوي ، وهو أبو عبدالله : سعيد بن جبير بن هشام الأسدي =

فالإمام مالك[1] رحمه الله الذي ولد سنة خمس وتسعين من الهجرة صنّف الموطأ في المدينة ، وصنّف أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج في مكة، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي[2] في الشام، وسفيان الثوري[3]

= بالولاء ، وهو حبشي الأصل وُلد عام ٤٥هـ/٦٦٥م ، أخذ الحديث والفقه والتفسير والقراءات عن ابن عباس وابن عُمَر وغيرهما ، وكان من كبار التابعين وأعلمهم على الإطلاق ، عاش في الكوفة وقتله الحجاج في مدينة واسط عام ٩٥هـ/٧١٤م وعمره ٤٩ سنة. (تهذيب التهذيب ٤/١١ ، والأعلام ٣/٩٣ ، ودراسات في الحديث النبوي للأعظمي ص ١١٨ وص ١٢٠ وص ١٤٨ وص ١٤٩ ، والقاموس الإسلامي ٣/٣٦١ ، ودائرة وجدي ٥/١٣٤) .

(١) مالك : هو أبو عبدالله : مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني ، مولده ووفاته بالمدينة المنورة ٩٥هـ/٧١٤م - ١٧٩هـ/٧٩٥م ، سمع الزهري ونافعاً مولى ابن عمر ، وأخذ العلم عن ربيعة الرأي ، وأخذ عنه الأوزاعي ، وهو إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنّة ، وكان صلباً في الدين مبتعداً عن السلاطين ، صنّف الموطأ وجمع فيه ما صحّ عنده من أحاديث رسول الله ﷺ وفقه الصحابة ، وكان مالك محدّثاً يتحرّى في الرواية ولا يأخذ الحديث عن ذي هوى مبتدع . وفقيهاً مجتهداً يأخذ بالكتاب والسنّة والإجماع وعمل أهل المدينة والقياس والمصالح المرسلة والإستحسان ، وقد انتشر مذهبه في مصر وشمال افريقيا والأندلس ، وإليه تنسب المالكية . (تهذيب التهذيب ١٠/٥ ، والأعلام ٥/٢٥٧ ، والموسوعة الميسرة ص ١٦٣٠ ، ودائرة وجدي ٩/٤٢٤) .

(٢) الأوزاعي : هو أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو بن يُحْمِد الأوزاعي إمام الديار الشاميّة في الفقه والزهد ، ولد في بعلبك سنة ٨٨هـ/٧٠٧م ، ونشأ في البقاع ثم سكن بيروت وعُرض عليه القضاء فامتنع ، أجاب عن سبعين ألف مسألة ، وكانت الفتيا في الأندلس تدور على رأيه ، توفي في بيروت سنة ١٥٧هـ/٧٧٤م . (تهذيب التهذيب ٦/٢٣٨ ، والأعلام ٣/٣٢٠ ، والقاموس الإسلامي ١/٢١٦) .

(٣) سفيان الثوري : هو أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي من مصر ، أمير المؤمنين في الحديث وسيّد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ، ولد في الكوفة سنة ٩٧هـ/٧١٦م ونشأ بها وتوفر على علوم الدين والحديث وكان آية في الحفظ ، رفض تولّي القضاء للمنصور العباسي ، وسكن مكة والمدينة والبصرة ، وانقطع للتأليف ، وله كتب في الحديث والفرائض ، توفي في البصرة عام ١٦١هـ/٧٧٨م . (تهذيب التهذيب ٤/١١١ ، والأعلام ٣/١٠٤ والقاموس الإسلامي ٢/٥٤٦ ، ودائرة وجدي ٥/١٧٨) .

في الكوفة[1]، وحمّاد بن سلمة[2] في البصرة. ثم صنّف البخاري ومسلم[3] صحيحيْهما واقتصرا فيهما على ذكر الأحاديث الصحيحة، وترْك غيرها من الضعاف. واجتهد الأئمة المحدّثون في أمر الأحاديث اجتهاداً عظيماً.

وقد صُنّف فنّ عظيم الشأن في أسماء الرجال يُعلم به حال كل راوٍ من رواة الأحاديث بأنّه كيف كانت حاله في الديانة والحِفْظ. وروى كلٌّ من أصحاب الصِّحاح الأحاديث بالإسناد منهم إلى رسول الله ﷺ، وبعض أحاديث البخاري ثلاثيات تَصِل بثلاث وسائط إلى رسول الله ﷺ.

---

(١) الكوفة : مدينة مشهورة في العراق على الجانب الغربي لنهر الفرات تبعد ١٠ كم شمال شرقي مدينة النجف، مصّرها سعد بن أبي وقاص في خلافة عمر رضي الله عنهما مع البصرة أو بعدها بعامين سنة ١٧هـ/٦٣٨م، ولأنّ هواءها أصحّ وماءها أعذب كانت مقرّ الخلافة زمن عليّ، وقتل رضي الله عنه في مسجدها الكبير، وإليها يُنسب الخطّ الكوفي، وقد نافست البصرة في مدارسها اللغوية والفقهية زمن الأمويين والعباسيين. (معجم البلدان ٤/٤٩٠، والموسوعة الميسرة ص ١٥٠٥، ودائرة وجدي ٨/٢٣٠).

(٢) حمّاد بن سلمة : هو أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار البصري الرّبعي بالولاء، مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث، ومن أئمة اللغة، وكان حافظاً ثقة مأموناً، أخذ عنه البخاري ومسلم، نسبت إليه تصانيف مفقودة، وتوفّي سنة ١٦٧هـ/٧٨٤م. (تهذيب التهذيب ٣/١١، والأعلام ٢/٢٧٢، والقاموس الإسلامي ٢/١٤٤).

(٣) مسلم : هو أبو الحسين مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيري النيسابوري، مولده ووفاته بنيسابور (٢٠٤هـ/٨٢٠م - ٢٦١هـ/٨٧٥م)، طلب الحديث صغيراً فرحل إلى العراق والشام والحجاز ومصر، وأخذ عن الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وتتلمذ للبخاري، فكان حافظاً للحديث، وله عدة مؤلفات أشهرها الجامع الصحيح الذي هو ثاني كتب الحديث بعد صحيح البخاري، كتب فيه (١٢٠٠٠) حديث من بين (٣٠٠٠٠٠) ثلاثمائة ألف حديث، وله عدة شروح أشهرها المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (تهذيب التهذيب ١٠/١٢٦، وكشف الظنون ١/٥٥٥، والأعلام ٧/٢٢١، والقاموس الإسلامي ٤/٢٥٤، والموسوعة الميسرة ص ١٧١، ودائرة وجدي ٥/٢٩٢).

وينقسم الحديث الصحيح إلى ثلاثة أقسام :

(١) متواتر .

(٢) ومشهور .

(٣) وخبر الواحد .

فالمتواتر : ما نقله جماعة عن جماعة لا يجوّز العقل توافقهم على الكذب ، مثاله : كنقل أعداد ركعات الصلاة ومقادير الزكاة ونحوهما[١].

والمشهور : ما كان في عصر الصحابة كأخبار الآحاد ، ثم اشتهر في عصر التابعين أو عصر تَبَعِ التابعين ، وتلقّته الأمة بالقبول في أحد العصرَيْن الأخيرين[٢] فصار كالمتواتر ، كالرجم في باب الزنا .

وخبر الواحد : ما نقله واحد عن واحد ، أو واحد عن جماعة ، أو جماعة عن واحد[٣].

والمتواتر منها: يوجب العلم القطعي ، ويكون إنكاره كفراً .

والمشهور: يوجب علم الطمأنينة، ويكون إنكاره بدعة وفسقاً .

وخبر الواحد: لا يوجب أحد العِلْميْن المذكوريْن ، ويُعتبر في العمل لا في إثبات العقائد وأصول الدين ، وإذا خالف الدليل القطعي عقلياً كان أو نقلياً يُؤوّل إنْ أمكن التأويل ، وإلاّ يُترك ولا يُعمل به ، ويُعمل بالدليل القطعي .

والفرق بين الحديث الصحيح والقرآن بثلاثة أوجه :

الأول : أنّ القرآن كلّه منقول بالتواتر كما نزل على رسول الله ﷺ ، وما بدّل

---

(١) المتواتر قسمان : المتواتر اللفظي ، والمتواتر المعنوي .

(٢) وقد يعرّف المشهور بأنّه ما رواه ثلاثة فأكثر في كل طبقة ما لم يبلغ حدّ التواتر .

(٣) أي لم يجمع شروط المتواتر ولم يشتهر .

ناقلوه لفظاً بلفظ آخر مرداف له بخلاف الحديث الصحيح ؛ لأنّ نقله بالمعنى أيضاً كان جائزاً من الناقل الثقة الماهر بلغة العرب وأسلوب كلامهم .

والثاني : أنّ القرآن لـمّا كان كله متواتراً يلزم الكفر بإنكار جملة منه أيضاً بخلاف الحديث الصحيح فإنّه لا يلزم الكفر إلّا بإنكار قسم منه ، وهو المتواتر دون المشهور وخبر الواحد .

والثالث : أنّ الأحكام تتعلق بألفاظ القرآن ونظمه أيضاً ، كصِحّة الصلاة ، وكوْن عبارته معجزة ، بخلاف الحديث فإنّه لا تتعلق الأحكام بألفاظه[1] .

وإذا عرفت ما ذكرت في الفوائد الثلاث تحقّق لك أنّه لا يلزم من اعتبارنا الحديث الصحيح بالطريق المذكور شيء من القبائح والإستبعادات .

---

(١) وذلك لأنّ القرآن وحي من عند الله بمعناه ولفظه ، فاللفظ نفسه هو كلام الله ، ولذلك يتغيّر الحُكْم بتبديل اللفظ أو الحرف أيضاً ، أمّا أحاديث الرسول ﷺ فهي وحي من عند الله بالمعنى فقط ، واللفظ من كلام الرسول ﷺ ، ولذلك قد يُروى الحديث الواحد بعدة ألفاظ على حسب أداء الرواة عن الرسول ﷺ مع اتفاقهم على المعنى ، مع أننا نجزم أنّه عليه الصلاة والسلام إنّما نطق بلفظ واحد منها ولم ينطق بها كلها ، وعليه أجاز العلماء رواية الحديث بالمعنى .

الفصل الرابع

« في دفع شبهات القسيسين الواردة على الأحاديث »

وهي خمس شبهات :

الشبهة الأولى : (أنّ رواة الحديث أزواجُ محمد ﷺ وأقرباؤه وأصحابه ، ولا اعتبار لشهادتهم في حقه) .

والجواب : أنّ هذه الشبهة تَرِد عليهم بأدنى تغيير ؛ بأنْ يُقال : إنّ رواة حالات المسيح وأقواله المندرجة في هذه الأناجيل أُمُّ عيسى عليهما السلام وأبوه الجعلي يوسف النجار[1] وتلاميذُه ، ولا اعتبار لشهادتهم في حقه . وإنْ قالوا : إنّه يحتمل أنّ إيمان أقارب محمد ﷺ وأصحابه كان لأجل الرياسة الدنيوية - قلت : إنّ هذا الإحتمال ساقط ، لأنّه ﷺ إلى ثلاث عشرة سنة كان في غاية الألم من إيذاء الكفار ، وأصحابه رضي الله عنهم كانوا أيضاً مبتلَين بغاية إيذائهم إلى المدة المذكورة حتى تركوا الأوطان ، وهاجروا إلى الحبشة والمدينة ، ولا يُتصوّر أن يتخيل أحد منهم إلى هذه المدة طمع الدنيا ، على أنّ هذا الإحتمال قائم في الحواريين أيضاً ؛ لأنهم كانوا مساكين صيادين ، وكانوا سمعوا من اليهود أنّ المسيح يكون سلطاناً عظيم الشأن ، فلما ادّعى عيسى بن مريم عليهما السلام أنّه هو المسيح الموعود آمنوا به ، وفهموا أنه يحصل لهم باتباعه المناصب الجليلة ، وينجون من مشقة الشبكة والاصطياد . ولـمّا وعدهم

---

(١) هو يوسف النجّار بن يعقوب بن متّان، من نسل سليمان بن داود ، ومن نسل يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . وكان من سكان بيت لحم ثم هاجر إلى الناصرة واشتغل فيها نجّاراً ، وكان متمسكاً بالطقوس اليهودية ، وكان يعطف على المسيح كعطف الوالد على ولده . (قاموس الكتاب المقدس ص ١١١٨ ، والموسوعة الميسرة ص ١٩٩٢) .

عيسى عليه السلام: بأنّه إذا جلس على السرير يجلسون هم أيضاً على اثني عشر سريراً يدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر، كما هو مصرّح في الباب التاسع عشر من إنجيل متّى[1].

وكذا وعدهم أنّ من ترك لأجله ولأجل الإنجيل شيئاً يجد مائة ضعف الآن في هذا الزمان، ويجد الحياة الأبدية في الدهر الآتي، كما هو مصرّح في الباب العاشر من إنجيل مرقس[2].

وكذا وعدهم بأشياء أخرى - تيقّنوا أنّهم يصيرون سلاطين يحكم كل منهم على سبط من أسباط إسرائيل، وإنْ فات منهم شيء لأجل اتّباعه يحصل لهم في هذه الدنيا بدله مائة ضعف هذا الشيء، ورسخ في أذهانهم هذا الأمر حتى طلب يعقوب ويوحنا ابنا زبدي - أو طلبت أمهما على اختلاف رواية الإنجيليّين - منصب الوزارة العظمى بأن يجلس أحدهما على يمين عيسى عليه السلام والآخر على يساره في ملكوته، كما هو مصرح به في الباب العشرين من إنجيل متّى والباب العاشر من إنجيل مرقس[3]، لكنّهم لما رأوا أنّه لم يحصل لهم السلطنة الخيالية، ولا مائة ضعف في هذه الدنيا، بل لم يحصل له أيضاً شيء من الدولة الدنياوية، وهو مسكين، كما كان يخاف من اليهود ويفرّ من موضع إلى موضع، ورأوا أنّ اليهود في صدد أن يأخذوه ويقتلوه - تنبّهوا أنّ فهمهم كان خطأ، والمواعيد المذكورة كسراب يحسبه الظمآن ماء، فرضي واحد منهم[4] بدل هذه السلطنة الخيالية وهذه الأضعاف الموهومة بثلاثين درهماً أخذها من اليهود على شرط تسليمه لهم، وتَركه سائرهم وفرّوا حينما أخذه اليهود. وأنكره ثلاث مرات ولعنه أرشد الحواريين وأعظمهم الذي كان مبنى كنيسته

---

(١) وهو في إنجيل متّى ١٩/٢٨ .

(٢) وهو في إنجيل متّى ١٩/٢٩ ، وفي إنجيل مرقس ١٠/٢٩ - ٣٠ .

(٣) انظر إنجيل متّى ٢٠/٢٠ - ٢١ ، وإنجيل مرقس ١٠/٣٥ - ٣٧ .

(٤) هو يهوذا الإسخريوطي .

وراعي خرافه وخليفته ـ أعني حضرة بطرس ـ وحلف أنّي لا أعرفه ، وصاروا آيسين مطلقاً عن متخيلاتهم بعدما صلب على زعمهم . ثم لـمّا رأوه مرة أخرى بعد القيام رجع رجاؤهم مرة أخرى ، وظنّوا أنّهم يصيرون سلاطين في هذه المرة فسألوه مجتمعين في وقت صعوده قائلين : هل في هذا الوقت تردّ الملك إلى إسرائيل ؟، كما هو مصرّح به في الباب الأول من كتاب الأعمال[1].

وبعد الصعود وقعوا في خيار آخر هو أعظم من السلطنة الدنياوية التي لم تحصل لهم إلى زمان الصعود ، وهو أنّ المسيح ينزل في عهدهم من السماء ، وأنّ القيامة قريبة ــ كما عرفت مفصّلاً في الفصل الثالث والرابع من الباب الأول ــ وأنّه بعد نزوله يقتل الدجال ، ويحبس الشيطان إلى ألف سنة ، وأنّهم يجلسون على الأسرّة بعد نزوله ، ويعيشون عيشة مرضية إلى المدة المذكورة في هذه الدنيا ــ كما يفهم من الباب التاسع عشر والعشرين من كتاب المشاهدات[2]، والآية الثانية من الباب السادس من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس[3] ــ ثم يحصل لهم السرور الدائم في الجنة إلى الأبد عند القيامة الثانية .

فلأجل هذه الأمور بالغوا في مدحه وتقرير حالاته ، كما قال الإنجيلي الرابع في آخر إنجيله : « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إنْ كتبت واحدة واحدة فلست أظنّ أنّ العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة »[4].

ولا شكّ أنه كذب محض ومبالغة شاعرية قبيحة ، فكانوا يبالغون بأمثال

---

(١) ففي سفر أعمال الرسل ٦/١ « أمّا هم المجتمعون فسألوه قائلين يا رب هل في هذا الوقت تردّ الملك إلى إسرائيل » .

(٢) انظر سفر رؤيا يوحنا ١١/١٩ ـ ٢١ و ١/٢٠ ـ ١٥ .

(٣) ففي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٢/٦ « ألستم تعلمون أنّ القدّيسين سيدينون العالم فإنْ كان العالم يُدان بكم أفأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى » .

(٤) إنجيل يوحنا ٢٥/٢١ .

هذه الأقوال ليوقعوا السفهاء في شبكاتهم حتى ماتوا غير واصلين إلى مرادهم ؛ فلا اعتبار لشهادتهم في حقّه .

وهذا التقرير على سبيل الإلزام لا الإعتقاد كما صرّحتُ به مراراً . فكما أنّ هذا الإحتمال في حقّ عيسى وحواريّيه الحقّة عليهم السلام ساقط ، فكذلك احتمالهم في حق أصحاب محمد ﷺ ساقط.

وقد يُشير القسيسون لأجل تغليط العوام إلى ما تتفوّه به الفرقة الإمامية الإثنا عشرية[1] في حق الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين ـ .

والجواب عنه إلزاماً :

أنّ موشيم المؤرخ قال في المجلد الأول من تاريخه : « إنّ الفرقة الأبيونية التي كانت في القرن الأول كانت تعتقد أنّ عيسى عليه السلام إنسان فقط تولّد من مريم ويوسف النجار مثل الناس الآخرين ، وإطاعة الشريعة الموسوية ليست منحصرة في حق اليهود فقط ، بل تجب على غيرهم أيضاً ، والعمل على أحكامها ضروري للنجاة . ولـمّا كان بولس ينكر وجوب هذا العمل

(١) الإثنا عشرية: فرقة من فرق الشيعة ، والشيعة : لغة : معناها القوم والأصحاب والأتباع والأنصار ، ثم أُطلق هذا اللفظ اصطلاحاً على الذين انتحلوا مذهب التشيّع لعليّ رضي الله عنه وآل بيته ، وقالوا : إنّه الإمام بعد رسول الله ﷺ ، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج عنه وعن ذريته ، على اختلاف في وراثة الإمامة بينْ أولاده بعد الحسن والحسين ، وأكبر فِرق الشيعة فرقتا الزيديّة والإمامية الإثنا عشرية ، ويقال لهم : الإمامية ؛ لاعتقادهم بأنّ الإمامة قضيّة أصولية ، وهي ركن الدين لا بدّ فيها من تعيين الإمام بالنصّ ، فليست هي قضية مصلحيّة تناط باختيار جمهور المسلمين فعندهم أنّ النبي ﷺ نصّ على إمامة عليّ بن أبي طالب من بعده في عدة مواضع تصريحاً وتلميحاً ، وأكبر فرق الإمامية : الإسماعيلية والإثنا عشرية ، ويقال لهم الإثنا عشرية لاعتقادهم باثني عشر إماماً متعاقبين بعد رسول الله ﷺ من نسل عليّ وفاطمة ، أوّلهم عليّ وآخرهم الحجة القائم المهدي المنتظر صاحب السرداب محمد بن الحسن العسكري الذي دخل سرداباً في دار أبيه بسامراء سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م حسب زعمهم وكان عمره ٤ سنوات أو ٥ أو ٩ . (التعريفات ص/١٣٥ ، والقاموس الإسلامي ١/٢٣ و١/١٧٦ و٤/٢١٧ ، والموسوعة الميسرة ص ٥١ وص ٢١٧ وص ١١٠٦ ، ودائرة وجدي ١/٥٩٢ ، و٢/٧٧٣ و٣/٥٦٤ و٥/٤٢٤ ، وكتاب دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين للدكتور جلي ص ٨٧) .

ويخاصمهم في هذا الباب مخاصمة شديدة كانوا يذمونه ذمّاً شديداً ويحقّرون تحريراته تحقيراً بليغاً » انتهى .

وقال لاردنر في الصفحة (٣٧٦) من المجلد الثاني من تفسيره : « إنّ القدماء أخبرونا أنّ هذه الفرقة كانت تردّ بولس ورسائله » انتهى .

وقال بل في تاريخه في بيان هذه الفرقة : « هذه الفرقة كانت تسلّم من كتب العهد العتيق التوراة فقط ، وكانت تتنفّر عن اسم داود وسليمان وإرميا وحزقيال عليهم السلام ، وكان من العهد الجديد عندها إنجيل متّى فقط لكنّها كانت حرفته في كثير من المواضع وأخرجت البابين الأولين منه » انتهى .

وقال بل في تاريخه في بيان الفرقة المارسيونية[1]: « إنّ هذه الفرقة كانت تعتقد أنّ الإله إلهان : أحدهما خالق الخير ، وثانيهما خالق الشر . وكانت تقول : إنّ التوراة وسائر كتب العهد العتيق من جانب الإله الثاني ، وكلها مخالف للعهد الجديد » .

ثم قال : « إنّ هذه الفرقة كانت تعتقد أنّ عيسى نزل الجحيم بعد موته ، وأنجى أرواح قابيل وأهل سدوم من عذابها لأنّهم حضروا عنده، وما أطاعوا الإله خالق الشر ، وأبقى أرواح هابيل ونوح وإبراهيم والصالحين الآخرين في

---

(١) مارسيوني : في حاشية ق : من المسيحيين . اهـ . وتنسب الفرقة المارسيونية إلى مؤسّسها الأول (مارسيون) ، وهو شخص مبتدع ظهر في القرن الثاني حوالي ١٤٤م ، وقال بالثنائية وأنكر إله العهد القديم ووصفه بأنّه إله قاس وغير رحيم ، ومتقشّف ، ولم يلبث أن اجتمع حوله عدد غير قليل من الأتباع ومن المسيحيين ، وكانت فرقته ترد كل أسفار العهد القديم وتقول بأنّها ليست إلهاميّة ، وتردّ جميع أسفار العهد الجديد وتقول بأنّها محرفة إلاّ إنجيل لوقا وعشر رسائل من رسائل بولس ، ولكن هذا الإنجيل والرسائل المسلّمة عندها تخالف الموجود منها لدى الكنائس ، وتعتقد هذه الفرقة بأنّ عيسى بعد موته دخل جهنّم ونجى أرواح الأشرار كقابيل وأهل سدوم (قوم لوط) ، وأبقى أرواح الصلحاء في جهنّم كنوح وإبراهيم وغيرهما .

وقد تأثر ماني مؤسس الفرقة المانوية بآراء مارسيون ، والتقيا في كثير من الآراء حتى اندمج مذهبهما وذابت الفرقة المارسيونية بالمانوية ، التي خلفتها في القرن الثالث الميلادي . (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٦١٤) .

الجحيم لأنّهم كانوا خالفوا الفريق الأول ، وكانت تعتقد أنّ خالق العالم ليس منحصراً في الإله الذي أرسل عيسى ، ولذلك ما كانت تسلّم أنّ كتب العهد العتيق إلهاميّة ، وكانت تسلّم من العهد الجديد إنجيل لوقا فقط ، لكنّها ما كانت تسلّم البابين الأولين منه ، وكانت تسلّم من رسائل بولس عشر رسائل ، لكنّها كانت تردّ ما كان مخالفاً لخيالها » . انتهى .

ونقل لاردنر في المجلد الثالث من تفسيره قول اكستاين في بيان فرقة ماني كيز[1] هكذا : « هذه الفرقة تقول : إنّ الإله الذي أعطى موسى التوراة ، وكلّم الأنبياء الإسرائيلية ليس بإله بل شيطان من الشياطين ، وتُسلّم كتب العهد الجديد لكنّها تقرّ بوقوع الإلحاق فيها ، وتأخذ ما رضيت به ، وتترك الباقي ، وترجّح بعض الكتب الكاذبة عليها ، وتقول : إنّها صادقة ألبتة » .

ثم قال لاردنر في المجلد المذكور : « اتفق المؤرخون أنّ هذه الفرقة كلها ما كانت تسلّم الكتب المقدسة للعهد العتيق في كل وقت ، وكتب في أعمال اركلاس عقيدة هذه الفرقة هكذا : خدع الشيطان أنبياء اليهود ، والشيطان كلّم موسى وأنبياء اليهود . وكانت تتمسك بالآية الثامنة من الباب العاشر من إنجيل يوحنّا بأنّ المسيح قال لهم : سُرّاق ولصوص[2]. وكانت أخرجت العهد الجديد » . انتهى .

وهكذا حال الفرق الأخرى . لكني اكتفيت على نقل مذاهب الفرق الثلاث المذكورة على عدد التثليث . وأقول : هل تتمّ أقوال هذه الفرق على علماء البروتستانت أم لا ؟ فإنْ تمّت فيلزم عليهم الإعتقاد بهذه الأمور العشرة :

(١) أنّ عيسى عليه السلام إنسان فقط تولّد من يوسف النجار .

---

(١) في حاشية ق : ماني : بمعنى مصدر وادّعى النبوة . اهـ .

(٢) ففي إنجيل يوحنا ١٠/٨ « جميع الذين أتوا قبلي هم سرّاق ولصوص ولكنّ الخراف لم تسمع لهم » .

(٢) وأنّ العمل على أحكام التوراة ضروري للنجاة .

(٣) وأنّ بولس شرّير ، ورسائله واجبة الردّ .

(٤) وأنّ الإله إلهان : خالق الخير وخالق الشر .

(٥) وأنّ أرواح قابيل وأهل سدوم حصل لها النجاة عن عذاب جهنّم بموت عيسى عليه السلام ، وأرواح هابيل ونوح وإبراهيم والصلحاء القدماء معذّبة في جهنّم بعد موته أيضاً .

(٦) وأنّ هؤلاء[1] كانوا مطيعين للشيطان .

(٧) وأنّ التوراة وسائر كتب العهد العتيق من جانب الشيطان .

(٨) وأنّ الذي كلّم موسى والأنبياء الإسرائيلية ليس بإله بل شيطان .

(٩) وأنّ كتب العهد الجديد وقع فيها التحريف بالزيادة .

(١٠) وأنّ بعض الكتب الكاذبة صادقة ألبتة .

وإنْ لم تتمّ أقوال هذه الفِرَق عليهم فلا يتمّ قول بعض الفرق الإسلامية على جمهور أهل الإسلام سيّما إذا كان هذا القول مخالفاً للقرآن ولأقوال الأئمة الطاهرين - رضي الله عنهم - .

وإذا عرفت هذا فأقول[2]: إنّ القرآن ناطق بأنّ الصحابة الكبار - رضي الله عنهم - لم يصدر عنهم شيء يوجب الكفر ويخرجهم عن الإيمان :

(١) قال الله تعالى في سورة التوبة : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** ﴾[3].

فقال الله في حق السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار أربعة أمور :

الأول : رضوانه عنهم . **والثاني** : رضوانهم عنه .

---

(١) يعني الأنبياء والصالحين .

(٢) المؤلف هنا سيبطل طعن الشيعة في الصحابة - رضي الله عنهم - الذي يحتج به خصوم الإسلام على أهل السنة .

(٣) سورة التوبة آية ١٠٠ .

والثالث : تبشيرهم بالجنة .   **والرابع** : وعد خلودهم فيها .

ولا شكّ أنّ أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذا النورين[1] رضي الله عنهم من السابقين الأولين من المهاجرين ، كما أنّ أمير المؤمنين عليّاً ـ رضي الله عنه ـ منهم ، فثبت لهم هذه الأمور الأربعة ، وثبت صحة خلافتهم ، فقول الطاعن في الثلاثة ـ رضي الله عنهم ـ مردود ، كما أنّ قول الطاعن في حق الرابع ـ رضي الله عنه ـ مردود .

(٢) وقال تعالى في سورة التوبة أيضاً : ﴿ **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ● يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ● خالدين فيها أبداً إنّ الله عنده أجر عظيم** ﴾[2].

فقال الله في حق المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أربعة أمور :

الأول : كون درجتهم أعظم عند الله .

والثاني : كونهم فائزين بمرادهم .

والثالث : كونهم مبشَّرين بالرحمة والرضوان والجنات .

---

(١) عثمان : ذو النورين : هو ثالث الخلفاء الراشدين أبو عبدالله أو أبو عمرو : عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي الأموي ، يلتقي نسبه بنسب الرسول ﷺ في عبد مناف ، ولد في مكة سنة ٤٧ ق.هـ/٥٧٧م ، وتزوج رقية ابنة النبي ﷺ وبعد موتها تزوج ابنته الثانية أم كلثوم سنة ٣هـ فسمي ذا النورين ، ولم يتزوج أحد قط ابنتي نبي غيره ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة،وفي فضله أحاديث وأخبار كثيرة ، بويع بالخلافة بعد دفن عمر بثلاثة أيام يوم السبت غرّة محرم سنة ٢٤هـ/٦٤٤م ، توسعت الفتوحات الإسلامية في زمنه ، وأثيرت ضده فتنة قتل فيها ظلماً وهو يقرأ القرآن في داره بالمدينة يوم الجمعة ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥هـ الموافق ١٧ حزيران ٦٥٦م وكان عمره ٨٢ سنة ، ومدة خلافته ١١ سنة و١١ شهرا و١٧ يوماً ، وله في كتب الحديث ١٤٦ حديثاً . (الإصابة ٢/٤٦٢ ، والإستيعاب ٣/٦٩ ، والأعلام ٤/٢١٠ ، والقاموس الإسلامي ٥/٢٦٨ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١١٨٧ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٦/١٥٠) .

(٢) سورة التوبة آية ٢٠ ـ ٢٢ .

والرابع : خلودهم في الجنات أبداً . وأكّد الأمر الرابع غاية التأكيد بثلاث عبارات ، أعني : قوله: ﴿ مقيم ﴾، وقوله : ﴿خالدين فيها﴾، وقوله: ﴿أبدا﴾.

ولا شكّ أنّ الخلفاء الثلاثة - رضي الله عنهم - من المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، كما أنّ عليّا[1] - رضي الله عنه - منهم . فثبتت لهم الأمور الأربعة .

(٣) وقال الله تعالى في سورة التوبة أيضاً : **﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون ● أعدّ الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾**[2].

فقال الله في حق المؤمنين المجاهدين أربعة أمور :

الأول : كون الخيرات لهم .

والثاني : كونهم مفلحين .

(١) علي ابن أبي طالب : هو رابع الخلفاء الراشدين وآخرهم ، أبو الحسن علي بن أبي طالب ابن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنهما ، ولد قبل البعثة بعشر سنين عام ٢٣ ق. هـ/ ٦٠٠م ،وهو أصغر إخوته، وأوّل من أسلم بعد خديجة رضي الله عنها وعمره عشر سنوات ، عاش في كنف النبي ﷺ . وكان فارساً شجاعاً ، وأحد العشرة المبشرين بالجنّة ، وله عدة ألقاب منها أسد الله الغالب ، وكناه النبي بأبي تراب . بويع بالخلافة في المدينة يوم مقتل عثمان في ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥هـ/٦٥٦م ، ولم يرو من الأحاديث في فضل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما روي في فضل عليّ وله خصال يمتاز بها عن سائر الصحابة ، طعنه عبدالرحمن بن ملجم التجوبي الحميري من الخوارج وهو يهم بصلاة الفجر ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وتوفي في ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ الموافق ٢٤ يناير ٦٦١م وكان عمره ٦٣ سنة ومدة خلافته ٤ سنين و٩ أشهر ، ويعتقد أنه دفن قرب الكوفة في المكان المقام عليه الآن مدينة النجف ، له في كتب الحديث ٥٨٦ حديثاً ، اتفق الشيخان على ٢٠ منها . « الإصابة ٥٠٧/٢ ، والإستيعاب ٢٦/٣ ، والأعلام ٢٩٥/٤ ، والقاموس الإسلامي ٤٧٣/٥ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٣٠ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٦٣٦/٦) .

(٢) سورة التوبة آية ٨٨ - ٨٩ .

والثالث : وعد الجنات .

والرابع : خلودهم فيها .

ولا شكّ أنّ الثلاثة ـ رضي الله عنهم ـ من المؤمنين المجاهدين . فثبتت هذه الأمور الأربعة لهم .

(٤) وقال الله تعالى في سورة التوبة أيضاً : ﴿ **إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومَن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ● التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين** ﴾[1].

فَوَعَدَ الله الجنة للمؤمنين المجاهدين وعْداً موثقاً ، وذَكَرَ تسعة أوصاف لهم ، فثبت أنّهم كانوا كذلك ويفوزون بالجنَّة .

(٥) وقال الله في سورة الحج : ﴿ **الذين إنْ مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾[2].

فقوله : ﴿ **الذين إن مكناهم** ﴾ صفة لمن تقدم وهو قوله : ﴿ **الذين أُخرجوا** ﴾، فيكون المراد به المهاجرين لا الأنصار ؛ لأنّهم ما أُخرجوا من ديارهم ، فوصف الله المهاجرين بأنّه إنْ مكنهم في الأرض وأعطاهم السلطنة أتوا بالأمور الأربعة ، وهي: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لكنْ قد ثبت أنّ الله مكّن الخلفاء الأربعة ـ رضي الله عنهم ـ في الأرض ، فوجب كونهم آتين بالأمور الأربعة ، وإذا كانوا كذلك ثبت كونهم

---

(١) سورة التوبة آية ١١١ ـ ١١٢ .

(٢) سورة الحج آية ٤١ .

على الحق . وفي قوله : ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ دلالة على أنّ الذي تقدّم ذكره من تمكينهم في الأرض كائن لا محالة ، ثم إنّ الأمور ترجع إلى الله تعالى بالعاقبة ، فإنّه هو الذي لا يزول ملكه .

(٦) وقال الله تعالى في سورة الحج : **﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبْل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾**[1] .

فسمّى الله في هذه الآية الصحابة بالمسلمين .

(٧) وقال الله تعالى في سورة النور : **﴿ وَعَدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيستخلفَنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولَيمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ولَيُبدِّلَنَّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾**[2].

ولفظ ﴿ مِن ﴾ في قوله : ﴿ منكم ﴾ للتبعيض ، و﴿كم ﴾ ضمير الخطاب . فيدلّان على أنّ المراد بهذا الخطاب بعض المؤمنين الموجودين في زمان نزول هذه السورة لا الكل .

ولفظ الاستخلاف : يدل على أنّ حصول ذلك الوعد يكون بعد الرسول ﷺ ، ومعلوم أنّه لا نبي بعده لأنّه خاتم الأنبياء ، فالمراد بهذا الإستخلاف طريقة الإمامة ، والضمائر الراجعة إليهم في قوله : **﴿ لَيستخلفنّهم . . ﴾** إلى قوله : « **لا يشركون** » وقعت كلها على صيغة الجمع ، والجمع حقيقة لا يكون

---

(١) سورة الحج آية ٧٨ .
(٢) سورة النور آية ٥٥ .

محمولاً على أقل من ثلاثة ، فتدلّ على أنّ هؤلاء الأئمة الموعود لهم لا يكونون أقل من ثلاثة .

وقوله : ﴿ليمكننّ لهم . . . ﴾ إلى آخره ، وعد لهم بحصول القوة والشوكة والنفاذ في العالم ؛ فيدلّ على أنّهم يكونون أقوياء ذوي شوكة ، نافذاً أمرهم في العالم .

وقوله : ﴿دينهم الذي ارتضى لهم﴾ يدلّ على أنّ الدين الذي يظهر في عهدهم يكون هو الدين المرضيّ لله .

وقوله : ﴿ليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا﴾ يدل على أنّهم في عهد خلافتهم يكونون آمنين غير خائفين ، ولا يكونون في الخوف والتّقيّة[1] .

وقوله : ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ يدلّ على أنّهم في عهد خلافتهم أيضاً يكونون مؤمنين لا مشركين .

فدلّت الآية على صِحّة إمامة الأئمة الأربعة رضي الله عنهم ، سيّما الخلفاء الثلاثة ـ أعني : أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذا النورين رضي الله عنهم ؛ لأنّ الفتوحات العظيمة والتمكين التامّ وظهور الدين والأمن التي كانت في عهدهم لم يكن مثلها في عهد أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه لاشتغاله بمحاربة أهل الصلاة في عهده الشريف ؛ فثبت أنّ ما يتفوّه به الشيعة في حق الثلاثة رضي الله عنهم أو الخوارج[2] في حق عثمان وعليّ رضي الله عنهما قول غير قابل للإلتفات .

---

(١) التَّقِيَّة : التُّقاة والتَّقِيَّة بمعنى ، ومعناها الـمُداراة والكتمان ، ويعرّفها الشيعة بأنّها : كتمان الحق وستر الإعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا ، أو هي نظام سرّي يقوم على التظاهر بغير ما في الباطن والسكوت على المخالف في الدين ، وتعدُّ ركناً من أركان المذهب الشيعي (لسان العرب ١٥/٤٠٤ ، ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين للدكتور جلي ص١٥٣ ، والموسوعة الميسرة ص٥٤٠) .

(٢) الخوارج : اصطلاح يطلق في التاريخ الإسلامي على طائفة عقائدية سياسية ظهرت في =

(٨) وقال الله تعالى في سورة الفتح في حقّ المهاجرين والأنصار الذين كانوا مع رسول الله - ﷺ - في صلح الحديبية : **﴿إذْ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميّة حميّة الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحقّ بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً﴾**(١).

فقال في حقهم أربعة أمور :

الأول : أنّهم شركاء للرسول في نزول السكينة .

والثاني : أنّهم مؤمنون .

والثالث : أنّ كلمة التقوى لازمة غير منفكّة عنهم .

والرابع : أنّهم كانوا أحقّ بكلمة التقوى وأهلها .

ولا شكّ أنّ أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - في هؤلاء المهاجرين ، فثبتت لهما ولسائرهم هذه الأمور الأربعة ، ومن اعتقد في حقهم غير هذه فعقيدتهم باطلة مخالفة للقرآن .

(٩) وقال الله تعالى أيضاً في سورة الفتح : **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾**(٢).

= أواخر خلافة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكانت نواة الخوارج من شيعة عليّ الذين خرجوا عليه بعد وقعة صفين سنة ٣٨هـ/٦٥٨م ، فقد خرجوا عليه ورفضوا مسألة التحكيم ونادوا بأن لا حُكم إلاّ لله وكفّروا الحكمين عليا ومعاوية وأتباعهما ، واتفقوا على تكفير مرتكب الكبيرة ، فقتل أحدهم عليا ، وقاوموا الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية مقاومة عنيفة ، وعُرفوا بالحرورية والشّراه والـمُحكَمة الأولى ، ثم انبثقت عنها اثنتان وعشرون فرقة أهمها : الأزارقة والنجدات والصُّفرية والعجاردة والإباضية التي ما زال أتباعها في شمال افريقيا وساحل الخليج العربي ، ويشتهر الخوارج بالتشدد في الدين والعبادة والتمسك بالعقيدة والدفاع عنها حتى الموت . (القاموس الإسلامي ٢/٢٩٢ ، والموسوعة الميسرة ص ٧٦٧ ، ودائرة وجدي ٣/٦٩١ ، ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين للدكتور جلي ص ٣٥) .

(١) سورة الفتح آية ٢٦ .

(٢) سورة الفتح آية ٢٩ .

فمدح الصحابة بكونهم أشداء على الكفار ورحماء فيما بينهم ، وكونهم راكعين وساجدين ومبتغين فضل الله ورضوانه ، فمن اعتقد من مدّعي الإسلام في حقهم غير هذا فهو مخطىء .

(١٠) وقال الله تعالى في سورة الحجرات : ﴿**ولكنّ الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون**﴾(١) .

فعُلم أنّ الصحابة كانوا محبّي الإيمان كارهي الكفر والفسق والعصيان ، وكانوا راشدين ، فاعتقاد ضدّ هذه الأشياء في حقهم خطأ .

(١١) وقال الله تعالى في سورة الحشر : ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ● والذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أُوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾(٢) .

فمدح الله المهاجرين والأنصار بستة أوصاف :

الأول : أنّ هجرة هؤلاء المهاجرين ما كانت لأجل الدنيا ، بل كانت لأجل ابتغاء مرضاة الله .

والثاني : أنّهم كانوا ناصرين لدين الله ورسوله .

والثالث : أنّهم كانوا صادقين قولاً وفعلاً .

والرابع : أنّ الأنصار كانوا يحبّون من هاجر إليهم .

والخامس : أنّهم كانوا يُسَرّون إذا حصل شيء للمهاجرين .

---

(١) سورة الحجرات آية ٧ .

(٢) سورة الحشر آية ٨ ـ ٩ .

والسادس : أنّهم كانوا يقدّمونهم على أنفسهم مع احتياجهم .

وهذه الأوصاف الستة تدلّ على كمال الإيمان ، ومن اعتقد في حقهم غير هذا فهو مخطىء .

وهؤلاء الفقراء من الهاجرين كانوا يقولون لأبي بكر[1] ـ رضي الله عنه ـ يا خليفة رسول الله ، والله يشهد على كونهم صادقين ، فوجب أن يكونوا صادقين في هذا القول أيضاً ، ومتى كان الأمر كذلك وجب الجزم بصحّة إمامته .

(١٢) وقال الله تعالى في سورة آل عمران : ﴿**كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[2] .

---

(١) أبو بكر : هو أبو بكر (عبدالله) بن أبي قحافة (عثمان) بن عامر التيمي القرشي ، يلتقي نسبه مع النبي ﷺ في مرّة بن كعب ، ولد بمكة بعد الفيل بسنتين وستة أشهر عام ٥١ ق . هـ/٥٧٣م ، وكان تاجر ثياب ذا يسار ومعروفاً بالعفة ولين الجانب نافراً من شرب الخمر عالماً بالأنساب ، صاحب محمداً ﷺ قبل البعثة ، وكان أول من آمن به وصلّى معه من الرجال ، صدق بكل ما جاء به النبي ﷺ دون تردّد فسمّي صدّيقاً ، وكان اسمه عبد الكعبة فسماه النبي ﷺ عبدالله ، دعا إلى الله في مكة فأوذي كثيراً وصبر ، فأسلم على يديه كثيرون من أوائل الصحابة وكبارهم ، ولازم النبي ﷺ ملازمة شديدة ، وكان هو الرفيق الوحيد له في الغار وفي الهجرة ، وهو المقصود بقوله تعالى في سورة التوبة آية ٤٠ : ﴿ **إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا** ﴾ ، ورافق النبي ﷺ في جميع غزواته ، وزوّجه ابنته عائشة في المدينة عام ٢هـ ، قدّمه النبي ﷺ في نيابة الحج عام ٩هـ وفي إمامة الصلاة أثناء مرضه ، بويع بالخلافة بإجماع الصحابة في سقيفة بني ساعده يوم وفاة النبي ﷺ ، فكان أوّل الخلفاء الراشدين ، وفور توليّه الخلافة سيّر أحد عشر جيشاً لقتال المرتدين ومانعي الزكاة ثم وجه الجيوش لفتح العراق والشام سنة ١٢هـ/٦٣٣م ، وورد في فضله وحبّ الرسول ﷺ له أحاديث كثيرة ، وبينما كانت رحى القتال دائرة في اليرموك توفي أبو بكر رضي الله عنه في المدينة المنورة يوم الاثنين عشية الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الأخرة سنة ١٣هـ/٦٣٤م وعمره ٦٣ سنة ، وقد دامت خلافته سنتين وثلاثة أشهر ونصفاً . له في كتب الحديث ١٤٢ حديثاً . (الإصابة ٢/٣٤١ ، والإستيعاب ٢/٢٤٣ ، وتهذيب التهذيب ٥/٣١٥ ، والبداية والنهاية ٦/٣٤٠ ، والأعلام ٤/١٠٢ ، والقاموس الإسلامي ٣٤١/١ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ٣١ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٢/٢٩٧) .

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠ .

فمدح الله الصحابة بثلاثة أوصاف :

الأول : أنّهم خير أمة .

والثاني : أنهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

والثالث : أنّهم كانوا مؤمنين بالله .

وهكذا الآيات الأخر ، لكنّي لخوف التطويل أكتفي على اثني عشر موضعاً على عدد[1] الحواريين لعيسى عليه السلام ، وعدد الأئمة الطاهرين[2] الاثني عشر[3] - رضي الله عنهم أجمعين - .

وأنقل خمسة أقوال من أقوال أهل البيت - عليهم السلام - على عدد الخمسة الطاهرين[4] - عليهم السلام :

(١) في نهج البلاغة[5] الذي هو كتاب معتبر عند الشيعة قول عليّ - رضي

---

(١) ليس هناك دليل ثابت في تحديد عدد الحواريين ، وأما أئمة أهل البيت فليسوا محصورين في اثني عشر ، بل هم أكثر من هذا العدد ، وليس هناك ميزة لأئمة الشيعة تسبب تخصيصهم بالإمامة دون إخوانهم وبني عمهم الذين لهم من المكانة العلمية مثل ما لهؤلاء أو أفضل .

(٢) تخصيصهم بوصف الطهارة لا دليل عليه ، فإن من الخلفاء السابقين الأولين المهاجرين والأنصار من يشاركهم في وصف الطهارة من حيث النسب والفضل والعلم ما عدا النبي ﷺ .

(٣) يقصد بهم الأئمة الاثني عشر على مذهب الشيعة الإماميّة الاثني عشرية وترتيبهم كما يلي : (١) عليّ بن أبي طالب ٢٣ ق.هـ - ٤٠هـ (٢) الحسن بن عليّ ٣ - ٥٠هـ (٣) الحسين بن عليّ ٤ - ٦١هـ (٤) عليّ زين العابدين بن الحسين ٣٨ - ٩٥هـ (٥) محمد الباقر بن عليّ ٥٧-١١٤هـ (٦) جعفر الصادق بن محمد ٨٣ - ١٤٨هـ (٧) موسى الكاظم بن جعفر ١٢٨ - ١٨٣هـ (٨) عليّ الرضا بن موسى ١٤٨ - ٢٠٣هـ (٩) محمد الجواد بن عليّ ١٩٥ - ٢٢٠ (١٠) عليّ الهادي بن محمد ٢١٢ - ٢٥٤هـ (١١) الحسن العسكري بن عليّ ٢٣١ - ٢٦٠هـ ٨٧٤م (١٢) محمد المهدي بن الحسن العسكري . (دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين للدكتور جلي ص ١٢٠) .

(٤) يقصد بالخمسة : محمد ﷺ ، وعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين وهؤلاء الأربعة صحابة ومن أهل البيت ، ووصفهم بالطهارة لا ينفيها عن غيرهم من الصحابة الكرام ولا يوجب اختصاصهم بها عدا النبي ﷺ .

(٥) نهج البلاغة : اختلف فيه هل هو للشريف المرتضى جمعه من كلام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أم جمعه أخوه الشريف الرضي ، قال الذهبي في ميزان الاعتدال : « ومن طالع كتاب نهج البلاغة جزم بأنّه مكذوب على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب » وله عدة شروح.(كشف الظنون ١٩٩١/٢ ، وقد نسبه في معجم المؤلفين ١١٢/٧ لعلي رضي الله عنه) .

الله عنه ـ هكذا : « لله درّ فلان[1] فلقد : ١ ـ قوّم الأود[2]، ٢ ـ وداوى العمد[3]، ٣ ـ وأقام السُّنَّة ، ٤ ـ وخلّف البدعة[4]، ٥ ـ ذهب نقي الثوب ، ٦ ـ قليل العيب ، ٧ ـ أصاب خيرها ، ٨ ـ وسبق شرّها ، ٩ ـ أدّى إلى الله طاعته ، ١٠ ـ واتّقاه بحقّه ، رحل وتركهم في طرق متشعّبة لا يهتدي فيه الضالّ ويستيقن المهتدي »[5] انتهى .

والمراد بفلان على مختار أكثر الشارحين ـ منهم البحراني[6] ـ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعلى مختار بعض الشارحين ـ عمر الفاروق رضي الله عنه، فذكر عليّ رضي الله عنه عشرة أوصاف من أوصاف أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما ، فلا بدّ من وجودها فيه . ولما ثبتت هذه الأوصاف له بعد مماته بإقرار عليّ رضي الله عنه فما بقي في صحّة خلافته شكّ[7] .

(٢) وفي كشف الغمّة الذي هو تصنيف علي بن عيسى الأردبيلي[8] الاثني

---

(١) وفي رواية : « لله بلاء فلان » أي لله ما فعل من الخير .

(٢) أي عدّل الاعوجاج .

(٣) أي العلة .

(٤) وروى « خلّف الفتنة » أي تركها خلفاً لا هو أدركها ولا هي أدركته .

(٥) وفي رواية : « ولا يستيقن المهتدي » . انظر نهج البلاغة ، طبعة دار الكتاب اللبناني الثالثة سنة ١٩٨٣م ص ٣٥٠ القول ٢٢٨ .

(٦) البحراني : هو كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني الشيعي ، أديب فقيه متكلم من أماميّة البحرين ، وله عدة مؤلفات منها شرحه لنهج البلاغة توفي سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م . (كشف الظنون ٤٨٦/٦ ، والأعلام ٣٣٦/٧ ، ومعجم المؤلفين ٥٥/١٣) .

(٧) وقد ورد مدح عليّ رضي الله عنه للخلفاء الثلاثة الذين قبله في نهج البلاغة ص ٣٦٦ القول ٦ ، وورد أنّ عمر رضي الله عنه كان يستشيره في بعض القضايا ويبدي رأيه فيها في ص ١٩٢ القول ١٣٤ ، وص ٢٠٣ القول ١٤٦ ، وص ٥٢٢ القول ٢٧٠ ، وورد مدحه للأنصار ص ٥٥٧ القول رقم ٤٦٥ .

(٨) عليّ بن عيسى الأردبيلي : هو أبو الحسن بهاء الدين علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (الأردبيلي) ، أديب وشاعر ومؤرخ إمامي ، خدم ببغداد في ديوان الإنشاء ، وله عدة مؤلفات منها كشف الغمّة في معرفة الأئمة ، وكانت وفاته سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م (كشف الظنون ٧١٤/٥ ، والأعلام ٣١٨/٤ ، ومعجم المؤلفين ١٦٣/٧) .

عشري الذي هو من الفضلاء المعتمدين عند الإماميّة : « سئل الإمام أبو جعفر[1] عليه السلام عن حلية السيف : هل يجوز ؟ فقال : نعم ، قد حلّى أبو بكر الصدّيق سيفه . فقال الراوي : أتقول هكذا ؟! فوثب الإمام من مكانه ، فقال : نَعَمْ الصدّيقُ ، نَعَمْ الصدّيقُ ، نَعَمْ الصدّيقُ ، فمن لم يقل له : (الصدّيق) فلا صدّق الله قوله في الدنيا والآخرة » .

فثبت بإقرار الإمام الهمام أنّ أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ صدّيق حق ، ومنكره كاذب في الدنيا والآخرة .

(٣) ووقع في بعض مكاتيب عليّ ـ رضي الله عنه ـ على ما نقل شارحو نهج البلاغة في حق أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ هكذا : « لعمري ، إنّ مكانهما من الإسلام لعظيم ، وإنّ المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد ، رحمهما الله وجزاهما الله بأحسن ما عملا » .

(٤) ونقل صاحب الفصول[2] الذي هو من كبار علماء الإمامية الاثني عشرية عن الإمام الهمام محمد الباقر[3] ـ رضي الله عنه ـ هكذا : « أنّه قال لجماعة خاضوا في أبي بكر وعمر وعثمان : ألا تخبروني ، أنتم من (المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ،

---

(١) أبو جعفر : هو محمد الباقر .

(٢) اسم الكتاب : (الفصول المهمة في أصول الأئمة)، ومؤلفه محمد بن الحسن الحرّ العاملي (كشف الظنون ١٩٥/٤ و٣٠٤/٦ ، والأعلام ٩٠/٦ ، ومعجم المؤلفين ٢٠٤/٩) .

(٣) محمد الباقر : هو أبو جعفر محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، خامس الأئمة عند فرق الشيعة الإمامية ، ويلقب بالباقر ، وهو والد الإمام السادس جعفر الصادق ، ولد في المدينة المنورة عام ٥٧هـ/٦٧٦م ، واشتغل بعلوم الدين والتفسير ، وله آراء في العلم والتفسير ، أقام بالعراق مدة ، ولم يتعرض للإمامة ولا نازع أحداً في الخلافة ، وكان محمد الباقر يتبرأ دائماً مّما تنسبه إليه طوائف الشيعة بحقّ الصحابة ، كما تبرأ مما نسبه إليه الغلاة من القول بالغيْبة والرجعة والبَدَاء والتناسخ ، توفي بالحميمة سنة ١١٤هـ/٧٣٢م ، ثم نُقل للمدينة ودفن في البقيع . (الأعلام ٢٧٠/٦ ، والقاموس الإسلامي ٢٥٩/١ ، والموسوعة الميسرة ص٣١٣ ، ودراسة عن الفِرق في تاريخ المسلمين ص ١٢٠) .

وينصرون الله ورسوله)[1]؟ قالوا: لا . قال : فأنتم من (الذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم)[2] قالوا : لا . قال : أمّا أنتم فقد برئتم أن تكونوا أحد هذين الفريقين ، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلّاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم** ﴾[3].

فالخائض في الصدّيق والفاروق وذي النورين ـ رضي الله عنهم ـ خارج عن الفِرَق الثلاث الذين مدحهم الله بشهادة الإمام الهمام رضي الله عنه .

(٥) وفي التفسير المنسوب إلى الإمام الهمام الحسن العسكري[4] ـ رضي الله عنه وعن آبائه الكرام ـ : « إنّ الله أوحى إلى آدم ليفيض على كل واحد من محبّي محمد وآل محمد وأصحاب محمد ما لو قُسّمت على كل عدد ما خلق الله من طول الدهر إلى آخره ، وكانوا كفّاراً لأدّاهم إلى عاقبة محمودة ، وإيمان الله حتى يستحقّوا به الجنّة ، وإنّ رجلاً ممّن يبغض آل محمد وأصحابه أو واحداً منهم يعذبه الله عذاباً لو قُسّم على مثل خلق الله لأهلكهم أجمعين »[5].

فعُلم أنّ المحبّة المنجية ما تكون بالنسبة إلى الآل والأصحاب ـ رضي الله عنهم ـ لا بالنسبة إلى أحدهما ، وأنّ بغض واحد من الآل والأصحاب كافٍ

(١) سورة الحشرة آية ٨ ، والمراد بهم هنا: المهاجرون الذين هاجروا من مكة ـ لنصرة الله تعالى ورسوله تاركين ديارهم وأموالهم ـ إلى المدينة التي لا دار لهم فيها ولا مال ولا أهل .

(٢) سورة الحشر آية ٩ ، والمراد بهم هنا الأنصار الذين اتخذوا المدينة والإيمان فلزموهما وتمكنوا فيهما ، فاستقبلوا المهاجرين وأكرموهم وأسكنوهم مع حبّهم لهم .

(٣) سورة الحشر آية ١٠ ، والمراد بهم المؤمنون بعد الفريقين إلى يوم القيامة ، فالآية استوعبت جميع المؤمنين .

(٤) الحسن العسكري : (٢٣١هـ/٨٤٥م ـ ٢٦٠هـ/٨٧٤م) وهو الحسن بن عليّ بن محمد العسكري الإمام الحادي عشر من أئمة الشيعة الإمامية الإثني عشرية ، سكن بسامراء وتوفي فيها ، ويُنسب إليه كتاب (كشف الحجب في التفسير) (معجم المؤلفين ٣/٢٦١) .

(٥) هذا الأثر فاقد للسند المتصل ، ومتنه غير مسلّم ؛ فإن الكفار عاقبتهم إلى الجحيم ، ولو أحبوا الرسول ﷺ .

للهلاك ، نجّانا الله من سوء الاعتقاد في حق الصحابة والآل ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وأماتنا على حبّهم .

ونظراً إلى الآيات الكثيرة والأحاديث الصحيحة اتفق أهل الحق على وجوب تعظيم الصحابة رضي الله عنهم .

الشبهة الثانية : (أنّ مؤلّفي كتب الحديث ما رأوا الحالات المحمدية والمعجزات الأحمدية بأعينهم ، وما سمعوا أقوال محمد [ﷺ] منه بلا واسطة ، بل سمعوها بالتواتر بعد مائة سنة أو مائتي سنة من وفاة محمد [ﷺ] وجمعوها ، وأسقطوا مقدار نصفها لعدم الاعتبار) .

والجواب : قد عرفت في الفصل الثالث أنّ الرواية اللسانية معتبرة عند جمهور أهل الكتاب ، واعتبارها ثابت من هذا الإنجيل المتداول ، وأنّ فرقة البروتستانت تحتاج إلى اعتبارها في أمور كثيرة هي على إقرار ماني سيك الأسقف بمقدار ستمائة ، وأنّ خمسة أبواب من سفر الأمثال جُمعت من الروايات اللسانية في عهد حزقيا بعد مدة مائتين وسبعين سنة من موت سليمان عليه السلام ، وأنّ إنجيل مرقس ولوقا وتسعة عشر باباً من كتاب الأعمال كُتبت بالرواية اللسانية ، وأنّ الأمر المهتمّ بشأنه يكون محفوظاً ولا يتطرّق فيه خلل بمرور مدة ، وأنّ التابعين كانوا شرعوا في تدوين الأحاديث في الكتب لكنّهم دونوها على غير ترتيب أبواب الفقه ، وأنّ طبقة تَبَع التابعين دوّنوا على ترتيبها ، ثم إنّ البخاري[1] وباقي مؤلفي الكتب الصحّاح اقتصروا على ذكر الأحاديث

---

(١) البخاري : هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، ولد بمدينة بخارى سنة ١٩٤هـ/ ٨١٠م وفيها تلقى العلم وكان ميّالاً للدقّة والتمحيص ، وله عدة مؤلفات أهمها الجامع الصحيح المشهور بصحيح البخاري وقد رتبه على أبواب الفقه ، وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو ، توفي في سمرقند سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م . (تهذيب التهذيب ٤٧/٩ ، والأعلام ٣٤/٦ ، ومعجم البلدان ٣٥٥/١ ، وكشف الظنون ٥٤١/١ و١٦/٦ ، ومعجم المؤلفين ٥٢/٩ ، والقاموس الإسلامي ٢٨١/١ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ٣٣١ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٥٦/٢) .

الصحيحة وتركوا الضعاف ، وروى كلّ من أصحاب الصحاح الأحاديث بالإسناد منهم إلى رسول الله ﷺ . وقد صُنّف في أسماء الرجال فنّ عظيم الشأن يعلم به حال كل راو من رواة الحديث[1].

وكذا قد عرفت[2] أنّ أهل الإسلام كيف يعتبرون الحديث الصحيح فلا يَرِدُ عليهم شيء .

وقولهم : « سمعوها بالتواتر . . . . وأسقطوا مقدار نصفها لعدم الاعتبار » غلط ؛ لأنّهم ما أسقطوا لعدم الإعتبار حديثاً من الأحاديث التي سمعوها بالتواتر ؛ لأنّ الحديث المتواتر عندهم واجب الاعتبار ، نعم تركوا الضعاف التي لم تكن أسانيدها كاملة وتركها لا يضرّ كما عرفت في الباب الثاني من قول آدم كلارك : « إنّ هذا الأمر محقّق أنّ الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أوّل القرون المسيحية ، وكثرة هذه الأحوال الكاذبة غير الصحيحة هيّجت لوقا على تحرير الإنجيل ، ويوجد ذِكْر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة ، والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية ، وكان فابري سيوس جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاثة مجلدات » انتهى .

الشبهة الثالثة : (أنّ كل عاقل إذا ترك التعصّب عَلِم أنّ أكثر الأحاديث لا يمكن أن تكون معانيها صادقة مطابقة لما في نفس الأمر) .

والجواب : لا يوجد في الأحاديث الصحيحة شيء يكون مضمونه ممتنعاً عند العقل . وأمّا بعض المعجزات التي هي خلاف العادة ، وبعض أحوال الجنّة

---

(١) هو علم رجال الأحاديث ، ومن فروعه علم الجَرْح والتعديل ، وهو علم يُبحث فيه عن جَرْح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة وعن مراتب تلك الألفاظ ، والكلام في الرجال جَرْحاً وتعديلاً ثابت عن رسول الله ﷺ ، ثم عن كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، وجُوِّز ذلك تورّعاً وصوناً للشريعة لا طعناً في الناس ، والمصنفات فيه كثيرة جداً . وكذلك علم أصول الحديث (علم دراية الحديث) وهو علم يُعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها . (كشف الظنون ١/١٠٩ و٥٨٢ و٨٣٤ ، والقاموس الإسلامي ١/٥٩٣ و٢/٣٥٤) .

(٢) في المطبوعة (اعترف) وفي المخطوطة والمقروءة (عرفت) .

والجحيم والملائكة التي لا يوجد لها نظائر في هذه الدنيا ـ فإنْ كان استبعادهم لها لأجل أنّها ممتنعة بالبرهان فعليهم ذِكْر هذا البرهان وعلينا جوابه ، وإنْ كان لأجل أنّها خلاف العادة أو لا يوجد لها نظائر في هذا العالم فلا يضرّنا ؛ لأنّ المعجزة لو كانت على مجرى العادة لا تكون معجزة ، أليس صيرورة العصا ثعباناً وابتلاعها جميع تنانين السحرة ثم صيرورتها كما كانت بلا زيادة حجم ـ وهكذا جميع معجزات موسى عليه السلام ـ على خلاف مجرى العادة؟ وقياس العالم الآخر على هذا العالم قياس مع الفارق ، نعم لو قام البرهان القطعي على امتناع شيء يقطع بامتناعه في العالم الآخر أيضاً وبدون قيام البرهان لا يُتجاسر على إنكاره في العالم الآخر ، ألا يرون إلى اختلاف أحوال الأقاليم ؟ فإنّ بعض الأشياء توجد في بعض دون بعض ، فمن كان من إقليم وسمع حال بعض الأشياء العجيبة المختصة بإقليم آخر يستبعد ، بل كثيراً ما يُنكر بشرط أن لا يكون سماعه بالتواتر ، وقد يكون بعض الأمور مستبعدة في بعض الأحيان دون بعض ، كما أنّ قطع المسافة البحرية بهذه السرعة التي تُقطع بالمراكب الدخانيّة أو البريّة التي تُقطع بالعربيات الدخانية كان من المستبعدات عند الناس قبل إيجاد المراكب الدخانية والعربيات الدخانية ، وكذا وصول الخبر في دقيقة أو دقيقتين إلى مسافة بعيدة بواسطة السلك المعروف كان من المستبعدات قبل إيجاده ، وما بقيت مستبعدة بعد اختراع هذه الأشياء وامتحانها ، لكنّ الإنصاف أنّ عادة الـمُنكِرين أنّهم يغمضون عين الإنصاف ، ويَحْكُمون على كلّ شيء يُرى مستبعداً في آرائهم أنه محال .

وتعلّم علماء البروتستانت هذه العادة من أبناء صنفهم الذين يسمّونهم الملاحدة ، لكنّ العجب من هؤلاء العلماء أنّهم لا يرون أنّ كتبهم مملوءة بالأغلاط الصريحة كما نقلت بعضها على سبيل الأنموذج في الفصل الثالث من الباب الأول ، وأنّهم ما تنبهوا باستبعادات أبناء صنفهم ، وعاملوا المسلمين بما

عاملت أبناء صنفهم بهم[1]، وقد كانت استبعادات أبناء صنفهم غالباً أقوى من استبعاداتهم الناقصة .

وأنا أنقل بعض المواضع من المواضع التي يستهزئون بها ويستبعدونها ، مثلاً :

(١) وقع في الباب الثاني والعشرين من كتاب العدد هكذا : «٢٨ - ففتح الربّ فم الأتانة[2] وقالت لبلعام[3]: ما الذي فعلت بك هذه ثلاث مرّات قد ضربتني (٢٩) فقال بلعام للأتان : لأنك استأهلت ذلك مني . . . . [الخ] (٣٠) فقلت الأتانة لبلعام : ألست أنا أتانك التي تركب منذ كنتَ غلاماً إلى يومك هذا فهل فعلت بك مثل هذا فقال لا » .

قال هورن في الصفحة ٦٣٦ من المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢م: «إنّ الكفار من زمان قليل يستهزئون بتكلّم أتان بلعام» انتهى .

(٢) ووقع في الباب السابع عشر من سفر الملوك الأول أنّ الغربان[4] كانت

---

(١) معنى العبارة : أنّ علماء البروتستانت أنكروا أموراً من الدين الإسلامي لمجرد استبعادهم العقلي لها من غير دليل ، اقتداء بملاحدة أوروبا الذين أنكروا كثيراً من أمور الدين المسيحي مع قوة حججهم في الإنكار .

(٢) التأنيث بالتاء غلط ، فالأتان هي الحمارة الأنثى ولا يقال لها أتانة ؛ لأنّ لفظ الأتان لا يقع إلّا على الأنثى ، أمّا لفظ الحمار فيقع على الذكر والأنثى . فيقال : جئت على حمار أتان ، أي حمارة ، وجمع أتان : آتُنٌ وأُتْنٌ وأُتُنٌ (لسان العرب ٦/١٣) .

(٣) بلعام : اختلف في هذه الشخصية كثيراً ، ففي قاموس الكتاب المقدس أنّه بلعام بن بعور من بلاد ما بين النهرين ، وأنّه كان موحّداً ورفض طلب بالاق ملك مؤاب بأن يلعن بني إسرائيل ، لكنه فيما بعد دبّر وسيلة ليوقعهم في الشرك فقُتِل ، وفي تفاسير القرآن الكريم أن آيات سورة الأعراف ١٧٥ - ١٧٦ ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها . . ﴾ تشير إلى قصة بلعام بن باعوراء أحد علماء بني إسرائيل ، أو هو من الكنعانيين وأوتي علماً . (تفسير البيضاوي ص ٢٢٩ ، وتفسير أبي السعود ٤٣٢/٢ ، والقاموس الإسلامي ٣٥٤/١ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٨٩) .

(٤) في حاشية المخطوطة والمطبوعة : جمع غراب بمعنى الطائر المشهور . اهـ . وهو طائر أسود منه عدة أنواع ، ويأكل الحشرات الضارة والثدييات القوارض والبيض وفراخ الطيور. (الموسوعة الميسرة ص ١٢٥٣) .

تجيب اللحم والخبز لايليّا الرسول إلى مدّة[1]، وهذا الأمر ضحكة عند أبناء صنفهم حتى مال محققهم المشهور هورن إلى رأيهم وسفّه مفسريهم ومترجميهم بوجوه ثلاثة كما عرفتها في الفصل الثالث من الباب الأول .

(٣)ووقع في الباب الرابع من كتاب حزقيال هكذا ـ وأنقل عبارته عن الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م ـ : « ٤ ـ وأنت تنام على جانبك اليسرى وتجعل آثام بيت إسرائيل عليها على عدد أيام ترقد عليها وتتخذ إثمهم (٥) أمّا أنا أعطيتك سِنِي آثامهم على عدد أيام ثلاثمائة وتسعين يوماً وتحمل إثم آل إسرائيل (٦) ثم إذا أكملت هذا تنام على جانبك اليمين ثانية وتتخذ إثم آل يهوذا أربعين يوماً إنّ يوماً عوض سنة فيوماً عوض سنة جعلته لك (٧) وتُقبِل بوجهك إلى محاصرة أورشليم وذراعك تكون مشدودة وتنبّأ عليها (٨) هوذا شددتك بوثاق ولا تلتفت من جانبك إلى الجانب الآخر حتى تتمّ أيام محاصرتك (٩) وأنت خذ لك حنطة وشعيراً وفولاً وعدساً ودخناً وجاورس[2] وتجعلهنّ في إناء واحد وتخبز لك خبزاً على عدد الأيام التي ترقد فيها على جانبك ثلاثمائة وتسعين يوماً تأكله (١٠) وطعامك الذي تأكله يكون بالوزن عشرين مثقالاً في كل يوم من وقت إلى وقت تأكله (١١) وتشرب ماء بمقدار السدس من القسط من وقت إلى وقت تشربه (١٢) وكخبز مُلّةٍ من شعير تأكله وتلطخه بزبل[3] يخرج من الإنسان في عيونهم » .

فأمر الله حزقيال عليه السلام بثلاثة أحكام :

الأول: أن يرقد على جانبه الأيسر ثلاثمائة وتسعين يوماً ويحمل إثم آل إسرائيل ، ثم يرقد على جانبه الأيمن أربعين يوماً ويحمل إثم آل يهوذا .

---

(١) انظر سفر الملوك الأول ١٧/٢ ـ ٧ .

(٢) في حاشية ق : حب رفاع . اهـ . وفي طبعة سنة ١٨٦٥م: (وكرسنة) ، وهي نوع حبوب تأكله الحيوانات .

(٣) في طبعة سنة ١٨٦٥م بدل كلمة (زبل) وردت كلمة (خرء) .

والثاني : أن يُقبِل بوجهه إلى محاصرة أورشليم وتكون ذراعه مشدودة ، ولا يلتفت من جانب إلى جانب آخر حتى تتمّ أيام المحاصرة .

والثالث : أن يأكل إلى ثلاثمائة وتسعين يوماً كل يوم خبزاً ملطخاً ببراز الإنسان .

وأبناء صنفهم يستهزئون بهذه الأحكام ، ويستبعدون أن تكون من جانب الله ، ويقولون : إنّها واهية بعيدة عن العقل ، ولا يأمر الله أن يأكل نبيّه المقدّس إلى مدة ثلاثمائة وتسعين يوماً خبزاً ملطخاً ببراز الإنسان ، أَمَا كان الإدام غير هذا ؟! إلّا أنْ يُقال : إنّ البراز في حق الطّاهرين يكون طاهراً - كما يفهم من ظاهر كلام مقدّسهم بولس في الآية الخامسة عشرة من الباب الأول من رسالته إلى تيطس[1] - على أنّ الله قد أخبر بواسطته[2] أنّ « النفس التي تخطيء فهي تموت والابن لا يحمل إثم الأب والأب لا يحمل إثم الابن وعدل العادل يكون عليه ونفاق المنافق يكون عليه » كما هو مصرح به في الآية العشرين من الباب الثامن عشر من كتابه ، فكيف أمره أن يحمل آثام إسرائيل ويهوذا إلى أربعمائة وثلاثين يوماً ؟!

(٤) ووقع في الباب العشرين من كتاب إشعياء أنّ الله أمره أن يكون عرياناً حافياً إلى ثلاث سنين ، ويمشي على هذه الحالة[3]. وأبناء صنفهم يستهزئون بهذا الحكم ، ويقولون استهزاء : أيأمر الله نبيه الذي يكون في قيد العقل

(١) ففي رسالة بولس إلى تيطس ١٥/١ « كل شيء طاهر للطاهرين وأمّا للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهراً بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم » .

(٢) الضمير راجع إلى حزقيال .

(٣) ففي سفر إشعياء : ٢/٢٠ - ٤ « ٢ - في ذلك الوقت تكلّم الرب عن يد إشعياء بن آموص قائلاً : اذهب وحُلّ المسح عن حقويك واخلع حذائك عن رجليك ففعل هكذا ومشى معرّى وحافياً (٣) فقال الرب كما مشى عبدي إشعياء معرّى وحافياً ثلاث سنين آية وأعجوبة على مصر وعلى كوش (٤) هكذا يسوق ملك أشور سبى مصر وجلاءَ كوش الفتيانَ والشيوخَ عراة وحفاة ومكشوفي الاستاه خزيا لمصر » .

ولا يكون مجنوناً أن يمشي مكشوف العورة الغليظة بين النساء والرجال إلى ثلاث سنين ؟!

(٥) ووقع في الباب الأول من كتاب هوشع أنّ الله أمره أن يأخذ لنفسه زوجة زانية وأولاد الزنا . ثم وقع في الباب الثالث من الكتاب المذكور أن يتعشّق امرأة فاسقة محبوبة لزوجها[١].

وقد وقع في الآية الثالثة عشرة من الباب الحادي والعشرين من سفر الأحبار هكذا : « ولا يتزوّج الكاهـن إلاّ امرأة عذرى ولا يتزوج أرملة ولا مطلّقة ولا منجّسة بالزنا فلا يتزوّج من هؤلاء البتة بل يتزوّج عذرى من قومه »[٢].

وفي الباب الخامس من إنجيل متّى هكذا : « كلّ من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه » .

فكيف أمر الله نبيه بما ذُكر ؟! وهكذا استبعادات أخر ، فمن شاء فليرجع إلى كتب أبناء صنفهم .

الشبهة الرابعة : (الأحاديث الكثيرة مخالفة للقرآن ؛ لأنّه وقع في القرآن أنّ محمداً [ﷺ] ما ظهرت منه معجزة ، وفي الأحاديث أنّه صدرت منه معجزات كثيرة . وأنّه وقع في القرآن أنّ محمداً [ﷺ] كان مذنباً ، وفي أكثر الأحاديث أنّه كان معصوماً . وأنّه وقع في القرآن أنّ محمداً [ﷺ] كان في الابتداء في الجهل والضلالة كقوله في سورة الضحى : ﴿**ووجدك ضالاً فهدى**﴾[٣]،

---

(١) ففي سفر هوشع ١/٢ ـ ٣ « ٢ ــ أول ما كلم الرب هوشع قال الرب لهوشع اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب (٣) فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم فحبلت وولدت له ابناً » .
وفي سفر هوشع ٣/١ « وقال الرب لي اذهب أيضاً أحبب امرأة حبيبة صاحب وزانية » .

(٢) انظر سفر اللاويين (الأحبار) ٢١/١٣ ـ ١٤ .

(٣) سورة الضحى آية ٧ .

وكقوله في سورة الشورى : ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾[1]، وفي الأحاديث أنّه تولّد في الإيمان ولذلك ظهرت منه معجزات كثيرة)[2].

هذا غاية جهدهم في إثبات المخالفة بين القرآن والأحاديث .

والجواب : أنّ الأمرين الأولين لـمّا كانا من أعظم مطاعن النبي - ﷺ - أردتُ أن أتعرّض بهما في الباب السادس في المطاعن ، وأجيب عنهما هناك ، فانتظر .

والجواب عن الثالث : أنّ الضالّ في الآية الأولى ليس المراد به الضالّ عن الإيمان ليكون بمعنى الكافر ؛ فَيَرِدُ اعتراضهم . بل في تفسير هذه الآية وجوه :

الوجه الأول : ما روي مرفوعاً أنه عليه الصلاة والسلام قال : « ضللت عن جدي عبدالمطلب[3] وأنا صبي ضائع وكاد الجوع يقتلني فهداني الله »[4].

---

(١) سورة الشورى آية ٥٢ .

(٢) هذه الشبهة تتضمن ثلاثة شواهد على مخالفة الأحاديث للقرآن وهي : (أ) في القرآن عدم صدور المعجزات المحمديّة وفي الأحاديث صدورها (ب) في القرآن أنّ محمداً مذنب وغير معصوم وفي الأحاديث أنّه معصوم عن الذنوب (جـ) في القرآن أنّ محمداً ضالّ ، وفي الأحاديث أنه ولد مؤمناً .

(٣) عبد المطلب: هو جدّ النبي ﷺ ، أبو الحارث عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ومن سادات العرب وحكمائهم ومقدّميهم، ولد في المدينة المنورة (يثرب) حوالي عام ١٢٧ ق. هـ/٥٠٠م ونشأ في مكة ، وكان عاقلاً ذا أناة ونجدة ، فصيح اللسان حاضر القلب ، حرّم على نفسه أشياء كثيرة من أمور الجاهلية ، فأحبّه قومه وجعلوا له السقاية والرفادة ، وهما من مظاهر الجود ، أعاد حفر بئر زمزم بعد أن كانت مطمورة زمناً طـ ىلاً ، وترتبط سيرته بقصّة أبرهة الحبشي وأصحاب الفيل ، وفي عام الفيل ولد محمد ﷺ فسمّاه جدّه محمداً ، وكفله ثماني سنوات إلى أن توفي بمكة سنة ٤٥ ق.هـ/٥٧٩م .(سيرة ابن هشام المجلد الأول ص ٤٨ ـ ٥٧ وص ١٣٧ ـ ١٥٤ ، والأعلام ١٥٤/٤ ، والقاموس الإسلامي ٢٠٤/٥ ، والموسوعة الميسرة ص ١١٨٥ ، ودائرة وجدي ٧٦٤/٥) .

(٤) ذكره الرازي عن الضحاك في التفسير الكبير ٢١٧/٣١ .

والوجه الثاني : أنّ معناها وجدك ضالاّ عن شريعتك ، أي : لا تعرفها لا بإلهام أو وحي ، فهداك إليها تارة بالوحي الجليّ ، وأخرى بالخفيّ ، وهو مختار البيضاوي والكشاف والجلالين .

في البيضاوي : « ﴿ **ووجدك ضالاً** ﴾عن علم الحكم والأحكام ﴿ **فهدى** ﴾ فعلّمك بالوحي والإلهام والتوفيق للنظر »[1].

وجاء بهذا المعنى في حق موسى عليه السلام أيضاً في قوله تعالى : ﴿ **فعلتها إذاً وأنا من الضالين**﴾[2].

والوجه الثالث : أنّه يقال : ضلّ الماء في اللبن إذا صار مغموراً ، فمعنى الآية : كنت مغموراً بين الكفار بمكة فقوّاك الله تعالى حتى أظهرتَ دينه .

وجاء بهذا المعنى في قوله تعالى : ﴿**أإذا ضللنا في الأرض أإنّا لفي خلق جديد**﴾[3].

والوجه الرابع : أنّ معناها : كنت ضالاّ عن النبوة ما كنت تطمع فيها ، ولا خطر شيء في قلبك منها ، فإنّ اليهود والنصارى كانوا يزعمون أنّ النّبوّة في بني إسرائيل فهديتك إلى النّبوّة التي ما كنت تطمع فيها ألبتة .

والوجه الخامس : أنّ معناها : وجدك ضالاّ عن الهجرة لعدم نزول الإذن فهداك بالإذن .

---

(١) انظر تفسير البيضاوي ص ٨٠٢ ، والجلالين ص ٨١٢ ، والكشاف ٤/٢٦٤ ، وتفسير الرازي ٣١/٢١٦ .

(٢) سورة الشعراء آية ٢٠ ، وقال البيضاوي في تفسيرها ص ٤٨٦ : « من الجاهلين » .

(٣) سورة السجدة آية ١٠ ، وقال البيضاوي في تفسيرها ص ٥٤٩ : « أي صرنا تراباً مخلوطاً بتراب الأرض لا نتميز منه أو غبنا فيها » ، وفي لسان العرب ١١/٣٩٥ « فضللنا في الأرض فلم يتبين شيء من خَلْقنا » وفي ص ٣٩١ « أضللت الشيء إذا غيّبته وأضللت الميت دفنته » ، وفي ص ٣٩٢ « ضلّ الشيء : خفي وغاب » . وفي ص ٣٩٣ : « وأصل الضلال الغيبوبة ، يقال ضلّ الماء في اللبن إذا غاب » .

والوجه السادس : أنّ العرب تسمّي الشجرة في الفلاة ضالّة . كأنّه تعالى يقول كانت البلاد كالمفازة[1] ليس فيها شجرة تحمل ثمر الإيمان إلاّ أنت ، فأنت شجرة فريدة في مفازة الجهل ، فوجدتك ضالاّ فهديت بك الخلق . ونظيره قوله عليه السلام : « الحكمة ضالة المؤمن »[2].

والوجه السابع : أنّ معناها : وجدك ضالاّ عن القبلة ، فإنّه كان يتمنّى أن تُجعل الكعبة قبلة له ، وما كان يعرف أنّ ذلك يحصل أم لا ، فهداه الله بقوله : ﴿فلَنولينك قِبلة ترضاها﴾[3] فكأنّه سمّى ذلك التحيّر بالضلال .

والوجه الثامن : الضلال بمعنى المحبة ، كما في قوله تعالى : ﴿إنّك لفي ضلالك القديم﴾[4] أي : محبتك ، ومعناه : أنّك محب فهديتك إلى الشرائع التي بها تتقرب إلى خدمة محبوبك .

والوجه التاسع : أنّ معناها : وجدك ضالاّ أي : ضائعاً[5] في قومك : كانوا يؤذونك ، ولا يرضون بك رعيّة ، فقوّى أمرك ، وهداك إلى أن صرت والياً عليهم .

والوجه العاشر : أنّ معناها : ما كنت تهتدي على طريق السماوات فهديتك إذْ عرجت بك إليها ليلة المعراج .

(١) في لسان العرب ٣٩٣/٥ : المفاز والمفازة : البرّيّة القفر ، وسُمّيت الصحراء مفازة لأنّها مهلكة فمن قطعها وخرج منها فاز .

(٢) رواه الترمذي ١٥٩/١٠ في أبواب العلم ١٩ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، ورواه ابن ماجه ٤٢٠/٢ في أبواب الزهد ١٥ حديث رقم ٤٢٢١ كلاهما عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها » . وانظر لسان العرب ٣٩٢/١١ .

(٣) سورة البقرة آية ١٤٤ .

(٤) سورة يوسف آية ٩٥ ، وهو قول أبناء يعقوب لأبيهم ، قال البيضاوي في تفسيرها ص ٣٢٣ : « أي لفي ذهابك عن الصواب قدماً بالإفراط في محبة يوسف وإكثار ذكره والتوقع للقائه » .

(٥) انظر لسان العرب ٣٩٣/١١ .

والوجه الحادي عشر : أنّ معناها : ﴿ وجدك ضالاّ ﴾ أي ناسياً ﴿ فهدى ﴾ أي : ذكّرك ، وذلك أنّه ليلة المعراج نسي ما يجب أن يُقال بسبب الهيبة فهداه الله تعالى إلى كيفية الثناء حتى قال : « لا أحصي ثناء عليك »[1]. وجاء الضلال بهذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ أن تضل إحداهما ﴾[2].

والوجه الثاني عشر : قال الجنيد[3] ـ قُدِّس سره ـ : وجدك متحيّراً في بيان ما أنزل عليك فهداك لبيانه ؛ لقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ﴾[4]، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به • إنّ علينا جمعه وقرآنه • فإذا قرأناه فاتبع قرآنه • ثم إنّ علينا بيانه • ﴾[5]، وقوله عز وجل : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً ﴾[6].

(١) هذه العبارة واردة في مواطن كثيرة : فقد رواها مسلم في الصلاة ٢٢٢ (٢٠٣/٤) ، وأبو داود في الصلاة ١٤٨ ، والنسائي في قيام الليل ٥١ ، والترمذي في الدعوات ٧٥ و ١١٢ ، والموطأ في مسّ القرآن ٣١ ، وأحمد في عدة مواطن ، ورواها ابن ماجه في الإقامة ١١٦ رقم ١١٦٨ (٢١٣/١) ، وفي الدعاء ٣ رقم ٣٨٨٦ (٣٤٣/٢) .

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٢ . قال البيضاوي في تفسيرها ص ٦٤ : « إنْ ضلّت الشهادة بأن نسيتها ذكّرتها الأخرى » ، وفي لسان العرب ٣٩٣/١١ : « أي تغيب عن حفظها أو يغيب حفظها عنها » .

(٣) الجنيد : هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزّاز القواريري ، مولده ونشأته ووفاته ببغداد وأصله من نهاوند ، وكان يعمل في الخزّ وأبوه يصنع القوارير ، درس الجنيد علوم القرآن والحديث وتفقه على أبي ثور ، وقيل كان فقيهاً على مذهب سفيان الثوري ، وتتلمذ على خاله السَّريّ السقطي ، واجتمع بالحارث المحاسبي ، بلغ الجنيد منزلة رفيعة بين متصوفة عصره حتى لقب بسيد الطائفة وطاووس العلماء وشيخ المشايخ قبل انزلاق المتصوفة ، ويعرف أتباعه بالجنيدية نسبة إليه ، وكان يأمرهم بالتركيز على العمل واقتفاء أثَر الرسول ﷺ ، وضبْط الطريقة بقواعد الكتاب والسنة والحذر من العقائد الباطلة . وله رسائل مطبوعة ، توفي ببغداد سنة ٢٩٧/٩١٠م . (كشف الظنون ٢٥٨/٥ ، والأعلام ١٤١/٢ ، ومعجم المؤلفين ١٦٢/٣ ، والقاموس الإسلامي ٦٤٣/١ ، والموسوعة الميسرة ص ٦٥٢ ، ودائرة وجدي ١٧٧/٣) .

(٤) سورة النحل آية ٤٤ .

(٥) سورة القيامة آية ١٦ ـ ١٩ . (٦) سورة طه آية ١١٤ .

وعلى كل تقدير لا تمسّك لهم بهذه الآية[1]، ويجب تفسير الآية بالوجوه التي ذكرتها ، وبأمثالها التي ذكرها المفسرون لقوله تعالى : ﴿ **ما ضل صاحبكم وما غوى**﴾[2] إذْ المراد به نفي الضلالة والغواية في أمور الدين بلا شبهة ، ومعناه : ما كفر ولا أقلّ من ذلك فما فسق .

والمراد في الآية الثانية[3]: بالكتاب : القرآن ، وبالإيمان : تفاصيل شرائع الإسلام . ومعنى الآية : ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا الفرائض والأحكام . وهذا حقّ ؛ لأنّ النبي - ﷺ - كان قبل الوحي مؤمناً بتوحيد الرب إجمالاً ، وما كان عارفاً بتفاصيل شرائع الإسلام ، بل صار عارفاً بها بعد الوحي .

أو المراد بالإيمان : الصلاة ، كما في قوله تعالى : ﴿**وما كان الله ليضيع إيمانكم**﴾[4] أي : صلاتكم ، فمعنى الآية ﴿**ما كنت تدري ما الكتاب**﴾ أي : القرآن ، ﴿ **ولا الإيمان** ﴾ أي : الصلاة ، وما كان رسول الله - ﷺ - عالماً بكيفية هذه الصلاة المشروعة في ملّته قبل النبوة .

أو المراد بالإيمان أهل الإيمان على حذف المضاف ، أي : ما كنت تدري ما الكتاب ومَنْ أهل الإيمان ، يعني : مَن الذي يؤمن بك .

وحذف المضاف كثير في كتبهم المقدسة أيضاً :

الآية الحادية والعشرون من الزبور الثامن والسبعين هكذا : « من أجل هذا

---

(١) أي آية سورة الضحى رقم ٧ ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ .

(٢) سورة النجم آية ٢ ، وقد قال البيضاوي في تفسيرها ص ٦٩٧ : « ما عدل محمد عليه الصلاة والسلام عن الطريق المستقيم ، وما غوى : وما اعتقد باطلاً » .

(٣) يقصد آية ٥٢ من سورة الشورى﴿ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾وقد وردت في سياق الشبهة الرابعة .

(٤) سورة البقرة آية ١٤٣ وتفسيرها في البيضاوي ص ٣٠ .

سمع الربّ فغضب واشتعلت النار في يعقوب والرّجز صعد على إسرائيل »[١].

وفي الآية الرابعة من الباب السابع عشر من كتاب إشعياء هكذا : « يضعف مجد يعقوب وسمن جسمه يهزل ».

وفي الباب الثالث والأربعين من كتاب إشعياء هكذا : « ٢٢ - لا دعوتني يعقوب[٢] ولم تتعب لأجلي إسرائيل (٢٨) فنجّسْت الرؤساء القديسين وجعلت يعقوب قَتْلا وإسرائيل تجديفاً ».

وفي الباب الثالث من كتاب إرميا هكذا : « ٦ - وقال لي الربّ في أيام يوشيا الملك هل رأيت ما فعلته معاصية إسرائيل : انطلقت لنفسها إلى كل جبل رفيع وتحت كلّ شجرة مورقة وزنت هناك (٧) فقلت بعدما فعلت هذه جميعها : ارجعي إليّ ولم ترجع فرأت أختها يهوذا الفاجرة (٨) لأنّ من أجل أن زنت إسرائيل المعاصية فأنا طلّقتها ودفعت إليها كتاب طلاقها فلم تخف يهوذا الفاجرة بل ذهبت وزنت هي أيضاً (١١) وقال لي الرب قد برّرت نفسها إسرائيل المعاصية بمقابلة يهوذا الفاجرة (١٢) . . . . . ارجعي يا إسرائيل المعاصية »[٣].

وفي الباب الرابع من كتاب هوشع هكذا : « ١٥ - إنْ كنت يا إسرائيل أنت

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة والمقروءة أنّها الآية « الثانية والعشرون » والصواب « الحادية والعشرون » وهي في طبعة سنة ١٨٤٤م مزمور ٢١/٧٧ ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م مزمور ٢١/٧٨ ، وهذا نصّ طبعة سنة ١٨٤٤م .

(٢) المراد بيعقوب هنا ذريته وهم بنو إسرائيل (اليهود) .

(٣) المقصود بيهوذا : مملكة يهوذا أي المملكة الجنوبية وعاصمتها القدس ، والمقصود بإسرائيل هنا : مملكة إسرائيل أي المملكة الشمالية وعاصمتها نابلس ، فقد عُبِدت الأوثان فيها قبل مملكة يهوذا ، وكان دمار المملكة الشمالية نهائياً سنة ٧٢٢ ق.م على يد سرجون الأشوري ، وكان دمار المملكة الجنوبية نهائياً سنة ٥٨٦ ق.م أو ٥٨٧ ق.م على يد بختنصّر البابلي ، بعد أختها بحوالي ١٣٦ سنة . وقد سبقت الإشارة في المقدمة إلى كثرة الأخطاء اللغوية والنحوية في طبعة سنة ١٨٤٤م .

تزني فلا يأثم يهوذا . . . [الخ] (١٦) لأنّ إسرائيل كبقرة شاغبة . . . [الخ] (١٧) صاحب الأوثان أفرام » الخ .

وفي الباب الثامن من كتاب هوشع هكذا : « ٣ ـ أرذل إسرائيلُ الخير . . . [الخ] (٨) ابتُلع إسرائيل الآن صار في الأمم كإناء نجس (١١) أفرام[١] أكثر مذابح للخطيّة . . . [الخ] (١٤) ونسي إسرائيل خالقه . . » الخ .

ففي هذه العبارات يجب حذف المضاف ، وإلّا يلزم والعياذ بالله أن يكون يعقوب عليه السلام مغضوباً عليه ، وضعيف المجد ، وغير داع بالله[٢]، وقَتْلاً ، وتجديفاً ، ومعاصية زانية تحت كل شجرة ، وغير راجع إلى الله ، وكبقرة شاغبة ، ومرذّل الخير ، وكإناء نجس ، وناسياً لخالقه .

الشبهة الخامسة : (الأحاديث مختلفة) .

والجواب : أنّ الإعتبار عندنا للأحاديث الصحيحة المرويّة في الكتب الصحاح ، والأحاديث التي هي مروية في كتب غير معتبرة لا اعتبار لها عندنا ، ولا تعارض الصحيحة ، كما أنّ الأناجيل الكثيرة الزائدة على السبعين في القرون الأولى لا تعارض عند المسيحيين هذه الأناجيل الأربعة ، والاختلاف الذي يوجد في الأحاديث الصحيحة يرتفع غالباً بأدنى تأويل ، وليس ذلك الإختلاف مثل الإختلاف الذي يوجد في روايات كتبهم المقدسة إلى الآن كما عرفت مائة وخمسة وعشرين[٣] منها في الباب الأول ، ولو نقلنا عن كتبهم المقبولة الاختلافات التي تكون مثل اختلاف يثبتونه في بعض الأحاديث

---

(١) في حاشية ق : قبيلة من أولاد يوسف . اهـ . والمقصود به سبط أفرايم بن يوسف ، ويقصد به أحياناً المملكة الشمالية مملكة إسرائيل وقد كان أول ملوكها يربعام بن ناباط من سبط أفرايم .

(٢) في المخطوطة : بالله ، وفي المطبوعة والمقروءة : لله .

(٣) في المطبوعة « مائة وأربعة وعشرين » ، وفي المخطوطة : « مائة وخمسة وعشرين » وهو الصواب .

الصحيحة قلّما يخرج باب يكون خالياً عن مثل هذا الإختلاف .

والذين يسمّيهم علماء البروتستانت ملاحدة نقلوا كثيراً من هذه الإختلافات في كتبهم ، واستهزؤوا بها ، فمن شاء فليرجع إلى كتبهم .

وأنقل أيضاً بطريق الأنموذج عن كتاب جان كلارك المطبوع سنة ١٨٣٩م في لندن ، وكتاب أكسيهومو المطبوع سنة ١٨١٣م في لندن ، وغيرهما ـ خمسين اختلافاً نقلوها في ذات الله وصفاته عن كتب العهدين ، وأكتفي على نقل هذه الإختلافات ؛ لأنّ المعترضين ـ هداهم الله تعالى ـ إنْ جاوزوا فيها حدّ الأدب لكنّ هذه المجاوزة أقلّ من المجاوزة التي توجد في كلامهم عند التشنيع على الأنبياء عليهم السلام سيما وقت التشنيع على مريم وعيسى عليهما السلام كما ستعرفه في الإختلاف الرابع والعشرين من القول الذي أنقله طرداً ، وإنّما نقلت هذه الإعتراضات لتحصل البصيرة للناظر أنّ اعتراضات علماء البروتستانت على الأحاديث النبوية أضعف من اعتراضات أبناء صنفهم على مضامين كتبهم المقدسة ، وما نقلتها لأجل أنّها مستحسنة عندي ، بل أتبرّأ من أكثر خرافات الفريقين ، ونقْلُ الكفر ليس بكفر :

(١) الآية الثامنة من الزبور المائة والخامس والأربعين هكذا : « الربّ حنّان رحوم بطيء عن الغضب وعظيم النعمة » .

والآية التاسعة عشرة من الباب السادس من سفر صموئيل الأول هكذا : « وضرب الربّ من أهل بيت شمس لأنهم رآوا بتابوت الربّ وضرب من الشعب سبعين رجلاً وخمسين ألف رجل » .

فانظروا إلى شدة رحمته وبطء غضبه ، أنه قتل خمسين ألف رجل وسبعين من قومه الخاص على خطأ خفيف .

(٢) الآية العاشرة من الباب الثاني والثلاثين من سفر التثنية هكذا : « وجده

في الأرض القفر في المكان المخيف والبرّيّة المتسعة أطاف به وعلّمه وحفظه مثل حدقة عينه » .

وفي الباب الخامس والعشرين من سفر العدد « ٣ ـ وقال الله لموسى انطلق برؤساء الشعب كلّهم وصلّبهم قدّام الله تلقاء الشمس فترتدّ شدّة غضبي عن إسرائيل (٩) وكان من مات أربعة وعشرين ألفاً من البشر » .

فانظروا إلى حفظه الشعب مثل حدقة عينه ، أنه أمر موسى بصلب رؤساء الشعب كلهم ، وأهلك منهم أربعة وعشرين ألفاً .

(٣) الآية الخامسة من الباب الثامن من سفر التثنية هكذا : « لتحسب في قلبك أنّه كما أنّ الرجل يؤدّب ابنه كذلك أدّبك الربّ إلاهك » .

والآية الثانية والثلاثون[١] من الباب الحادي عشر من سفر العدد هكذا : « واللحم حتى الآن بين أسنانهم ولم يفرغوا من أكله وهو ذا غضب الرب اشتدّ على الشعب فضربه ضربة عظيمة جداً » .

فانظروا إلى تأديبه كتأديب الأب ابنه ، أنّ هؤلاء المفلوكين[٢] لما حصل لهم اللحم وشرعوا في الأكل ضربهم ضربة عظيمة .

(٤) في الآية الثامنة عشرة من الباب السابع من كتاب ميخا في حق الله هكذا : « لأنه مريد الرحمة » .

وفي الباب السابع من سفر التثنية في حق سبعة شعوب عظيمة هكذا : « ٢ ـ وأسلمهم الربّ إلاهك بيدك فاضرب بهم حتى إنك لا تُبقي منهم بقيّة فلا تواثقهم ميثاقاً ولا ترحمهم (١٦) فتبتلع الشعوب جميعهم الذين الربّ إلاهك يعطيك إياهم فلا تعفو عنهم عينك . . . . » الخ .

---

(١) في طبعة سنة ١٨٤٤م : ٣٢ ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م هي الفقرة ٣٣ .

(٢) في حاشية ق : أي المحتاجين . اهـ . والفلاكة : الفقر ، والمفلوك ، الفقير ، وجمعه مفاليك . (المعجم الوسيط ص ٧٠١) .

فانظروا إلى كونه مريد الرحمة ، أنه أمر بني إسرائيل بقتل سبعة شعوب عظيمة[1]، وعدم الرحمة عليهم ، وعدم العفو عنهم .

(٥) في الآية الحادية عشرة من الباب الخامس من رسالة يعقوب هكذا : « ورأيتم عاقبة الربّ لأنّ الربّ كثير الرحمة ورؤوف » .

والآية السادسة عشرة من الباب الثالث عشر من كتاب هوشع هكذا : «فتهلك سامرة[2] لأنّها مرّرت إلاهها، فليبيدوا بالسيف، وأطفالهم ينطرحوا ، حباليهم يشققن» .

فانظروا إلى كثرة رأفته في حق الأطفال والحبالى .

(٦) في الآية الثالثة والثلاثين من الباب الثالث من مراثي إرميا هكذا : « إنه من قلبه لا يؤذي بني آدم ولا يحزنهم» .

لكنّ عدم إيذائه بني آدم وعدم تحزينهم بمرتبة أنّه أهلك الأشدوديينّ[3] بالبواسير كما هو مصرح به في الباب الخامس من سفر صموئيل الأول[4]، وأهلك ألوفاً من عساكر الملوك الخمسة[5] بإمطار الحجارة الكبيرة من السماء حتى

---

(١) هم الحيثيّون والجرجاشيّون والأموريّون والكنعانيّون والفرزيّون والحوّيّون واليبوسيّون .

(٢) يطلق اسم السامرة على المملكة الشمالية وسكانها أي مملكة إسرائيل في نابلس .

(٣) الأشدوديّون : هم سكان مدينة أشدود إحدى المدن القديمة في فلسطين وقد تنطق بالسين (أسدود) ، وتقع قرب شاطيء البحر الأبيض المتوسط على بعد حوالي ٣٥ كم جنوب يافا و ٣٥ كم شمال شرقي غزة ، و٥٢ كم غربي القدس ، والنسبة إليها : أشدودي ، وكان الفلسطينيون في إحدى معاركهم مع بني إسرائيل قد استولوا على التابوت ووضعوه في أشدود في هيكل الإله داجون ، ثم نقلوه إلى جت. (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٧) .

(٤) انظر سفر صموئيل الأول ٥/٦ـ١٢ .

(٥) الملوك الخمسة هم أدوني صادق ملك أورشليم (القدس) ، وهوهام ملك حبرون (الخليل) ، وفرآم ملك يرموت (خربة يرموك على بعد ثمانية أميال إلى الشمال الشرقي من بيت جبرين) ، ويافيع ملك لخيش (تلّ الحصى على بعد ١٦ ميلاً إلى الشمال الشرقي من غزه ، أو تل الدوير على بعد ٥ أميال إلى الجنوب الغربي من بيت جبرين) ، وملك عجلون .

كان الذين ماتوا بالحجارة أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف كما هو مصرح به في الباب العاشر من كتاب يوشع[1]، وأهلك كثيراً من بني إسرائيل بإرسال الحيات كما هو مصرح به في الباب الحادي والعشرين من سفر العدد[2].

(٧) في الآية الحادية والأربعين من الباب السادس عشر من سفر الأيام الأول هكذا: « إنّ إلى الأبد فضله ».

والآية التاسعة من الزبور المائة والخامس والأربعين هكذا: « الربّ صالح للكل ورأفته على جميع خلقه ».

لكنّ أبديّة فضله وعموم رأفته على جميع الخلق بمرتبة أنّه أهلك جميع الحيوانات والإنسان غير أهل السفينة في عهد نوح عليه السلام بإرسال الطوفان، وأهلك أهل سادوم وعامورة ونواحيهما بإمطار الكبريت والنار من السماء كما هو مصرح به في الباب السابع والتاسع عشر من سفر التكوين[3].

(٨) الآية السادسة عشرة من الباب الرابع والعشرين من سفر التثنية هكذا: « لا تُقْتَل الآباء عوض البنين ولا البنون عوض الآباء ولكن كل واحد يموت بذنبه ».

وفي الباب الحادي والعشرين من سفر صموئيل الثاني[4] أنّ داود عليه السلام سلّم سبعة أشخاص من أولاد شاول بأمر الرب بأيدي أهل جبعون ليقتلوهم بخطأشاول فصلبوهم، وقد كان داودعليه السلام عاهد شاول وحلف

---

(١) ففي سفر يشوع ١١/١٠ « رماهم بحجارة عظيمة من السماء إلى عَزيقة فماتوا والذين ماتوا بحجارة البرد هم أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف ».

(٢) ففي سفر العدد ٦/٢١ « فأرسل الرب على الشعب الحيّات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل ».

(٣) انظر سفر التكوين ٢١/٧ ـ ٢٤، و ٢٣/١٩ ـ ٢٥.

(٤) انظر سفر صموئيل الثاني ٦/٢١ ـ ٩.

أن لا يهلك ذريته بعد موته كما هو مصرح به في الباب الرابع والعشرين من سفر صموئيل الأول[1] فوُجِد نقض العهد أيضاً بأمر الله .

(٩) في الآية السابعة من الباب الرابع والثلاثين من سفر الخروج هكذا : « تجازي الأبناء وأبناءهم بإثم آبائهم إلى ثلاثة وأربعة أجيال » .

وفي الآية العشرين من الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال هكذا : « النفس التي تخطيء فهي تموت والابن لا يحمل إثم الأب والأب لا يحمل إثم الابن وعدل العادل يكون عليه ونفاق المنافق يكون عليه » .

فيُعلم منه أنّ الأبناء لا يحملون إثم الآباء إلى جيل واحد فضلاً عن أربعة أجيال . وهذا الحمل لو كان إلى أربعة أجيال فقط كان مغتنماً ، لكنّ الإله الأب ناقض هذا الـحُكْم أيضاً ، وأمر بحمل إثم الآباء على الأبناء بعد أجيال كثيرة أيضاً :

في الباب الخامس عشر من سفر صموئيل الأول هكذا : « ٢ ـ هكذا يقول رب الصباووت[2] إني ذكرت كلّما صنع عماليقُ[3] بإسرائيل أنه قاومه في الطريق حيث صعدوا من مصر (٣) فالآن اذهب فاضرب عماليق وأهلك جميع ماهم ولا ترحمهم ولا ترغب من مالهم شيئاً بل اقتل من الرجال حتّى إلى النساء ومن

(١) انظر سفر صموئيل الأول ٢٤/٢١ ـ ٢٢ ، وهما في طبعة سنة ١٨٤٤م ٢٢ ـ ٢٣ .

(٢) أي رب الجنود كما في طبعة سنة ١٨٦٥م .

(٣) العمالقة والعماليق والعمالِق : جمع عملاق ، وهو الشجر أو الإنسان الذي يفوق غيره طولاً وضخامة ، وينسب العماليق إلى عملاق بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وهم من قبائل العرب البائدة ومن بقية قوم عاد ، وهم الجبابرة الذين كانوا بالشام على عهد موسى عليه السلام ، وقد ورد ذكرهم في سورة المائدة آية ٢٢،وكانوا يسكنون في صحراء النقب في جنوب فلسطين في الشمال الشرقي من صحراء سيناء ، وكان أول صدام لبني إسرائيل مع العمالقة في عهد يوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام . (لسان العرب ١٠/٢٧١ ، والمعجم الوسيط ص ٦٢٨ ، والقاموس الإسلامي ٥/٥٠٦ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٣٥ و ١٨٩٩ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٦ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٦/٢٣٢ و ٧٤٩) .

الغلمان حتى الأطفال ومن البقر إلى الغنم والإبل والحمير أيضاً » .

فانظروا أنه ذكر بقوة حافظته بعد أربعمائة سنة[1] ما صنع عماليقُ بإسرائيل ، فأمر بعد هذه المدة بالانتقام من أولادهم وقَتْل رجالهم ونسائهم وأطفالهم الصغار جدّاً ومواشيهم من البقر والغنم والحمير ، ولـمّا لم يعمل شاول على أمره الشريف ندم على جعله ملِكاً .

وترقّى ابنه الوحيد الإله الثاني فأمر بحمل إثم الآباء على الأبناء بعد أربعة آلاف سنة :

في الباب الثالث والعشرين من إنجيل متّى قول هذا الإله الثاني في خطاب اليهود هكذا : « يأتي عليكم كلّ دم زكي سُفِك على الأرض من دم هابيل الصدّيق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح الحق أقول لكم إنّ هذا كلّه يأتي على هذا الجيل »[2].

ثم ترقّى الآب الإله الأوّل ، وتخيّل أنّ إثم آدم محمول على أولاده إلى هذه المدة ـ وقد مضت أزيد من أربعة آلاف وثلاثين سنة[3] . وقد مضت من آدم إلى يسوع خمسة وسبعون جيلاً على ما صرح به لوقا في الباب الثالث من إنجيله[4] ـ ورأى أنّ أولاد آدم كلهم مستحقّون للنار لو لم تكن الكفارة كاملة جيدة ، وما رأى غير ابنه الإله الثاني حريّا بها بأن يُصلب من أيدي أرذل أقوام الدنيا وهم اليهود ، وما ظهر له طريق النجاة غير هذا ، فأمره أن يُصلب وتركه ، ولم يُغثْه في شدته حتى صرخ لأجل شدّة العذاب ، ونادى الآب قائلاً : « إلهي

---

(١) لأنّ حكم شاول كان في النصف الثاني من القرن الحادي عشر قبل الميلاد (١٠٥٠ ـ ١٠١٠ ق.م) ، وكان قتال العماليق على يد خليفة موسى يوشع بن نون في أواخر القرن الخامس عشر قبل الميلاد (انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٩ وص ٩١٦) .

(٢) انظر إنجيل متى ٢٣/٣٥ ـ ٣٦ .

(٣) لأنّه على رأي المؤرخ ماريانوس سكوتوس أنّ المدة بين خلق آدم إلى ميلاد المسيح ٤١٩٢ سنة .

(٤) انظر إنجيل لوقا ٣/٢٣ ـ ٣٨ .

إلهي لماذا تركتني »[1]، ثم صرخ ثانياً ومات ، وبعد موته صار ملعوناً ودخل الجحيم والعياذ بالله ، على أنّه لم يثبت من كتاب من كتب العهد العتيق أنّ زكريّا بن برخيا قُتِل بين الهيكل والمذبح . نعم ، صرح في الباب الرابع والعشرين من سفر الأيام الثاني أنّ زكريا بن يهوياداع الحبر قُتِل في صحن بيت الرب في عهد يوآش الملك ، ثم عبيد الملك قتلوه بانتقام دم زكريا[2]، فحرف الإنجيلي[3] يهوياداع ببرخيا . ولعلّ لوقا لأجل ذلك اكتفى في الباب الحادي عشر من إنجيله على اسم زكريا[4]، ولم يذكر اسم أبيه[5].

---

(١) انظر إنجيل متّى ٢٧/ ٤٦ ، وإنجيل مرقس ١٥/ ٣٤ .

(٢) القصة في سفر أخبار الأيام الثاني ٢٤/ ٢٠ ـ ٢٧ ، وفيما يلي بعض فقراتها : « ٢٠ ـ ولبس روح الله زكريا بن يهوياداع الكاهن فوقف فوق الشعب وقال لهم هكذا يقول الله لماذا تتعدون وصايا الرب فلا تفلحون لأنكم تركتم الرب قد ترككم (٢١) ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بأمر المَلِك في دار بيت الرب (٢٥) . . . فتن عليه عبيده من أجل دماء بني يهوياداع الكاهن وقتلوه على سريره فمات » . أي قتلوا المَلِك .

(٣) أي إنجيل متّى ٢٣/ ٣٥ ـ ٣٦ فذكر زكريا بن برخيا بينما اسمه في سفر أخبار الأيام الثاني ٢٤/ ٢٠ زكريا بن يهوياداع .

(٤) ففي إنجيل لوقا ١١/ ٥٠ ـ ٥١ قول المسيح : « ٥٠ ـ لكي يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ إنشاء العالم (٥١) من دم هابيل إلى دم زكريا الذي أهلك بين المذبح والبيت نعم أقول لكم إنّه يُطلب من هذا الجيل » .

(٥) وقع كتّاب قاموس الكتاب المقدس في خلط كبير بخصوص ترجمة زكريا ، فجعلوا زكريا والد يحيى عليهما السلام مجرّد كاهن فقط من فرقة أبيا ولم يشيروا إلى قتله ، وجعلوا زكريا بن برخيا معاصراً للمَلِك داريوس، وكانت نبوته مابين ٥٢٠ ـ ٥١٨ ق.م ، وأن زكريا الذي أشار المسيح إلى قتله هو زكريا بن يهوياداع الذي كان معاصراً للمَلِكين أخزيا ويوآش وكان حكمهما ما بين ٨٤٣ ـ ٧٩٧ ق.م ، وأنّ زكريا المقتول كان كاهناً ولم يكن نبياً ، وههنا عدة أغلاط عظيمة لما يأتي :

١ ـ لأنّ زكريا والد يوحنا المعمدان نبي بنص القرآن وليس بكاهن فقط .

٢ ـ ولأنّ اليهود قتلوا زكريا بعد قتل ابنه يحيى ، وهذا لا يمنع أنّهم قتلوا زكريا آخر قبله، لكن ليس هو ابن برخيا .

٣ ـ ولأنّ مقصود المسيح عليه السلام تحميل اليهود دم آخِر نبي قُتِل، فإذا جُعِل هذا الأخير المقتول هو زكريا بن يهوياداع الذي كان قبل المسيح بثمانية قرون فعلى مَن يكون اللوم في =

فانظروا إلى هذه الأمور التسعة[1] كيف يثبت منها رحمة الله تعالى .

(١٠) في الآية الخامسة من الزبور الثلاثين هكذا : « إنّ غضبه لحظة »[2] .

وفي الآية الثالثة عشرة من الباب الثاني والثلاثين من سفر العدد هكذا : « فاشتدّ غضب الربّ على بني إسرائيل فأتاهم في القفار أربعين سنة حتى باد ذلك الخَلَف كلّه وهلك أولئك الذين أساؤوا قدّامه » .

فانظروا إلى غضبه اللحظيّ أنّه كيف عامل بني إسرائيل !

(١١) في الآية الأولى من الباب السابع عشر من سفر التكوين : « أنا الله القادر »[3] .

وفي الآية التاسعة عشرة من الباب الأول من كتاب القضاة هكذا : « وكان الربّ مع يهوذا وورث الجبال ولم يستطع يستأصل أهل الوادي لأنّ كانت لهم مراكب كثيرة من حديد » .

فانظروا إلى قدرته أنّه لم يقدر على استئصال أهل الوادي لكونهم ذوي مراكب كثيرة من حديد .

= قتل يحيى وأبيه زكريا وهما كانا معاصرين للمسيح عليه السلام وتألم لمقتلهما وقام بأعباء الدعوة بعدهما ، فإنهم لما قتلوا يحيى بحثوا عن أبيه زكريا فقتلوه ، فكان مقتله بعد مقتل ابنه ، وذلك في حياة المسيح ، وحاول اليهود قتل المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم ولكن الله نجاهما فيكون آخر مَن قتلوا من الأنبياء يحيى وأباه زكريا فحمّلهم المسيح الدم المسفوك من هابيل إلى زمانه . والغلط واضح في جعلهم زكريا والد يحيى مجرد كاهن فقط ولم يُقتل وأنّ المقتول فقط زكريا الذي عاش قبل المسيح بثمانية قرون ، وينبني على هذا الغلط براءة اليهود من دماء الأنبياء بعد القرن الثامن ، وقد عجز كتاب قاموس الكتاب المقدس عن التوفيق في هذه المسألة ، ولذلك عند ترجمة زكريا والد يحيى لم يذكروا اسم أبيه رغم قرب العهد من المسيح واكتفوا بقولهم (زكريا والد يوحنا) وتابعهم في خلطهم وغلطهم كتاب الموسوعة العربية الميسرة . (انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٤٢٧ وص ٤٢٨ وص ٩١٧ وص ٩٥٢ ، والقاموس الإسلامي ٣/ ٧٠ ، والموسوعة الميسرة ص ٩٢٥ ، ودائرة وجدي ٤/ ٥٦٨) .

(١) أي الأمثلة من ١ ـ ٩ .

(٢) ليست في طبعة سنة ١٨٤٤م ، وأمّا في طبعة سنة ١٨٦٥م « لأنّ للحظة غضبه » .

(٣) في طبعة سنة ١٨٤٤م « أنا الله ضابط الكل » ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م « أنا الله القدير » .

(١٢) في الآية السابعة عشرة من الباب العاشر من سفر التثنية هكذا : « إنّ الربّ إلهكم هو إله الآلهة وربّ الأرباب إله عظيم جبّار » .

والآية الثالثة عشرة من الباب الثاني من كتاب عاموص هكذا : (ترجمة عربية سنة ١٨٤٤م) : « هأنذا أصرّ من تحتكم كما تصرّ العجلة المحمّلة حشيشاً » .

ترجمة فارسية سنة ١٨٣٨م) : « اينك من در زيرشما جسبيده شدم جنانجه أرابه برازاً اقد جسبيده مي شود » .

انظروا إلى عظمته وجبّاريته أنّه صرّ تحت بني إسرائيل كما تصرّ العجلة المحملة حشيشاً .

(١٣) في الآية الثامنة والعشرين من الباب الأربعين من كتاب إشعياء هكذا : « الربّ الذي خلق أطراف الأرض لن يضعف ولن يتعب » .

والآية الثالثة والعشرون من الباب الخامس من كتاب القضاة هكذا : « العنوا أرض ماروز[١] قال ملاك الرب العنوا سكانها لأنّهم لم يأتوا إلى معونة الربّ في مقابلة الأقوياء »[٢].

فانظروا إلى عدم ضعفه أنّه كان محتاجاً إلى الإعانة في مقابلة الأقوياء ، ويلعن من لم يجىء للإعانة :

ووقع في الآية التاسعة من الباب الثالث من كتاب ملاخيا هكذا : « صرتم ملعونين باللعنة لأنكم نعم هذا القوم كلهم نهبوني » .

وهذا أيضاً يدلّ على أنّ بني إسرائيل نهبوه فيلعنهم .

---

(١) ماروز (ميروز): اسم مكان في أقصى شمال فلسطين ، قرب بحيرة الحولة ، إلى الشمال الغربي من مدينة صفد بـ ٦ كم. (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٣٩) .

(٢) في طبعة سنة ١٨٦٥م « معونة الرب بين الجبابرة » .

وظهر من هذه الأمثلة الأربعة[1] حال قدرته .

(١٤) الآية الثالثة من الباب الخامس عشر من سفر الأمثال هكذا : « عينا الرب في كل مكان يترقّبان الصالحين والطالحين » .

وفي الآية التاسعة من الباب الثالث من سفر التكوين هكذا : « فدعا الرب الإله آدم وقال له : أين أنت » .

فانظروا إلى ترقّب عينيه في كل مكان أنّه احتاج إلى الإستفهام من آدم حين اختفى في وسط شجرة الفردوس .

(١٥) في الآية التاسعة من الباب السادس عشر من سفر الأيام الثاني هكذا : « عينا الربّ محيطتان بكل الأرض » .

والآية الخامسة من الباب الحادي عشر من سفر التكوين هكذا : « فنزل الرب لينظر المدينة والبرج الذي كان يبتنيه بنوا آدم » .

فانظروا إلى إحاطة عينيه كل الأرض أنّه احتاج إلى النزول والنظر ليعلم حال المدينة والبرج .

(١٦) الآية الثالثة[2] من الزبور المائة والتاسع والثلاثين هكذا : « وميزت سعيي وسكوني واطّلعت على طرقي كلها » . يعلم منها أن الله عالم طرق العباد كلها وأفعالهم .

وفي الباب الثامن عشر من سفر التكوين هكذا : « ٢٠ ـ فقال الربّ إنّ صراخ سادوم وعامورة قد كثر وخطيئتهم ثقلت جداً (٢١) انزل انظر إن كان فعلهم يشاكل الصراخ الآتي أم لا لأعلم ذلك » .

---

(١) أي من ١٠ ـ ١٣ .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة والمقروءة أنّها الفقرة « الثانية » وهي في طبعة سنة ١٨٤٤م في مزمور ٣/١٣٨ ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م في مزمور ٣/١٣٩ .

فانظروا إلى كونه عالم طرق العباد وأفعالهم كلها أنّه احتاج إلى النزول والنظر ليعلم أنّ فعل أهل سادوم وعاموره يشاكل الصراخ الواصل إليه أم لا .

(١٧) الآية الخامسة من الزبور المذكور هكذا : « فما أعجب هذا العلم عندي فهو أرفع من أن أدركه »[١] .

وفي الآية الخامسة من الباب الثالث والثلاثين من سفر الخروج هكذا : « أمّا الآن فاعزلوا عنكم زينتكم فأعلم ما أفعله بكم » .

فانظروا إلى علمه الخارج عن الإدراك أنّه لم يعلم ما يفعل بهم ما لم يعزلوا زينتهم .

والآية الرابعة من الباب السادس عشر من سفر الخروج هكذا : « فقال الربّ لموسى إني أُمطر عليكم خبزاً من السماء فليخرج الشعب ويلقطوا يوماً بيوم طعامهم من أجل أني امتحنهم » .

والآية الثانية من الباب الثامن[٢] من سفر التثنية هكذا : « واذكر كل الطريق التي ساسك به الرب إلاهك أربعين سنة في القفار ليعذبك ويبتليك ويبان ما كان في قلبك أتحفظ وصاياه أم لا ؟ » .

فالرب محتاج إلى الإمتحان ليعلم ما في قلوبهم فامتحنهم بإمطار الخبز ، وبسياستهم أربعين سنة في القفار .

فعُلِم من هذه الأمثلة الستة[٣] حال كونه عالم الغيب .

(١٨) في الآية السادسة من الباب الثالث من كتاب ملاخيا هكذا : « فإنّي أنا الرب ولا أتغيّر » .

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة والمقروءة أنها الفقرة « الخامسة » وهي في طبعة سنة ١٨٤٤م في مزمور ٦/١٣٨ ، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م في مزمور ٦/١٣٩ .

(٢) في المطبوعة والمقروءة : « الثاني » والصواب : « الثامن » كما في المخطوطة .

(٣) أي الأمثلة من ١٤ ـ ١٧ ، والأخير فيه ثلاثة أمثلة .

وفي الباب الثاني والعشرين من سفر العدد هكذا : « فأتى الله بلعام في الليل وقال له إذْ كان هؤلاء القوم إنّما جاؤوا ليدْعوك فانطلق معهم ولكن لا تفعل إلاّ الذي أقوله لك (٢١) فقام بلعام غدوة وركب أتانه وانطلق مع عظماء مؤاب (٢٢) فغضب الله عليه لما ذهب . . . » الخ .

فانظروا إلى عدم تغيّره أنّه أتى في الليل وأمر بلعام بالإنطلاق مع عظماء مؤاب، ولـمّا فعل بلعام ما أُمِر غضب عليه .

(١٩) في الآية السابعة عشرة من الباب الأول من رسالة يعقوب هكذا : « ليس عنده تغيير ولا ظل دوران » .

وقد أمر بمحافظة السبت في أكثر المواضع من كتب العهد العتيق[١]، وصرح في كثير منها أنّه أبدي ، والقسيسون بدلوا السبت بالأحد فيلزم عليهم الإعتراف بأنّه متغيّر .

(٢٠) في الباب الأول من سفر التكوين وقع في حق السماء والكواكب والحيوانات أنّها حسنة[٢].

وفي الآية الخامسة عشرة من الباب الخامس عشر من كتاب أيوب هكذا : « والسماء ليست بطاهرة قدّامه » .

وفي الآية الخامسة من الباب الخامس والعشرين هكذا : « والكواكب لا تزكو بين يديه » .

ووقع في الباب الحادي عشر من سفر الأحبار في حق كثير من البهائم والطيور وحشرات الأرض أنّها قبيحة محرّمة[٣].

---

(١) انظر سفر التكوين ٢/١ ـ ٣ ، وسفر الخروج ٢٠/٨ ـ ١١ و١٦/٢٢ ـ ٣٠ ، وسفر العدد ١٥/٣٢ ـ ٣٦ ، وسفر التثنية ٥/١٢ ـ ١٥ . وانظر قاموس الكتاب المقدس ص ٤٥٣ .

(٢) انظر سفر التكوين ١/١٤ ـ ١٩ .

(٣) الاصحاح الحادي عشر من سفر الأحبار (اللاويين) كلّه فيما يحلّ وما يحرم أكله .

(٢١) في الآية الخامسة والعشرين من الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال هكذا : « فاسمعوا يا بيت إسرائيل أطريقي ليس بمستقيم ؟ أم ليس بالحري أنّ طرقكم خبيثة ؟ » .

وفي الباب الأول من كتاب ملاخيا هكذا : « ٢ - إنّي أحببتكم قال الربّ وقلتم في أيّ شيء أحببتنا ؟ أليس أنّه عيسو أخاً ليعقوب ؟ يقول الرب وأحببت يعقوب (٣) وبغضت عيسو وجعلت جباله قفراً وميراثُهُ لتنانين البريّة » .

انظروا إلى استقامة طريقه أنّه بغض عيسو بلا سبب وجعل جباله قفراً وميراثه لتنانين البرية .

(٢٢) في الآية الثالثة من الباب الخامس عشر من المشاهدات هكذا : « أيّها الرب الإله القادر على كل شيء عادلة وحق هي طرقك » .

والآية الخامسة والعشرون من الباب العشرين من كتاب حزقيال هكذا : « إذن أعطيتهم أنا وصايا غير حسنة وأحكاماً لا يعيشون بها » .

(٢٣) الآية الثامنة والستون من الزبور المائة والتاسع عشر هكذا : « رب إنك صالح ومصلح فعلّمني سننك » .

والآية الثالثة والعشرون من الباب التاسع من كتاب القضاة هكذا : « وسلّط الربّ روحاً رديّاً بين أبيمالك[1] وسكان شخيم[2] وبدأوا يبغضوه » .

---

(١) أبيمالك : هو أبيمالك بن جدعون أحد قضاة بني إسرائيل ، وكان أبوه أيضاً قاضياً ، وكانت أمّه من شكيم (نابلس) ، وكان لعشيرتها شيء من النفوذ، فاستطاع أبيمالك أن يكسب رضا شعب شكيم فملّكوه عليهم ، ثم قام بقتل إخوته السبعين أبناء أبيه ، ولم ينجُ إلّا أصغرهم (يوثام) فاختبأ ، وبعد ثلاث سنوات من حُكم أبيمالك قامت ضده فتنة في شكيم وطرحت امرأة رحى على رأسه فجرح فأمر حامل سلاحه أن يقتله لئلا يقال قتلته امرأة ، فطعنه غلامه فمات . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣) .

(٢) شخيم (شكيم) (نابلس): مدينة قديمة في شمال فلسطين غربي نهر الأردن بحوالي ٢٨ كم ، وتقع شمال القدس بـ ٥٠ كم ، وجنوب شرقي السامرة (سبسطية) بـ ٩ كم ، وهي تقع =

فانظروا إلى إصلاحه أنّه سلّط الروح الرديء لهيجان الفتنة .

(٢٤) يوجد في الآيات الكثيرة حرمة الزنا[1]، ولو فُرِض أنّ القسّيسين صادقون في قولهم يلزم أنّ الرب نفسه زنى بزوجة يوسف النجار المسكين فحملت من هذا الزنا والعياذ بالله . والملاحدة في هذا الموضع يتجاوزون عن الحد ، ويستهزئون استهزاء بليغاً بحيث تقشعرّ منه جلود المؤمنين .

وأنا أنقل لتنبيه الناظر ما قال صاحب اكسيهومو وأحذف استهزاءاته . قال هذا الملحد في الصفحة ٤٤ من كتابه المطبوع سنة ١٨١٣م : « ذكر في إنجيل اسمه (بِي تِي وتِي أَفْ مِيرِي) ـ ويُعدّ في هذا الزمان من الأناجيل الكاذبة ـ أنّ مريم عليها السلام كانت محررة لخدمة بيت المقدس ، وكانت هناك إلى أن بلغت ست عشرة سنة ، واختار فادر جيروم زاوير هذا المذكور بعد ما اعتقد صحته ، فحينئذ يحتمل أنّ مريم حبلت من كاهن من كهنة البيت وهو علّمها أن تقول : إني حبلت من روح القدس » انتهى .

ثم استهزأ هذا الملحد بتحرير لوقا استهزاء بليغاً ثم قال : « إنّ هذا الحال ثبت عند اليهود هكذا : أنّ ولد عسكري كان يحبّها ، ومن حركته الشنيعة تولّد

= في واد يحده من الشمال جبل عيبال ومن الجنوب جبل جرزيم ، وإليها انحاز عشرة أسباط من بني إسرائيل بعد ثورتهم على رحبعام بن سليمان وأسسوا فيها المملكة الشمالية (مملكة إسرائيل) وملّكوا عليهم يربعام الأول بن ناباط ، واتخذوا شكيم عاصمة لهم ، وكان فيها مذبح للإله بعل ، وبعد سقوط المملكة على يد الأشوريين عام ٧٢٢ ق.م بقيت شكيم مركزاً للسامريين الذين حافظوا على طقوس عبادتهم وتقاليدهم الخاصة وما زال فيها إلى الآن عدد قليل منهم ولهم كنيس خاص بهم ، وقد استولى عليها الامبراطور الروماني فلافيس فسبلسيان (فسباسيانوس) عام ٦٧م وجدّد بناءها وسماها باسم أسرته فلافيانيابوليس أي (المدينة الجديدة فلافيا) ومن هذا الإسم أخذت فيما بعد اسم نابلس ، وفي أوائل القرن الثاني الميلادي أقام الامبراطور الروماني هيكلاً للإله جوبيتر (زيوس) على جبل جرزيم . (معجم البلدان ٢٤٨/٥ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٥١٤ ، والموسوعة الميسرة ص ١٨١١) .

(١) انظر سفر اللاويين ١٠/٢٠ ، وسفر العدد ١١/٥ ـ ٣١ ، وسفر التثنية ٢٢/٢٢ ـ ٢٩ ، وهي في الوصايا العشر في سفر الخروج ١٤/٢٠ ، وفي سفر التثنية ١٨/٥ .

مسيح اليسوعيين ، فسخط عليها يوسف النجار لأجل هذا الأمر وترك هذه الزوجة الخائنة ، وذهب إلى بابل ، وذهبت مريم مع يسوع إلى مصر . وتعلّم يسوع هناك النيرنجات[1] وجاء بعد تعلمها إلى اليهودية ليريها الناس » انتهى .

ثم قال : « اشتهرت الحكايات الكذائية الواهية الكثيرة بين الوثنيين مثل أنّهم يعتقدون أنّ إلههم (منروا) تولّد من دماغ (جوبتر)[2]، وكان (بي كس) في فخذ (جوبتر)، وإله أهل الصين (فو) تولّد من العذراء التي حبلت من شعاع الشمس » انتهى ملخصاً .

ويناسب هذا المقام حكاية نقلها جان ملنر في كتابه المطبوع سنة ١٨٣٨م : (ادّعت جُؤَانا سُوءَتْ كُوْت[3] الإلهام قبل هذا الزمان بمدة قليلة وقالت : إنّي أنا الامرأة التي قال الله في حقها في الآية الخامسة عشرة من الباب الثالث من سفر التكوين : « هي تسحق رأسكِ » ووقع في حقها في الباب الثاني عشر من المشاهدات هكذا : « ١ ـ وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة متسربلة بالشمس ، والقمر تحت رجليها ، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً (٢) وهي حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد » وإنّي حبلت من عيسى عليه

(١) النيرَنج : أُخَذٌ كالسحر وليس به ، جمعه نيرنجات ونيارج (المعجم الوسيط ص ٩٦٧) .

(٢) جوبتر : هو اسم أحد الإلهة الرومانية ، ويسمّيه اليونانيون الإله زيوس . فهو في أساطيرهم سيد الأرباب . اغتصب الكون من أبيه وقسمه بينه وبين إخوته ، وانفرد هو بحكم السماء والأرض ، وتزوّج بأخته هيرا ونساء غيرها ، فأنجب آلهة وإلاهات ، وهو رمز القوة والحكم وصاحب الكلمة العليا في مجلس آلهة الأولمب . (الموسوعة الميسرة ص ٩٤٠) .

(٣) جؤانا سوءت كوت (جان دارك) : قدّيسة قوميّة فرنسية تُدعى عذراء أورليان ، عاشت مابين ١٤١٢ ـ ١٤٣١م بدأت الشعوذة في سن السادسة عشرة وصار لها أتباع ، ساعدت شارل السابع في تتويجه ملكاً ، وحررت بعض المناطق من الإنجليز في حرب الأعوام المائة ، ثم أسرت وبيعت للإنجليز ، فحوكمت بتهمة الهرطقة والسحر ، فحكم عليها بالسجن مدى الحياة ، ثم أحرقت سنة ١٤٣١م ، وفي سنة ١٩٢٠م رُفعت جان دارك إلى مرتبة القداسة ، وجُعل عيدها في ٣٠ مايو ونسجت حولها الأساطير ، وألفت فيها عدة كتب . (الموسوعة الميسرة ص ٦٠٨ ، ومعجم أعلام المورد ص ٥٠) .

السلام . وتبعها كثير من المسيحيين ، وحصل لهم من هذا الحمل فرح كثير ، وصنعوا ظروف الذهب والفضة) . انتهى كلامه .

لكنّا ما سمعنا أنّها ولدت من هذا الحمل ولداً مباركاً أم لا ؟ وفي الصورة الأولى : هل حصلت رتبة الألوهية لهذا الولد السعيد مثل أبيه أم لا ؟ وفي صورة الحصول : هل بُدّل في معتقديه اعتقاد التثليث بالتربيع أم لا ؟! وكذا هل بُدّل لقب الله الآب بالجد أم لا ؟!

(٢٥) في الآية التاسعة عشرة من الباب الثالث والعشرين من سفر العدد هكذا : « ليس الله برجل فيكذب ولا ابن الإنسان فيندم » .

وفي الباب السادس من سفر التكوين هكذا : « ٦ ـ فندم على عمله الإنسان على الأرض فتأسّف بقلبه داخلاً (٧) وقال فأمحوا البشر الذي خلقته عن وجه الأرض من البشر حتى الحيوانات من الدبيب حتى طير السماء لأنّي نادم أنّي عملتهم » .

(٢٦) الآية التاسعة والعشرون من الباب الخامس عشر من سفر صموئيل الأول هكذا : « فإنّ عزيز إسرائيل لا يعفي ولا يندم لأنّه ليس إنساناً فيندم » .

وفي الباب المذكور هكذا : « ١٠ ـ وكان قول الرب على صموئيل قائلاً (١١) ندمت على أنّي صيّرت شاوول ملِكاً . . . [الخ] (٣٥) الربّ أسف على أنّه ملّك شاوول على إسرائيل » .

(٢٧) في الآية الثانية والعشرين من الباب الثاني عشر من سفر الأمثال هكذا : « من الشفة الكاذبة نفرة للربّ » .

وفي الباب الثالث من سفر الخروج هكذا : « ١٧ ـ وقلت إنّي أُصعدكم من استعباد أهل مصر إلى أرض الكنعانيّين والحيثيّين والأموريّين والفرزيّين

والحوايّين واليابوسيّين إلى الأرض التي تجري لبناً وعسلاً (١٨) وهم فليسمعون صوتك وتدخل أنت وشيوخ إسرائيل إلى مِلِك مصر وتقول له الربّ إلاه العبرانيين دعانا فنمضي مسيرة ثلاثة أيام في البريّة لكي نذبح ذبيحة للرب إلاهنا » .

والآية الثالثة من الباب الخامس من السفر المذكور : « فقالا له[1]: إلاه العبرانيين دعانا لنذهب مسيرة ثلاثة أيام في البريّة ونذبح ذبائح للرب إلاهنا لئلا يصيبنا وباء أو حرب » .

وفي الآية الثانية من الباب الحادي عشر من السفر المذكور قول الله تعالى في خطاب موسى عليه السلام هكذا : « فتحدّث في مسامع الشعب أنْ يسأل الرجل صاحبه والمرأة من صاحبتها أواني فضّة وأواني ذهب » .

والآية الخامسة والثلاثون من الباب الثاني عشر من سفر الخروج هكذا : « وفعل بنوا إسرائيل كما أمر موسى واستعاروا من المصريّين أواني فضة وذهب وشيئاً كثيراً من الكسوة » .

فانظروا إلى نفرته من الكذب أنّه أمر موسى وهارون أن يكذبا عند فرعون فكذبا ، وكذلك كذب كل رجل على جاره ، وكل امرأة على جارتها ، وأمر بالخداع ، وأخذ كلٌّ مالَ جاره بالخديعة وتصرّف فيه . وقد أمر في مواضع من التوراة بأداء حق الجار ، أيكون أداء حقه كما أمر وقت خروجهم ؟! وأيليق بالله أن يعلمهم الغدر والخيانة ؟!

وفي الباب السادس عشر من سفر صموئيل الأول : « قال الربّ

---

(١) ذكر المؤلف كلاماً توضيحياً في المتن ضمن النصّ فأخرجته إلى الهامش وهو : « أي موسى وهارون قالا لفرعون » .

لصموئيل : املأ قرنك دهناً وتعالى أبعثك إلى ايسي[1] الذي من بيت لحم فإني قد رأيت لي في بنيه ملِكاً . قال صموئيل كيف أذهب فيسمع شاول فيقتلني ؟ فقال الرب : خذ بيدك عجلة من البقر وقل إني جئت لأقرّب ذبيحة للرب فصنع صموئيل كما أمر الرب وأتى إلى بيت لحم » انتهى ملخصاً .

فأمر الله صموئيل أن يكذب لأنّه كان أرسله لمسح داود ، وجعله سلطاناً لا للذبح .

وقد عرفت في جواب الشبهة الثالثة في الفصل الثاني من هذا الباب أنّ الله أرسل روح الضلالة ليقع في أفواه نحو أربعمائة نبي كذبة ، ويضلّهم فيكذبون ، فمن هذه الأمثلة الأربعة[2] تظهر نفرته من الشفة الكاذبة .

(٢٨) الآية السادسة والعشرون من الباب العشرين من سفر الخروج هكذا : « لا تصعد على مذبحي بدرج لئلا تنكشف عليه عورتك » .

فعُلِم منه أنّه لا يحبّ انكشاف عورة الرجل فضلاً عن عورة الامرأة .

وفي الآية السابعة عشرة من الباب الثالث من كتاب إشعياء : « الربّ يقلع[3] عورات بنات صِهْيَوْن »[4].

(١) أيسي : هو يسّى بن عوبيد بن بوعز ، وجدّته راعوث المؤابيّة من أولاد موآب ، وهو والد داود عليه السلام وجدّ سليمان ، ويُدعى أحياناً يسي البيتلحمي . (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٤٥ وص ١٠٦٥) .

(٢) وكلها ضمن الشاهد ٢٧ .

(٣) في طبعة سنة ١٨٦٥م : « ويعرّي الربّ عورتهنّ » .

(٤) صِهْيَوْن : اسم عبري معناه على الأرجح : (حصن) ، وجبل صهيون اسم أحد التلال التي تقوم عليها مدينة القدس ، وكان داود عليه السلام قد استولى على هذا الحصن من اليبوسيين سكان القدس الأصليين ، فنصب عليه خيمته وأتى إليه بالتابوت وسمّاه : مدينة داود ، فصار هذا الجبل من ذلك الوقت مقدّساً عند اليهود حتى إنهم توسّعوا في إطلاق اسمه (صهيون) على مدينة القدس نفسها ، ثم أصبح اسماً مرادفاً للأرض الموعودة بزعمهم ، ولذلك اشتق تيودور هرتزل منه كلمة : الصهيونية ، وأشاعها في كتابه الدولة اليهودية عام ١٨٩٦م ، وأسّس الحركة الصهيونية =

وفي الباب السابع والأربعين من كتاب إشعياء هكذا : « ٢ ـ خذي الرحا واطحني دقيقاً اعري عارك اكشفي كتفك اظهري ساقيك جوزي الأنهار (٣) ينكشف عيبك ويظهر عارك أنتقم ولا يقاومني بشر » .

والآية الثامنة عشرة من الباب العشرين من سفر التكوين هكذا : « لأنّ الربّ كان أعقمَ جميع مَن في بيت أبيمالك[1] من أجل سارة امرأة إبراهيم » .

والآية الحادية والثلاثون من الباب التاسع والعشرين هكذا : « فلمّا رأى الربّ أنّ ليّا مبغوضة فتح رحمها وكانت راحيل عاقرا » .

والآية الثانية والعشرون من الباب الثلاثين من السفر المذكور هكذا : « فذكر الربّ راحيل واستجاب لها وفتح رحمها » .

فانظروا إلى نفرته من كشف عورة الرجال ورغبته إلى قلع عورات النساء وإعرائهن وفتح أرحامهن وسدّها .

(٢٩) في الآية الرابعة والعشرين من الباب التاسع من كتاب إرميا هكذا : « أنا الربّ الصانع الرحمة والقضاء والعدل في الأرض » .

وقد عرفت حال ارتضائه بالرحمة والصدق ، فاعرف حال عدله :

في الباب الحادي والعشرين من كتاب حزقيال هكذا : « ٣ ــ وتقول لأرض إسرائيل : هكذا يقول الرب الإله هأنذا إليك وأسلّ سيفي من غمده وأقتل فيك البارّ والمنافق (٤) ومن أجل أنّي أنا قتلت فيك بارّاً ومنافقاً فلهذا يخرج

= التي تدعو للعودة إلى صهيون الذي هو رمز الدولة اليهودية ، وعقد أول مؤتمر لهذه الحركة سنة ١٨٩٧م في مدينة بال بسويسرا . (معجم البلدان ٣/٤٣٦ ، والقاموس الإسلامي ٤/٣٤٨ ، والموسوعة الميسرة ص ١١٣٤ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٥٥٨) .

(١) أبيمالك : اسم أحد ملوك فلسطين كان معاصراً لإبراهيم ، حاول الزواج بسارة زوجة إبراهيم فمنعه الله من ذلك . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣) .

سيفي من غمده إلى كلّ جسد من التيمن[1] إلى الشمال » .

فلو سُلِّم أنّ قتل المنافق عند علماء البروتستانت عدل ، لكن كيف قتل البار عدلاً عندهم ؟!

وفي الباب الثالث عشر من كتاب إرميا هكذا : « ١٣ ـ فتقول لهم هكذا يقول الرب : هأنذا أُمْلِي سُكْرا جميع سكان هذه الأرض والملوك الجالسين من ذرّية داود على كرسيه والكهنةَ والأنبياءَ وجميع سكان أورشليم (١٤) وأبدّدهم رجلاً عن أخيه والآباءَ والأبناءَ جميعاً يقول الربّ : لست أرحم ولا أعفي ولا أتحنن حتى أن لا أهلكهم » .

فإملاء جميع سكان هذه الأرض سُكْراً ثم قتلهم أيّ عدل ؟!

والآية التاسعة والعشرون من الباب الثاني عشر من سفر الخروج هكذا : « ولـمّا انتصف الليل قتل الربّ كل أبكار أهل مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيّه حتى إلى بكر المسبيّة التي في السجن وكل أبكار البهائم » .

فقتل جميع أبكار أهل مصر وأبكار البهائم أيّ عدل ؟! لأنّ ألوفاً من أبكار أهل مصر كانوا أطفالاً معصومين[2]، وكان أبكار البهائم أيضاً غير مذنبين .

(٣٠) الآية الثالثة والعشرون من الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال هكذا : « ألعلّ مرضاتي هو موت المنافق يقول الرب الإله ولا أن يتوب من طرقه فيعيش » .

والآية الحادية عشرة من الباب الثالث والثلاثين هكذا : « فقل لهم حيّ أنا يقول الرب الإله لست أريد موت المنافق بل أن يتوب المنافق من طريقه ويعيش . . . » الخ .

---

(١) في حاشية ق : اسم بلدة . اهـ . وقد سبق توضيحها وأنها تستعمل بمعنى الجنوب .
(٢) أي ليس لهم أي ذنب .

فعُلم من هاتين الآيتين أنّ الله لا يحبّ موت الشرير ، بل يحبّ أن يتوب الشرير وينجو .

والآية العشرون من الباب الحادي عشر من كتاب يوشع هكذا : «فقسّى الربّ قلوبهم وأهلكهم»(1) .

(31) الآية الرابعة من الباب الثاني من الرسالة الأولى إلى تيموثاوس هكذا : « الذي يريد أنّ جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون » .

وفي الباب الثاني من الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي هكذا : « 11 ـ ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدّقوا الكذب (12) لكي يُدان جميع الذين لم يصدّقوا الحق بل سُرّوا بالإثم » .

(32) الآية الثامنة عشرة من الباب الحادي والعشرين من سفر الأمثال هكذا : « عِوَضُ الصدّيق يسلم المنافق وعِوَض المستقيم الأثيم » .

والآية الثانية من الباب الثاني من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : « وهو كفّارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كلّ العالم » .

ففُهِم من الآية الأولى أنّ الأشرار يكونون كفارات للصلحاء ، ومن الثانية أنّ المسيح عليه السلام الذي هو معصوم عند المسيحيين صار كفارة للأشرار .

فائدة : ما ادّعى بعض القسيسين أنّ المسلمين ليس لهم كفارة جيدة غلط ؛ لأنّا لو تأملنا في حكم عبارة الأمثال ونظرنا إلى طوائف بني آدم وجدنا أنّ الكفارات المتعددة من المنكرين لمحمد ـ ﷺ ـ موجودة لكل فرد فرد من المسلمين ، على أنّ المسيح عليه السلام لما كان كفارة لخطايا كل العالم على ما اعترف يوحنا فكيف لا يكون كفارة للمسلمين الذين يعترفون بتوحيد الله

---

(1) في طبعة سنة 1844م : « لأنّ هذا كان من قِبَل الرب أنْ تقسّى قلوبهم ويحاربوا بني إسرائيل ويصرعوا ولا يستحقوا رأفة البتة وأنهم يهلكوا » .

ونبوّته وصدقه وكون أمّه صادقة بريئة ؟! بل لو أنصف أحد عرف أنّ أهل الحياة الأبدية هؤلاء المسلمون لا غيرهم كما عرفت في الباب الرابع .

(٣٣) وقع في الباب العشرين من سفر الخروج : « لا تقتل لا تزن »[١].

والآية الثانية من الباب الرابع عشر من كتاب زكريا هكذا : « وأجمع جميع الأمم إلى أورشليم للقتال وتُؤخذ المدينة وتُخرّب البيوت وتُفضح النساء » .

فوعد الرب أن يجمع الأمم ليقتلوا قومه الخاص[٢]، ويفضحوا نساءهم ويزنوا بهنّ .

(٣٤) في الآية الثالثة عشرة من الباب الأول من كتاب حبقوق هكذا : « نقيّة عيناك لئلا ترى السوء ولا تقدر أن تنظر إلى الإثم » .

والآية السابعة من الباب الخامس والأربعين من كتاب إشعياء : « المصوِّر النُّور والخالق الظلمة الصانع السلام والخالق الشرّ أنا الرب الصانع هذه جميعها » .

(٣٥) في الزبور الرابع والثلاثين هكذا : « ١٥ ــ فإنّ عيني الربّ إلى الأبرار ومسامعه إلى صراخهم (١٧) أولئك الذين صرخوا فاستجاب لهم ونجاهم من جميع أضرارهم (١٨) فإنّ الربّ قريب من منكسري القلب ومخلّص متواضعي الروح » .

وفي الزبور الثاني والعشرين هكذا : « ١ ــ إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي وكلام صراخي (٢) إلهي إلهي إنّي في النّهار أدعو وأنت لا تستجيب وفي الليل ولا سكوت لي » .

والآية السادسة والأربعون من الباب السابع والعشرين من إنجيل متّى

(١) سفر الخروج ٢٠/١٣ ـ ١٤ ، وهما ضمن الوصايا العشر .
(٢) أي اليهود ، فهم يزعمون أنّهم شعب الله المختار وأبناؤه وأحبّاؤه .

هكذا : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : إيلي إيلي لَـمَا شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني »[1].

أَمَا كان داود وعيسى عليهما السلام من الأبرار ومنكسري القلوب ومتواضعي الروح ، فلم تركهما ولم يسمع صراخهما ؟!.

(٣٦) الآية الثالثة عشرة من الباب التاسع والعشرين من كتاب إرميا هكذا : « تطلبونني وتجدونني إذا طلبتموني بكل قلبكم » .

والآية الثالثة من الباب الثالث والعشرين من كتاب أيوب هكذا : « مَن يعطيني أن أعرف فأجده وأستطيع البلوغ إلى مجلسه » .

وقد شهد الله في حق أيوب أنّه صالح مستقيم خائف من الله بعيد من السّوء كما هو مصرح به في الباب الأول والثاني من كتابه[2]. فهذا المقدّس لم يحصل له علم طريق وجدان الله فضلاً عن وجدانه .

(٣٧) في الآية الرابعة من الباب العشرين من سفر الخروج هكذا : « لا تتخذ لك صورة ولا تمثيل كل ما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل ولا ما في الماء من تحت الأرض » .

والآية الثامنة عشرة من الباب الخامس والعشرين من السفر المذكور هكذا : « واصنع كاروبَيْن[3] من ذهب سبيك تجعلها على كل جانبي الغشاء » .

(٣٨) الآية السادسة من رسالة يهوذا هكذا : « والملائكة الذين لم يحفظوا

---

(١) ومثلها ما في إنجيل مرقس ١٥/٣٤ .

(٢) ففي سفر أيوب ١/٨ و٢/٣ « عبدي أيوب لأنّه ليس مثله في الأرض رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشرّ » .

(٣) في حاشية ق : على صورة الملائكة . اهـ . والكلمة مفردها : كروب ، وجمعها : كروبون ، وفي العبرية : كروبيم ، وقد جُعل على غطاء تابوت العهد كروبان من ذهب ولهما جناحان يظللان التابوت . (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٧٩) .

رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام » .

فعُلِم منها أنّ الشياطين مربوطة بقيود عظيمة إلى يوم القيامة . ويُعلم من الباب الأول والثاني من كتاب أيوب أنّ الشيطان ليس بمقيّد ، بل هو مطلق ، ويحضر عند الله[1].

(٣٩) في الآية الرابعة من الباب الثاني من الرسالة الثانية لبطرس هكذا : « إنْ كان الله لم يشفق على ملائكةٍ قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنّم وسلّمهم محروسين للقضاء » .

وفي الباب الرابع من إنجيل متّى أنّ الشيطان جرّب عيسى[2] عليه السلام .

(٤٠) الآية الرابعة في الزبور التسعين هكذا : « فإنّ ألف سنة لديك كالأمس الغابر وكهجيع من الليل » .

والآية الثامنة من الباب الثالث من الرسالة الثانية لبطرس هكذا : « إنّ يوماً واحداً عند الربّ كألف سنة وألف سنة كيوم واحد » .

ومع ذلك قال في الآية السادسة عشرة من الباب التاسع من سفر التكوين هكذا : « ويكون القوس في الغمام ، وأراه وأذكر الميثاق الأبدي الذي قام بين الله وبين كل نفس حية من كل ذي جسد هو على الأرض » .

على أنّ كون القوس علامة العهد لا يَحْسُن ؛ لأنّ القوس لا يكون في كّل غمام بل في قليل من أوقات الغمام ، وهو وقت رقّة الغمام غالباً ، وهذا الوقت لا يكون موجباً لكثرة الأمطار التي يخاف منها الطوفان ، فلا تحصل العلامة وقت الحاجة إليها بل وقت الاستغناء عنها .

---

(١) انظر سفر أيوب ١/٦ـ١٢ و٢/١ـ٧ .
(٢) انظر إنجيل متّى ١/٤ـ١١ .

(٤١) في الآية العشرين من الباب الثالث والثلاثين من سفر الخروج قول الله في خطاب موسى عليه السلام هكذا : « إنّك لا تقدر على النظر إلى وجهي لأنّه لا يراني بشر فيحيـى » .

وفي الآية الثلاثين من الباب الثاني والثلاثين من سفر التكوين قول يعقوب عليه السلام هكذا : « رأيت الله وجهاً لوجه وتخلّصت نفسي » .

فرأى يعقوب عليه السلام الله وجهاً لوجه وبقي حيّاً ، وفي القصة التي وقع فيها هذا القول أشياء أخرى أيضاً لا تليق[1]:

الأول : ذكر المصارعة بين الله وبين يعقوب .

والثاني : كونها ممتدة إلى طلوع الفجر .

والثالث : أنّه لم يقو أحدهما بالآخر .

والرابع : أنّ الله لم يقدر أن ينطلق بذاته ، فقال : أطلقني .

والخامس : أنّ يعقوب لم يطْلِقْه إلاّ بعِوَض ، وهو أن يباركه .

والسادس : أنّ الله سأل عن اسمه ، فعُلم أنّه ما كان يعلم اسمه .

(٤٢) الآية الثانية عشرة من الباب الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : « الله لم ينظره أحد قط » .

وفي الباب الرابع والعشرين من سفر الخروج هكذا : « ٩ ــ وصعد موسى وهارون وَناداب[2] وأبيهو[3] وسبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل (١٠) ونظروا

---

(١) انظر سفر التكوين ٣٢/٢٢ ـ ٢٩ ، وفيها قصّة المصارعة حتى الفجر .

(٢) ناداب : هو أكبر أبناء هارون الأربعة ، وأحد الذين كُرّسوا كهنة للرب ، مات ولم يعقب . (قاموس الكتاب المقدس ص ٩٤٥) .

(٣) أبيهو : هو الابن الثاني لهارون وأخو ناداب وأحد الكهنة ، ومات ولم يعقب كذلك ، وفي سفر اللاويين ١٠/١ ـ ٧ وسفر العدد ٢٦/٦١ أنّ سبب موته وأخيه ناداب تقديمهما ناراً غريبة للرب . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٤) .

إلى إلاه إسرائيل وتحت رجليه مثل عمل الحجر السمانجوني[1] وكمثل لون السماء ونور ظاهر (١١) فلم يبسط يده على شيوخ بني إسرائيل وأبصروا الله وأكلوا وشربوا »[2].

فموسى وهارون والمشايخ السبعون عليهم السلام قد أبصروا الله وأكلوا وشربوا معه.

أقول : أولاً : إنّ الجملة الأخيرة بحسب الظاهر تدلّ على أنّهم أكلوا الله وشربوه، لكن المقصود لعله ما فهمه المعترضون.

وثانياً : إنّ إله بني إسرائيل - والعياذ بالله - كان على صورة آلهة مشركي الهند مثل : راجندر، وكِرَشْن[3]، لأنّ ألوانهم على ما صُرِّح به في كتبهم على لون السماء.

(٤٣) في الآية السادسة عشرة من الباب السادس من الرسالة الأولى إلى تيموثاوس هكذا : « الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه ».

وفي الباب الرابع من المشاهدات أنّ يوحنا رآه جالساً على العرش : « وكان

---

(١) في النسخة السامرية : « كصنعة حجر المها »، وفي طبعة سنة ١٨٦٥م : « شبه صَنْعةٍ من العقيق الأزرق الشفاف »، وهو نوع من الحجارة الكريمة، وأسمنجون : اللون الأزرق الخفيف والنسبة إليه : أسمنجوني (المعجم الوسيط ص ١٨، وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٣).

(٢) القرآن الكريم يدلّ على خلاف ذلك تماماً، وكان بنو إسرائيل والسبعون المختارون مذمومين في هذا الموطن، فالآية ٥٥ من سورة البقرة : ﴿ **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون** ﴾، والآية ١٥٣ من سورة النساء : ﴿ **فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم** ﴾ والآية ١٥٥ من سورة الأعراف : ﴿ **واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا** ﴾.

(٣) صُوَر للإله، فيعتقدون أن كريشنا هو صورة للإله فيشنو، وأنّه قد نزل إلى الأرض في تسعة تقمّصات أشهرها صورة كريشنا الشهوانية. (الموسوعة المسيرة ص ١٩٠٦).

الجالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق»[1].

(٤٤) الآية السابعة والثلاثون من الباب الخامس من إنجيل يوحنّا قول يسوع في خطاب اليهود هكذا: «لَمْ تسمعوا صوته قطّ ولا أبصرتم هيئته».

وقد علمت حال رؤية الله في المثال السابق، بقي حال سماع صوته: في الآية الرابعة والعشرين من الباب الخامس من سفر التثنية هكذا: «قد أرانا الربّ إلاهنا مجده وعظمته وسمعنا صوته من وسط النار».

(٤٥) في الآية الرابعة والعشرين من الباب الرابع من إنجيل يوحنّا هكذا: «الله روح».

وفي الآية التاسعة والثلاثين من الباب الرابع والعشرين من إنجيل لوقا هكذا: «إنّ الروح ليس له لحم وعظام».

ويُعلم من هاتين العبارتين أنّ الله ليس له لحم وعظام، وقد ثبت له في كتبهم كل عضو من الرأس إلى الرجل، ونقلوا أمثلة لإثبات هذه الأعضاء ـ وقد عرفتها في مقدمة الباب الرابع ـ ثم قالوا[2] استهزاء: لم يُعلم إلى الآن أنّه بستاني أم بنّاء أو خزّاف أو خيّاط أو جرّاح أو حلّاق أو قابلة أو جزّار أو فلّاح

---

(١) سفر رؤيا يوحنا ٣/٤، وفي طبعة سنة ١٨٢٣م و ١٨٤٤م: «حجر اليشب والياقوت»، وفي طبعة سنة ١٨٨٢م «كحجر اليشب والياقوت الأحمر»، وفي طبعة سنة ١٨٢٥م و ١٨٢٦م «كالزبرجد والياقوت».

واليشب «اليشم»: هو غير نقي من السلكيات ذات التبلور الكاذب والبلور غير الشفاف، وبعض أنواعه ذو خطوط جميلة مختلفة الألوان وهو قابل للصقل. والعقيق: نوع من الحجارة الكريمة، وهو عدة ألوان، ومنه الياقوت الذي هو أكثر المعادن صلابة بعد الماس ويعمل منه فصوص الخواتم. وأعلى أنواعه الأزرق والأحمر، ويأتي من اليمن والهند.

(قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٣ وص ١٠٦٦ وص ١٠٧٩، والقاموس الإسلامي ٥/٤٤٠، والمعجم الوسيط ص ٦١٦ وص ١٠٦٥، والموسوعة الميسرة ص ١٢٢٢، وص ١٩٧٧ وص ١٩٨٢).

(٢) أي ملاحدة أوروبا.

أو تاجر أو غيره . ! لأنّ أقوال كتبهم مضطربة :

١ ــ في الآية الثامنة من الباب الثاني من سفر التكوين هكذا : « وغرس الربّ الإله فردوس النعيم من البدي » .

فيُعلم منه أنّه بستاني ، وكذا يُعلم من الآية التاسعة عشرة من الباب الحادي والأربعين من كتاب إشعياء[1].

٢ ــ وفي الآية الخامسة والثلاثين من الباب الثاني من سفر صموئيل الأول هكذا : « وأبني له بيتاً أميناً » .

وهكذا[2] في الآية ١١ و٢٧ من الباب السابع من سفر صموئيل الثاني ، والآية ٣٨ من الباب الحادي عشر من سفر الملوك الأول ، والآية ١ من الزبور ١٢٧ . ويُعلم من هذه الآيات أنّه بنّاء .

٣ ــ والآية الثامنة من الباب الرابع والستين من كتاب إشعياء هكذا : « والآن يا رب أنت أبونا ونحن الطين وأنت جابلنا ونحن جميعنا أعمال يديك » .

فيُعلم منها أنّه خزّاف .

٤ ــ والآية الحادية والعشرون من الباب الثالث من سفر التكوين هكذا : « وصنع الربّ الإله لآدم وزوجته ثياباً من جلود وألبسهما » .

فيُعلم أنّه خيّاط .

٥ ــ وفي الآية ١٧ من الباب الثلاثين من كتاب إرميا هكذا : « أشفي جرحك » .

---

(١) ففي سفر إشعياء ١٩/٤١ « أجعل في البرّيّة الأرز والسّنط والآس وشجرة الزيت . أضع في البادية السرّو والسنديان والشربين معاً » .

(٢) أي وردت العبارة السابقة أو قريب منها في الفقرات التالية التي سيشير إليها المؤلف كما يلي : سفر صموئيل الثاني ١١/٧ و٢٧ ، وسفر الملوك الأول ٣٨/١١ ، والمزمور ١/١٢٧ .

فيُعلم أنه جراح .

٦ ـ والآية العشرون من الباب السابع من كتاب إشعياء هكذا : « في ذلك اليوم يحلق الربّ بموسى مُسْتَكْرا[1] في أولئك الذين هم عبر النهر بملك الأثوريين[2] الرأس وأوبار الرجلين واللحية كلها » .

فيُعلم أنه حلاق .

٧ ـ ويعلم من الآية ٣١ من الباب التاسع والعشرين ، والآية ٢٢ من الباب الثلاثين من سفر التكوين أنّه قابلة ، وقد مرّ نقلهما عن قريب في بيان الإختلاف الثامن والعشرين .

٨ ـ والآية السادسة من الباب الرابع والثلاثين من كتاب إشعياء هكذا : « سيف الرب امتلى دماً سمن من شحم من دم الخرفان والتيوس من دم الكباش المعلوفة » .

فيُعلم أنه جزّار .

٩ ـ والآية الخامسة عشرة من الباب الحادي والأربعين من كتاب إشعياء هكذا : « ها جعلتك مثل البكرات الجدد التي للعجلة شبه المناشير التي تدرس فتدوس الجبال وتسحق الآكام وتضعهم مثل التراب » .

فيُعلم أنه فلّاح .

١٠ ـ وفي الآية الثامنة من الباب الثالث من كتاب يوئيل هكذا : « وأبيع بنيكم وبناتكم في أيدي بني يهوذا » .

فيُعلم أنه تاجر .

---

(١) في طبعة سنة ١٨٦٥م : « مستأجرة » .
(٢) في حاشية ق : أي مملكة . اهـ . وفي طبعة سنة ١٨٦٥م « بملك أشّور » .

١١ ــ وفي الآية الثالثة عشرة من الباب الرابع والخمسين من كتاب إشعياء هكذا : « جميع بنيك متعلّمين من الرب »[١].

فيُعلم أنّه معلِّم .

١٢ ــ ويُعلم من الباب الثاني والثلاثين من سفر التكوين أنّه مصارِع[٢].

(٤٦) الآية التاسعة من الباب الثاني والعشرين من سفر صموئيل الثاني هكذا : « ارتفع دخان من أنفه والتهبت النار من فمه تأكل والجمر اشتعل منه » .

والآية العاشرة من الباب السابع والثلاثين من كتاب أيوب هكذا : « يكون الثلج من نَفَسِ الله ويجمد الماء السائل » .

(٤٧) الآية الثانية عشرة من الباب الخامس من كتاب هوشع هكذا : « وأنا مثل السوس لأفرام ومثل الدودة لبيت يهوذا » .

والآية السابعة من الباب الثالث عشر من الكتاب المذكور هكذا : « وأنا أكون لهم مثل أسدة كمثل نمر في طريق الأثوريين » .

فتارة مثل السوس والدودة ، وتارة مثل الأسد والنمر .

(٤٨) الآية العاشرة من الباب الثالث من مراثي إرميا هكذا : « دُبّا راصداً صار لي أسداً في الخفية » .

والآية الحادية عشرة من الباب الأربعين من كتاب إشعياء هكذا : « مثل الراعي هو يرعى قطيعه » الخ .

فتارة مثل الدُّبّ والأسد ، وتارة كالراعي .

---

(١) في طبعة سنة ١٨٦٥م : « وكلّ بنيك تلاميذ الرب » .
(٢) قصة المصارعة مع يعقوب في سفر التكوين ٣٢/٢٢ ـ ٢٩ .

(٤٩) في الآية الثالثة من الباب الخامس عشر من سفر الخروج هكذا : « الربّ كمثل الرجل المقاتل » .

وفي الآية العشرين من الباب الثالث عشر من الرسالة العبرانية هكذا : « وإله السلام » .

(٥٠) في الآية الثامنة من الباب الرابع [من الرسالة الأولى][1] ليوحنا هكذا : « الله محبّة » .

والآية الخامسة من الباب الحادي والعشرين من كتاب إرميا هكذا : « وأنا أغلبكم بيد ممدودة وبذراع قوية وبرجز وبغضب وبسخط شديد » .

ولما وصلت النوبة إلى الخمسين[2] أكتفي في نقل هذه الإختلافات على هذا القدر خوفاً من التطويل . فمن شاء أزيد منه فليتصفح كتب المعترضين المذكورين يجد فيها اختلافات أخرى .

(١) والآية الخامسة عشرة من الباب الحادي والعشرين من سفر التثنية هكذا : « وإنْ كانت لرجل امرأتان الواحدة محبوبة والأخرى مبغوضة » الخ .

(٢) والآية السابعة والعشرون من الباب التاسع من كتاب يوشع هكذا : « وفرض عليهم[3] في ذلك اليوم أن يكونوا في خدمة الشعب بأسره وخدمة

---

(١) عبارة « من الرسالة الأولى » ليست في المخطوطة ولا في المطبوعة ولا في المقروءة ، فيتوهم القارىء أنّ النص من إنجيل يوحنا وبعد التحرّي والتثبت أضفت هذه العبارة ليزول الإلتباس والأغلب أنها سقطت سهواً من الأصل المخطوط فسقطت من كلّ النسخ المطبوعة .

(٢) أوْرَدَ المؤلف الاختلافات الخمسين السابقة في ذات الله وصفاته من كتب ملاحدة أوروبا ؛ لتحصل البصيرة للناظرين في جواب الشبهة الخامسة أنّ اعتراضات علماء البروتستانت على الأحاديث النبويّة أضعف من اعتراضات أبناء صنفهم على مضامين كتبهم المقدسة . وسيورد أربعة اعتراضات أخرى .

(٣) ذكر المؤلف توضيحاً في متن النص كما يلي : « أي أهل جبعون » ، فأخرجت هذه العبارة إلى الهامش ، وجبعون اسم بلدة شمالي القدس بحوالي (٥) أميال . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٤٦) .

مذبح الربّ محطبين حطباً ومستقين ماء إلى هذا الحين في الموضع الذي يختاره الرب » .

(٣) وفي الباب السادس والخمسين من كتاب إشعياء هكذا : « يقول الربّ للخصيّين الذين يحفظون سبوتي ويختارون ما أنا شئته ويمسكون بعهدي أعطيهم في بيتي وفي حيطاني موضعاً واسماً أفضل من البنين والبنات أعطيهم اسماً أبديّاً لا يبيد »[1].

يُعلم من هذه الآيات أنّ الله مجوّز لتزوّج زوجتينْ ، وأَخْذِ القوم في العبودية والرق ، وراضٍ عن الخصيّين ، وهذه الأشياء كلها مذمومة عند الإنكليز شرعاً وعقلاً .

(٤) والآية الخامسة والعشرون من الباب الأول من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس هكذا : « لأنّ جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس » .

والآية التاسعة من الباب الرابع عشر من كتاب حزقيال هكذا : « والنبيّ إذا ضلّ وتكلّم بكلام فأنا الربّ أضللت ذلك النبي » الخ .

ويُعلم من هاتين الآيتين جهل الله وإضلاله لأنبيائه ـ والعياذ بالله .

وقال جان كلارك الملحد بعد ما نقل بعض الأقوال المنقولة فيما قبل : « إنّ إله بني إسرائيل هذا ليس قاتلاً ظالماً كاذباً أحمق مضلّاً فقط ، بل هو نار محرقة أيضاً ، كما قال بولس في الآية التاسعة والعشرين من الباب الثاني عشر من الرسالة العبرانية : (إلهنا نار آكِلَة) والوقوع في يدي هذا الإله مُخَافٌ ، كما قال بولس في الآية الحادية والثلاثين من الباب العاشر من الرسالة العبرانية : (مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي) ، فتحصيل الحرية من رِقّيّة مثل هذا الإله

---

(١) سفر إشعياء ٥٦/٤ ـ ٥ .

بالعجلة المقدورة أحسن ؛ لأنّه إذا لم ينج ابنه الوحيد فمن يرجو منه الرحمة واللطف ؟! وهذا الإله الذي تحكم هذه الكتب أنّه إله ليس بقابل أنْ يُعتمد عليه بل هو شيء غير محقق جامع للأضداد والأوهام مضلّ لأنبيائه » انتهى .

فانظروا إلى أبناء صنف القسّيسين إلى أين وصلت نوبتهم ! وليُعلم أنّ اعتراضاتهم على ما وقع في تراجمهم الإنكليزية وغيرها ، فإنْ وجد الناظر في بيان عدد الآية أو في بعض المضامين ما يخالف الترجمة العربية فهو لأجل اختلاف التراجم .

فهرست الجزء الثالث من كتاب « إظهار الحق »

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع إن شاء الله
وأوله : الباب السادس (في إثبات نبوة محمد ﷺ ودفع مطاعن القسيسين)

